التنشئة الإجتماعية وحاجات الطفل

إعداد
الدكتور / جمال مختار حمزة
أستاذ مساعد الصحة النفسية
كلية رياض الأطفال
جامعة القاهرة

إهداء

إلى روح والدي

الاستاذ الدكتور / مختار حمزه
رائد علم النفس
رحمه الله وجعل الجنه مثواه



مقدمة:

يتعقد البحث العلمي وتتشعب طرقه بتعقد الموضوع الذى يتناوله البحث فإذا كن الموضوع جامدا ثابتا فدراسته التجريبية تكون أيسر لو كان قابلا للنمو والتطور او كلما تعددت العوامل المعينه لظاهرة ما وتضافرت فى شبكه معقدة من العلاقات ازداد البحث العلمي صعوبة واقتضى الاستعانه بطرق بحث خاصة تتلاءم مع ما تتميز بها الظاهرة من تطور أوجهها وتشابك العلاقات التى تعينها.

ووظائف الكائن الحى وتطور مظاهره السلوكية تتطلب اصطناع منهج علمى خاص يسمح بتتبع منشأة السلوك والكشف عن صوره المختلفة المتلاحقة فى الزمن المتجهة فى حركة تكاملها نحو تحقيق الوظائف فى اكمل صوره لها، تتبع من جهة، وتطلع من جهة أخرى، تتبع مراحل النمو منذ بزوغ المراحل الأولى ورصد أثار الماضى خلال الابنية الجديدة التى بظهورها تميز بين المراحل المتتابعة على الرغم من تداخلها، ثم من ثنايا هذه الحركة التطورية التى تدفع بالكائن الحى نحو النمو والارتقاء، الكشف عن خطة النمو والارتقاء بالتطلع إلى الاشكال السلوكية التى ستحققها امكانيات الكائن الحى الفطرية بتفاعلها مع التأثيرات البيئية والبواعث الاجتماعية، وليس المنهج التكاملى وهو المنهج السائد الان فى الدراسات السيكولوجية والاجتماعية سوى التأليف الحى بين النظره التتبعية والنظره التطلعية بشرط ارتباطهما بمقتضيات كل موقف من المواقف السلوكية التى يتكون منها تاريخ كل فرد.

الأطفال هم الكنوز والثروات الحقيقية لشعوبهم، والقاعدة الاساسية فى بناء مجتمعهم ونهضتها وتقدمها، فهم الذين تنعقد عليهم الآمال فى استمرارية الحياة وتواصلها وتطورها، وفى ارتياد آفاق المستقبل وتشكيل ملامح صورته وحل مشكلاته لذا فإن التفريط فى رعايتهم وحمايتهم يعد تفريطا فى المستقبل وقد يكون تفريطا فى المستقبل ذاته.

وجدير بالذكر فإن كفاله فرص التنشئة الاجتماعية والنمو المتكامل للاطفال وتهيئة صنوف الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية والتعليمية والتربوية والروحية الواجبة هو الضمان الحقيقى لاجيال جديدة من المواطنين الصالحين المتمتعين بالصحة النفسية والتوافق

النفسى والاجتماعى، القادرين على مواصلة التقدم ومواجهة المشكلات، واحداث التحولات المنشودة التى يتطلع لها إليها المجتمع فى مجالات الحياة وميادينها المتعددة .

ومن هنا تظهر الاهمية الكبرى للاسرة وما يسودها من اتجاهات وقيم، وما يقوم فيها من علاقات تشكل شخصية الطفل وتوجهه مستقبلا، ولكن افراد الاسرة فى أنتقائهم لبعض عناصر الثقافة دون غيرها أو المعايير سلوكية معينة انما يتأثرون فى ذلك بتكوينهم النفسى، ويقوى المجال الذى يتفاعلون بداخله حيث تلعب النواحى الاقتصادية بجوانبها المختلفة ودرجة مستوى التعليم دورا كبيرا فى تشكيل هذا المجال ومن ثم تفاوت اشكال السلوك المختلفة عن مختلف الاطفال وفى ذلك يقول كير كبلتريك A. Kirkpatrik، ورغم ان جميع الناس يشتركون فى الخصائص البشرية العامة الا ان كل فرد يستيطع ان يقتبس من بنيته ما يميزه عن غيره. وقد لايستيطع بعض الناس أن يحقق فى بعض النواحى ما حقق غيرهم، أو لا يسهل عليهم ذلك، غير أن احدا لايمكن ان يستنفذ كل ما يتاح له من فرص النمو. ومن ثم كانت المشكلة العملية فى ان تقيم جهودنا على استخدام الخصائص الناقصة التى تملك اكبر قدر منها.

اذن سلوك الطفل وأى انسان هو بكل بساطة محصلة انواع من رد الفعل على البيئة التى يقيم فيها وهو نتيجة الصراع الذى يقوم بين دوافعه الغريزية وبين الاوضاع والقيود التى تفرضها تلك البيئة عليه.

ولا يختلف التلميذ الموهوب عن غيره فى النوع وانما يختلف فى الدرجة، وبهذا المعنى فلديه الدوافع النفسية التى نجدها عند التلاميذ جميعا، وعلى ذلك فهو فى حاجة مثلهم إلى الحب والتقبل والتقدير والأمن، كما أنه فى حاجة ايضا إلى ان تتاح له ظروف طيبة.

لذلك ينبغى على الآباء والمربين ان يتيحا للطفل المناخ الملاءم للنمو السليم وفقا لما يلاءم استعداده، وقدراته ويتفق مع ميوله وحاجاته لهذا كله فقد كفلت الأديان السماوية حقوقا معينة يجب ان ترعاها المجتمعات وتحفظها بالنسبة للطفل كما فطن المجتمع الدولى إلى ضرورة العناية بالطفل وحماية حقوقه صحيا واجتماعيا وتربويا ونفسيا ويذكر الطويل ان

دراسة طفل واحد و تحليل شخصيته أمر بالغ الأهمية اذ قد يفوق فى مجهوده دراسة قـــاره بأسراها من الناحية الجيولوجية.

ثمة حقيقة أنه يلمؤنا الفخر من جانب ونحس من جانب آخر بأن نداء العلم يلزمنا زيـــادة فى التعمق والبحث ولنا آمل أن هذه الباكوره سوف يتبعها. ما هو احسن ان شاء الله عز وجل

د. جمال مختار حمزة

العجوزة ١٩٩٩



الفصل الأول

مفاهيم اساسيه

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) مفهوم الطفولة

تعد الثروة البشرية أثمن ما فى الأمم من ثروات، ولا تقاس ثروات الأمم، ولا تقاس ثروات الأمم بعدد سكانها بقدر ما يتوافر لديها من مواطنين صالحين قادرين على الانتاج، لذلك تهتم المجتمعات بالاطفال لأنهم هم الذين سيتحملون عبء المستقبل بإعتبارهم صورة الأمة فى المستقبل القريب، وهم مصدر رجاءها ومصدر قوتها، وبذلك يصبح الاهتمام برعاية الطفولة هدفا من اهم الأهداف التى تسعى إليها كافة النظم والمجتمعات وخاصة المجتمع المصرى.

الطفل فى اللغة: هو المولود ويطلق لفظ طفل على جزء من شئ أو معنى، والطفولة هى المرحلة من الميلاد إلى البلوغ (المعجم الوسيط ط٣، ٥٩).

والطفولة وفقا للمادة الأولى من مشروع اتفاقية الأمم المتحدة بحقوق الطفل: هى كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه.

وفى تراث علم النفس هى مرحلة لا يتحمل فيها الانسان مسئوليات الحياة معتمدا على الأبوين، وذوى القربى فى اشباع حاجاته العضوية أو على المدرسة فى الرعاية للحياة، وتمتد زمنيا من الميلاد وحتى قرب نهاية العقد الثانى من العمر، وهى المرحلة الأولى لتكوين ونمو الشخصية، وهى مرحلة للضبط والسيطرة والتوجيه التربوى للاطفال.

ان دراسة طفل واحد وتحليل شخصيته امر بالغ الصعوبة والتعقد اذ قد يفوق الجهود التى تتطلبها دراسة قاره بأسرها من الناحية الجيولوجية.

لابد من اعداد الاجيال منذ الطفولة حيث تعد من اهم المراحل فى تكوين شخصية الانسان وخاصة الخمس سنوات الأولى وتؤكد بعض الدراسات الحديثة نسبيا ان الثمانى سنوات الاولى اساسية حيث يتم تكوين عاداته وميوله واتجاهاته ومعاييره وقيمه، كما تتحدد فيها ايضا العديد من قدراته الذهنية والبدنية والاجتماعية والنفسية عند الكبر وللطفولة فى الأديان السماوية عالم رحب فسيح يضم فى طياته البراءة والخيال والحب والوئام ويندرج

تحت لوائه النيل والود والتوجيه والألتزام ونجد فى القرآن الكريم قسما بالطفولة "لا أقسم بـهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد".

صدق الله العظيم

ودراسة الطفل بين الاسلام وعلم النفس كما ارها عبارة عن:

منظومة ديناميكية اساسها ومهادها جانبان

الأول: الجانب الروحى وما يتضمنه من نظره انمائية حانية هادئه.

الثاني: يكمن فى الجانب المادى وما يحتويه من نظره حياتية معاشـــه تكتنفـها الصعوبـات والصراعات بهدف الحفاظ على حياة الكائن الحى "الطفل" وتبدوا اهمية الحانب الثانى فى ضبط السلوك الانسانى وتفسيره والتنبؤ به فضلا عن غـور النفـس البشـرية، ودراسة سلوك الطفل فى جميع مراحل النمو الانفعالى والاجتماعى والعقلـى، وهنـا تبرز اهمية التنشئة الاجتماعية.

وطبيعة الطفل ذات مرونة وقابلية للتحوير والتشكيل والتكيف بواسطة التفاعل المستمر مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها، فإن الطفل إذا نشأ فى بيئة فاسدة قاسية فأنه سوف يتطلع بسلبياتها وفسادها غالباً.

ويقول كبركياتريك رغم أن جميع الناس يشتركون فى الخصائص البشريةي العامة إلا أن كل فرد يستطيع أن يقتبس من بيئته ما يميزه عن غيره، وقد لا يستطيع أن يقتبس من بيئته ما يميزه عن غيره، وقد لا يستطيع بعض الناس أن يحقق فى بعض النواحى ما حقق غـيرهم أو لا يسهل عليهم ذلك، غير أن أحداً لا يمكن أن يستنفذ كل ما يتاح له من فرص النمو، ومن ثم كانت المشكلة العملية هى أن نقيم جهودنا على استخدام الخصائص الناقصة التى نملك أكبر قدر منها.

فترات النمو الارتقاء الأساسية المقترحة لمرحلة الطفولة خمسة "أن يظهروا منفصلون كالأصابع إلا أنهم متحدون باليد الواحدة" يمكن ايجازها فى.

١- الجنين embria

وهو الطفل خلال المرحلة الجنينية أو من الفترة من بدء الحمل إلى الولاده.

٢- الوليد neonate

وهو الطفل حديث الولاده وهى الفترة التى تعقب الولاده، وتمتد من لحظة الميلاد حتى نهاية الأسبوعين الأوليين.

٣- الرضيع infant

وهو الطفل خلال مرحلة الحضانه وتمتد من أسبوعين إلى نهاية السنة الثانيـــة مـــن العمر.

٤- مرحلة الطفولة child hood

وتبدأ من السنة الثانية حتى بداية المراهقة وتنقسم هذه المرحلة إلى

أ- الطفولة المبكرة. Early child hood وتغطى فترة ما قبـــل دخــول المدرســة الابتدائية ٣-٥ سنوات.

ب- الطفولة المتوسطة Middle child hood وتغطى الفترة من ٦-٨ سنوات.

جـ- الطفولة المتأخرة late child hood وتغطى الفترة من ٩-١٢ سنة.

٥- مرحلة البلوغ puberty

تمتد من سن ١١ سنة إلى ١٤ سنة وتتداخل مع مرحلة الطفولة فى حوالى السنتين.

رعاية الطفل:

يولد الطفل كتله حيه بيولوجية لا يمكن أن يشبع احتياجاتــه إلا مـــن خـــلال بعـــض الحركات التى تفهمها أمه أو من يقوم مقامها فهو بحاجة إلى استمرار رعاية وعناية الراشدين كشرط لاستمرار بقائه.

الأم مصدر القناعة الجسمية للطفل، كما يوفر الراشدون الحماية السيكولوجية والتنبيــة اللذين يسمحان بارتقاء الطفل فى خطوات ومراحل محدده حتى يســـتطيع توحيــد وتوجيـــه

إمكانياته المنفصلة، وفى كل مرحلة عمرية تبرز حاجات، ودوافع جديدة تستلزم الاستعداد للتفاعل الاجتماعى، وتتطلب المشاركة موسئات اجتماعية لاستقبال العضو الجديد.

ومن المصطلحات المرتبطة برعاية الطفل مصطلح رفاهية الطفل Child welfare ويشير تحقيق السعادة العامة للطفل فى كل المراحل العمرية حيث تقدم للطفل سبل الرعاية الصحية ووسائل الراحة الكافية وقد نشأ فرع جديد من فروع الصحة النفسية يسمى توجيه الطفل ويعنى بإضطرابات الشخصية والسلوك عند الأطفال والتى تحدث تحت وطأة التفاعلات المركبة بين الطفل وبيئته ويحاول مساعدته على اكتساب دور مؤثر إيجابى فى بيئته.

المحاولات الأولى للاهتمام بالطفولة فى العصر الحديث

بدأت عندما دعا كومنيوس (١٩٥٢ – ١٩٧٠) إلى إنشاء مدارس الأمهات لتربية الأطفال قبل سن التعليم من الميلاد حتى السادسة من العمر.

وفروبل ١٧٨٢ – ١٨٥٢ الذى وضع تصوراً خاصاً بالإصلاح التربوى ينطلق من مبدا النمو الطبيعى المتناسق لقدرات الطفل الصغير، وذلك من أجل سعادة الإنسانية وتقدمها، وقد طبق أفكاره بإنشاء أول روضة للأطفال فى ألمانيا سنة ١٨٤٠. والحق بها مدرسة خاصة لإعداد مربيات الأطفال، كما ألف أغانى للأطفال تصاحب العابهم، وقدم مؤلفاً اهداه إلى الأمهات تحفل مادته بعناصر مفيدة فى تربية الأطفال.

وتتالت خطوات الاهتمام بالطفل بعد فروبل بجهود دكرولى ومنسورى، ولكن تاريخ التطور كان بطيئا ولم يحدث التعميم والانتشار الا بعد مضى أكثر من قرن، ففى عام ١٩٣٢ أعلى قيام الاتحاد الدولى للطفولة ليعمل من أجل حماية حقوق الطفل.

وأكبر حدث ظهر فى مجال رعاية الطفل هو وضع ميثاق حقوق الطفل الذى أعلنته الجمعيه العامة للأمم المتحده فى قرارها رقم ١٣٨٦ فى ٢٠ / نوفمبر / ١٩٥٩م ويتضمن عشره مبادئ فى حقوق الطفل، وصدر فيما بعد قرار الجمعية العامة للأمم المتحده بتخصيص عام دولى للطفل ١٩٧٩، واكد رئيس الجمهورية على أهمية الطفل بإعلان عقد الطفل المصرى الذى بدأ سنة ١٩٨٩، نادى فيه بتلبية احتياجات الطفولة بإعتبارها من الوسائل المثلى لتحقيق التنميه البشرية والقومية، وأكد على أن يكون للأطفال مكان الصداره فى الخطط القومية

قال صديقى ؛ وماذا يحدث اذا لم يتيسر للانسان اشباع هذه الحاجات كلها أو بعضها ؟ هل يتأثر بذلك تكيفه فى الحياة ؟ وما الذى يمكن عمله اذا فى مثل هذه الحالات •

فقلت له : فى كثير من الحالات قد يتغلب الانسان بنفســه على بعض الصعوبات التى يقابلها وفى أحيان أخرى قد يحتاج الى من يقوم بارشاده •

قال صديقى : هل تقصد بالارشاد عملية انصاف الى المرء واسداء النصح له ؟

قلت له : هذا هو الجانب السطحى للموضوع ولكن الارشاد فى حقيقة الامر عملية تكنولوجية معقدة عميقة عمق الطبيعة البشرية نفسها • فالطبيعة البشرية معقدة وتزداد تعقيدا يوما بعد آخر وتتغير تبعا لذلك وظيفة المدرسة وازدياد مسئولياتها ازاء أبنائها •

ولمـــا كانت الفروق الفردية كبيرة للغاية فان فصل دراسى يضم ثلاثين طالبا يجعلنا نقول أن هناك ثلاثين سببا للارشاد النفسى • ففى هذا الفصل الواحد فروق جسميـــة وعقليـــة ومزاجية علاوة على اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية•

وايمانا بهذه الفروق وأهميتها وايماننا بالمستقبل هو فى حد ذاته ايمانا بديمقراطية التعلم وتنمية قدرات كل فرد وفقـــا لامكانياته بحيث يصبح أكثر فاعلية وأكثر انتاجا ففى الفصل الواحد نجد تلاميذ متفوقون وآخرون متخلفون وجميعهم فى حاجة الى الارشاد •

كذلك نجد عمال المصنع الواحد يختلفون عن بعضهم البعض

اختلافا شاسعا مما يؤدى الى اختلاف درجة ومستوى التكيف مع الزملاء والرؤساء والمرءوسين ومع الآلاتالجديدة والخامات الجديدة وما يتبع كل ذلك من مشكلات نفسية واجتماعية لها آثارها على العامل وبالتالى فانها ترتبط بالاصابات والحوادث والغياب والانطواء على النفس والسلبية ... الخ .

هذا عن المدرسة وعن العمل اذا انتقلنا الى المنزل فاننا نجد الارشاد النفسى فى غاية الاهمية للاسرة لتوجيه الزوج والزوجة نحو حياة أفضل هادئة سعيدة وتحقيق علاقات طيبة بين الابناء والآباء ثم بين الابناء بعضهم ببعض .

مما سبق يمكن استخلاص أن الارشاد النفسى هو الحاجة الى أن :

- يفهم الفرد نفسه وامكانياته وحدود هذه القدرات والامكانيات .
- يحقق الفرصة لتنمية قدراته وخبراته .
- يجد الفرد لنفسه مهنة تناسبه تحقق غيها قدراته وميوله المهنية .
- يعترف الغير بقدرات الفرد وما يستطيع أن يقدمه للمجتمع .
- يحقق الحاجة الى الحب والعطف وفهم الغير .
- ينمى احساسات الفرد نحو القيم الخلقية والروحية .
- ينمى فى نفسه القدرة الذاتية مع التكيف للتغير فى المجتمع الذى يعيش فيه .

قال صديقى : ألا يتطلب هذا ايمانا بمجموعة من المبادىء الرئيسية ؟ .

قلت له : وهذا يشكل الاسس العـامة للارشـاد النفسى ونستطيع أن نوجزها فى النقاط الاربع الآتية :

أولا ــ الايمان بأهمية الفرد ومساعدته لكى يعرف ما له وما عليه ولكى يساعد نفسه على التكيف فى مجتمعه حتى يصبح فردا ايجابيا منتجا •

ثانيا ــ الإيمان بأهمية ايجاد عمل للفرد لكى يكون وسيلة لاظهار ايجابيته وفاعليته وسعادته وسعادة أفراد مجتمعه •

ثالثا ــ الايمان بتفكير الفرد وقدراته وامكانياته وشعوره فكلها أجنحة حريته الفكرية والاجتماعية والروحية والجمالية •

رابعا ــ الايمان باستمرار خبرة الفرد ، فما يحصله الفرد ينمو دائما مع الزمن وينميه فرديا واجتماعيا •

وهكذا تتأكد الحاجة الى الارشاد النفسى •

الارشاد النفسى فى المدرسة

الارشاد النفسى لطفل الحضانة :

قال صديقى : حين نتكلم عن المدرسة فاننا طبعا سنبدأ من بداية المرحلة الابتدائية فقلت له وقبل ذلك فكثيرين من الاطفال يذهبون الى دور الحضانة ابتداء من سن الثالثـة وفى بعض البلاد يذهبون بعد ذلك الى رياض الاطفال سنتحدث هنا عن هذه المرحلة أى من سن الثالثة الى السادسة كوحدة ثم نذكر الميزات لكل سن منهم •

ففى سن الثالثة : يكون الطفل نشطا ، يتخيل كثيرا ، ويلعب كثيرا ويلعب فى جماعات لا تلبث أن تتفكك ثم تنشط مرة أخرى هكذا يختار ويميز الاشياء التى يختارها •

وفى سن الرابعة : يكون الطفل أمضى فى التعامل مع الكبار

ويعرف كيف يكسب ودهم وتعاونهم ، يسأل كثير ولكن حينما يجيب الكبار على أسئلته لا يعرهم اهتماما وهو يسأل لمجرد السؤال فقط .

وفى سن الخامسة : يحب الادوات التى تحل وتربط وهو أكثر استقلال بشخصيته مطيعا ، يلعب لعبا جماعيا أكثر ، معتمد بنفسه واثق بها ، يقلد الكبار بطريقته الخاصة . يسأل كثيرا ويهتم بالاجابة ويصححها أو يعلق عليها أحيانا ويمكنه أن يحكى قصص طويلة .

ويتميز طفل الحضانة فى سرعة النمو فى الطول والوزن وغيها يتعرض لكثير من المشكلات منها :

أولا — مشكلات التغذية :

هنا نجد أن كثير من مشاكل التغذية والاكل يرجع معظمها الى عوامل نفسية انفعالية كمثل الاهتمام الزائد بالطفل ، وحرص الكبار على أن يأكل أنواع من الاكل بذاتها مضايقة للطفل مما يولد عدم الثقة بالكبار أو الخوف منهم كذلك ربط أكل الطفل بتنفيذ رغباته وميوله وهو يريد تنفيذ طلباته دون أن يأكل فيجلس على مائدة الطعام ساعة أو أكثر ينظر الى الطعام ولا يمسه .

واذا أصر الآباء أن يأكل الطفل ما يقدم له فقد يأكل جزء قليلا منه ولكن سرعان ما يعبر عن غضبه وتذمره بالقىء أو ما الى ذلك .

وليس هناك فى الجسم عضو واحد يتأثر تأثرا مباشر بالانفعال ، أكثر من تأثر القناة الهضمية المعوية به . ومن المؤكد أن الجهاز الدموى والجهاز التنفسى يتأثران تأثيرا

بالانفعال ، غير أن كليهما يقوم بوظيفته أثناء الانفعال ، على وجه أكبر كفاية وأقل ازعاجا للفرد من ذلك الجهاز الذى يقوم بهضم الطعام وتمثيله واخراجه •

وقد أثبت البحث الفسيولوجى ما يعقب الانفعالات المختلفة كالخوف والغضب والثورة من أثر مباشر على العصارات التى تعمل على هضم الطعام • ولا يبعث على العجب أن نجد أن الجهاز الهضمى يستطيع أن يميط اللثام تماما عن الصلة الوثيقة بين العمليات البدنية والعمليات الانفعالية • فالطفل اذا غضب أو استشعر الوحدة أو اشتد انفعاله فى اللعب أو الخـوف لا يستطيع أن يهضم الطعام •

وكثيرا ما نجد أن احدى المشاكل البدنية التى تبدو لنا فى ظاهرها بسيطة لا صعوبة فى فهمها ، هى فى الواقع معقدة ، تبقى طويلا بعد ازالة السبب البدنى • ومن ثم كانت هـذه المشكلة أشد ما يؤدى الى الحيرة والدهشة وأشد ما يتطلب من الآباء كثيرا من الاناة والمهارة اذا هم رغبوا فى أن يوفقوا الى حلها حلا يتسم بالحكمة ويقوم على الروية •

والواقع أن غضب الآباء وسخطهم أو اسرافهم فى الرقابة والقلق وانفعالاتهم الواضحة تؤدى الى انتباه الطفل الى قيمة نفسه ، وتبعث عنده شعورا لذيذا بالقوة ، وتوحى اليه أن ساعة تناول الطعام فرصة سانحة لاجتذاب الانتباه اليه والاهتمام بأمره •

ولنذكر مرة أخرى كأن وقت الطعـام لا ينبغى أن يكون فرصة ينتهزها الطفل للظهور بمظهر الفرد ذى الاهمية الممتازة•

ثانيا — الغضب :

كثيرا ما يثور الغضب اذا عطل أى ميل من الميول الغريزية أو سدت أمامه السبل فما أكثر ما نرى طفلا صغيرا يثور غاضبا على الكتل الخشبية التى لا تريد البقاء واحدة فوق الاخرى ، أو على قطاره الصغير اذا رفض المسير والحركة • واذا بالصغير يشرع فى كسرها وتحطيمها لانه عجز عن تركيبها أو دفعها الى الحركة وفقا لرغبته •

أسباب الغضب :

١ — الغضب يكون أحيانا نتيجة من نتائج الغيرة •

٢ — الغضب بسبب عقاب الطفل ويشعر بأنه لا يستحق هذا العقاب •

٣ — الشعور بالظلم لاى سبب من أبويه أو مدرسيه ، فتكون نوبات الغضب بمثابة احتجاج •

٤ — تعرض الطفل لكثير من ألوان الكبد والازلال والسخرية من الكبار دون أن يدرك هؤلاء ذلك •

٥ — قد يكون طريقة للحصول على رغباته وجذب الانتباه اليه والسيطرة على من حوله •

٦ — عدم استقرار الآباء واعطاء الاوامر والنواهى دون مبررات واضحة •

٧ — رغبة الطفل الكامنة واتخاذه مركز بارز فى الاسرة •

هذه فقط بعض الاسباب وبتدقيق النظر فيها يمكن استنتاج ما ينبغى أن يعمله الآباء والمدرسون لتلافى أسباب الغضب. فنعمل على ابعاد الاسباب مثل الاوامر والنواهى المستمرة أو اخضاع الطفل للروتين اليومى وأن نشعر الطفل بأننا نعلم

سلوكه وانه قد يكون محقا فى سبب غضبه ، لكننا لا تقبل أى تصرف منه غير سليم وبمعنى آخر نرشـــده الى أن يعبر عن غضبه بطريقة سليمة مقبولة .

وعلينا أن نساعده لايجاد مصرف سليم لغضبه بأن نوجهه نحو أنواع أخرى من النشاط كمثل الرسم والتلوين واللعب الخيالى ... الخ .

وأن نعلم الطفل مهارات مختلفة لمواجهة مشاكله كى يصرف فيها طاقته الانفعالية كمثل أنواع الرياضة التى تتطلب مجهودا جسميا كبيرا وأن يجلس صافيا فترة أو يقرأ أو يلعب مع أحد الوالدين أو يوجه نحو مساعدة الوالدين فى أعمال المنزل وغيرها وأن يفعل الآباء والمدرسون ذلك أيضـــا فى حالة غضبهم حتى يكونوا القدوة الحسنة للاطفال .

ثالثا ــ العصيان :

ونقصد بذلك مقاومة الطفل للنظام والاوامر الروتينى ، وقد ينتج عن المقاومة بكاء الطفل أو غضبه أو اعتداؤه على الاشخاص والاشياء وكذلك فى القىء أو التبول المستمر .

وهذا وبين سن سنتين وثلاث سنوات يكتشف الطفل أماكن يختبىء فيها حينما يرفض أوامر الكبار ، وفى سن الخامسة قد يطيع طاعة مزيفة ليكسب مديح الكبار فى البيت أو فى المدرسة ويجب أن يتعرف الكبار على أسباب عصيان الصغير وقد يكون أحد الاسباب الآتية : ــ

١ ــ عدم النضج مما يجعل الطفل لا يستطيع التمييز بين نعم ولا .

٢ ــ نمو فردية الطفل نحو الاستقلال الذاتى والتى يتبعها أن يقول مثل الكبار مرة « لا » .

٣ — تقليده لمن حوله عند رفضهم القيام بما يطلب منهم عمله •

٤ — اتجاه الآباء والمدرسين ويظهر فى أوامرهم الشديدة أو اصرارهم لان يفعل الطفل أشيـاء ، قد تكون فوق طاقته الجسمية والنفسية •

٥ — اجهاد الطفل وتعبه الجسمانى نتيجة نشاطه الزائد أو نتيجة مرضه ومرة أخرى نقول انه بنظرة فاحصة الى هذه الاسباب يتضح لنا ما ينبغى علينا عمله بحيث نخلق فى الطفل الضمير اليقظ للطاعة بعدم اعطائه الاوامر باستمرار ولا نطلب منه الا الضرورى منها وأن نعمل على تحويل السلوك السلبى « لا » الى سلوك ايجابى « نعم » وذلك بأن نعطيه الفرصة كى يدافع عن نفسه فقد تكون لدى الطفل أسباب معقولة وأخيرا ينبغى أن نهيىء للطفل الظروف الطيبة للقدوة الحسنة وتكريم العمل والطاعة •

هذه فقط بعض الامثلة لمشكلات الطفل فى هذه المرحلة وقد تعرضنا فى الفصول السابقة الى مشكلات أخرى كثيرة وأهم ما يمكن استنتاجه بالنسبة للدور الإرشادى فى علاج مشاكل هذه المرحلة هو ضرورة فهم الآباء والمدرسـين للطفل وجمع معلومات عامة عن حيـاته فى ماضيـه وحاضره وأن يلاحظوا الطفل ملاحظة دقيقة حتى يمكن قراءة لغة سلوكه التى بدأت تتضح وتتحدد •

وليست ملاحظة سلوك الطفل غاية فى حد ذاتها بل هى وسيلة لمساعدته على النمو السليم وكذلك لتوجيهه وارشاده وتحقيق ذلك بصورة موضوعية •

فالطفل يجب أن ينمو ويكبر ويحظى بالحب والطمأنينة من

الوالدين والمحيطين به ، وهذا شيء أساسي للنمو الصحي — النفسي السليم .

الارشاد النفسي للطفل في المدرسة الابتدائية (٦ — ١٢ سنة):

قال صديقي : أن المدرسة الابتدائيــة تبــدأ عادة من سن السادسة .

قلت له : وتنتهي في سن الثانية عشر ومن الواضح أن هذه مدة طويلة وينتقل فيها الطفل نقلة هامة في حياته النفسية عقليا واجتماعيا وانفعاليا ولغويا وروحيا ، حيث انه يواجه مجموعة كبيرة من العوامل المتعلقة بالبيئة المدرسية والمتعلقــة بالآباء والمتعلقة بالبيئة الاجتماعية .

ونتيجة لهذه العوامل المتعددة فانه يواجه مشاكل مختلفــة تظهر في صور السلوك المشكل كمثل الاعتداء على الغير والسرقة والاهمال والهروب من المدرسة والشقاوة والخوف والانطواء وكراهية الغير ، كذلك مشكلات تنشأ عن القصور الجسمي أو العقلي أو نتيجة التفوق المبكر .

هذا الى جانب مشكلات أخرى صحية مثل فقدان الشهية والتعب وسرعة الاجهاد ، وتعرض الطفل للحوادث بسهولة وغيرها .

قال صديقي : نود أن نسمع شيئا عن أهم العوامل التي تؤثر في الطفل وبعض المشكلات التي يتعرض لها .

قلت له : سنبدأ بالعوامل المتعلقة بالبيئة المدرسية : —

العوامل المتعلقة بالبيئة المدرسية :

ان انتقال الطفل من المنزل الى المدرسة أو من دار الحضانة

الى المدرسة تشعره بفرق كبير مختلف كل الاختلاف عما اعتاده من قبل مما قد يؤدى الى فقد الشعور بالامن والطمأنينة وقد يدخل فى صراعات متعددة مع المدرسة وأنظمتها وزملائه فى المدرسة بل ومع المدرس والمنهج والواجبات ٠ وهذه قد لاتكون ملائمة فيفشل فيها وتوضع البذور الاولى لعديد من مشكلات التكيف والانطواء على النفس وما اليها ٠

العوامل المتعلقة بالآباء :

التحاق الابناء بالمدرسة الابتدائية يخلق عنـد بعض الآباء شعورا بأنهم بدءوا فى عالم جديد عالم الجدية بدلا من عالم اللعب وعالم الاستذكار والامتحـانات والواجبـات والاوامر والنواهى وتصطبغ معاملتهم للابناء بصبغة قد تولد عنـدهم كراهية للمدرسة وجوها وتؤدى الى الهرب منها أو الى العدوان على من فيها ومن ليس فيها وقد تؤدى الى الانطواء على النفس وما اليها ٠

العوامل المتعلقة بالبيئة الاجتماعية :

ونقصد بها الظروف المحيطة بالطفل ومن بينها كثرة الناس والازدحام فى المدن وقلة المواصلات وتزاحم الركاب وضوضاء السيارات مع كثرة انتشار العادم (والكلاكسات) مما يرهق الاعصاب ٠ ويحدث فى الوقت الذى تطغى فيه المبانى على جميع الاراضى الفضاء والمتنزهات التى تعتبر رئة المدينـة فيقضى عليها ٠ ويضطر الابن فى هذه السن ، سن الحركة والنشـاط للبقاء بالمنزل فى حجرة ضيقة مزدحمـة بالاثاث ولا يستطيع فيها حراكا ٠

قال صديقى : طبيعى أن هذه الامور كلها تؤدى الى العديد من المشاكل ؟

قلت له : وسأحدثك عن بعض أمثلة منها .

أولا – التأخير والغياب :

كثيرا ما يغيب التلاميذ أو يتأخرون عن المدرسة لاسباب بعضها لادخل لهم فيها كازدحام المواصلات كما أسلفنا أو لاسباب مرضية وكثيرا ما يتعرض أطفال هذه المرحلة لنزلات البرد والانفلونزا وغيرها .

وقد ترجع الاسباب الى الحياة المنزلية وكثرة الزيارات الاجتماعية ومصاحبة الاطفال الى أوقات متأخرة من الليل أو مشاهدة التليفزيون والافلام فيصبح الطفل مجهدا ولا يستطيع الذهاب الى المدرسة فى المواعيد المقررة .

وقد يكون الجو المدرسى منفرا للتلاميذ بسبب سوء العلاقات بين التلاميذ أو بين التلاميذ والمدرسين أو بين التلاميذ والمناهج وكثرة الواجبات وقسوة المدرسين وما الى ذلك .

قال صديقى : ان معرفتنا بهذه الاسباب تلقى الضوء على وسائل العلاج .

قلت له : والاهم أنها تلقى الضوء على طرق الوقاية وسننتقل الآن الى مشكلة أخرى .

الاهمال واللامبالاة :

ليست من طبيعة الطفل فى هذه المرحلة الاهمال واللامبالاة ولكن هذا يحدث فقط اذا شجعته الظروف على ذلك فمثلا اذا أعطيت له أوامر معينة فى موضوع معين وأراد أن يبدى رأيه فيه فقد لا يجد اذنا صاغية فيضطر الى اهمال هذا الموضوع كليــة .

أو قد يعاقب الطفل نتيجة الاهمال ولكن العقاب لا يجدى ويتكرر العقاب عدة مرات حتى يستهين به الطفل « ومن يهن يسهل الهوان عليه » ويصل الى حالة اللامبالاة ويحدث هذا بصفة خاصة فى حالة شعوره بأنه مظلوم .

ومن ثنايا هذه السطور السابقة تتضح طرق الوقاية وطرق العلاج .

القلق والانفعال :

ان تكليف التلميذ بعمل فوق مستواه يؤدى به الى الفشل وقد يتكرر هذا الفشل مما يؤدى الى الانفعال والقلق .

وهنا نراه يقوم ببعض الاعمال العصبية أو مص الاصابع أو قضم الاظافر أو اللعثمة أو القىء أو الانزعاج أثناء النوم أو غير ذلك ومما يؤدى أيضا الى قلق الابناء الخلافات بين الابوين مما يهدد حياته ويشعره بالخوف والحزن والسرحان .

وكذلك شخصية المدرس القلق تنعكس على تلاميذه ومثل هذا المدرس لا تنقطع طلباته من التلاميذ ويكون عادة كثير النقد وينعكس اضطرابه هذا على تكييفه للمنهج وعلى طرق التدريس.

التأخر الدراسى :

التأخر الدراسى ظاهرة كثيرة الحدوث فى المدرسة الابتدائية وخاصة فى الجزء الاخير من هذه المرحلة حيث تتطلب التحصيل الدراسى والحفظ والاستذكار وأداء الواجبات وتحمل المسئوليات دون مراعاة للفروق الفردية بين التلاميذ .

فقلت له : يوجد أحيانا المرشد النفسى وفى أحيان أخرى المدرس المرشد .

فقال : وما هو الفرق بينهما ووظيفة كل منهما ؟

ويكون من نتائج التأخر الدراسى مجموعة كبيرة من الاثار الضارة فقد يتجنب الطفل باقى التلاميذ أو قد ينفعل عليهم ويثور لاتفه الاسباب وبشدة كما أنه لا يرى للنوم طعما ويصاب أحيانا بالاحلام المزعجة وتسوء صحته ويتعرض للامراض وهو دائما فى صراع مستمر بين حاجاته ورغباته وميوله وما تتطلبه المدرسة من واجبات ومذاكرة وامتحانات وما اليها .

الدور الارشادى للآباء والمدرسين فى علاج مشـــاكل تلميـــذ المدرسة الابتدائية :

١ — فهم الطفل وقدراته وحاجاته وميوله وجميع امكانياته والتعامل معه بالقدر الذى يتفق وذلك . وهذا يؤدى الى تحقيق الجانب الوقائى .

٢ — أن يحاط الطفل بمناخ اجتماعى سيكولوجى هادىء وخال من الضغوط سواء فى المنزل أو المدرســة وبذلك يحقق معيشة سوية .

٣ — تنمية هواياته وتشجيعه على ممارسة أى نوع من أنواع النشاط فى جو مرح وسعادة .

٤ — منع حدوث مشاكل أسرية واذا حــدثت فتحصر فى أضيق نطاق والعمل على حلها سريعا ودون أن يشعر الاطفال .

٥ — توجيه وارشاد الى الآباء وتكوين مجالس الآباء واقامة ندوات تناقش فيها مشكلات الابناء مما يلقى للآباء الكثير من الاضواء على المبادىء الاولية لاصول التربية السليمة .

المدرس المرشد

قال صديقى : ألا يوجد بالمــدارس شخص مسئــول عن الارشاد ؟

فقلت له :

واجبات المرشد النفسى المتفرغ :

١ ـ الاشتراك فى وضع نظام قبول الطلبة بالمدرسة : هل بناء على الدرجات السابقة أم بعقد امتحان قبول ؟ هل تطبق اختبارات سيكولوجية خاصة ؟ هل تؤخذ الجوانب الاجتماعية وبعد السكن أو قربه فى الاعتبار أم ماذا ؟

٢ ـ الاشتراك فى توزيع الطلبة على الفصول على أسس علمية سليمة مع مراعاة كل من العمر الزمنى والعمر العقلى ونسب الذكاء ومستوى التحصيل بحيث يمكن تكوين مجموعات متجانسة الى حد ما .

٣ ـ الاشتراك فى توجيه الطلبة الى أنواع الدراسات التى تتلاءم واستعداداتهم . فمنهم من يتجه فى المدرسة الثانوية الى القسم العلمى ومنهم من يتجه الى القسم الادبى أو فى المدارس الصناعية قد يتجه الطالب الى قسم الميكانيكا أو الكهرباء أو اللحام أو الخراطة أو النجارة أو الجلود أو غيرها . وهنا تدرس القدرات الخاصة والميول المهنية قبل التوجيه والارشاد .

٤ ـ الاشتراك فى توزيع الطلبة على أوجه النشاط المدرسى والهوايات المختلفة مثل :

الموسيقى ، التمثيل ، التصوير ، الفن التشكيلى ، الصحافة، الرحلات ، جميع الفرق الرياضية .

كل حسب رغباته وامكانياته الجسمية والصحية وميوله ورغباته

٥ ـ دراسة المشكلات العامة فى المدرسة التى يعمل بها كمشكلة الغياب أو الحضور متأخرا أو مشكلة التأخر الدراسى أو مشكلة الهروب من المدرسة أو مشكلة أخرى بهدف العمل

على تلافى الاسباب التى تؤدى الى حدوث المشاكل .

٦ ــ مقابلة الطلاب ذوى المشكلات الخاصة بهدف توجيههم وارشادهم أو احالتهم الى الجهات المختصة كالعيادات السيكولوجية فى الحالات التى تتطلب علاجا نفسيا خاصا أو الى المستشفيات فى حالة الامراض الجسمية أو المؤسسات لاعطاء المعونة اللازمة والتى تسهم الى حل أكبر جانب فى المشكلة .

٧ ــ تنظيم ندوات للآباء والكبار المسئولين عن الطلبة لتدارس المشكلات العامة والخاصة والتى تؤدى الى تفهم أفضل للابناء وبالتالى تؤدى الى المعاملة المناسبة .

٨ ــ تنظيم اجتماعات مع مدرسى المدرسة واجتماعات مع مدرسى كل فصل للتشاور وتشخيص المشكلات ووضع الخطط المناسبة للارتفاع بمستوى السلوك ومستوى التكيف بصفة عامة .

٩ ــ الاتصال الدائم بالمؤسسات الخارجية وسوق الوظائف المختلفة للتعرف على امكانياته بحيث يمكن توجيه الطلاب المنتهين أو الذين قاربوا الانتهاء الى الاماكن المناسبة لهم .

واجبات المدرس المرشد :

١ ــ يستطيع المدرس أن يضع خطة للقضاء على مشكلة « التخلف الدراسى » لبعض طلاب الفصل أو على الاقل للاقلال منها ــ وهذا فى حد ذاته يعتبر حلا للعديد من المشكلات الاخرى كالاعتداء أو السرقة أو الانطواء وغيرها كما يحل مشكلة « الدروس الخصوصية » والتى انتشرت بشكل وبائى فى الفترة الاخيرة وأصبحت القاعدة بعد أن كانت الاستثناء .

٢ ــ ويستطيع المدرس أن يتناول مع طلاب فصله موضوعات متعددة كالاخبار الهامة والاذاعات الهامة كما يتناول فرص

العمل فى الخارج ومناقشتهم فيهـا بحيث يقفوا على الفرص المتاحة وظروفها من كافة الوجوه الممكنة .

٣ — ويستطيع أن يجتمع مع الطلاب مرة أسبوعيا للاستماع الى شكاواهم ومناقشتها معهم وأن يفتح الباب على مصرعيه للتحـدث فى كل ما يدور بخـلدهم : المذاكرة ، الواجبـات ، الامتحانات ، الغش والبرشام ، وكل ما يتحدث فيه الطلبة مع بعضهم البعض ويتمنون فيما بينهم أن يعرف بعض المسئولين عنهم بكل ما يدور بخلدهم وما يتحدثون فيه من إهتماماتهم .

٤ — المدرس المرشد هو المسئول عن ملء البيانات فى بطاقة الطالب وهذا يتطلب فى بعض الحالات الرجوع الى المصادر الموثوق بها وفى أحيان أخرى يتطلب أن يقوم بنفسه بتطبيق بعض الاختبارات السيكولوجية الخاصة للذكاء والاستعدادات والقدرات والميول والاتجاهات والشخصية مما يتطلب بطبيعة الحال اعدادا للمدرس من نوع خاص .

٥ — يرتب المدرس مواعيده لكىْ يتيسر له مقابلة أوليـاء الامور على انفراد فى الحالات التى تتطلب ذلك بهدف التعاون بين المنزل والمدرسة فى حل مشكلة الابن .

٦ — يعتبر المدرس المرشد فى المدرسة هو ولى الامر المسئول عن الطالب فيكون هو حلقة الاتصال بباقى المدرسين فى مختلف المواد ويكون هو حلقة الاتصال أيضا بجميع المشرفين الرياضى والاجتماعى ومشرفى الهوايات المختلفة وغيرهم لتوجيه الطالب لمـا فيه مصلحته .

٧ — وكما أن المدرس المرشد يهتم بالمتخلفين فانه يهتم ايضا بالمتفوقين لان هؤلاء ثروة بشرية ينبغى أن تسـتثمر أفضـل استثمار ممكن وذلك بتوجيههم الى أفضـل الطرق وأنسـب

الدراسات وأنسب المهن وما الى ذلك .

٨ — يستطيع المدرس المرشد اذا أعد اعدادا جيد أن يتحسس المشكلات الانفعالية عند الطلبة وأن يبدأ فى علاج الحالات الخفية منها واحالة الحالات الاصعب الى جهات الاختصاص كالعيادات السيكولوجية أو مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية .

قال صديقى : وماذا تعنى بالاعداد الخاص للمدرس المرشد؟

قلت له : ينبغى أن تكون مادة التوجيه والارشاد النفسى ودراسة فنونها وأساليبها المختلفة والتدريب على فن المقابلة وعلى الاختبارات السيكولوجية ينبغى أن يكون ذلك كله من بين الدراسات النظريه والتطبيقية الاساسية فى اعداد المدرس.

قال صديقى : وهل يصلح كل مدرس لهذا الغرض ؟

قلت : لا ، بل لا بد من الانتقاء فلا يفيدنا هنا الا مدرس على قدر مناسب من الصحة النفسية ، سعيدا فى حياته الخاصة وفى علاقاته الاجتماعية ؛ وممن يحبون عملهم ، ويتفهمون أساليب مخاطبه الاطفال والعمل معهم . ويؤمنون أيضا بالقيم الانسانية لكل طالب فرد ويمكنهم تقبله على ما هو عليه .

قال صديقى : وبعد الانتقاء ، ما الذى يتم ؟

قلت : عقد دورة تدريبية خاصة هدفها توضيح فلسفة التوجيه والارشاد النفسى ، وتدريب المدرسين على فن المقابلة وطريقة استيفاء بيانات البطاقة المدرسية للطالب وتطبيق بعض الاختبارات السيكولوجية ... الخ .

قال : وكيف يتم ذلك ؟

قلت له : تلك هى طرق دراسة الفرد أثناء عملية الارشاد وهذا هو ما سأحدثك عنه تفصيلا .

الطفل يتعلم عن طريق تربيته، اذ عاش الطفل فى عالم كله عدوانية تعلم العــراك، اذا عاش فى عالم كله تحمل للصعاب تعلم الصبر، اذا عاش فى عالم كله احساس بالخجل تعلــــم تأنيب الضمير. اذا عاش فى عالم يكافأ الشخص على اعماله تعود تقدير الآخرين اذا عاش فى عالم كله صداقة وتعاون تعلم حب الحياة.

والوقاية من الامراض النفسية تتبث ضرورها من ســـن الطفولـــة حيــث ان البنيـــة الاساسية للطفل تكون خلال الثمانى سنوات الاولى من العمر.

وقد ظهر فى كثير من الابحاث انه اذا غابت صورة الأبوين، وبالذات الأم خلال هــذه الفترة فإن نمو الطفل جسمانيا وعقليا واجتماعيا تقل بنسبه كبيرة من اقرانه فى نفس الســــن، وعندما يكبر هذا الفرد يكون باردا فى انفعالاته أو عدوانيا فى أحيان اخرى.

أما بالنسبة لعدم وجود الأب أو بديل لصورة الأب فان لهذا تأثير خاصا على الذكــور من الأولاد حيث تكون السمة الواضحة لشخصيتهم هى العدوانية وذلك لاثبات رجولتهم وعلى الأخص فى حالة اخذ الأم بزمام القيادة فى المنزل نظرا لغياب الأب.

ويقل اهتمام الطفل بالدراسة فى معظم الأحيان عندما لا يجد التشجيع المطلوب نتيجــة لمشاكل اجتماعية أو اقتصادية تلتهم معظم وقت الأم ويكون علاقة الطفل بأصدقائه فى نفـــس السن سيئة.

للتربية أهمية كبرى لأنها وحدها الوسيلة التى تدفع الطفل إلى انتقاء الموقـــف الـــذى يتخذه ازاء المشاكل التى يقابلها، ولا يقدر كثير من الناس جدوى التربية حق قدرها بل ان من بين المربين انفسهم ممن لا يؤمنون بما لها من نفع وأثر، فهم وأن كانوا يسلمون أن طرائقــها يمكن ان تصلح جانبا من القصائص والأخطأ التى يقال انها فطرية فى الطفل إلا أنهم ينكرون ان التربية يمكن ان تقوم بدور كبير فى توجيه الصغار ويرى البعض أن ذلك الشك فى جدوى التربية أى عدم البدء فيه إلا اذا نضج ادراك الصغير مع انه ينبغى الشروع فى تربية الطفـــل

منذ الأيام الأولى من حياته، يوم يطلب الغذاء فتنظم له تناوله ويوم يصرخ فتحسن التصـــرف ازاء هذا العويل، اذن ان التربية هى أهم العوامل التى تكون نفسية الفرد وتقيم شخصيته.

ويوصى البعض بضرورة الاهتمام بتربية المربين أى نصلح ما أعوج فى نفوسهم ثـم ننظر إلى ما يؤمن به كل منهم ويسير عليه من منهج فى تنشئة الصغار حتـــى نســتطيع ان نهدية سبيل التربية السليمة التى لا ينبغى فيها المربى اشباع اهوائه او تكرار الاسلوب الـــذى نشأ على منواله، بل عون الصغير على النماء الصحيح المتناسق.

ومن هنا تحدد عدة توجيهات تقدم للأباء والامهات المربين توضح دورهم فى تنشـــئة الطفل واشباع حاجاته الاساسية.

١- الاهتمام بصحة وتغذية الطفل:

صحة الطفل مرتبطة ارتباطا كليا بالعوامل البيئية التى تحيط به والتى تؤثـــر تـــأثيرا مباشرا على نموه جسمانيا وذهنيا، والطفل منذ ولادته شديد الحساسية ازاء هذه العوامل التـــى تترك آثارها به فى مراحل نموه سلبا وايجابا. صحة الطفل وغذاؤه لها دور فعال فـــى بنائـــه بدنيا وعقليا ونفسيا، والصحة والغذاء مرتبطان كليا حيث ان الطفل اذا مرض قل غـذاؤه، واذا اصيب بسوء التغذية كثر مرضه اى ان العنصرين (الصحة والغذاء) يشكلان حلقة مفرغة لابد من الاهتمام بها وبعمق حتى يتسنى للطفل ان ينمو طبيعيا، والعنصران معا يؤثـــران علـــى سلوكيات واخلاقيات الطفل فى مراحل العمر المختلفة، وحتى تؤتى التغذية السليمة ثمارها لابد من الأهتمام بالطفل قبل وبعد ظهور الجنين فى بطن أمه أى لابد من الاهتمام بالحامل وهـــى المصدر الوحيد لغذاء الجنين وكذلك المرضعات حتى يمكن للطفل ان يحصل علـــى غـــذاءه السليم.

٢- الاهتمام بالحركة الحرة للأطفال:-

نظرا لاهميتها القصوى نجد اشارة للكتابات التاريخية والأنثروبولوجية إلى ممارســـة الانسان الحجرى القديم اى قبل ٨ آلاف سنة قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام إلى اللعـــب بوصفه نشاط يؤدى إلى الايجابية، وفردريك شيلر يعتبر اللعب أصلا لجميع الفنون، ومحمـــد

(ص) أقر اللعب بالمجسمات والدمى والتخيلي والعاب التسابق وعلى نهجه اتجــــه الصحابــة والسلف الصالح والفلاسفة مثل افلاطون وارسطو وكومينوس وروسو والغزالـــــي وغـــيرهم الكثير اكدوا على اهمية اللعب بوصفه نشاطا طبيعيا يتماشى مع طبيعة النفس البشرية.

ويؤكد فروبل ان لكل مرحلة من مراحل النمو التى يمر بها الطفل الوانا خاصة مـــن نشاط اللعب، وأصبح اللعب تراث يضم مئات الكتب والبحوث والدراسات العلمية والتطبيقيــة. ١٩٠١ صاغ كارل جروس Carl Gross نظريته فى تفسير اللعب وغاياته المعروفة، باســـم النظرية الأعدادية Prexerscise theory حيث ينظر إلى اللعب بوصفه لونـــا مـــن الـــوان النشاط الغريزى الذى يلجأ إليه الانسان، وبعض انواع الحيوان ليتدرب على مهارات الحيـــاة، أو مهارات البقاء الاساسية وليتقنها استعداداً من أجل الصراع للبقاء. واللعب الأيـــــهامى لـــه وظيفة معرفية اكثر ما هو وظيفته الاجتماعية والانفعالية ذلك ان اهم ما يتضمنه هذا اللون من اللعب هو التعبير الرمزى، اى تحويل البيئة (المباشرة إلى رموز، وان الذى يجعل من هـــذه الرمزية فى التعبير شيئا هاما هو أنها الاساس الذى يقوم عليه كل تفكير ناضج فيمــــا بعـــد، ويرى بياجية ان اللعب الايهامى هو التحول من النشـــاط الوظيفـــى العملـــى إلـــى النشـــاط التصورى، اى الافعال إلى الافكار وعلى ذلك فإن السماح لهذا اللون من اللعـــب ان يزدهـــر وينمو انما يقدم للطفل فرص هائلة لكى ينمى قدراته المعرفية التى تمكنه من التفـــاعل علـــى مستوى تجريبى مع العالم الواقعى فيما بعد.

٣- ساعدى طفلك فى بناء ثقته بنفسه:-

لابد من مساعدة طفلك على ان يرى محاسنه وكيف يمكن اعادة المحاولة بنجـــاح لان ثقة الطفل فى نفسه لا تأتى من الفوز إنما تأتى من وجود قاعدة صلبة من الحب. وتلك بعـض الاقتراحات التى تساعد النشئ فى تكوين الثقة بالنفس والاحساس بالإحترام للنفس والاحـــترام لقدراته.

أ- ان المشاركة فى صنع النجاح والتمتع بتلك المشاركة أهم من النجاح فى حـــد ذاته (أن طفلا فى فى الثانية مثلاً عندما يمارس الرياضة فإنه يجب أن يمارســـها

لغرض التعلم وصقل مهارته ومشاركة الجماعة فى اللعب وكيفية التعاون معــــهم فى الفريق وليس ممارسة الرياضة لمجرد ان يكون بطلا.

ب- الأطفال يحتاجون إلى الأهداف التى يمتزج فيها الطموح بـــالقدرة حتـــى لا يتحمل الطفل عبء وتوتر بدون معنى ويؤدى إلى إحباطه (الطموح البـــاثولوجى هو الطموح المرضى).

جـ- تجنب التأنيب. إذا لم يستطع الطفل الفوز فى مسابقة أو احراز ميدالية فى نشاط رياضى. لا تقول له فضحتنا النهاردة كل طفل له قدرة أو قدرات أقوى من غيره فـــى أنجازها – شجع تلك القدرات وساعدية على أن ينمى القدرات الأخرى.

د- لا تربطى بين حبك له وقدرته على الانجاز، شجعى طفلك أن يبذل جهده فى جميع المجالات، الثقة تترعرع فى منزل يسوده الحب والود والاحساس بالأمان، يجـــب ان يتعلم كل طفل ان يتكيف وان يتقبل الفوز والهزيمة.

هـ- اذا احس بعدم قدرته على أداء الاشياء فأنه قد ينفعل ويتلفظ اقوالا مثل أنا عملت زى الزفت، دعيه يعبر عن انفعاله ولكن ساعديه ان يرى محاسنه وكيف يمكنه إعـادة المحاولة بنجاح.

- الثقة بالنفس تبنى بمواجهة الصعاب، الصغير منها والكبير هناك طرق كثـيرة يمكن من خلالها ان يستمتع بمشاركة الجماعة فى اللعب مع افراد الاسرة، الصلاة فى الجماعة اللعب مع ابناء الجيران، تلك الاشياء سوف تساعده على الاحســـاس بقدرته على الانجاز، يجب ان تشارك الاسرة جميعا فى مثل هذه الاشياء ولا تدع طفلك يفوز دائما عليكى لأنه قد تظن ماما عارفه أنى مقدرش أغلب علشان كـــده بتتغلب لى، ان ذلك قد ينمى فيه المراره والخوف من الهزيمة وعدم قدرته علـــى الانجاز.
- تذكرى ان ثقة الطفل فى نفسه لا تأتى من الفوز أنها تأتى من وجود قـــاعدة صلبة من الحب داخل الأسرة والمشاركة الايجابية مع المجتمع من حولـــه، أنـــها

تأتى من تفاعله مع الاحداث ومع محاولاته التغلب على المشاكل والعقبات التـــى

تواجهه وكيف يسيطر عليها بثقة وأمان.

نعم انك تستطيعى ان تعطى طفلك الكثير.

وصدق أحد الفلاسفة فى قوله

Nothing can be done for the people except what the people do for themselves.

٤- التعبير عن الرأى واثبات الذات:-

لنتأمل قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كان الرسول (ص) يقوم على خدمـــة أهله ليدرك البشر مدى فى ذلك من معان عظيمة تهدف إلى تثبيت دعـــائم الاســـرة وصنـــع العواطف فى ربوعها، والحنان الغامر بين الأب وأبنائه، وبالتالى يتدرج نموهم نمـــوا ســـليما ايجابيا، والأبناء الذين ينشأون على هذا الطراز من الحب والصفاء يشبون اصحـــاء أقويـــاء تمتلئ نفوسهم بالثقة وتفيض قلوبهم بالأمال.

ويؤكد كلوريا ان هناك نوع من الاشباع تنفرد به الاسرة بتقديمه لافرادها ولا تستطيع اى جهة اخرى ان تقدمه وهو الاشباع إلى ما يسمى بالحاجة إلى الحب والمودة والانتماء.

ويقول أحد الشعراء:

انى ابتليت بأربع ما سلطوا على — الا لشدة شقوقى وبلائى

ابليس والدنيا ونفس والهوا — كيف الخلاص وكلهم اعدائى

ويرد عليه الشاعر طاغور

لقد نمت ورأيت رؤيا — ان الحياة بهجة

وانتبهت فأبصرت — ان الحياة واجب

وعملت اذ بى اشاهد — ان الواجب بهجة

لابد من قدر من تقدير المشاعر وان يشعر طفلك أنه موجود نعم ولكن فـــى حـــدود واعتدال.

٥- تنمية طرق التفكير:-

التفكير عملية عقلية ونفسية ومن حيث ان التفكير احد مكونات العقل فإنه يعتمد إلـــى حد كبير على قدرة الفرد العقلية فالافراد يختلفون فيا بينهم فى قدرتهم العقلية علـــى التفكـــير، فلكل قدرته الخاصة به والتى وهبها الله له ولكل طريقة فى التفكير ويتضمـــن التفكـــير مـــن الناحية النفسية نشاطا سلوكيا يمارسه الفرد فى موقف ما يخضع لعوامـــل مؤثـــرة وقواعـــد تحكمه، وهو يمثل علاقة مشتركة بين احداث بيئية واحداث سلوكية نفسية، ويتخذ التفكير طرقا تختلف بأختلاف الافراد الذين يقومون به، بل تختلف طرق التفكير للفرد الواحد فى المواقـــف المختلفة فهناك التفكير السطحى الذى يتناول الأمور ببساطة دون التحقق من ســـياقها، بينمـــا التفكير العميق لا يترك سببا الا وبحث فيه، أما التفكير السلبى فإنه يقبل الأمور كما هـــى دون مناقشة أو ابداء رأى.

انواع التفكير:-

ويتخذ التفكير صورا واشكالا سلوكية تختلف باختلاف الهدف منه، فهناك التفكير الذى يتميز باصدار الحكم على اشياء او اشخاص أو مواقف فى إطار المقارنة بين متجانسين مـــن كل، ويتميز التفكير الناقد بالبحث فى عناصر الموضوع الكلية ليقدم فى النهاية تقويما شـــاملا لكل الجوانب الايجابية او السلبية اما التفكير الذى يهدف لحل المشكلات فيتميز بإزالة العوائـق التى تسبب المشكلة وتحول دون حلها ليسهل الوصول إلى الاهداف المرجوه وغنى عن القول بأن التفكير الابتكارى عبارة عن حل مشكلة ما أو تحقيق معين بواسطة التوافق بين خـــبرات الفرد السابقة ومدركاته لجوانب الموقف الراهن المتعلق بهذه المشكلة أو هذا الغرض متضمنـا قسطا معينا من الواقعية مع جهد مستمر لفترة من الزمن لتلاقى عامل الصدفية وينبغى علـــى الوالدين قراءة كل ما يقع تحت انظارهم مما يكتب عن حالات الطفولة ونمـــو الطفولـــة، ان القراءة تفتح باب المعرفة وخاصة مجتمع القرن الحادى والعشرين ويهمنى التنويه إلى كلمـــة العالم النفسى كورت ليفن بناء دقيق من الاستدلال النظرى أفضل بكثير من كل ما هو عملى.

٦- تحمل المسئولية ووضوحها يبنى فى الطفل احساس بأهميته

ان تحمل المسئولية وتحديدها يبنى فى الطفل بل وفى المتعلم بصفة عامـــة احساســا باهميته، وشعورا باهمية العمل الذى يؤديه وذلك يساعده على تكوين شخصيته الســوية بيــن زملائه، ويتحقق هذا المبدأ بالمتابعة الدقيقة الواعية والمراجعة المسئولة لعمله وتقويـــم هــذا العمل بالميزان الدقيق.

يقول عز وجل "من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنـــة يرزقون فيها بغير حساب. (الروم: ٤٤-٤٥). وعمر بن الخطاب يفهم هذه المسئولية ويعـرف حدودها فيقول (والله لو ان جديا تعثر فى وادى العراق لكنت مسئولا عنه لأننى لم امــهد لـــه الطريق، ويحمل الدقيق على ظهره إلى افراد الرعيه ويقول لمن اراد ان يحمله عنـــه، انك لا تحمل عنى اوزارى يوم القيامة.

وبالتالى ان نعود الطفل منذ نشأته على تحمل المسئولية وعلى محاسبته الدقيقة عمـــا يصدر منه.

ان بذره الفرد الحر لا تنمو الا فى جماعة موجه توجيها سليما ففيها يتعلم كيف يختار وكيف يواجه ضغط الجماعة وكيف يوجه مسارها أو يغيره ويتعلم درسا أخلاقيا اسمى وهـــو احتفاظه بذاته نامية مستقلة ومتماسكة لا يكتمل الا بالعمل والكفاح مع آخرين فى سبيل تحقيق هدف مشترك نبيل يختاره بالفهم المتزن والأرادة الحرة.

وتتجمع فى الخبرة الانسانية الجوانب المعرفية والجمالية والخلقية ويمكـــن أن يحكــم عليها فى ضوء معايير تتضمن:

أ) الحق: وهو الجانب المعرفى اى تحديد صفات الشئ فى الزمان والمكان.

ب) الخير: وهو الجانب الخلقى اى تحديد الأثار الناجمة عن التفاعل مع هذا الشئ فى حياة الفرد والأخرين وسعادتهم.

جـ) الجمالى: وهو الجانب التذوقى اى استمتاع الناس نتيجة ادراكهم للعلاقات التـــى يعبر عنها ذلك الشئ.

ان ما يلمسه المجتمع من اضطراب وخلل يرجع فى جانب كبير منه إلى تناقص المسئولية الاجتماعية عند الأفراد العاملين فى مختلف نواحى الحياة فى المجتمع، ويرى ان نقص الاحساس بالمسئولية الاجتماعية واضح فى انعدام الحرص أو الاهتمام بالقيام بالأعمال المختلفة.

وقد اطلق بيرت Burt على الهرب من المدرسة اسم روضة اطفال الجريمة اذ انه يفتح أمام الطفل ابواب الجريمة ويسرع به إليها، ولقد اظهرت طائفة من البحوث والاحصاءات ان نسبة عالية من المجرمين ينتمون إلى طائفة تلاميذ فاشلين.

٧- ضرورة المعاملة الحسنة للطفل:

يتميز الأباء بأن لديهم الرغبة فى العطاء to give بدون مقابل.

يعلق الأديب الساخر برناردشو: أن الطفل يولد عاجزا اجتماعيا فى العصر الحديث، فالعلاقات الاجتماعية انكمشت وهذا سمه العصر الحديث، فالطفل يولد صحيحا، فقد تطورت صناعة الدواء المسكن، وقلت نسبة الوفيات وتمتع الطفل بدرجة مناعة جسمية اكبر ولكن ظهرت اعراض المرض النفسى نتيجة التنشئة الوالدية الغير تربوية.

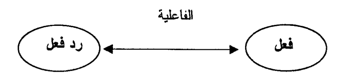
يؤكد جان جاك روسو على اهمية النمو الحر المتكامل النسبى مع الأخذ فى الاعتبار ميول واتجاهات الطفل، ويعتبر كتاب أميل جانبا هاما من ارائه ونظرياته فى مجال تربية ورعاية الطفولة.

ويهتم جان بياجية بدراسة النمو المعرفى للاطفال ووضع العديد من البرامج لرعاية الطفولة فى مجال الاحتياج المعرفى والطفولة بصفة عامة.

ويشير حامد عمار إلى ضرورة تقسيم المرحلة الابتدائية إلى فترتين يناسب كل منهما مجالات التعليم والتعلم فى البداية يتم التركيز على اكتساب التلميذ القدرة على ان يتعلم ليقرأ منتقلا ألى المرحلة الثانية اكسابه القدرة على ان يقرأ ليتعلم.

٨- افساح وقتا محدداً يوميا للاستمتاع بعمل مشترك مع الطفل:-

من واجب وحق الطفل على والديه ان يستمتع بشغل جزء من وقتـــهما حتـــى يتعلـــم التفاعل الاجتماعى الايجابى.



والانفعال غيرَ التفاعل حيث يعنى ما يحدث للفرد من مثيرات داخلية.

فبالحب يشعر الطفل بأن الاسرة تعتنى به وترعاه وتضع الثقة فى نفسه فينشـــأ أمنـــا مطمئنا يستيطيع ان يتحمل متاعب الحياة عندما يكبر.

والحب فى معناه الأول هو الاهتمام وفى معناه الثانى هو عدم السخرية وفـــى معنـــاه الأخير ان يكون هناك ارتباط بين الجميع يجعلهم يواجهون مشاكلهم مهما صغروا أو كـــبروا، فإذا اعطيت لطفلك الحب اعطيته الحياة كلها. وايضا للمعلم دور نوضحه مـــن خـــلال قـــول عمرو بن عتبه لمعلم ولده: ليكن أول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقـــودة فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم فيهجروه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه فإن ازدحام الكـــلام فـــى الغـــالب مشغلة للفهم، وعلمهم سن الحكماء وجنبهم محادثة الفساء، ولا تتكل على عذر منى لك.

٩- تنمية السلوك السوى :

فالسلوك السوى توازن بين الإيجابية والسلبية، فلابد من تنشئة الطفل على أ، يكـــون إيجابياً مبادراً فعالاً سواء فى تعامله مع القوى الطبيعية فى الكون وقـــد ســـخرها الله لـــه إذا استخدم عقله فى تذليلها لراحته ولعمارة الكون، أو فى تعامله مع أخوته فى الجماعة، والإنسان بشر وهذا لا يعنى انه ليس بالملاك ولا بالشيطان وان كان يستطيع ان يرتفع بنفسه إلى اقرب إلى مستوى الملائكه، كما أنه يستطيع ان يهبط إلى مستويات اقرب إلى مستويات الشـــياطين، فهو مخلوق من طين فهناك اذن جانب مادى له، ويتبين هذا الجانب فى الدوافع البيولوجيـــــة،

وميل الانسان إلى اشباع هذه الدوافع يمثل واقعا، ولكن الانسان به شئ من روح الله اى ان له جانبا روحيا، ويتمثل هذا الجانب فى الوظائف العقلية والنفسية ودوافع تحقيق الذات والـــتزام الانسان بالمبادئ الخلقية العليا فى سلوكه يعتبر امرا مثاليا. ولقد قال محمد (ص) لجماعة مـن الزهاد والصائمين نهارا والقائمين ليلا أما والله انى لاخشاكم الله واتقاكم لـــه، لكنـــى اصـــوم وافطر واصلى وارقد و اتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى (متفق عليه) فالإســـلام يحققه معادلة رائعة للتوفيق بين الواقع والمثال. حينما يقر للمسلم باشباع دوافعه جميعـــا فـــى الاطار الذى حدده الشرع وهو اطار لم يوضع للتطبيق وانما وضع بهدف التنظيـــم وضمـــان الاشباع للجميع.

ان الأنسانية كأى حقل نباتى او حيوانى خاضع للتحسن والاستصلاح والاخراج الجيـد خصوصا فى هذه المرحلة الزمنية التى كشف فيها العلم من وسائل التربية النفسية والجســمية الايجابية الصادقة وأباده آفاتها بسرعة فائقة.

أن مستقبل الحياة فى امتنا لن يقف عند حد الانسان العادى أو السوى بل سوف يتطلب انسانا مرتفعا على مستوى العادية متمايزا على حد السواء، انسانا فائقا يبدأ حركـــة ارتقائـــه وتزكيه بوجود نفسى مثرى فى باكوره تفتحه على الحياة.

وارغب فى التنويه ان علم النفس قد جعل من فعل الخير علم ومن الاحســـان منـــهج ومن مشاكل لحياة المختلفة حصيلة التفكير العلمى.

بعض تحذيرات للوالدين

لا تقتصروا على قولكم — « يجب ألا تفعل هذا » إذا كان فى مقدوركم أن تضيفوا « ولكن يمكن أن تفعل ذلك » .

لا تنعتوا شيئاً بكلمة «ردىء» حين لا تقصدون سوى « هذا يضايقنى » .

لا تتناقشوا عن شخصية الأطفال أمامهم ولا تفرضوا بوجه عام أنهم لا يستمعون أو لا يلاحظون أو لا يفهمونه .

لا تقطعوا على الطفل أى عمل يواصله دون أن تنذروه إنذاراً معدلا .

لا تظهروا حبكم للطفل عن طريق التدليل المستمر ولكن عن طريق الاهتمام بتزويده بما يلزمه لتنمية تشوقاته .

لا « تأخذوا » الطفل إلى النزهة بل اذهبوا معه .

لا تترددوا فى إعفاء الطفل من اتباع القوانين فى بعض الأحيان .

لا تجعلوا اهتمامكم وإشفاقكم موضع الاستعراض إذا ما وقع الطفل أو رفض الأكل الخ . . بل قوموا بما يجب فى كل حالة بدلاً من القلق وإثارة الجلبة .

لا تعاكسوا الطفل أو تتهكموا به — ولكن اضحكوا مع الطفل لا عليه .

لا تجعلوا الطفل موضع مباهاتكم لدى الآخرين ولا موضع لهوكم وعبثكم .

لا تعطوا محاضرات أخلاقية للطفل الصغير وإذا وجدتم أنفسكم تفعلون ذلك لا تندهشوا إذن ولا تغضبوا حين يبدى الملل والضجر .

لا تفرضوا أن الطفل يفهم ما تقولون له لمجرد أنكم تفهمون أنتم عباراتكم .

لا تدعوا — لو قلتم أو فعلتم شيئاً فى ثورة غضبكم — أنكم فعلتموه « من أجل صالح الطفل » إذ أن التهويش والتهريج يضر أكثر مما يضر الغضب العادل .

لا تنكثوا عهودكم ولا تعدوا شيئاً لا تستطيعون إيفاءه .

لا تكذبوا ولا تواربوا ولا تتهربوا .

كيف تحقق أفضل الطرق للمذاكرة ؟

قبل أن نشرح أفضل الطرق للمذاكرة الجيدة نحدد لك الأهداف التى نسعى لتحقيقها وهى :

١- الفهم .
٢- الحفظ .
٣- تثبيت المعلومات .

وبذلك يمكنك تذكر الدروس لأكبر فترة ممكنة والإفادة منها فى الحياة العملية وجميع الامتحانات وفيما يلى نوضح لك القواعد الأساسية التى تحقق هذه الأهداف .

أولا : القراءة الاجمالية للدرس

بعض الطلبة يأخذهم الحماس فى بداية تنظيم المذاكرة فيحاول أن يكون دقيقاً فى حفظ كل صغيرة وكبيرة فى الدرس فيبدأ نقطة نقطة بكل تركيز وقد لوحظ أن مثل هؤلاء الطلبة كثيراً ما تعرض لهم مشكلة السرحان أثناء الدرس حتى أنهم يحفظون ببطء وعندما يأتى الطالب الى نهاية الدرس أن كانت له القدرة على ذلك فإنه يتبين أنه نسى الجزء الأول منه ، ذلك الجزء الذى حاول التدقيق فيه ، كذلك فانه يشعر بأن الدرس صعب . لذلك فانه لتلافى هذه العيوب يجب اتباع الآتى فى طريقة القراءة الاجمالية للدرس :

١ ــ حفظ عناوين الدرس الكبيرة جميعها وتسميعها جيداً . إن حفظ هذه العناوين سيكون أمره سهلا عليك الى جانب انك ستشعر بعد ذلك برغبة قوية فى التعرف على المعلومات التى تشملها هذه العناوين وبذلك يزداد حماسك وقوة تركيزك ورغبتك فى الحفظ .

٢ ــ حفظ العناوين الأصغر وتسميعها جيداً مع مراجعة العناوين الكبيرة السابقة .

٣ ــ قراءة الدرس قراءة إجمالية وسريعة . هذه القراءة السريعة تفيد كثيراً فى سرعة فهم الموضوع عند الرجوع الى قراءته تفصيلا ودراسته بإمعان كما تفيد سرعة الحفظ والقدرة على التركيز والتغلب على السرحان .

٤ ــ الاهتمام كثيراً بدراسة الرسوم التوضيحية والتعرف عليها جيداً أثناء القراءة الاجمالية السريعة .

٥ ــ قراءة ملخص الدرس .

ثانيا : المذاكرة والحفظ

كيف تحفظ ..؟ إن القراءة الاجمالية للدرس ساعدتك على الالمام به وربط أجزائه ، إلا أنه عند القراءة للحفظ يجب إتباع الآتى :

١ ــ تعرف على النقط الأساسية فى الدرس وضع خطاً تحتها ، وكرر قراءتها بحيث تكون مرتبطة بباقى الموضوع .

المعلومات وزيادة القدرة على التذكر لفترة اكبر .

٥ ــ كثير من الطلبة يفيدهم التسميع كعلاج ضد السرحان وأحلام اليقظة

ويتكشف لنا أهمية التسميع من نتائج التجارب التى أجريت على مجموعات كثيرة من الطلبة ومنها يتبين الآتى :

١ ــ بعد الانتهاء من القراءة فانك لاتتذكر اكثر من ٥٥٪ مما قرأت وهذا مما يؤكد أن عملية النسيان كانت مستمرة أثناء القراءة .

٢ ــ تستمر عملية النسيان وبعد يوم من القراءة لاتستطيع أن تتذكر أكثر من ٢٥٪ الى ٢٠٪ مما قرأته .

٣ ــ تقل عملية النسيان نسبيا إذ أن ما بقى فى الذاكرة قليل وفى نهاية أسبوعين لاتتذكر أكثر من ١٠٪ مما قرأته .

هذه النتائج كانت تختلف تماماً بالنسبة للطلبة الذين يقرءون ثم يسمعون ما قرءوه — إذ تبين أن الطالب الذى يقرأ بدون تسميع ينسى بعد يوم واحد كمية تساوى ما ينساه الطالب الذى يستخدم طريقة التسميع بعد ٣٦ يوماً .

طرق التسميع : شفوى ــ تحريرى عملى

تختلف طرق التسميع تبعاً لمادة الدراسة وبالنسبة لطريقة الطالب فى المذاكرة ، إلا أن أفضل الطرق للتسميع هى الطريقة التى تشبه استخدامك لمادة الدراسة فى الحياة العملية اولا وفى الامتحانات ثانياً ، وأن كانت أغلب الامتحانات تحريرية إلا أن بعض مواد الدراسة فى المرحلة الجامعية بصفة خاصة تعتمد على الامتحانات العملية أو الشفوية وفيما يلى نشرح لك طرق التسميع بمختلف أنواعها .

(أ) التسميع الشفوى : وهو أسهل الطرق وأسرعها ويحسن ملاحظة الآتى :

١ ــ إذا كنت تسمع على نفسك يكون من المهم جداً الرجوع الى الكتاب فى الأجزاء غير المتأكد منها .

٢ ــ التسميع مع أحد الزملاء أو مع أى شخص آخر أفضل من التسميع الشفوى على نفسك .

٣ ــ التسميع الشفوى إذا حدث فى صورة مناقشة ومحاولة لشرح الدرس فانه يكون افضل جداً .

٤ ــ لاتحاول تسميع أجزاء صغيرة مفككة من الدرس لأنك بذلك تفقد القدرة على فهمه وربط أجزائه .

(ب) التسميع التحريرى العملى : إن كتابة الدرس تكشف بصورة دقيقة عن الأجزاء التى لم تستطع حفظها جيداً والتى تحتاج الى عناية وتكرار .

ويحاول بعض الطلبة إعادة كتابة الدرس كله وليس هذا هو المقصود بالتسميع التحريرى بل يكفى كتابة النقط الهامة والقوانين والنظريات والقواعد ، كذلك العناية بالرسوم التوضيحية وكتابة الأجزاء عليها .. وهنا يجب التأكد من أن ما تكتبه صحيح وذلك بالرجوع الى الكتاب .

ملاحظة مهمة :

١ ــ عند الكتابة للتسميع لاتهتم بتحسين الخط أو مراعاة الاقتصاد بل أكتب سريعاً وبخط كبير ، وكن جريئاً فى الكتابة ، وبذلك تعتاد الجرأة فى الكتابة والقدرة على تصحيح أخطائك .

٢ ــ لاتكلف نفسك كثيراً من المال بشراء الكراسات الجديدة للتسميع والتسويد بل لوجد بقايا كراساتك القديمة فان التبذير ليس من الاسلام .

هذا وقد تبين أن الطلبة الذين يصرفون ٨٠٪ من وقتهم فى التسميع كانوا أحسن من أولئك الذين صرفوا نفس الوقت فى المذاكرة بدون تسميع .

٢ ـ فهم القوانين والقواعد والمعادلات والنظريات .. وما شابه فهماً جيداً ثم حفظها عن ظهر قلب .

٣ ـ حفظ الرسوم التوضيحية والتدرب على رسمها مع كتابة الأجزاء على الرسم .

٤ ـ التأكد من فهم الدرس فهماً تاماً بحيث تستطيع إجابة الأسئلة الموضوعية التى توجد عادة فى نهاية الدرس .

٥ ـ محاولة وضع أسئلة على أجزاء الدرس والتعرف على الاجابة الصحيحة لها .

٦ ـ فى المواد التى تحتاج الى دراسة طويلة مفصلة يجب تجزئتها الى وحدات متماسكة بحيث تكون كل وحدة ذات معنى واضح وفيها ارتباط كامل فى أجزائها ، هذا الى جانب ارتباطها بالموضوع الأساسى .

٧ ـ لا تكن جباناً فتفقد ثقتك فى ذاكرتك ـ احفظ سريعاً وستجد أنك مع التدريب تستطيع تذكر جميع ما حفظته .

٨ ـ عند محاولة الحفظ اجعل فترات العمل قصيرة ومتقطعة ، واحفظ المادة بالطريقة التى ترى انك ستستعملها .

٩ ـ يجب أن تؤكد لنفسك قبل البدء فى الحفظ انك مصمم على تسميع ماتحفظ وبذلك تشعر بازدياد قدرتك على التركيز وسرعة الحفظ .

١٠ ـ فى نهاية المذاكرة اليومية وقبل النوم مباشرة استرجع حفظ وتسميع القوانين والقواعد والنظريات التى درستها فان الراحة والنوم يساعدان على تثبيتها فى الذاكرة تثبيتاً جيداً .

قاعدة هامة للحفظ

(احفظ واحفظ كثيراً عن ظهر قلب فقدرتك على الحفظ تكشف كثيراً من مواهبك) .

توجد دروس يجب حفظها عن ظهر قلب ، وبالرغم من أنه يقال يجب الفهم والحفظ عن طريق الفهم وهذا صحيح ، إلا أن بعض الأجزاء المعينة يجب حفظها عن ظهر قلب .

وبعض الطلبة الأذكياء يستطيعون الفهم سريعاً ، غير أن طاقتهم لاتتحمل المجهود اللازم للحفظ ، ومثل هذا التلميذ الذكى الذى يفهم سريعاً دون أن يهتم بالحفظ مثله كتاجر المجوهرات الذى يسىء حفظ مجوهراته وأكثر من هذا يستهين بالتأمين عليها ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حفظ القرآن ثم نسيانه وكثير من الطلبة الأذكياء كان فشلهم يرجع لاعتمادهم على الفهم دون الحفظ هذا بعكس الحال مع بعض الطلبة متوسطى الذكاء الذين استطاعوا التفوق فى الامتحانات معتمدين على الحفظ كثيراً الى جانب الفهم المحدود حتى فى أدنى المواد مثل الرياضيات .

ثالثا : التسميع

« التسميع هو التامين على المعلومات ضد النسيان »

ـ كيف تدرك أهمية التسميع ؟
ـ طرق التسميع ..
ـ كم من الوقت تقضيه فى التسميع ..؟

أهمية التسميع :

١ ـ يعتقد كثير من الطلبة أن قراءة الدرس وفهمه ومحاولة حفظه تكفى ، لكن الطالب عندما يحاول اجابة أحد الأسئلة وخاصة فى الامتحانات فانه يتعذر عليه التعبير عن بعض أجزاء السؤال ويقف حائراً وهو يقول : « إنى أعرفها » « وانى أفهمها » . لكنه عندما يحاول تذكرها ولايستطيع فانه يدرك أهمية التسميع وتكرار الحفظ مهما كلفه من وقت .

٢ ـ التسميع يكشف لك مواضع ضعفك والأخطاء التى تقع فيها وهو مرآة لذاكرتك .

٣ ـ عملية التسميع تساعدك فى التعرف على النقط الهامة فى الدرس .

٤ ـ التسميع هو الوسيلة القوية لتثبيت المعلومات


كيف
نعامل
المشكلين
ان الالمام بانماط السلوك
البشرى من شانه ان يهيىء
لنا نقطة انطلاق ننمى بها
خبرتنا فى معاملة المشكلين
... وهذا الكتاب الذى
الفه استاذ فى علم النفس
بجامعة سيراكيوز ، هدفه
ان ينمى فيك هذه الخبرة.

ان من ينشد تنمية شخصيته واكتمال نضجها ، لابد له من ان يؤتى القدرة التى تطوع له « الاستمتاع » ـ ان صح التعبير ! ـ بصحبة شخص حاد الطبع ،سريع الاهتياج ، سيىء التكيف؛ ونعنى بسيىء التكيف الشخص الصعب التجاوب مع البيئة التى يعيش بين ظهرانيها .

وانك لتجد بين الناس عددا وفيرا يعجزك ان تغيره او تستميله او تؤثر فيه . وقصاراك حيال هؤلاء الناس أن تطيقهم وتصبر عليهم . وحتى ان اطقتهم وصبرت عليهم ، فانت فى حاجة الى قوة من داخلك تساندك لتفهمهم من الناحية الذهنية ، وتحاول استمالتهم بالسبل التى تعود عليك وعليهم بالخير والمنفعة .

نقطة الانطلاق

والمامك بانماط السلوك البشرى من شانه ان يهيىء لك نقطة انطلاق فى سبيل تنمية نضجك وخبرتك فى معاملة المشكلين . ولا ريب انك شاهدت كثيرا من الانماط السلوكية . فلاحظت مثلا كيف ينزع ذوو العيوب الجسمانية كقصار القامة، الى التعويض عن معايبهم بالتفاخر والمباهاة ومظاهر الابهة ؛ وكيف ينزع آخرون من ذوى القصور العقلى ،الى التعويض عن قصورهم هذا ببذل المزيد من الجهد والكد ليلحقوا بمواكب الأصحاء . وثمة نمط آخر مألوف لنا هو الزوج المستخذى المستكين الملقى قياده لزوجته . فهو فى بيته حمل وديع طيع ، وفى مكتبه أو متجره أسد هصور وطاغية جبار . ومن امثلة هذا النمط ايضا ، الطالب القلق الذى يركبه الهم والتوجس فى امتحان يوشك ان يؤديه ،فيلتمس لنفسه مرضا يعوقه عن دخول الامتحان فى موعده المضروب .

(٩)

ويتفق احيانا أن يكون من بين الصق عشرائك بك ، اناس مشكلون فترى لزاما عليك أن تستنبط طرقا تيسر لك التعامل معهم وفق انماطهم السلوكية على مختلف خصائصها وصفاتها . وربما قد تعرض لك ظروف توجب عليك أن تجارى طفلا عنيدا صعب المراس ، أو أن تساير زوجة نكدة حادة الطبع ، او ان تلاين رئيسا فظا سيىء الخلق ، او أن تصابر جارا ثرثارا ، أو قريبا لك معتل الأعصاب . ولعلك كلما ازددت معرفة بواحد من هؤلاء ، والماما بأحواله ، وتمرسا بأطواره ، اجتمعت لك من المعلومات والبيانات ما يتيح لك أن تعرف كيف سار فى الطريق . وربما ساءلت نفسك فى امره أسئلة مثل :

● ما هى الظروف التى كانت تحوطه فى بواكير طفولته ؟ .

● ماذا يفكر ويحس تجاه نفسه كطفل ، وبمعنى آخر : ما هو « وصفه لنفسه » كطفل ؟.

● ما هى مشكلاته التى تعوق تكيفه مع الحياة ؟ ! .

● ما الذى نشأ عنده من أنماط التكيف التى لاتزال ملازمة له الى اليوم ؟ .

ما هى المشكلة ؟

ومن الطرائق التى تتبعها فى محاولتك تفهم فرد من الأفراد ، أن تبدأ بالتعرف على مشكلاته ، لا سيما اذا كان من الأشخاص المشكلين . وسوف نجد غالبا أن مصدر المضايقة هو أنه قد عالج مشكلته بوسائل غير سديدة ، وانه يأبى الا أن يمضى فى معالجتها بهذه الوسائل غير السديدة ! .

وقد تكون مشكلات احد الأفراد ظاهرة ظهورا بينا كما هو الشأن مع المعتلين بدنيا ؛ ولكن الأمر جد مختلف فيما يختص

بالمعتلين نفسيا ، فهم أكثر عددامن الأولين بما لا يقاس . وليس ادل على ذلك من ان فى الولايات المتحدة الأمريكية قرابة ثمانية ملايين من الانفس مصابون بنوع او بآخر من أنواع العلل النفسية.

دعه يتحدث عن مشاكله

وفى مستطاعك ، بوسيلة من وسائل شتى ، أن تتبين المشكلات التى كان لها شأن فى تكوين نمط سلوكى معين عند أحد الأفراد ومن هذه الوسائل أن تدعه يسترسل على سجيته فى التحدث عن الأمراض التى انتابته ، لاسيما فى ابان طفولته ، وفى بواكير سنى حياته . ذلك لأن وصفه لتلك الأمراض يهيىء لك فرصة قيمة تستطيع فيها ان تنفذ بثاقب نظرك الى أعماق تاريخه السيكولوجى ، حيث يتاح لك أن تستشف خوافيه . ومرجع ذلك ان المرض ـ وبخاصة اذا كان وظيفيا ، أى غيرنا شىء عن علة عضوية حقيقية ـ غالبا ما يكون طريقا ممهدا لتكيف شخص بمشكلة من المشكلات . فحاول ان تستبين المشكلات التى ربما يكون هذا الشخص قد تحاشاها بمرضه .

اجعله يسرد ذكريات ماضيه

وثمة وسيلة اخرى لدراسة الشخص المشكل ، هى أن تستدرجه الى استعادة ذكريات ماضيه كيما يسترسل فى التحدث عن طفولته المبكرة ، وعن الظروف التى لابستها . ومن انجع الأسئلة التى تعينك على تفهم الشخص البالغ ، أن تسائل نفسك : ما المعنى المستفاد من مسلك هذا الشخص لو ان هذا المسلك صدر عن غلام صغير ؟ .

وانه ليطيب لمعظم الناس أن يتحدثوا عن خبرات طفولتهم . ففى سياق حديث يخوض فيه المرء ذكريات طفولته عرضا وعفو

الخاطر ، كثيرا ما يميط اللثام عن مشكلات ما كان ليفضى بها اليك افضاء مباشرا .

ولو أتيح لنا أن نقف على الأهداف التى كان يستهدفها شخص ما فى طفولته ، لأمكننا أن نتوقع ان تكون اهدافه فى سن بلوغه مماثلة لأهداف طفولته كل المماثلة .

الناس يصحبون معهم طفولتهم

ومن المقطوع به أن الناس يصحبون طفولتهم معهم من مرحلة الى أخرى من مراحل حياتهم .فاذا ما حاولنا أن نتفهم أحد الناس فانا نحسن صنعا ان نحن أنعمنا النظر فى علاقاته المبكرة بعائلته ، وفى البيئة التى نشأت فيها أسرته ، ونتساءل : هل كانت له قدوة صالحة ،او مرشد يهديه سواء السبيل ويعلمه القيم الخلقية التى هى مناط التكيف السليم ؟ .. هل وفرت له صلته بالقدوة أو المرشد ، أسباب الأمن والطمانينة ، وهى الزم ما يلزمه ليزداد نماء وتقدما فى الحياة ؟ .

وانه لمن السهل أن نستقصى العوامل البيئية العادية فى مرحلة الحياة المبكرة لأحد الأفراد ،ولكن تقدير قيمة المؤثرات ذات الأهمية الحقيقية — كالجو السيكولوجى للأسرة مثلا — فى هذه المرحلة من حياته ، أصعب من ذلك بكثير ، ونحن نلجأ عادة الى الاستدلال على هذه العوامل من سلوك البالغين وتصرفاتهم .

ومن الأمثلة على ذلك : نلتقى بشخص بالغ يبدو عليه جليا الافتقار الى الثقة بنفسه ، يشق عليه أن ينخرط فى سلك مجتمع من المجتمعات ، ويشق عليه أيضا أن ينفصل عنه . قلما يبدأ بنطق عبارة ثم يستطيع أن يكملها .توجه اليه السؤال فيكرره . فمثل هذا الشخص خليق أن يثير عندنا الريبة فى أن مسلكه هذا يرجع الى انه كان فى طفولته يشعر بانعدام الأمن .

ونتساءل : ترى هل كان والداه على غير وفاق ؟ هل كانت حياته العائلية مهددة بالتصدع : بطلاق، او بضائقة مالية ، أو ما اليهما ؟ واذا كانت مشكلته تعود الى عسر في اسباب الرزق ؛ فهل هو مسوق اليوم بدافع يحفزه على حرمان نفسه من متع الحياة حتى الهين منها ، لكى يدخر اموالا تفوق كثيرا حدود احتياجاته اتقاء لغائلة الفقر ؟ أم تراه بلغ قنوطه من الثراء الى حد انه لم يعد اليوم يبالى المال الا قليلا ؟ .

وكثيرا ما يكون الأبوان في نظر الطفل بمثابة « الحد » الذى ينبغى أن يكيف نفسه عنده . فاذا غالى الأبوان فى رفع المستوى الذى تصل عنده امكانيات طفله ، فقد يعمد الطفل الى اتباع اساليب لاشعورية للاقتصاص من ابيه او امه بالتراخى فى أداء واجباته المدرسية ، او بالكف عن بذل جهده فيها بالقدر الذى يريدانه . وقد تكون العقوبة التى ينزلها مثل هذا الطفل بوالديه ، بالرسوب فى الامتحان او بهبوط درجاته المدرسية ، ارضى لخاطره وادعى الى ارتياحه من ازجاء المديح اليه والتهانى بنجاحه . وهذا المسلك قد يلازم طفلا كهذا فى جميع مراحل حياته المقبلة ! .

والطفل الذى يسرف أبواه فى ترويضه على الطاعة والنظام ؛ كثيرا ما يعبر عن سخطه على هذا التحكم والطغيان ، بميله ميلا مفرطا الى الحرفة او المهنة التى لا يحبها والداه ! فأبناء رجال الاعمال الناجحين الكدودين يشتهون أن يكونوا ممثلين ، أو فنانين اتباعا لهذا النمط من انماط التكيف ! .

وقد عجب امريكيون عديدون من بنين وبنات على جانب عظيم من الثقافة والتهذيب اعتنقوا المذهب الشيوعى مع أن آباءهم من ارباب الجاه والثراء العريض . بيد ان كل من له المام بأنماط

التكيف ، يدرك أن الشعور بعدم الأمن ألانفعالى ، موجود فى جميع الأسر على تباين طبقاتها ،ولايجدغرابة فى أن طفلا مشكلا منحدرا من أبوين موسرين ،كثيرا مايحاول أن يتغلب على سوء تكيفه بمسلك يتخذه ، كأن يعتنق الشيوعيــة رغم ما فى هذا المسلك من مجافاة لطبيعة البيئة التى تنتمى اسرته اليها .

ولعلنا كلنا نذكر من بين رفاق المدرسة ذلك الغـلام الصـغير السيىء الخلق المولع بمعـاكسة زملائه الأطفال وتعثيرهم أثنـاء مسيرهم فى ممشى المدرسة . فهذا الغلام ومـن على شاكلته انمـا يفعلون ذلك لأنهم لا يعـرفون وسـيلة غـير هـذه الوسـيلة يسترعون بها الأنظار ويستجلبون الاعجاب ! ولمثـل هـذا السبب وما اليه ، يشعر عـديدون من الكبار بارتيـاح ورضـاء نفـس عظيمين لما يعتقدونه من أن الناس جميعا اشرار آثمون ، ويتمنون أن يقذف بالعظماء من عليائهم الى الحضيض ،هذا هو التعليل الذى يفسر سعى الأشرار من الشباب الى لفت الأنظار اليهم ومحاولتهم بسط سيطرتهم على غيرهم .

والمتصف بمثل هذه الخصال مفتقر الى المديح والاطراء ،كما انه محتاج الى تنمية شخصيته ودعم كيانها لاسيما فى ناحية الخصال والصفات التى يحسد الآخـرين عليها . فاذا تحقق له هذا وذاك فلن يكون ذلك الفتى السيىء الخلق الذى لا يفتأ يركب النـاس بصنوف الأذى والعنت .

والمرء اذا شـعر بالقصـور الاجتماعى ، افتضح شعوره هذا بما يصدر عنه من سلوك كالتعاظم والتفاخر ، أو الشغب والعربدة ، أو اهمال الهندام بغير ما ضرورة أو مبرر . ولعل أقرب مثل على اليأس من رضـا الناس وحسن قبولهم ــ وهو من نتائج الشعور بالقصور الاجتماعى ــ الرحالة والجوالة ومن اليهم من الضاربين فى فجاج الأرض .

فهؤلاء وامثالهم مفتقرون الى الثناء والمديح والى تشجيعهم على تنمية شعورهم بالأهمية والجدارة الذاتية . هذا هو ما يحتاجون اليه ويفتقدونه ، ولكنهم لايعرفون السبيل الى ادراكه ولاكيف يكون تحقيقه .

وما احسب انك لم تصادف فى يوم من الايام شخصا تلقى اليه السؤال فيعيده مرددا اياه ، فاذا تحرك ففى بطء وتراخ متناهيين ، وتلحظ انه لا ينفك يسوى شعره بغير موجب ، ويزرر سترته ثم يعود فيحل ازرارها . لكأنه فى كل مسلك يصدر عنه يقول بلسان الحال « الا ليت لى انسانا قويا اركن اليه ، انسانا يصدقنى الود ويمحضنى النصح » .

ان شخصا كهذا يغلب أن يكون قد كابد فى ابان طفولته لوعة الحرمان من الحب والحنان . وفى وسعك ان تعين هذا الطراز من الناس على اصلاح امره . ادعه الى شهود بعض المحافل الاجتماعية ، ومهد له سبيل الاضطلاع بشتى شئونها . هيىء له اسباب الترفيه عن نفسه ، والاستمتاع بأوقات طيبة هانئة . فان كان ممن لك عليهم سلطان ، فاعهد اليه بأعمال ذات شأن كمعالجة بعض المشكلات المتصلة بشئون الحياة الواقعية .

وقد لا يفطن هذا النوع من الناس الى انه بانتهاجه هذا المنهج القويم انما يبذل — دون وعى منه — محاولة صادقة لأن يغدو انسانا سويا . وقد لا يدرى أن ماطوى عليه صدره من حقد لاشعورى لوالديه ربما كان مرجعه الى انهما كانا يؤثران اخا له ، أو اختا بالرعاية والالتفات .

ويدخل فى هذا النوع من الناس اولئك الأطفال والبالغون الذين يحاولون النيل من رؤسائهم واولى الأمر فيهم ، والطعن فيهم لالشىء الا لأنهم لم يولوهم من الرعاية والاهتمام القدر الذى يرضيهم

ويشبع رغباتهم . وكلما استفحل ضغنهم وغليلهم ، ازدادوا تورطا في الشر وانغماسا في الرذائل ، حتى لقد يعمدون الى سرقة أشياء ليسوا في حاجة اليها ، وقد يدمنون الكذب حتى يصبحوا من معتادي هذه الرذيلة . ومعظم هؤلاء لا يدرون ، هم أنفسهم ، لماذا يسلكون هذا المسلك المعيب .

والأطفال الذين يسامون ذلا وهوانا ، ويزدرى بهم مرارا وتكرارا غالبا ما يصبحون مشاغبين تهجميين ، يباهون بنزعتهم العدوانية . وقد يتخذ تهجمهم صورة تراشق بالألفاظ الجارحة والهجو القبيح . وهم يهدفون من وراء مسلكهم هذا الى التماس الشهرة وخطر الشأن ، أو بعبارة أخرى يرمون الى تنمية الشعور بالأهلية أو الجدارة الذاتية في أنفسهم . ولن يجدي مع هؤلاء ازجاء الثناء اليهم وامتداح جرأتهم وبطولتهم ، فلن يؤدي هذا الا الى امعانهم في أفاعيلهم وتماديهم في الشغب والتهجم . ولكن اطراءهم على رقة طباعهم ، ولين عريكتهم يفضي عادة الى كسر شرتهم وتخفيف غلوائهم .

تعرف على دلالات السلوك

ولا شك انه من الأهمية بمكان أن تكون لماح النظر ، سريع الخاطر في ملاحظة أنماط الشخصية العادية ؛ ولكن اذا أردت التعمق في تفهمك للناس ، فعليك الى ذلك أن تتفطن الى دلالات الشخصية . وهذه الدلالات متوافرة جدا في الأحاديث العابرة ، وفي المواقف العادية . هب أن أحد أصدقائك قال لك انه شهد فيلما سينمائيا تافها وانه ما كان ليشهده لولا أن دور البطولة فيه مسند الى الممثلة المفضلة عنده . فلا ريب أن تفهمك لشخصية صديقك هذا ، يزداد ويعمق اذا أنت فكرت مليا في ايثار صديقك لهذه الممثلة بالذات ، وساءلت نفسك : هل لهذه الممثلة صفات أو خصائص معينة يتمنى

صديقك أن تكون له ، كالبراعة مثلا في الروغان من المآزق الاجتماعية الحرجة ، والتخلص من المواقف العصيبة ، وما الى ذلك ؟ !.

ومبلغ اهتمام الشخص بمظهره ، واحلامه التى يرويها لك ، والفكاهات والنكات التى يسوقها ويتندر بها ، وكثير من الفعال التى يأتيها – كل أولئك ذو اهمية بالغة ، اذا انت حاولت ان تتقصى خفية معانيها ومطابقة هذه المعانى لانماطه التكيفية . ولكن حتى لو ايقنت أنك قد فهمت شخصا فهما كاملا شاملا ، فمن الخير الا تكاشفه بالرأى الذى اختمر فى ذهنك بشأنه ، بل احتفظ به لنفسك لأنك ان حاولت أن ترسم له منهجا يسير عليه ، أو علاجا يتبعه لتقويم مسلكه واصلاح حاله ، فلن تجنى من محاولتك الا استثارة غضبه واهاجة كوامنه .

وما من ريب فى أن معاملتك للناس تصبح انجع اثرا واوفر ثمرا ان أنت سعيت الى استجماع الحقائق عن طراز شخصية فرد من الأفراد بالقدر الذى يكفل لك تفهمه التفهم الصحيح الشامل . فاذا تم لك هذا ، فساعده على تكوين تكيفه ، بشريطة الا تدعه يفطن الى ذلك .

والى جانب تفهمك للشخص من الناحية العقلية ، عليك ان تتفهم ايضا الكيفية التى يشعر بها ويتأثر . فلو عرفت مثلا متى يكون راغبا فى التكلم ، أو متى يكون راغبا فى ان يكلمه الغير ، أو متى يكون راغبا فى الانفراد والتوحد ، فان لهذه المعرفة اهمية لا تقل عن أهمية توفيقك فى اختيار « ما هو سديد ومناسب » .

فان كنت بصيرا بدلالات السلوك ، فانك لن تجد صعوبة فى معرفة « ماهو سديد ومناسب » . فمن كل اربعة اشخاص ، ثلاثة لا يحبون منك أن تحدثهم عن احزانهم ومآسيهم ، فى حين

يستطيعون دائما أن تستعيد لهم ذكرياتهم السعيدة وما لقوا فى ايامهم من يمن واقبال . والكثرة الغالبة من النساء تحب الخوض فى احاديث الشئون المنزليــة والعائلية ، وكذا قلة من الرجال. ولكن الرجال عموما يؤثرون الكلام فيما يزاولون من اعمال او يمارسون من وجوه النشاط الرياضى .

ومن ابرز السمات التى تنم عن اللباقة وسلامة الذوق ،قدرة المرء على اشاعة روح الرضا والمرح بين الناس وتجنيبهم اسباب القلق والتنغيص وانشغال البال . ولاشك انك مستطيع أن تثبت الدعة والطمأنينــة فى قلوب الناس اذا كنت قد تعلمت كيف تروض نفسك على نسيان ذاتك ، وكيف تولى الناس عنايتك والتفاتك .

والانسان حين يكمل اتزانه ، ينظر الى الحيــاة والى علاقاته بذويه وسائر افراد مجتمعه نظرة مدركة بصيرة . وعلاقــات المرء حتى بمن لا تعجبه مثلهم العليا ولاعاداتهم ، لا تتنــافى مــع مثله العليا وعاداته ، بل ان علاقاته ايضا بالناس المشكلين ،قد تصبح مورد قوة له اذا عــرف كيف يتناولهم بالدرس المتين ، والتفهم العميق ، والالمام الشــامل بمــا وراء فعالهم وتصرفاتهم من بواعث واعتبارات . وتنمية ذلك الاتزان يقتضيك خبرات وفيرة ، وصلات عديدة بطوائف وشكول شتى من الناس . فاذا ما تم لك ذلك ، اســتطعت ان تنشىء عــلاقات سعيدة موفقة مع اية طائفة من طوائف الخلق ،وفى كل موقف من المواقف ، وان تمضى قدما فى سبيل الرقى والفلاح . . وهــذه سبع قواعد نرجو ان تكون معوانا لك فى هذا السبيل :

كيف تكون محبوبا من الناس

● **ضع ثقتك بغــيرك حتى لو فقد ثقته بنفسه** : قال « ماكس اوتو » : « ان الثقــة بالجنــس البشرى او انعدام الثقة به ، هما

أغزر ينبوع من ينابيع فلسفةالانسان : الينبوع الذى يتعهدها بالتغيير والتغذية » .

● **فى معاملتك للناس اتخذلتفكيرك اطارا** : فقد يتاح لك ان تعاشر اناسا عديدين ، وان تستجمع حقائق وفيرة عنهم . ولكن هذه الحقائق ان لم يرتبط بعضها ببعض ارتباطا ذا دلالة ومعنى ، فلن يكون لها وزن يذكر . ان الحقائق الخالصة اذا اسىء ربط بعضها بالبعض الآخر ، تدتكون مضللة . وحين تدرس شخصا اجعل اطار دراستك نهالبدء بحاضره ، ثم الارتداد القهقرى الى ماضيه .

● **اذكر أن السلوك البغيض هو فى نظر صاحبه سلوك عادى لا غبار عليه** : واقعيا كلما كان حكمك على الأنماط السلوكية لشخص من الأشخاص واقعيا ، فان احتمالك لمضايقات سلوكه يصبح اهون عليك واخف وطأة . فان كنت تعيش مثلا مع شخص لايفتأ يجدلك اخطاء وزلات ، او مع شخص ينهج فى معاملتك منهج التكبر والتشامخ ، او الغلو فى التباهى والتفاخر ، فسوف تكون أرحب صدرا واكثر طاقة على تحمل هذه الرذائل التى تستفز الغضب ، اذا ادركت أن هذا السلوك انما هو سلوك دفاعى ينم عما يعتمل فى نفسه من شعور بالضعة والهوان .

بل انى أتمشى الى ما هو ابعد من ذلك حتى لا أجد بأسا من ان تدع شخصا يتخذ منك « كبش الفداء » تنفيسا لانفعالاته النفسية ، فقد يكون هذا التنفيس ضرورة لا مخلص لهذا الشخص بدونها . فاذا اختارك ضحية له ـ بريئا كنت أم غير برىء ـ فاحتفظ باتزانك مادمت تنظر اليه والى فعاله نظرة واقعية .

● **اقم شبكة حساسة بينك وبين الناس** : تنبه جيدا الى كل أمارة تبدر ممن تعيش أو تعمل معهم، وتشير الى ما استتر من ميولهم، وما خفى من دوافعهم . ولا تركن الى انك قد تلقيت مناهج عديدة فى العلوم النفسية وجزتها جميعا بتفوق او بمرتبة الشرف ، فانك ان لم تتعلم كيف تشارك الناس احاسيسهم وتضحك مع الضاحكين ، وتبكى مع الباكين ،فلن تيسر لك مناهجك تلك كل ما أنت محتاج اليه .

● **اعترف بينك وبين نفسك بعيوبك ونقائصك ، وتقبلها باخلاص وعن طيب خاطر** . فهكذا يفعل الشخص السوى الحسن التكيف . أما السيء التكيف ذو السلوك الدفاعى ، فلا يفعل ذلك. وحتى اذا ذكر معايبه أحيانا فهو لا يذكرها الا فى معرض الدفاع عن نفسه على سبيل الاقرار بها ،فتسمعه يقول مثلا : «أنا غبى بليد .. ما دخلت الجامعة قط ! » او « لا أعرف كيف أتصرف فى الشئون الاجتماعية » او « لست وسيم الخلقة . . » . يقول هذا وهو فى الحقيقة لا يعنى ما يقول وان كان يزعم ذلك ! .

أما الشخص الحسن التكيف،فانه يقول هذه العبارات ذاتها ، ولكنه يقولها بشعور مغاير كل المغايرة لشعور الشخص السيء التكيف .

● **تعهد بالتنمية والتحسين ، العادات والأخلاق والصفات المميزة التى ترجوها للمواطن الصالح** : ذلك لان الناس يحبون التعامل مع من يأتمنونهم ويثقون بهم . ومشاعرنا لا تتأثر ولا تستجيب لدعوة تجيئنا من رجل يحدثنا عن المثل العليا ، ويتفلسف فى الخلق الرفيع والمسلك الكريم ، ويضع لنا المعالم لاصلاح الكون ،ولكنه يقصر عن النهوض بتبعاته المفروضة عليه كمواطن .

● **عبر عن مشاعرك جهـرة وعلانية وفى صراحة ،لكى تتجاوب مشاعر الناس معمشاعرك** : انظرالى الايطاليين والفرنسيين وهم يتكلمون ، تر انهم يشفعون كلاهم بالحركات والايماءات ، ويرفعون اصواتهم تارة ويخفضونها تارةآخرى ، يقتربون ممن يحـدثهم حينا وحينا يبتعدون ، يبرقون بعيونهم ويومضـون ، يغضنون جبـاههم ويبسـطونها تبعـالمقتضيات الحال،والواقع ان معظمنا فى حاجة الى الاقتداء بهم والاخذعنهم فى طريقـة الكلام لتتخلص اساليب تعبيرنا من طابعها المتسم بالجمود وانعدام الروح .

فـاذا قلت لاحـد « طاب صباحك » نقلها فى أسلوب مشرق متهلل تطلع له الشمس ولو فى يوم غائم !.



قالوا . .

قال بزر جمهر الفيلسوف :

اذا التبس عليك أمران فلم تدر أيهمـا الصواب ، فانظر أقربهما الى هواك واجتنبه !

●

قيل لحكيم : ما أملك فلانا لنفسه !

قال : اذن لا تذله الشـهوة ولا يصرعه الهوى ، ولا يغلبه الغضب !

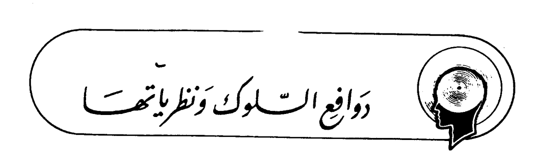
●

قال أكثم بن صيفى : مقتل الرجل بين فكيه (يعنى لسانه)

الفصل الثاني

دوافع السلوك ونظرياتها





أهمية دراسة الدوافع :

دراسة دوافع السلوك لها أهمية خاصة بالنسبة لنا. انها تساعدنا على معرفتنا بأنفسنا وبالاخرين الذين نتعامل معهم.

ودوافع السلوك كثيرة ومتنوعة منها ما هو فطري ينتقل إلى الفرد عن طريق الوراثة مثل الجوع والعطش، ومنها ما هو مكتسب يكتسبه الفرد عن طريق تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها. وهذه الدوافع المكتسبة منها ما هو شعوري يشعر به الفرد مثل الاتجاهات النفسية والعواطف، ومنها ما هو لا شعوري لا يفطن الفرد إلى وجوده مثل العقد النفسية. كما أن الانفعالات مثل الخوف والغضب تعتبر من الدوافع القوية التي تحرك سلوك الناس.

إذا كانت دوافع السلوك كثيرة ومتنوعة ولها هذه الاهمية البالغة فما المقصود بالدوافع ؟

معنى الدافع

إذا لاحظنا أعمال الناس في حياتنا العملية لوجدنا أنهم مدفوعون في أعمالهم ببعض الدوافع، وأنهم يحاولون تحقيق بعض الأهداف التي تشبع

هذه الدوافع. فعندما ينبعث دافع من الدوافع يشعر الفرد بشيء من الإلحاح الى القيام ببعض الأعمال لأجل اشباع هذا الدافع.

فعندما يشعر الفرد بالجوع لا يستريح الا إذا أكل. فالشعور بالجوع هنا عبارة عن دافع، والاكل عبارة عن اشباع لهذا الدافع. والشخص الذي يؤلمه ضرسه لا يكل عن البحث عن مسكّن يخفف به الالم. وهكذا في كل سلوك. فالسلوك أيا كان مرتبط بدافع معين. واذن **فالدافع هو العامل الأساسي المسيطر على السلوك.**

والسلوك يظل مستمراً طالما لم يشبع الدافع وكذلك ينوع الكائن الحي سلوكه وأساليب نشاطه حتى يشبع دوافعه.

فالدافع عبارة عن قوة (أو طاقة كامنة) تهدف إلى تحقيق غرض وهدف. والدافع كما يقول (Munn): اصطلاح يطلق على البواعث الذاتية، والدافع بهذا المعنى عبارة عن قوة داخلية موجهة» (*).

ونستطيع أن تخلص إلى تعريف الدافع بأنه (حالة جسمية أو نفسية تثير السلوك في ظروف معينة، وتواصله حتى ينتهي إلى غاية معينة».

ويعرف الدافع أحياناً بأنه حالة من التوتر تثير السلوك وتواصله حتى يخف التوتر هذا أو يزول فيستعيد الفرد توازنه كأن الدافع اضطراب يخل توازن الفرد فيسعى الفرد إلى استعادة توازنه. فالدوافع لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الاتجاه العام للسلوك الصادر عنها. فان كان السلوك متجهاً نحو الطعام استنتجنا دافع الجوع، وان كان متجهاً نحو الشراب استنتجنا دافع العطش وهكذا.

والانسان يولد مزوداً ببعض الدوافع الأولية. الفطرية وهذه الدوافع هي الأساس الأول في السلوك الحيوي وهذا ما اتفق عليه علماء النفس. الا أن الانسان كأي كائن حي آخر يعيش في بيئة معينة يؤثر فيها ويتأثر بها،

(*) B. Norman Munn: Psychology - 1946, P. 195.

تدفع الكائن الحي إلى القيام بنوع من السلوك يستهدف ازالة هذا التوتر واستعادة التوازن.

وعلى ذلك فالدافع في نظر هذه المدرسة عبارة عن حالة من حالات التوتر تثير الكائن الحي وتوجه سلوكه إلى غاية هي اعادة حالة التوازن.

يصدر السلوك الانساني عن دوافع مختلفة. بعضها «فطري» أي يولد الانسان مزوداً به. والبعض «مكتسب» من البيئة. ويطلق على النوع الأول «دوافع أولية» ومن امثلتها الحاجة إلى الطعام. والماء. والهواء. والراحة. والنوم، والتخلص من الفضلات. والنشاط الجنسي. وتجنب الالم وغيرها ويطلق عليها البعض اسم «دوافع عضوية» أو دوافع فسيولوجية.

أما النوع الثاني فيطلق عليه (دوافع ثانوية) وهي اما (شعورية) ويدخل في ذلك العواطف والميول والاتجاهات وهذه يكتسبها الانسان أثناء نموه وتطوره في الحياة الاجتماعية أو «لا شعورية» مثل العقد النفسية.

الدوافع الفطرية

تمتاز الدوافع الفطرية بأنها عامة ومشتركة بين الناس جميعاً. فالناس متفقون في دوافعهم الفطرية الأساسية مهما اختلفت حضارتهم وثقافتهم وأديانهم، فهم جميعاً يأكلون ويشربون ويطلبون الدفء والراحة والنوم.. الخ.

وهذه الدوافع هي الأساس الأول للسلوك. وتعتمد في اثارتها على الحالة الجسمية الداخلية (الفسيولوجية). فهي شديدة الاتصال بالتكوين العضوي للشخص. وكل دافع من الدوافع الفطرية يتضمن ثلاث نواح.

١ - ناحية فسيولوجية.

٢ - ناحية شعورية.

٣ - ناحية نزوعية.

وهذه الدوافع انما يعمل بعضها على المحافظة على الكيان العضوي للشخص كدافع الجوع والعطش.. الخ. وبعضها الآخر يعمل على بقاء النوع كالدافع الجنسي.

شروط الدوافع الفطرية:

١ - يجب أن تكون هذه الدوافع غير مكتسبة أي لا يمكن أن تكون نتيجة تعلم كالجوع والعطش.

٢ - يجب أن تكون هذه الدوافع عامة بين جميع أفراد النوع بغير استثناء.

٣ - يجب أن تكون عبارة عن استجابة لحالة عضوية أو كيميائية في الجسم، فالجوع مثلاً يحدث نتيجة نقص في كمية الغذاء في الجسم. وهذا النقص يحدث تقلصات في المعدة، وهذه التغيرات تحدث شيئاً من التنبيه بحيث يشعر الانسان بالجوع.

٤ - كما أن الدوافع الفطرية تمتاز بثبوت اتجاهها حتى وان تغير السلوك الصادر عنها. فالخوف مثلاً يدفع الفرد إلى اتقاء مصدره بأي أسلوب سواء بالهرب أو الهجوم أو التحايل أو غير ذلك.

أمثلة للدوافع الفطرية

الحاجة إلى الطعام والشراب:

أجريت دراسات متعددة على هذا الدافع، وتوصل العلماء نتيجة هذه الدراسات إلى كثير من المعلومات التي ساعدت على فهم الكثير من الدوافع

الفطرية الأخرى. ولقد دلت هذه الدراسات على أن خلل التوازن المترتب على نقص المواد الغذائية في الدم هو العامل الذي يحدث الاحساس بالجوع حيث يسبب هذا النقص حالة توتر مصحوبة بتقلصات في المعدة يترتب عليها نشاط عام في الجسم، فيشعر الانسان بالجوع والرغبة في تناول الطعام.

ودلت نتائج تجارب كثيرة على أن تقلص المعدة ليس هو العامل الأساسي في احساسنا بالجوع، بل ان حالة الدم الكيميائية هي العامل الأساسي الوحيد في احساسنا بالجوع، وفي حدوث تقلص المعدة. فقد وجد أن استئصال المعدة عند بعض الحيوانات أو قطع الاتصال العصبي بينها وبين المخ لم يقض على الشعور بالجوع.. وقد وجد أيضاً أنه إذا حقن كلب غير جائع بدم كلب جائع تقلصت معدة الكلب غير الجائع كما يحدث عادة في حالة الجوع. وقد وجد أيضاً، على العكس، أنه إذا حقن كلب جائع بدم كلب شبعان، توقف تقلص معدة الكلب الجائع. وتوحي نتائج هذه التجارب بأن نقص المواد الغذائية في الدم حالة كيميائية خاصة، فتنبعث بعض الهرمونات التي تسبب تقلص المعدة والشعور بالجوع. أي أن تقلصات المعدة ليست هي الباعثة لدافع الجوع.

وقد أجرى يونج عدة تجارب على الفئران منها أنه استمر مدة يقدم لها طعاماً خالياً من الدهن، ثم قدم لها بعد ذلك سكراً ودقيقاً ودهناً. فكان اقبال الفئران على الدهن أكثر من اقبالها على النوعين الآخرين. وقد أعيدت نفس التجربة بحرمان الفئران من القمح مرة ثم من السكرة مرة أخرى، فكانت في كل مرة تقبل على النوع الذي حرمت منه قبل ذلك، فدل هذا على أن دافع الجوع مبعثه التغيرات الكيميائية في الدم ونقص المواد الغذائية فيه.

والانسان لا يختلف عن الحيوان في ذلك. فمن الدراسات التي تمت في هذا المجال، دراسة لعشرة أفراد كانوا يعانون من نقص كبير في كمية الملح في الجسم. وزاد من حدة مرضهم عيشتهم في المناطق الحارة مدة من الزمن. وكان الاعتقاد السائد أن هؤلاء العشرة يعانون من مرض عصابي، فقد لوحظ

عليهم توتر الأعصاب والحدة وسرعة الغضب والنزعة إلى الحزن دون سبب ظاهر. وكانوا يشكون آلاماً جسمانيةً عامة إلى جانب الصداع والتعب والقلق. وقد زالت معظم هذه الأعراض بتعويض الجسم ما كان ينقصه من الملح.

ومن البحوث التي أجريت لتبيان أثر افتقار الجسم إلى المواد الغذائية بحث آخر أجري على ستة وثلاثين شاباً أصحاء، وفي حالة عادية. فقد غذي هؤلاء الشبان تغذية جيدة لمدة ثلاثة أشهر أعقبها فترة ستة أشهر من الصوم، والحياة على ما يمسك رمقهم. فظهر على المجموعة الميل إلى الحزن والضيق وعدم المبالاة وسرعة الغضب. وبالرغم من ادراك أفراد الجماعة للغرض من اجراء التجربة، فقد كانوا عاجزين عن ضبط جماح أنفسهم. فلما طلب منهم تقويم أنفسهم مقارنين حالتهم قبل التجربة وأثناءها، وصفوا حالتهم أثناء التجربة بما يأتي:

عدم القدرة على ضبط النفس وكبح جماح الغضب، والتردد، والقلق، والحساسية الزائدة عن الحد للضجيج، وعدم القدرة على تركيز الانتباه.

وكان تقرير القائمين بالتجربة عن المجموعة كلها أنها مصابة بالعصاب النفسي (Psychoneurosis) وكانت أعراض تسعة أفراد من الستة والثلاثين أعراضاً حادة.

نتبين من هذه التجارب أثر افتقار الدم إلى المواد الغذائية في دافع الجوع، ودافع الرغبة في أنواع معينة من الطعام، كما نتبين ما قد يعتري الفرد من اضطراب إذا افتقر جسمه لنوع معين من المواد الغذائية.

إلا أننا نلاحظ في بعض الأحيان اشتهاء بعض الناس أنواعاً من الطعام والشراب قد لا تحتاج إليها أجسامهم بل انها قد تكون في بعض الأحيان مضرة لها. وربما يرجع هذا إلى أثر التعلم.

والحاجة إلى الماء كالحاجة إلى الطعام، والأساس الفسيولوجي فيها هو حاجة الجسم إلى الماء. وهذه تؤدي إلى استثارة دافع العطش، والمشبع له هو

الماء. وقد أجريت البحوث لتقرير ما إذا كان المؤدي إلى العطش هو حاجة الجسم ذاته إلى الماء، أم انه المثيرات التي تنبعث من جفاف الحلق، وخاصة حينما لوحظ أن تندية الحلق بالماء تخفف من حدة العطش. وقد تبين من هذه البحوث فعلاً أن الكلب الذي يحرم من الماء مدة لا يشرب عادة إلا الكمية التي يحتاج إليها جسمه. وفي إحدى التجارب أجريت عملية جراحية لادخال الماء في معدة الكلب عن طريق أنبوبة تمر خلال ثقب في معدته. فوجد الكلب لا يقترب من الماء إذا مضت مدة ١٥ دقيقة على ادخاله في معدته، وهذه المدة كافية لهضم الماء بصرف النظر عن جفاف حلقه.

ويلاحظ أن الماء ليس هو المشبع الوحيد بدافع العطش. فقد يرغب الانسان في أنواع معينة من المشروبات. ويتعدل هذا الدافع تبعاً لذلك في طريقة اشباعه كما هو في الحاجة إلى الطعام.

الحاجة الجنسية «دافع الجنس»:

ان الدافع الجنسي من الدوافع الفطرية القوية التي لها أهمية خاصة في حياتنا الاجتماعية وفي الصحة النفسية والعقلية. ولا يتعلق الدافع الجنسي - كدافعي الجوع والعطش - بحفظ حياة الكائن الحي. فالكائن الحي لا يموت إذا تعطلت وظيفته الجنسية، ولكن الدافع الجنسي مع ذلك يقوم بوظيفة بيولوجية هامة، إذ انه يعمل على بقاء النوع. فلولا التناسل لانقرضت الكائنات الحية من الوجود.

ويظهر الدافع الجنسي بوضوح عندما يتم النضج الجنسي للكائن الحي. ويتم النضج الجنسي عند الانسان في مرحلة المراهقة. ويلاحظ في الحيوانات أنه توجد مواسم خاصة لنشاط الدافع الجنسي. فبعض الحيوانات مثلاً يتناسل بكثرة في فصل الربيع، وبعضها يتناسل بكثرة في الربيع والخريف. ويلاحظ أيضاً أن النشاط الجنسي يحدث عند إناث الحيوانات الثديية في دورات منتظمة متتالية بحيث تكون الأنثى مستعدة للنشاط الجنسي في فترة معينة فقط من هذه الدورات. أما في أنثى الانسان فلا نشاهد فعل هذه الدورات بوضوح.

وقد بينت الدراسات أن النشاط البدني العام يزداد أثناء فترة النشاط الجنسي. وقد لوحظ ذلك بوضوح في الدراسات التي أجريت على أنثى الفأر، فن المعروف أن الدورة الجنسية عند أنثى الفأر تتراوح بين ٤ و ٥ أيام، وأن أنثى الفأر تبدي نشاطاً زائداً كل أربعة أو خمسة أيام مما يتفق مع نظام دورتها الجنسية.

وتدل نتائج كثير من التجارب على أن الهرمونات الجنسية هي العامل الرئيسي في ظهور الدافع الجنسي وما يصاحبه من زيادة النشاط البدني العام، فقد استؤصلت الأعضاء التناسلية عند أنثى الفأر ولم يؤثر ذلك في نشاطها البدني العام، وحينما حقنت الفأرة بعد ذلك بهرمونات المبايض عاد إليها نشاطها الجنسي مرة أخرى.

ولا يظهر النشاط الجنسي عند ذكور الفئران، وذكور الحيوانات الثديية على وجه عام إلا في فترة البلوغ. وإذا خصيت ذكور الفئران بعد فترة البلوغ ضعف نشاطها الجنسي ونشاطها البدني العام بشكل واضح، ولكن النشاط الجنسي لا يزول نهائياً. وإذا حقنت بالهرمونات الجنسية عاد إليها نشاطها الجنسي بشكل واضح وزاد نشاطها البدني العام. أما إذا خصيت ذكور الفئران قبل البلوغ، فان ذلك يعطل ظهور نشاطها الجنسي تماماً. وتدل نتائج هذه التجارب على أن هرمونات الغدد التناسلية هي العامل الرئيسي في ظهور الدافع الجنسي عند الحيوانات العليا.

وتدل بعض الدراسات العليا الأخرى أيضاً على أن لهرمونات الغدة النخامية في أسفل المخ تأثيراً هاماً في ظهور الدافع الجنسي. فقد تبين أن هرمونات الغدة النخامية تعمل على تنبيه الغدد التناسلية وتدفعها إلى إفراز الهرمونات الجنسية.

وهناك كثير من الأدلة أيضاً على أن للهرمونات الجنسية تأثيراً هاماً في الدافع الجنسي عند الانسان. فإذا استؤصل المبيضان عند طفلة صغيرة، فان نشاطها الجنسي لا يظهر فيما بعد. وكذلك إذا أخصي الرجل بعد البلوغ فقد

تضعف رغبته الجنسية ولكن الشعور بالدافع الجنسي والقدرة على الاتصال الجنسي قد تستمر بعد ذلك مدة طويلة. وازالة المبيضين عند المرأة بعد وصولها إلى مرحلة البلوغ لا يؤثر كثيراً في استمرار رغبتها الجنسية ونشاطها الجنسي. ويرجع استمرار الرغبة الجنسية والنشاط الجنسي في هذه الحالات إلى استمرار بعض العادات والميول التي ، وان كانت في الأصل تعتمد على هرمونات الغدد الجنسية ، إلا أنها أصبحت فيما بعد مستقلة عنها. ولذلك نشاهد أن النساء يشعرن بالدافع الجنسي ويستطعن القيام بالنشاط الجنسي حتى بعد انقطاع الحيض عنهن.

أثر التعلم في الدافع الجنسي:

وبالرغم من أن الهرمونات الجنسية هي العامل الأساسي في اثارة الدافع الجنسي ، إلا أن للتعلم والخبرات التي يمر بها الانسان وما يكتسبه من عادات واتجاهات أثناء تنشئته الاجتماعية آثاراً كبيرة في نشاطه الجنسي. فقد يكون لبعض المخاوف الخاصة التي ارتبطت بالدافع الجنسي أثر كبير في اضعاف الرغبة الجنسية وتعطيل النشاط الجنسي عند النساء والضعف الجنسي عند الرجال ، وترجع هذه الحالات عادة إلى كبت الرغبة الجنسية نتيجة خوف أو قلق ، أو شعور بالاثم ارتبط بالدافع الجنسي مما يوضح أثر العوامل النفسية في اثارة الشهوة أو اخمادها.

ومن الممكن أيضاً أن يرتبط الدافع الجنسي بكثير من المنبهات الخارجية من مواقف معينة أو أشخاص معينين بحيث تكتسب هذه المواقف أو هؤلاء الأشخاص القدرة على اثارة الدافع الجنسي. ومن ذلك نرى أن النشاط الجنسي عند الانسان لا يعتمد على الهرمونات الجنسية فقط ، وانما أيضاً على عادات الانسان واتجاهاته وخبراته السابقة ، ولا شك أن للعوامل الحضارية أثراً كبيراً في الحاجات الجنسية.

وتلعب عوامل البيئة والتنشئة الاجتماعية دوراً كبيراً في تعجيل تقوية أو اضعاف الدافع الجنسي. وهي بمثابة المسؤول الأول عن الاتجاهات الجنسية

عند الأفراد. وليس لهرمونات الجنس دور كبير في الاتجاهات والكفايات الجنسية، فوفقا للعادة المكتسبة وما يألفه الفرد من نشاط جنسي تتشكل كفايته الأدائية فتزيد أو تنقص بحكم العادة، سواء توافرت الهرمونات بدرجة طبيعية أو بدرجة زائدة.

وللتعلم أيضاً أثر كبير في اكتساب بعض الاتجاهات الجنسية الخاصة. فقد يتعلم الفرد العادة السرية، أو الجنسية المثلية، أو بعض الانحرافات الجنسية. وفي الحقيقة أن معظم الانحرافات الجنسية الأخرى التي نشاهدها عند بعض الناس انما هي عادات واتجاهات قد تعلموها نتيجة بعض الخبرات الخاصة التي مرت بهم.

دافع الأمومة:

تبدي الأمهات في مجتمعنا الانساني، وفي المجتمع الحيواني أيضاً اهتماماً خاصاً بنسلهن. فهن يقمن بتغذية صغارهن والعناية بهم ورعايتهم، والدفاع عنهم. ولما كان هذا السلوك شائعاً بين معظم الأمهات، فقد قال العلماء بوجود دافع خاص بالأمومة يصدر عنه سلوك الأمومة المتعلق بتغذية الصغار ورعايتهم وحمايتهم. وقد اهتم علماء النفس بدراسة دافع الأمومة عند الحيوانات الثديية. واستطاعوا بذلك الحصول على كثير من المعلومات المهمة عند دافع الأمومة.

ولقد بينت الدراسات التي أجريت على الفئران البيضاء وجود سلوك واضح للأمومة. فحينما تلد الفأرة تبدي اهتماماً كبيراً بصغارها، فهي تلعقهم وتقطع الحبل السري وتأكل المشيمة، وتبني عشاً من أية مادة في متناول يدها، ثم تضع صغارها في العش وتقبع فوقهم لحمايتهم. وإذا ابتعد أحد صغارها عن العش، فانها تعيده إليه. وإذا قام أحد بإبعاد صغارها عنها عنوة فانها تبذل مجهوداً كبيراً للوصول إليهم وهي تتغلب في سبيل ذلك على كثير من العقبات وتتحمل كثيراً من الآلام.

وبينت الدراسات الفسيولوجية الكثيرة وجود أساس فسيولوجي لدافع الأمومة. فقد تبين مثلاً أن لهرمون «البرولاكتين» (Prolactin) الذي تفرزه الغدة النخامية أهمية كبيرة في تنشيط دافع الأمومة. فاذا حقنت فأرة عذراء بهذا الهرمون فانها تظهر اهتماماً واضحاً بالعناية بصغار الفئران، كما أنها تقوم ببناء عش لها كما تفعل الأمهات عادة. وإذا حقن فأر ذكر بهذا الهرمون أظهر أيضاً اهتماماً غير عادي برعاية الصغار، وقام ببناء العش كما تفعل الأمهات.

وتشترك الأمهات من النوع الانساني مع الأمهات من الحيوانات الثديية في كثير من التغيرات البدنية المصاحبة لعملية الحمل، والولادة، والرضاعة. غير أن سلوك الأمومة عند المرأة وعنايتها بأطفالها، واهتمامها بهم يختلف من حضارة إلى حضارة، ويتأثر كثيراً بعوامل التعلم، والتقاليد، والعادات الاجتماعية.

وهكذا نجد أن لدوافع الأمومة أساساً فسيولوجياً هو التغيرات البدنية التي تحدث عند الحمل والولادة والرضاعة، ولذلك فدافع الأمومة دافع فطري، ويتخذ سلوك الأمومة عند الحيوانات نظاماً معيناً ثابتاً بحيث لا نستطيع أن نكرر الطابع الغريزي الفطري في هذا السلوك. غير أن سلوك الأمومة عند الانسان يتأثر كثيراً بعوامل الحضارة والتعلم، ولذلك نشاهد اختلافات كثيرة في سلوك الأمومة في المجتمعات المختلفة، كما نجد اختلافات كثيرة في سلوك الأمومة في المجتمع الواحد. ففي المجتمع الواحد قد نجد بعض الأمهات يهملن في العناية بأطفالهن، ومنهن من يقمن بتحديد النسل، وفي بعض المجتمعات يلجأ بعضهن للتخلص من الجنين عن طريق الاجهاض، غير أن كل هذه الأمور انما تحدث تحت ضغط العوامل الاجتماعية والظروف الاقتصادية، ولا يمكن أن نتخذ من ذلك دليلاً على أن دافع الأمومة غير فطري.

الدوافع المكتسبة

تنشأ الدوافع المكتسبة من التفاعل مع البيئة التي نعيش فيها، فكل فرد يعيش في بيئة اجتماعية، وهذه البيئة تمثل المجال السلوكي الذي يتفاعل معه فيتأثر به ويؤثر فيه. ففي كل مرحلة من مراحل النمو يكتسب الانسان عدداً من الاتجاهات والميول والعادات، وتصبح هذه التكوينات الجديدة دوافع مكتسبة، وربما يكون لها نفس قوة الحاجات العضوية.

والانسان لا بد وأن يعدل من دوافعه الأولية بالطريقة التي تلائم نظم مجتمعه. وعلى ذلك فالدوافع الفطرية هي الأساس الذي تقوم عليه الدوافع المكتسبة إذ ان هذه الأخيرة تنشأ أثناء اشباع الفرد لدوافعه الفطرية.

فالطفل الحديث الولادة ليس لديه سوى الدوافع الفطرية، ولذلك فالأشياء التي لها قيمة أساسية عنده هي الأشياء التي تشبع دوافعه الفطرية. ولكن لا تلبث أن ترتبط هذه الأشياء بأشياء أخرى تتعلق بها فيتجه شعور الطفل نحوها بالحب فعلاقة الطفل بأمه، في أول الأمر، تكون قائمة على أساس اشباعها لحاجاته الأولية. فهي مصدر غذائه وشرابه وأمنه. ولكن لا يلبث أن تتكون لديه عاطفة حب نحوها اكتسبها عن طريق صلته بها وتحقيقها لحاجاته ورغباته. وهذه «العاطفة» تعتبر دافعاً شعورياً مكتسباً.

كما يحدث نتيجة محاولة الانسان اشباع حاجاته الأولية أن يصطدم بقيود المجتمع والعادات والعرف والتقاليد، فيحدث صراع بينه وبين المجتمع فيضطر إلى كبت هذه الحاجات في اللا شعور. وتكرار الكبت أو الحرمان يؤدي إلى تكوين «العقد النفسية» وتصبح هذه العقد دوافع لا شعورية مكتسبة.

اذن هناك نوعان من الدوافع المكتسبة هما:

(أ) الدوافع المكتسبة الشعورية (مثل العواطف).

(ب) الدوافع المكتسبة اللا شعورية (مثل العقد النفسية).

أمثلة للدوافع المكتسبة الشعورية

تصنف الدوافع المكتسبة بوسائل متعددة، فالبعض يصنفها إلى دوافع اجتماعية مثل الميل إلى الاجتماع والميل إلى اختيار أصدقاء والميل إلى السيطرة وتأكيد الذات.. الخ. ودوافع شخصية أو ذاتية مثل الحاجة إلى الحنو والانتماء والنجاح والاستقلال والميل إلى التملك.. الخ والبعض الآخر يصنفها إلى حاجات أربع وهي الحاجة إلى الأمن (Security) والحاجة إلى التقدير (Recognition) والحاجة إلى الاستجابة (Response) والحاجة إلى خبرات جديدة (New Experiences) وهذا ما فعله (Thomas).

ونجد البعض يذكر عدداً كبيراً من الحاجات، ومن هؤلاء مواري (Murrey) (*) وقد ذكر ثماني وعشرين حاجة. أما هلجارد (Hilgard) فانه يفضل تقسيم الحاجات إلى حاجات انتمائية (Affiliative Needs) وحاجات تتعلق بالمركز (Status Needs) وهذا التقسيم في رأيه يسمح بمقارنة هذه الحاجات في الثقافات المختلفة. والحاجات الانتمائية تتضمن الحاجة إلى العطف والحب (need for love & affection) والحاجة إلى الانتماء (belonging) وغيرهما. والحاجة إلى المركز تتضمن الحاجة إلى السيطرة والخضوع، والحاجة إلى المكانة (Prestige) والحاجة إلى القوة (Power) والحاجة إلى الأمن (Security) (**).

وسنتحدث عن كل منها باختصار:

١ - الحاجة إلى العطف والحب:

وتتوقف هذه الحاجة على علاقة الطفل بأمه. فالأم تسد حاجات الطفل الأولية فتصبح مصدراً للراحة والعطف والحب فتتكون بذلك الحاجة لها.

(*) Murray: Explorations in Personality.

(**) المرجع في علم النفس للدكتور سعد جلال.

ويصبح في غيابها تعاسة للطفل وفي وجودها سعادة له. ويختلف مدى ما تبديه الأم من عطف نحو أطفالها باختلاف الثقافات. ففي بعض الثقافات لا تقوم الأم بارضاع الطفل أو رعايته، بل تترك هذا للأب ولأخوة الطفل الذين يصبحون مصدراً للعطف. وفي ثقافتنا لا يفطم كثير منا عاطفياً عن الأم. وتظل هذه الحاجة قوية حتى بعد الزواج، فنطلب هذا العطف من الزوجة التي تصبح بديلة للأم.

٢ - الحاجة إلى الانتماء:

من الحاجات الهامة أن يشعر الفرد بأنه ينتمي إلى أسرة، وينتمي إلى جماعة من الأصدقاء، وينتمي إلى جماعة مهنية معينة، وينتمي إلى وطن معين، وأن يعتز بانتمائه لهذه الجماعات، وتعتز الجماعة بانتمائه إليها. وترجع هذه الحاجة أيضاً إلى العلاقة بالأم وأفراد الأسرة والروابط التي تتوطد بين الفرد وأسرته. والفرد إذا شعر بعزلته وعدم انتمائه لمثل هذه الجماعات اعتراه القلق والضيق والحزن. ويتعرض بعض أعضاء البعثات العلمية للانهيار العصبي في أوائل مراحل دراستهم في الخارج لشعورهم بعدم الانتماء إلى الثقافة الجديدة التي انتقلوا إليها وعدم اشباع هذه الحاجة فيهم.

الحاجات التي تتعلق بالمركز:

ويعرف المركز بأنه المكانة التي يحتلها أي فرد في أي نظام اجتماعي في أي وقت من الأوقات. فالفرد له مكانة ومركز معين في أسرته. وله مكانته ومركزه في جماعة أصدقائه، وفي مهنته، وفي كل جماعة يتفاعل معها، وفي مجتمعه كلها. ويهم الفرد أن يحدد مركزه بالنسبة للأفراد الذين يتعامل معهم. وليس من الضروري أن يسعى إلى مركز الزعامة، أو يكون مرتفع الشأن حتى يشعر بالطمأنينة. ولننظر الآن في بعض الحاجات المتصلة بالمركز.

١ - الحاجة إلى السيطرة:

ان الرغبة في السيطرة واقرار الذات من الدوافع الانسانية الشائعة. ويظهر

دافع السيطرة بوضوح فيما نشاهده بين أفراد المجتمع من تنافس شديد. فالأطفال يتنافسون فيما بينهم في اللعب وفي المدرسة وفي البيت، ويحاول كل طفل عادة أن يتفوق على زملائه. وأن يسيطر عليهم، وأن يحتل بينهم مكان الصدارة والزعامة ويتنافس الكبار أيضاً في سبيل الرزق، وفي سبيل الشهرة وتولي المناصب العليا والاستيلاء على مصادر القوة في المجتمع.

ونستطيع أن نشاهد مظاهر السيطرة بين الحيوان أيضاً. فمن المعروف عن الديوك أنها تتشاجر فيما بينها حتى يظهر ديك قوي يخضع بقية الديوك لسيطرته ونفوذه. ويظهر في مجموعة الديوك عادة نوع من التدرج في الزعامة. فالديك الأقوى يخضع جميع الديوك الأخرى لسيطرته. والديك الثاني في القوة يسيطر على جميع الديوك التي تكون أضعف منه ولكنه يخضع للديك الأقوى منه وهكذا. ونشاهد أيضاً في مجتمع الأفيال أنها تخضع لرئاسة الفيل الأقوى الذي يقودها في تحركاتها في الغابة. ونشاهد ذلك أيضاً في مجتمعات القردة والشمبانزي والبط والأوز واسراب الطير التي نشاهدها وهي تطير في نظام دقيق خلف قائدها.

وقد دفعت مثل هذه الملاحظات بعض الباحثين مثل ماكدوجال (Mc Dougall) وألفرد أدلر (Adler) إلى اعتبار السيطرة «غريزة فطرية». ويذهب ألفرد أدلر على وجه خاص إلى اعتبار «السيطرة واقرار الذات» من أقوى وأهم الدوافع الانسانية، بل انه يعتبرها الغريزة الرئيسية التي توجه حياة الانسان وتؤثر في شخصيته وسلوكه.

وان الاعتقاد بوجود غريزة فطرية للسيطرة اعتقاد خاطئ لا تبرره الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة التي ذكرت وجود بعض المجتمعات الانسانية التي لا يظهر فيها دافع السيطرة بوضوح. ففي قبائل الآرابش (arapesh) التي تقطن غينيا الجديدة، تعتبر الزعامة حملاً ثقيلاً، وعبئاً غير مرغوب فيه، ويتهرب منه جميع الأفراد، مما يضطر القبيلة إلى فرض الزعامة على بعض الأفراد رغماً عنهم، وان الشخص العادي من قبيلة الآرابش شخص متعاون

رقيق، وديع، غير ميال إلى اثبات ذاته واظهار سيطرة على الغير. فمظاهر السيطرة تعتبر في هذا المجتمع سلوكاً شاذاً يتجنبه الأفراد.

اذن دافع السيطرة ليس غريزة وانما هو نتيجة للحضارة والعوامل الاجتماعية التي ينشأ فيها الأطفال. فاذا كانت الأسرة تدفع الطفل دائماً إلى التنافس مع الغير، وإلى التفوق عليهم، وإذا كانت الأسرة تعاقب الفشل والضعف وتشجع القوة والانتصار والتفوق، فاننا لا شك سنتوقع اكتساب الأفراد لدافع السيطرة واقرار الذات نتيجة لهذه التربية.

ولبعض التجارب الشخصية تأثير مهم أيضاً في اكساب دافع السيطرة، فاذا كان التجاء الطفل إلى العدوان والتنافس والسيطرة مفيداً في اشباع حاجاته ودوافعه الأخرى، فانه سيميل في المستقبل إلى الالتجاء لمثل هذه الأساليب التي أثبتت نجاحها في الماضي. أما إذا لقيت أساليب التنافس والسيطرة عند بعض الأطفال فشلاً، أو إذا أدت إلى العقاب أو الحرمان والضرر، فان هؤلاء الأطفال سيميلون في المستقبل إلى الاقلاع عن أساليب السيطرة وقد يكتسبون اتجاهات الخضوع كوسيلة مفيدة في إشباع دوافعهم وتحقيق أهدافهم.

٢ – الحاجة إلى المكانة (Prestige).

يختلف الناس فيما بينهم فيما يسعون إليه لكسب المكانة. فمصادرها متنوعة متعددة. ويستمد الفرد معاييرها من جماعة يحاول أن يقارن نفسه بها ويسعى لاكتساب الميزات التي جعلت لها المكانة. فقد يرى طالب أن يكون طبيباً كوالده أو مثل عمه. وقد تسعى أسرة ما إلى تعليم أبنائها حتى تكون في مستوى أسرة معروفة. وقد يسعى فرد للحصول على المال لكي يكون في مستوى شيخ القبيلة... ولا تتوقف المقارنة عند حد اقتباس معايير المكانة فقط، بل تشمل أيضاً مقارنة النفس بالغير للتأكد من امتياز الفرد عن هذا الغير. وهذا الدافع مكتسب.

وتختلف الثقافات فيما بينها فيما يكسب المكانة. ففي بعضها قد يكون ذلك بعدد ما يملكه المرء من قطعان الغنم والابل، وفي ثقافة أخرى بما يملكه

الفرد من أرض أو عقار، وفي ثقافة ثالثة بعدد الزوجات أو عدد البنات وهكذا..

٣ – الحاجة إلى القوة:

هذه الحاجة وان كانت متصلة بالحاجة إلى المكانة إلا أنها مختلفة عنها، فالأخيرة فيها حاجة إلى التقدير، بينما الحاجة إلى القوة فيها الرغبة في التأثير على الغير وتحريكهم تبعاً لارادة الفرد. ومن أمثلة هذه الحالات حالة من تنقصه الكفاءة والمؤهلات في الميدان الذي يعمل فيه مع زملائه، فيلجأ إلى تحريك رئيس العمل من وراء ستار، ويحاول السيطرة على زملائه بتصيد أخطائهم ورشوتهم بما قد يخضعهم لسلطانه عن طريق الاعتراف بالجميل. وإذا حاول إيذاء واحد منهم لم يقم بهذا العمل بنفسه بل دفع الغير ليحقق له ما يريد، فليست المكانة التي اكتسبها مما يسعى إليه الكثيرون إذ لم تكن مكانة محببة. إلا أن سعادته كانت في القوة التي يشعر بها في تحريك الغير من وراء ستار، ويصدق على مثل هذه الحالة تعليل أدلر (Adler) بأن فيها محاولة للتعويض عن الشعور بالنقص.

والطفل في نموه يحاول السيطرة على جسمه وعلى عالمه المادي والاجتماعي لكي يشعر بالقوة، إلا أن هذه العملية لا تتم بسهولة، لأن العالم الذي يحيط به مليء بالقوى التي تعوقه عن بلوغ هدفه، وأهم هذه القوى قوة الكبار. فاذا ما مرت بالطفل خبرة لم تستثر بها ذاته وأدت به إلى القلق، لجأ إلى اللعب وإلى عالم الخيال فيمثل فيه هذه الخبرة التي تعسر عليه هضمها حتى يسيطر على الموقف. ويمثل الطفل في لعبه الايهامي أدوار من يمثلون القوة ليشعر بأنه قوي مثلهم، فيمثل دور العسكري ودور الضابط ودور الأب..الخ.

٤ – الحاجة إلى الأمن:

ان الهدف الذي ترمي إليه كل الحاجات الاجتماعية هو الشعور بالأمن والطمأنينة. وعدم اشباع هذه الحاجات يؤدي إلى الشعور بالقلق والتعاسة

واحتقار الذات.

هذه ما هي إلا أمثلة من الدوافع الاجتماعية التي تؤثر في سلوك الفرد. وهناك أيضاً الدافع إلى الاستجابة العاطفية، والدافع إلى تقدير الذات، ودوافع تحقيق الشعور بالأمل..الخ.. وان الدوافع والحاجات الاجتماعية ذات مرونة تكسبها ديناميكية تجعلها في تفاعل دائم مع الفرد والبيئة والموقف الكلي.

ويعتبر اشباع هذه الحاجات أساسياً لتحقيق النمو النفسي وتكامل شخصية الطفل.

وبالرغم من أن السلوك قد توجهه حاجة واحدة غالبة، فانه من المتفق عليه أن عدة حاجات غالباً ما تعمل مجتمعة على توجيه سلوك الفرد. ويطبق ذلك بصفة خاصة على الحاجات النفسية والاجتماعية، وعلى هذا فان سلوك الفرد تحدده أكثر من حاجة. ولهذا لا بد أن نضع في اعتبارنا دائماً أن هناك أكثر من سبب واحد يكمن وراء السلوك الذي نلاحظه. وبالتالي فان السلوك المعين قد يشبع أكثر من حاجة واحدة في وقت واحد.



الفصل الثالث

التفاعل الاجتماعي واهداف الجماعه

الاتجاهات النفسيه و القيم

التفاعل الاجتماعي وأهداف الجماعة

تعريف :

اهتمت تعاريف «الجماعة» بتأكيد جوانب معينة تختلف إلى حد كبير أو صغير من تعريف إلى آخر. وسوف نستعرض في إيجاز بعض هذه التعاريف :

١ - يعرف كرتشه وكرتشفيلد (Krech & Cruchfield) الجماعة بانها شخصان أو أكثر توجد بينهم علاقات سيكولوجية صريحة أي أنـه بالنسبة لكل عضو في الجماعة ، يجب ان تكون هناك علاقة سيكولوجية بينه وبين الأعضاء الآخرين . بحيث يتأثر بسلوكهم وخصائصهم .

٢ - وكذلك يتخذ كيرت ليفين (K. Lewin) التفاعل بين الافراد أساساً للجماعة . وهو يرى ان التشابه بين الأعضاء قد يكون أساساً صالحاً إذا كان المقصود هو تشابه الاتجاهات ، أو الأهداف . أو الولاء . أو وجود عدو مشترك . وبالطبع . قد يوجد هذا التشابه مرتبطاً بالتفاعل المتبادل بين الأشخاص المشتركين . أو قد يكون سبباً له .

٣ - ويهتم كاتل (Cattell) بأهداف الجماعة أكثر من اهتمامه بالتفاعل الداخلي بين الأفراد . وهو يعرف الجماعة بأنها مجموعة من الكائنات يستخدم تواجد الكل فيها في إشباع بعض حاجات كل منهم .

٤ - ويحدد جيب (Gibb) هذا المفهوم تحديداً أدق فيعرف الجماعة الوظيفية بأنها تشير إلى كائنين أو أكثر في تفاعل لتحقيق هدف مشترك ، وبصورة يكون فيها وجود الافراد مشبعاً لبعض حاجات كل منهم . ويرى جيب في هذا التعريف توفيقاً بين عدد من التعاريف السابقة لأنه يميز الجماعة بنوع من العلاقة والتفاعل بين أفراد يتغير كل منهم نتيجة

لعضويته في الجماعة. وهو أيضاً يميزها بأهداف مشتركة تحقق الإشباع لبعض حاجات الأفراد المشتركين في الجماعة.

٥ - ويقرب من هذه المعاني تعريف نيوكمب (Newcomb) للجماعة بأنها شخصان أو أكثر يشاركان في المعايير المتصلة بموضوعات معينة. وتتشابك أدوارهم الاجتماعية تشابكا وثيقاً.

• • •

ويسهل علينا بعد عرض هذه التعاريف توضيح المعنى المقصود بكلمة «ديناميات». وقد كان ليفين يرى ان الجماعة تتميز بأنها «كل ديناميكي» ويعني ذلك في نظره أن التغير في حالة أي جزء من أجزاء الجماعة يؤدي إلى تغير في أي جزء آخر. فمثلاً، إذا أردنا ان ندرس ديناميات جماعة كالعائلة، أمكن ان نبحث مشكلات تغير بنائها، وسلوكها في ظروف مختلفة مثل التهديد الخارجي، والتغير في علاقات السلطة نتيجة لوفاة عضو من العائلة، أو انضمام عضو آخر لها بالزواج كما يمكن ان نبحث كيفية اتخاذ العائلة لقراراتها جماعياً وقيامها بعملها تعاونياً، واشتراكها كجماعة في اللعب والترفيه. وتدرس هذه المشكلات وغيرها عن طريق قياس علامات الجمود المرونة في العلاقات الاجتماعية، والجو الاجتماعي ومراكز السلطة، وعن طريق الربط بين كل هذه العلامات.

أي ان الباحث في ديناميات الجماعة لا يكتفي بمجرد وصف خصائص الجماعات أو صور السلوك الجماعي ولكنه يهتم بمعرفة كيف تتوقف الظواهر التي يلاحظها بعضها على البعض الآخر، وما هي الظواهر الجديدة التي قد تنتج عن خلق ظروف لم يسبق ملاحظتها، أي انه يهدف إلى الكشف عن الأسس العامة التي تحدد أيَّ الظروف تنتج عنها أي الآثار، وبذلك يتضح للباحث كيف تعتمد الخصائص والعمليات الجماعية بعضها على البعض الآخر. وبذلك يلقي الضوء على موضوعات مثل التغير ومقاومة التغير، والضغوط الاجتماعية، والتأثير، وجاذبية الجماعة وتماسكها الخ... وتتضمن هذه المصطلحات وجود قوى اجتماعية وسيكولوجية تشير إلى الجوانب الدينامية للجماعات.

أنواع الجماعات:

تصنف الجماعات على أسس متعددة مثل الحجم (اي عدد الأعضاء)، درجة توثق العلاقات بين الأعضاء، التقارب المكاني، مستوى التماسك، مركز ضبط النشاط الجماعي، نزعة الأعضاء إلى التفاعل بعضهم مع البعض الآخر على أساس شخصي أو على أساس الأدوار التي يقومون بها. ورغم أنه من الممكن الجمع بين أكثر من أساس واحد من هذه الأسس في تصنيف الجماعات، الا ان النزعة الغالبة اتجهت إلى التصنيف

الثاني مثل تصنيف الجماعات إلى رسمية وغير رسمية، أولية وثانوية، صغيرة وكبيرة. مؤقته ودائمة، وأحياناً تصنيف الجماعات الى جماعات عمل أو جماعات دينية أو فرق أو عصابات، الخ...

ومن أمثلة تصنيف الجماعات ما يراه كرتش وكرتشفيلد من أنه من المفيد أن نميز الجماعات على أساس الحجم، وفترة الدوام، والشكلية.

الجماعة المرجعية: Reference Group

الجماعة المرجعية هي الجماعة التي يرجع اليها الفرد في تقويم سلوكه الاجتماعي * وهي الجماعة التي يربط نفسه بها أو يأمل في أن يرتبط بها نفسياً. ويتأثر سلوك الفرد بالأفراد الآخرين والجماعات التي ينتمي اليها. بمعاييرها واتجاهاتها. والجماعة المرجعية هي تلك الجماعة التي يلعب فيها الفرد أحب الأدوار الاجتماعية إلى نفسه وأكثرها إشباعاً لحاجاته. والفرد يشارك أعضاء الجماعة المرجعية الدوافع والميول والاتجاهات ويستدخل قيمهم ومعاييرهم ومثلهم ويتوحد مع الجماعة. وهكذا يعتبر الفرد الجماعة المرجعية جماعته ويعتبر معاييرها معاييره.

أنواع الجماعات المرجعية:

١ - جماعات عضوية ينتمي اليها الفرد فعلاً، وتشمل:

(أ) جماعات المواجهة الصغيرة: ويكون فيها التفاعل الاجتماعي وجها لوجه مثل الأسرة أو وحدة العمل.

(ب) جماعات ينتمي اليها الفرد ولكن دون تفاعل اجتماعي وجها لوجه مثل تنظيم سياسي أو جمعية علمية دولية.

٢ - جماعات ينتمي إليها الفرد بصورة آلية مثل السن وجماعة الجنس والجماعة الثقافية، الخ...

٣ - جماعات متوقعة أو منتظرة. وهذه لا ينتمي إليها الفرد فعلاً ولكنه يتوقع أو ينتظر أو يطمح في الانتماء اليها مثل جماعة الطلاب في السنوات النهائية أو رابطة الخريجين.

تأثير الجماعة في السلوك:

تؤثر الجماعة المرجعية في السلوك عن عدة طرق أهمها:

* Hyman, H.H: The Psychology of Status 1942

١ - تحديد الاطار المرجعي لسلوك الفرد الذي يلخص كل العوامل الخارجية والداخلية.

٢ - تحديد أنواع السلوك، حيث تحدد الجماعة المراجعية أهم المعايير الاجتماعية وأقوى الاتجاهات النفسية وأقوى القيم. ومن ثم تحدد السلوك الاجتماعي للفرد من حيث ما هو مقبول وما هو مفروض أو ما هو حلال وما هو حرام.

٣ - تحديد مستويات الطموح، حيث يحاول الفرد الوصول إلى مستوى من هم أعلى منه في الجماعة من غنى أو شهرة أو كفاءة، الخ...

قوة التوحد:

تزاد قوة توحد الفرد مع الجماعة المرجعية نتيجة خمسة عوامل هي:

١ - زيادة المكانة المدركة للجماعة.

٢ - زيادة تكرار التفاعل بين الفرد وأعضاء الجماعة.

٣ - زيادة مدى إدراك الأهداف على أنها مشتركة بين أعضاء الجماعة.

٤ - زيادة عدد الحاجات الفردية المشبعة في الجماعة.

٥ - قلة مقدار المنافسة بين أعضاء الجماعة والفرد.

تأثير الهدف الجماعي:

يتمثل هذا التأثير في جوانب عدة أهمها سلوك الأعضاء والتفاعل بينهم وتقويم كل منهم للآخرين. وتشير الدراسات إلى انه اذا كان هدف الجماعة غير مقبول من نسبة كبيرة من الأعضاء، فإن سلوكهم يغلب عليه التمركز-حول-الذات. كما أنه يصعب التنسيق بين جهودهم. وقد لا يكون وعي الأعضاء أو اهتمامهم بالهدف الجماعي كاملا، ويزداد هذا الاحتمال بخاصة في الجماعات الكبيرة التي تكون العضوية فيها غير اختيارية، أو تكون بمجرد وسيلة لكسب العيش. وفي مثل هذه الجماعات، تتوقف درجة مساهمة الأعضاء في تحريك الجماعة نحو هدفها على علاقتهم بالمشرف على الجماعة، وعلى مهارة هذا المشرف في تخطيط السلوك الذي يحقق مطالب العمل بنجاح، وذلك لأن الأعضاء لا يهتمون اهتماماً أصيلاً بأهداف الجماعة. ومن ثم يزداد العبء في مثل هذه الحالات على المشرف، ويزداد احتمال وقوع صدام بين أوامره وبين اهتمامات الأفراد.

وكذلك تتأثر العلاقات بين الأعضاء بدرجة تقبلهم للهدف الجماعي، وقد يس...

التفاعل بين الأعضاء أو قد يعوق تحقيق الهدف الجماعي ، ويتوقف ذلك على طبيعة الاعمال التي يعهد بها إلى الأفراد ، وعلى توزيع العمل بينهم ، وعلى نوع مستوى آرائهم للعمل ، فضلا عن درجة تقبلهم للهدف الجماعي.

ويؤثر الهدف الجماعي على تقويم الأعضاء بعضهم للبعض الآخر. فحين يكون للجماعة هدف إجرائي واضح ومقبول. فإن يمكن إيجاد أساس لتقويم العمل الجماعي ، ومن ثم تتأثر مكانة العضو بدرجة اسهامه في تحقيق هدف جماعي معين. ولذلك ، فليس من المستغرب ان تجد العضو يقاوم تغيير هدف جماعي معين إذا كانت مهاراته وإمكانياته غير مناسبة لتحقيق الهدف الجديد. أما إذا لم يكن للجماعة هدف إجرائي ، فإن تقويم الأعضاء بعضهم للبعض الآخر يقوم غالباً على أسس أخرى مثل الجاذبية الشخصية أو السن أو المكانة في المجتمع الأكبر. ولعل الصلة واضحة بين هذه العوامل وبين ظاهرة القيادة.

تجارب من تأثيرات الجماعة *

بالرغم من ظهور بعض الابحاث التجريبية المتفرقة ، الا ان علم النفس الاجتماعي لم يبدأ بقوة دافعة إلا بعد بحث اولبورت عام ١٩١٩ عن أثر الجماعة في أداء الفرد. ولقد ظل المحور الرئيسي في تجارب المعمل لعلم النفس الاجتماعي دراسة السلوك في ظروف اجتماعية مختلفة. وسنعرض هنا بعض التجارب التي تعتبر ممثلة لأثر الجماعة.

التيسير والتعطيل :

تشير نتائج دراسة اولبورت إلى انه في حالة العمل مع جماعة يزيد الانتاج إذا كان النشاط من النوع الحركي ، ويقل في النوع إذا كان من النوع العقلي وقد أيد هذه الحقائق نتائج باحثين آخرين ، وإن كان التفسير الأصلي لأولبورت محتاجا لشيء من التحديد.

ومن ذلك نذكر على سبيل المثال بحث داشيل الذي اوضح ان زيادة الانتاج في الموقف الجماعي يمكن إرجاعها إلى عوامل التنافس التي لا يمكن ضبطها أكثر من إرجاعها إلى عملية التيسير الاجتماعي ، وإن دراسات هويتمور (Whittemore) تشير إلى ان تعمد اتخاذ الاتجاه التنافسي يؤدي إلى زيادة السرعة في العمل دون تغيير الظروف الموضوعية. ولكن لا تزال هناك تلك الحقيقة الخاصة بزيادة النشاط والعمل في الموقف الجماعي –حتى ولو لم تكن هناك مؤثرات تدعو للتنافس بينهم– وتكون هذه الزيادة أوضح كما لو كان الأشخاص يعملون فرادى.

---

* Katz . D. In Guilford: Fields of Psychology ترجمة الدكتور مختار حمزة

وقد قام لورنز (Lorenz) بدراساته على العمال في المصانع ، فقارن بين العمال حينا يعملون بمفردهم وحينا يعملون في جماعة. وكذلك قارن بين أداء الجماعة التي يوزع العمل فيها على الأفراد ، وبين المجهودات الفردية. وقد وجد ان إنتاج الجماعة المتعاونة يزيد ٤٠٪ عن إنتاج الأفراد ، ويعزى ١٠٪ من ذلك إلى ان نظام العمل الجماعي – من حيث سرعته وإيقاعه – يؤدي عن طريق التأثيرات البصرية والسمعية الصادرة عنه إلى تدعيم الجهد الارادي.

ومن التطبيقات التي تبين أثر التعطيل الذي تحدثه الجماعة دراسة ترافيز (L.E. Travis) على نفر قليل ممن يتصفون بالتهتهة. عشرة من هؤلاء طبق عليهم اختبار تداعي المعاني غير المقيد في موقف «فردي» وموقف «جماعي».

وكانت النتيجة ان ثمانية من العشرة ذكروا من الارتباطات حينا كانوا يختبرون وهم على انفراد أكثر من تلك التي ذكروها وهم مجتمعون. ويبدو ان ارتباك هؤلاء الأشخاص في المواقف الاجتماعية ينتقل من المواقف الشفهية إلى المواقف التحريرية أيضاً.

أثر التسوية : (الاقتراب من المستوى العام للجماعة)

اظهرت الدراسات المبكرة التي قام بها مود (Moede) ان هناك محاولة للوصول إلى مستوى الجماعة نفسه ، أو بعبارة أخرى يميل الأفراد الذين يغلب عليهم البطء الى الإسراع ، ويميل المسرعون إلى الإبطاء. وقد أيدت هذا الكشف نتائج لورنز فيما يختص بعمال المصانع. ففي جماعة معينة من العمال يعملون حول منضدة ظهر ان اسرع العمال أخذ يبطئ ولكن ليس إلى الحد الذي أسرع به أبطأ العمال. ولا يقتصر الأمر على تأثر الأفراد بالجماعة ، ولكن تبين ان الجماعات تتأثر بجماعات أخرى. فقد نقص إتقان جماعة جيدة وضعت لتعمل بين جماعتين قويتين أدى إلى رفع مستوى كفاءتها.

والناس لا يكيفون اداءهم فقط لموقف الذين يعملون معهم ، ولكنهم يعدلون أيضاً آراءهم وأحكامهم في اتجاه معيار الجماعة. ولقد أجرى أولبورت تجربة كان المختبرون فيها يحكمون على وزن أثقال معروفة ، وعلى روائح ، مرة في موقف جماعي ، ومرة وحدهم. وفي الموقف الجماعي لم تكن الأحكام تقال بصوت مرتفع حتى لا يعرف أحد إجابات غيره. وبالرغم عن الحقيقة ان رأي الأغلبية لم يعلن ، فإن الأفراد كانوا ميالين لتجنب الأحكام المتطرفة في الجماعة فكانوا يتجهون إلى معيار مناسب في الموقف الجماعي أكثر مما كانوا يفعلون في أحكامهم المنفردة.

ولقد درس مظفر شريف (M. Sherif) المشكلة من زاوية أخرى ، واظهر نمو معيار الجماعة في الأحكام الإدراكية في موقف بالمعمل ، وقد اتخذ شريف ظاهرة الحركة الذاتية كموقف مبسط قد يكون للإيحاء الاجتماعي أثر كبير فيه وفي التجربة التقليدية

للحركة الذاتية يحدق الشخص المختبر إلى نقطة مضاءة في غرفة مظلمة. ولو ان الضوء ثابت الا ان الشخص يراه عادة كأنه يتحرك إلى أعلى وإلى الجانب. وقد يرجع هذا جزئيا إلى تعودنا النظر للأشياء في إطار محدد ولكنه هنا غير موجود. ولقد كان عند شريف مجموعات من ثلاثة أو أربعة أشخاص يذكرون الحركات المدركة بصوت مرتفع. ووجد أنهم بالتدريج اتجهوا ناحية معيار جماعي. ولو انه كان لا يزال يوجد بعض الفروق بين أحكامهم الفردية. فإن المدى كان محدوداً. وكان المعيار والمدى مميزين للمجموعة وإذا ما مر الفرد بتجربة الجماعة هذه. فإن حكمه بعد ذلك حين يكون بمفرده يظل قريباً من معيار الجماعة القديم. ومضمون هذا ان المعايير التي نبنيها في خبرتنا الجماعية الخاصة تؤثر في تقرير سلوكنا وتحديده حين لا نكون في موقف الجماعة الأصلي. ولقد وجد شريف فضلاً عن ذلك ان بعض الأشخاص الذين أجرى عليهم تجارب. والذين سمح لهم بتكوين معاييرهم الفردية الخاصة قبل خبرة الجماعة لم يكونوا مستعدين للتأثر بسرعة بما يقوله زملاؤهم حينما وضعوا فيما بعد في موقف جماعي.

تتفق هذه النتائج مع أبحاث مور (Moore) وآخرين في أثر رأي الأغلبية. الناس يعدلون آراءهم ومعتقداتهم تبعا لما يقوله ويفعله الآخرون. ويتجهون شعورياً أو لا شعورياً نحو معيار الجماعة.

آثار المناقشة الجماعية:

لقد اهتم كثير من المجربين بدراسة آثار المناقشات الجماعية حول مشاكل واقعية. وحول حلول المشاكل العقلية. إن قانون الأنجلوساكسون يعتمد على الجماعة في تقدير الحقائق في محاكمة جنائية. والنظرية في ذلك هي ان المناقشة والمداولة بين اثني عشر شخصاً تتمخض عن حكم أكثر صدقاً من تقدير شخص واحد. فضلا عن ان هذه المناقشة ستساعد في الوصول إلى تقرير الصدق.

ولقد تناولت التجارب على آثار المناقشة الجماعية أربع مشاكل:

١ – كيف تؤثر المناقشة في دقة وكفاية الحكم على إدراكات أفراد الجماعة.

٢ – كيف تؤثر على دقة أحكامهم في تقدير شهادة الآخرين.

٣ – كيف تؤثر على حل المشاكل العقلية.

٤ – كيف تؤثر على أحكامهم الاجتماعية حول مشاكل خاصة بالقيم. ومن مساهمات الرواد في حل المشكلة الأولى. دراسة منستربرج (Münsterberg) عام ١٩١٤. لقد عرض منستربرج لفصوله بالجامعة بطاقات تحتوي على مجموعات كبيرة من النقط في مجموعات عشوائية، ولقد كان على الطلبة أن يصدروا أحكاماً فردية بخصوص

أي بطاقة تحتوي أشكالاً أكثر. وبعد المناقشة أصدروا أحكاماً ثانية. وفي أحد فصول الدراسات العليا، كان هناك تغيير من تصويت ٥١٪ صواب لتصويت ٧٨٪ صواب. ولكن في فصل آخر لطلبة لم يتخرجوا بعد، لم يكن هناك تحسن له دلالة كذلك درس بختروف ولانج (Bekhterev and Lange) أثر مناقشة الجماعة في تقدير الوقت وفي الادراك الحسي البصري. وقد طلبا إلى الاشخاص تقدير الفترة الزمنية بين دقتين على مكتب. وكانت الفترة دقيقة ونصفاً، وقد اقترب أناس أكثر من الإجابة الصحيحة بعد المناقشة منهم قبلها. وفي تجربة أخرى، طلب من ١٣ شخصاً أن يقرروا الفرق بين مجموعتين من الصور لكل من ٦ حيوانات معروفة. وكانت النتيجة انه لوحظ قبل المناقشة ٣٣ تفصيلا صحيحاً، و ٩ تفصيلات خاطئة. وبعد المناقشة ٤٠ صواباً، ٢ خطأ. وطلب من مجموعة ثالثة ملاحظة أوجه الشبه بين صورة امرأة بالغة وفتاة. وقد أدت المناقشة إلى رفع عدد أوجه الشبه إلى درجة كبيرة.

وبالرغم من ان تبادل الآراء في عملية المناقشة تساعد على رفع مستوى حكم الجماعة عن التقدير الأول، فإن من العوامل الهامة اختلاف الرأي الأصلي. ومعرفة كيفية الاختلاف. ولقد طلب جنس (Jenness) من بعض الطلبة ان يقدروا عدد حبات الفول في قدر، ثم قسم الطلبة الى حلقات مناقشة على أساس اختياري. فاحتوت إحدى الحلقات على طلبة كانوا يقتربون في تقديراتهم الأصلية. والحلقات الأخرى تضمنت أناساً كانوا يختلفون بعضهم عن البعض بدرجة كبيرة. وفي هذه الحلقات الأخيرة التي تمثل اختلاف الرأي وجد ان ٢٠ من ٢٦ فرداً تحسنت أحكامهم ونقص متوسط خطأهم بمقدار ٦٠٪. ومن المجموعة التي تمثل الاتفاق في الرأي ١٢ من ٢٤ فرداً تحسنوا. ولكن متوسط الخطأ نقص بمقدار ١٧٪ فقط.

والمشكلة الثانية، أثر المناقشة في تقدير شهادة الآخرين. قد تناولها داشيل (J.F. Dashiell) بدقة. فقد مثل حادثاً في أحد فصوله. وبعد ذلك طلب من طالبين، أحدهما كان يجلس قريباً والآخر بعيداً، وصف ما حدث أمام سبعة طلبة محلفين، ممن يدرسون علم النفس القضائي. وقد أخذ تسجيل مختزل لكي يلجأ اليه الباحث فقط. وبعد ذلك كتب كل محلف قصة كاملة بقدر الإمكان للحادث من ذاكرته وتفسير تقارير الشاهدين. بعد ذلك تقابل المحلفون وتناقشوا فيما قد حدث وأخيراً اتفقوا على تقرير للحادث. وكانت النتائج:

١ - ان المحلفين الأفراد لم يكونوا مستوفين في تقريرهم كأي من الشاهدين.

٢ - ان دقة الأفراد المحلفين في تقريرهم لم تصل إلى درجة دقة أكثر الشاهدين

دقة . ولم تكن ضعيفة بدرجة أقل الشاهدين دقة .

٣ - التقرير الجمعي لم يكن بدرجة استيفاء تقرير أي من الشهدين . بل حتى لم يكن بدرجة ستيفاء تقرير المحلفين الأفراد .

٤ - إن حكم الجماعة كان أكثر دقة من قرار أي فرد سواء من الشاهدين أو المحلفين . فهو قد أنقص متوسط خطأ المحلفين الأفراد بنسبة ٥٩٪ .

وفي سلسلة أخرى من التجارب . عرض داشيل فيلماً لقصة هزلية مثيرة للانفعالات على جماعات من ثلاثة إلى خمسة مشاهدين . هؤلاء المشاهدون أحضروا كل واحد بمفرده أمام مجموعات من المحلفين . وفي كل مجموعة من ١٢ إلى ١٥ فرداً . وأدلوا ببيان عن كل ما يمكنهم ان يتذكروه من هذا الفيلم . وبعد سماع المشاهدين كتب محلفون كل على انفراد ما يمكنه جمعه من قصص المشاهدين . ثم قسم المحلفون الى مجموعات من ثلاثة أو خمسة للمناقشة والمداولة حتى تستطيع ان تتفق كل مجموعة على صيغة أساسية للقصة الأصلية . وكان عدد مجموعات هيئات التحكيم ٢٤ . وفي كل حالة كان القرار النهائي لهيئة التحكيم أكثر دقة من متوسط تقدير الأعضاء المكونين لها . ومن بين ١٠٩ محلفين . ١٤ فقط وصلوا لتقديرات معادلة أو أحسن من تقديرات جماعتهم .

المناقشة الجماعية وحل المشكلات :

لقد درست المناقشة الجماعية فيما يتصل بأثرها في حل المشكلات العقلية . ولا ينصب الاهتمام هنا على تقدير الشهادة بل على حل المشكلة ، ولا يجوز أن نقرر تفوق المناقشة الجماعية الا اذا كانت نتائجها أحسن من متوسط العمل الفردي للأعضاء .

وقد قارن وضون (G. B. Watson) بين تعاون الجماعة وبين الأداء الفردي في أعمال تتنوع في الصعوبة من فهم الجمل إلى كشف مفتاح الشفرة . وقد عملت صور أخرى لكل الأعمال بنفس درجة الصعوبة حتى يمكن أن يعالجها الفرد نفسه أولاً بمفرده . وثانياً في لجنة أو جسة مناقشة وثالثاً بمفرده مرة أخرى . وقد ثبت تفوق الطريقة الجمعية في كل الأعمال بالقياس إلى متوسط الأداء الفردي . وكان الاختلاف ضئيلاً جداً في اختبار الفهم . ولكنه كبير في حل مسائل تكميل الجمل .

وأفضل ما تم من بحث بخصوص مقارنة الجماعة المتعاونة بالفرد في حل المشكلات العقلية قام به شو (Shaw) كانت تتضمن عدداً من الخطوات ، ويجب أن يكون كل منها صحيحاً للوصول الى الحل النهائي الصحيح . فمثلاً في احدى المسائل ، ذكر أنه يوجد ستة أشخاص ، ثلاث سيدات س١ ، س٢ ، س٣ ، وأزواجهن ز١ ، ز٢ ، ز٣ ، والجميع يقفون عند الجانب « أ » من النهر ، والمشكلة هي أن نجعلهم يعبرون الى الجانب الآخر

«ب» من النهر بواسطة قارب واحد يستطيع أن يحمل ثلاثة فقط في كل مرة بالشروط الآتية :

(أ) الا توجد زوجة بصحبة رجل آخر الا إذا كان زوجها حاضراً أيضاً.

(ب) أن كل الرجال يمكنهم التجديف بينما لا تستطيع ذلك أي واحدة من النساء.

كانت مجموعات تتكون كل منها من أربعة أفراد تعمل في غرف مستقلة، وكل شخص كانت له الفرصة أن يستجيب لاقتراح أي شخص آخر. ومجموعة أخرى من الأشخاص تناولت المشكلة فردياً. بعد اسبوعين، أعطى الذين كانوا يعملون في مجموعات مشكلات جديدة لحلها فردياً، بينما وضع الذين كانوا يعملون فرادى في مجموعات من أربعة للتعاون في حل المشكلة. وكان هناك تسجيل يدونه ملاحظ يلاحظ عملية التفاعل في كل حالة.

ولقد أظهرت النتائج برهاناً قاطعاً على تفوق الجماعة المتعاونة. ففي النصف الأول من التجربة، وصل المشتغلون الأفراد الى خمسة حلول فقط من بين ٦٣ حلاً صحيحاً ممكناً، بينما أنتجت الجماعة ثمانية حلول صحيحة من ١٥ حلاً ممكناً. ولقد أيد النصف الثاني من التجربة هذه النتائج. وحتى الجماعات المنتقاة بحيث لا تبالغ في تمثيل من يجيدون حل المشاكل برهنت على تفوقها على الأفراد.

وتفوق تقرير الجماعة تفسره الحقائق التي سجلت أثناء عملية الملاحظة. فالجماعة راجعت عملها بعناية أكثر من الأفراد ونبذت الاقتراحات الخاطئة. وعملية نبذ الاقتراحات هذه كانت تتضمن أحياناً نبذ بعض الاقتراحات الصحيحة، ولكن الاقتراحات الخاطئة التي رفضت بلغت خمسة أمثال الاقتراحات الصحيحة التي رفضت أيضاً. هذا ويلاحظ أن من العدد الكلي للاقتراحات، كانت الصحيحة فيها ضعف الخاطئة. وفضلاً عن ذلك، فان أخطاء الشخص يكتشفها شخص آخر أسرع مما يكتشفها الفرد نفسه. وفي موقف الجماعة، قد يرى المقترح لنفسه خطأ اقتراحه، ولكن الذي حدث أن الاقتراحات الخاطئة التي رفضها الآخرون بلغ مرتين ونصف مرة الاقتراحات التي رفضها أصحابها. وفي حالة الفرد الذي يعمل بمفرده غالباً ما كان يبدأ بداية خاطئة ولا يبصر خطأه. أما في حالة الجماعة، فهناك احتمال أكبر كثيراً لاكتشاف الخطأ في بداية الأمر.

هذه النتائج الخاصة بتفوق الجماعة على الفرد في الادراك، وتقدير إدراك الآخرين، وحل المشكلات العقلية، لا يمكن أن تعمم بحيث تشمل تقدير المشكلات الاجتماعية. إن القيم الأساسية للناس قد تتداخل في الموقف لدرجة أن التفاعل الاجتماعي قد يؤدي إلى

بمجرد تثبيت الخوف كما في حالة الحشد، أو يزيد من درجة الصراع بين العصبتين المتعارضتين. إن جمع الناس حول منضدة لتسوية الخلافات ليس بشرط كاف لضمان النجاح. حقيقة أن طريقة المؤتمر الجماعي يمكن استخدامها بكيفية مجدية، ولكن فقط في ظروف معينة، وعن طريق استخدام أساليب معينة.

وإذا تجدد عرض المشكلة واتجاهها أثناء مناقشة الجماعة، فيحتمل جداً الافادة من التفاعل الاجتماعي في مواقف حل المشكلات. ولقد أظهر بختروف ولانج في دراساتهما التجريبية في مشكلة تتضمن قيماً اجتماعية. فلقد عرضت على ٢٤ مدرساً بالمدارس العامة في أثناء دراستهم لبرنامج عن الطفولة صورتان، الصورة الأولى تبين ولداً يسرق تفاحا من حديقة تفاح مع ظهور البستاني يحمل عصا. وفي الصورة الثانية، قد قبض البستاني على الولد وأخذ يضربه. كتب المدرسون أولاً مارأوه على أنفسهم ثم كتبوا حكمهم على الموقف. وبعد ذلك ناقشوا المسألة في جماعة ودونوا أحكامهم ثانية، ولقد ظهر عدد من المتغيرات الهامة كنتيجة للمناقشة. فمثلاً قبل المناقشة، ذكر شخص واحد فقط أن الضرب خطأ من الناحية التربوية. وبعد ذلك ظهرت هذه الملاحظة في ١٢ تقريراً. وبالمثل شخص واحد فقط رأى قبل الاجتماع أن الضرب يعتبر سلوكاً همجياً في حين أن ٢٢ اتخذوا هذا الاتجاه فيما بعد. ولقد ذهب في الأصل ثلاثة فقط الى أنه يجب مراعاة دوافع الولد في حين أنه بعد المناقشة، رأى ١٨ منهم أنه إذا كان الجوع هو الحافز، فإن العقاب لا محل له. تبين هذه التجربة كيف أن الناس في جماعة سرعان ما يقبلون فكرة لم تطرأ لهم في الأصل. بل أحياناً يعطونها الأهمية الكبرى.

الجماعة كوسيلة للتغيير الاجتماعي

التصميم والتنفيذ في الجماعة:

من أولى التجارب التي أجريت على تغير الجماعة عن طريق مساهمة الأعضاء، تلك التي أجريت أثناء الحرب العالمية الثانية في محاولة لجعل ربات البيوت الأمريكيات يتنازلن عن القطع المختارة من اللحم، ويزدن من استخدام قلوب البقر والكلاوي والجزء المسمى «حلويات». وقد استخدمت في التجربة ست مجموعات من المتطوعات في الصليب الأحمر للتمريض المنزلي. ولم تتح للمجربات فرصة الاجتماع كل مرة الا مدة ٤٥ دقيقة فقط، وفي ثلاث من المجموعات الست، كانت تستخدم طريقة المحاضرات في ربط مشاكل التغذية بمجهود الحرب، مع الاستعانة باللوحات لبيان قيم التغذية لأنواع الطعام غير المفضلة. وقد أثارت السيدة المحاضرة انتباه المستمعات وتشوقهن وذلك باخبارها عن نجاحها

في عائلتها مع شرح وصفات الأكل التي تستعملها. أما في الثلاث مجموعات الأخرى، فقد استخدمت طريقة مختلفة، فعرضت المشكلة على المجموعة ثم ربطت بمجهود الحرب. والمناقشة هنا ساهمت فيها ربات البيوت أنفسهن، وركزت حول كيفية جعل ربات البيوت الأخريات يستعملن الأطعمة غير المفضلة، وتناقشن في العقبات التي تقف أمام هذه الخطة والطرق التي يمكن بها التغلب عليها. وقد استعانوا بخبير للأطعمة للإجابة عن الأسئلة. وفي نهاية المناقشة طلب الى السيدات المستعدات لمحاولة أحد هذه الأطعمة خلال الأسبوع المقبل برفع أيديهن وسجلت النتيجة. ثم توبعت النتائج فظهر فرق كبير بين الطريقتين، فثلاثة في المائة فقط من نساء مجموعات المحاضرة استعملت إحدى قطع اللحوم التي لم تستعملها قبل ذلك، بينما ٣٣٪ من سيدات مجموعات المناقشة استخدمت أحد هذه الأطعمة.

ويتضح تفوق القرار الجماعي على المحاضرة والتلقين من تجربتين أخريين على عادات الطعام. كانت الأولى حول الدعوة الى زيادة الاستهلاك المنزلي من اللبن الحليب بين ربات بيوت جمعن تبعاً للجيرة التي يعشن فيها. وقد أعطيت ثلاث مجموعات منهن محاضرة مشوقة للغاية بينما اتبعت الثلاث مجموعات الأخرى طريقة المناقشة خطوة خطوة. وبعد أسبوعين وأربعة أسابيع، بينت النتائج أن مناقشة الجماعة كانت أبعد أثراً في زيادة الاستهلاك المحلي للبن. ومما يستدعى النظر في هذه التجربة أن قائد جماعة المناقشة لم يكن إخصائياً مدرباً كما في الدراسة التي أجريت بخصوص اللحوم غير المفضلة. وعلى ذلك فالنتائج لا ترجع للمهارة الشخصية لأخصائي اجتماعي مجرب.

وقد اتبعت التجربة الثانية خطه مماثلة، ولكن في هذه الحالة كان الهدف زيادة استعمال أمهات الريف لعصير البرتقال وزيت السمك في تغذية أطفالهن، وفضلاً عن ذلك، فإن التلقين الفردي، لا المحاضرة، قد استعمل لنصف الأشخاص، والمناقشة للنصف الآخر ولو أن التلقين الفردي كان يعني انتباها أكثر من جانب الخبير لكل أمّ في المجموعة. فإن هذه الطريقة كانت بالتأكيد أضعف من مناقشة الجماعة. فقد أظهرت النتائج بعد أسبوعين وأربعة أسابيع أن عدد الأمهات اللاتي استخدمن عصير البرتقال وزيت السمك في تغذية أطفالهن كان أكبر في مجموع المناقشة من النصف الآخر الذي كان يتلقى تلقيناً فردياً.

قرار الجماعة والروح المعنوية بين عمال الصناعة:

وقد اتضح كذلك أهمية مساهمة أفراد الجماعة ووصولها إلى قرار جماعي في رفع مستوى العمل والأداء في الصناعة. إن صناع ماكينات الخياطة المجربين في أحد المصانع

كانوا يعقدون اجتماعات قصيرة مع السيكولوجي في المصنع مرة كل أسبوع لمدة ثلاثة اسابيع. وكانوا يتناقشون في هدف الانتاج الذي رأوا أنه يمكنهم الوصول اليه. ووصلوا في المقابلة الأولى إلى أنه يمكن الحصول على إنتاج قدره ٨٤ وحدة في الساعة مع العلم بأن المستوى كان من قبل ٦٠ وحدة. وكان المفروض أن أعلى ما يمكن الوصول اليه هو ٧٥ وحدة. وبعد قرار الجماعة توصلوا الى الهدف وهو ٨٤. وفي المقابلة الثانية رفعت الجماعة الهدف الى ٩٤ وحدة ولكنهم وجدوا أن ذلك أعلى مما يجب. وفي المقابلة الثالثة قرروا أن يجعلوا الهدف ٩٠ وحدة لمدة خمسة أسابيع. وقد أدى ذلك الى نسبة انتاج فعلية قدرها ٨٧ ليس فقط لمدة خمسة أسابيع ولكن لشهور بعد ذلك. وقد استعملت في التجربة جماعات ضابطة للمقارنة، واجتمع السيكولوجي بالعمال وطلب منهم أهدافاً أعلى. ولم تستخدم هنا طريقة المناقشة أو المساهمة في الوصول الى قرار. فكانت النتيجة أنه لم يكن هناك زيادة تذكر في الانتاج.

ومن الصعب ادخال تغيرات في طريقة العمل بين العمال وخاصة حينما تؤدي الى الاستغناء عن مهارة العامل بتبسيط العمل أو جعله آلياً. ففي مصنع لعمل الأثواب، حين اضطرت الشركة الى تبسيط عمليات الانتاج للوقوف في وجه المنافسة، قام فرنش (G.R. French) بتجربة لاستخدام مساهمة الجماعة. وفي أغلب أقسام الشركة نفذ التغيير بالطريقة العادية أي عن طريق منشور (تعميم) من الادارة مما أدى الى هبوط واضح في الانتاج. كما استدعي نفر قليل من موظفي الشركة وعرضت عليهم المشكلة. فناقشوا في الأمر وقرروا في النهاية أن أفضل حل هو تبسيط العملية بطريقة مماثلة للطرق الجديدة التي قدمتها الشركة لمجموعات العمل الأخرى. ونظراً الى أنهم قد أصدروا هم بأنفسهم القرار فتقدموا لتنفيذه. وكانت النتيجة ازدياد فعلي في الانتاج.

لماذا تكون قرارات الجماعة فعالة:

هذه التجارب تقدم مثلاً قوياً لدور الجماعة في تغيير سلوك الفرد واتجاهاته. إن كيرت ليفين في تفسيره النظري يفترض حالة توازن في أي جماعة ذات مستوى مستمر من الأداء. المستوى هو محصلة القوى التي تعمل على رفع الأداء من ناحية، وقوى المقاومة التي تعمل على الهبوط به من ناحية أخرى. هذا المستوى المستقر المتجمد يمكن أن نحطمه بادخال قوى جديدة. فاذا كانت هذه القوى الجديدة عوامل اضافية تسعى الى مستوى أعلى من الأداء. فقد يكون أثرها وقتياً. فاذا اختل التوازن بازالة قوى المقاومة. فان المستوى الجديد من الأداء يمكن أن يستمر على الدوام. فمثلاً، اذا كنا نحاول رفع مستوى التسامح

العنصري في طائفة، فاننا نستطيع أن نزيد القوى الفعالة التي تجعل الناس أكثر تساهلاً بالالتجاء الى شعورهم بالعدالة، وايمانهم بالديمقراطية. وبعد انتهاء مثل هذه المحاولة، قد نجد، على أي حال، أن الجماعة ترجع الى مستوى سلوكها السابق. فاذا كنا نعالج المقاومة داخل الأفراد عن طريق أساليب الجماعة ونغير اتجاهاتهم الأساسية، فان التغيير الناتج من ناحية التسامح سيكون كسباً دائماً. وهناك عمليتان اساسيتان في مساهمة الجماعة وقرار الجماعة تفسران الاستعداد الأكبر لتعديل السلوك أو الزيادة العظمى في الأداء عن طريق الاساليب الجماعية، تشتق العملية الأولى من اعتماد الفرد على الجماعة، فنحن نحتاج الى تعضيد زملائنا وسندهم، فعلى هامش الشعور يوجد دائماً الاحساس بأن الآخرين يتوقعون منا أن نسلك تبعاً لمعايير الجماعة. فمنذ الطفولة المبكرة نما فينا سلوك اجتماعي كجزء من نمط متبادل على أساس ما يتوقعه كل من الآخر. فلكي نتصرف تصرفاً صحيحاً يجب أن نرى سلوكنا منعكساً في أفعال الجماعة، فاذا كان معارفنا وأصدقاؤنا لا يرون العالم كما نراه، ولا يعبرون عن الاتجاهات نفسها ولا يتقبلون أفكارنا. ولا يعترفون بها، فان هذا سيؤدي الى وهن عزيمتنا. ولقد بين آش (S. Asch) في سلسلة من التجارب الاثر الهدام لجعل فرد ينحرف عن جماعته في تفسيرات لمنبهات ادراكية بسيطة. وقد تعاون الأعضاء الآخرون من الجماعة مع المجرب باصدار أحكام ادراكية مضادة لملاحظات أحد أعضاء الجماعة لم يكن يعرف أنه «شذ عنهم». وتحت هذا الضغط كان يتنازع المنحرف عاملان. التطابق مع الجماعة أو الأخذ بالحكم الذي كان يبدو دائماً صحيحاً بالنسبة اليه.

هذا الاعتماد على الجماعة أكثر من مجرد الرغبة في استحسان اجتماعي عام. فبينما نحن نريد بوجه عام أن يعترف بنا المجتمع ويكافئنا فاننا نتأثر بقوة بالناس الذين يحيطون بنا مباشرة، وبالجماعات المتجابهة والتي نشترك في عضويتها سواء بصورة رسمية أو غير رسمية. كما أننا نكون أيضاً متأثرين في أوجه النشاط اليومية التي تنعكس في سلوك من ترتبط بهم. ويقول ليفين «ان الخبرة في التدريب على القيادة، في تغيير عادات الطعام، في الانتاج في العمل، الاجرام، إدمان الخمر، والتحيزات، كلها تبين أنه عادة من الأسهل تغيير الأفراد في جماعة عن تغيير أي واحد منهم منعزلاً.

وهناك عملية أخرى فعالة في التجارب على التغيير عن طريق مساهمة الجماعة وقراراتها. واوجه النشاط هذه تحرك القوى الهائلة التي تتضمنها الدوافع الذاتية. فالفرد الذي يساهم في وضع الخطط والقرارات يمكنه أن ينظر الى هدف الجماعة الجديد كهدفه الخاص. فقيامنا بعمل قراراتنا الخاصة يعطينا شعوراً بالقوة والحرية فضلاً عن الشعور بالأهمية. والمساهمة في وضع خطط الجماعة تتيح لنا فرصة للتعبير عن قدراتنا عن

الشعور بالتطابق مع شيء أكبر من أنفسنا. وإن أغلب أعمال الروتين في العالم تتم عن طريق الدوافع الخارجية – عن طريق الثواب والعقاب – غير الملازمة للعمل نفسه. على أي حال. حينما نحاول الالتجاء إلى مصادر الدوافع الداخلية عن طريق إعطاء الأفراد فرصة للنظر إلى العمل كأنه خاص بهم. فيزداد الأداء زيادة كبرى.

وعملية جعل الدوافع أمراً داخلياً عن طريق استعمال الدوافع الذاتية، وعملية التقوية الجماعية السابق ذكرها، لا شك أنهما متصلان بعضهما ببعض. وكثيراً ما تقمع أنانية الفرد في سبيل التطابق مع معايير الجماعة. وصحيح أيضاً أن في تغيير اتجاهات الجماعة وعاداتهم، نجد أنه من الصعب معارضة الأحكام القائمة فعلاً داخل الجماعة وأن يمكن تعديلها بمحاولة ادخال أحكام من مصدر أقوى. ولكن تعديل حكم الجماعة يكون أكثر فاعلية اذا تم في الاتجاه المرغوب فيه. وهذا يمكن الوصول اليه عن طريق التصرف الديمقراطي للجماعة نفسها.

أثر عضوية الجماعة في قيم الفرد واتجاهاته

نمو الاتجاهات العنصرية:

إن قدراً كبيراً من المعايير الاجتماعية لثقافتنا اكتسبناها عن طريق العضوية. رسمية كانت أو غير رسمية. في جماعات كثيرة من مجتمعنا. وقد تبين لـ هارتلي وزوجته (Hartley) في دراستهما لنمو الاتجاهات نحو الزنوج أنه ليس الاحتكاك بالزنوج. ولكن الاحتكاك بالاتجاه السائد في المنزل والجيرة والجماعات الأخرى نحو الزنوج هو الذي يقرر التعصب أو التحيز. فاذا ما تكونت الاتجاهات والاعتقادات خلال عضوية الجماعة المبكرة فان المشكلة الطريفة تكون في قابليتها للتغير في الحياة فيما بعد حينما يصبح الفرد عضوا في جماعات جديدة مختلفة. ونجد أن هذه المشكلة ذات أهمية ضئيلة في كثير من الثقافات البدائية وفي المجتمع الاقطاعي نظراً الى أن الجماعات قليلة ومتفقة بوجه عام في تحديد قيمهم. وفي مجتمعنا الديناميكي نجد أن الناس غير ثابتين اجتماعياً ويدخلون خلال حياتهم كثيراً من الجماعات المختلفة. والدرجة التي يتغيرون بها عندما يصبحون جزءاً من جماعة جديدة تتوقف على عوامل كثيرة: مثلاً درجة الاتصالات الأصلية وتقويتها خلال الاتصال بالارتباطات الماضية. والعمر السيكولوجي للفرد. وغرض الفرد. ودوره في محيط الجماعة الجديدة. والعلاقة بين القيم القديمة وأهداف الجماعة الحالية. والأبحاث في هذه الناحية قد أسفرت عن نتائج مشوقة.

والدراسة الآتية قام بها نيوكومب (T. Newcomb) لطائفة كلية بننجتون (Bennington) بين سنوات ١٩٣٥. ١٩٣٩. ولقد كانت هذه الكلية في وقت

الدراسة في تبالغ في اهتمامها بالتعليم والتوجيه الفردي، وفي عدم ارتباطها بالشكليات، وفي جماعاتها الصغيرة. فكانت طائفة معتدة بذاتها، متكاملة، ذات اتجاه واع متيقظ نحو المسائل العامة، ولها وجهات نظر أكثر من أغلب الكليات. ولقد قيست اتجاهات الطلبة في ١١ ناحية اجتماعية مختلفة يدخل فيها: اتفاقية روزفلت للعمال (The New Deal)، النزعة الدولية، الحرب الأهلية في أسبانيا، نقابة عمال مناجم الفحم (Coal Industry Organization) والتي كان يرأسها جون لويس (John Lewis)، اتفاقية ميونيخ. كما استخدمت أيضاً اختبارات للمعلومات في المسائل العامة. وكانت تقديرات الطلبة بحيث يقدر أحدهم الآخر في المظاهر المتنوعة للمواطن في الطائفة.

ولقد أظهر القدماء اتجاهات مميزة أكثر لقيم الجماعة من الطلبة الجدد. وفي هذه الحالة، أصبحت الاتجاهات أكثر وضوحاً وحرية في الفرق المتقدمة. وفضلاً عن ذلك فقد قرر نيوكومب أن التحرر المتزايد لم يكن راجعاً لعامل الانتقاء المحتمل بسبب تخرج عدد كبير من المحافظين من هذه الكلية في ذلك الوقت. ولقد أظهرت التقديرات التتبعية لهؤلاء الطلبة خلال سنواتهم الأربع تحرراً متزايداً. وبعبارة أخرى، هناك دلالة قاطعة على أن العضوية في طائفة كلية بننجتون كان معناها التشبع بقيم الجماعة السياسية والاجتماعية. وفضلاً عن ذلك، فان مع ازدياد التحرر، كان هناك ازدياد في معرفة المسائل السياسية التي كانت تهم الناس في هذه الأيام. ولكن، على أي حال، لم يطبع كل الطلبة بطابع الذين كانوا يساهمون في أمور الكلية بنشاط أكبر، والذين حصلوا على أعلى تقدير كمواطنين في الطائفة هم الذين اكتسبوا تماماً قيم الطائفة المتحررة ومن كلمات نيوكومب أن العضوية في الجماعة «تتضمن اكتساب الأنماط الكاملة للسلوك المتبادل».

مبادئ التغير الاجتماعي:

ان تمثيل الأفراد لقيم الجماعة جزء من المشكلة الكبرى الخاصة بالأساس الفردي للتغير الاجتماعي. فقد يتشبع الأفراد باتجاهات جديدة ليس فقط حينما يكتسبون عضوية جماعة جديدة، ولكن حينما يحتكون بطرق مختلفة من حياة الجماعات الأخرى. ولقد كان الرأي الذي ناضل تارد (Tarde) في الدفاع عنه يذهب الى أن المحاكاة تسير في الانسان من الداخل نحو الخارج، وأن القيم الأساسية لا بد أن تقبل قبل أن تكتسب مظاهرها الخارجية. فتمثيل الأفكار والسلوك يتبع هذا المبدأ بصفة عامة. وعلى ذلك فقد احتفظ الآميش (Amish) وهم طائفة دينية في بنسلفانيا بطريقتهم المميزة في الحياة لوقت

حديث جداً. وبقيت ثقافتهم كما هي لا ينفذ اليها شيء من الاتجاهات الرئيسية للمجتمع الأمريكي. والسبب في ذلك أنهم كانوا ينبذون القيم الأساسية للحضارة المادية الآلية. وبالمثل حافظ المجتمع الاقطاعي على استقراره عن طريق ايمانه بالمبادئ التقليدية التي تضفي على النظم البشرية صفات وراثية تفوق الطبيعة.

ولكن هناك بعض الاستثناءات لتعميم تارد هذا. فالناس يقبلون التحسينات المادية في الحياة حتى اذا كانت ضد قيمهم القديمة. والنظام الاقطاعي قد تقوض في النهاية لأن النبلاء رحبوا بالضروريات ومظاهر الترف التي يسرها لهم التجار وكذلك صناعهم فتهاونوا في قوانينهم الاقطاعية لكي تتاح لهم فرص التمتع بمباهج الحياة. وبالكيفية نفسها نجد أن جماعات المهاجرين تمثلوا الثقافة الأمريكية وذلك لترحيبهم بالمزايا المادية التي توفرها لهم هذه الحياة. وقام كاربنتر وكاتز في احدى المدن الأمريكية ببحث عن تمثيل المهاجرين البولنديين للثقافة الأمريكية. وقد أدت دراسة ثلاثة أجيال من هؤلاء المهاجرين الى أن التغير نحو الثقافة الأمريكية يتم على خطوات. فيبدأ في اتجاه تقبل الوسائل المادية الحديثة كالثلاجات والمكانس الكهربائية ثم تدريجاً يتقبلون المستويات والطرق التي تستخدم للمحافظة على سلامة الصحة وأخيراً يكتسبون الأفكار ويتقبلون الاتجاهات السائدة في المجتمع. وعلى ذلك، فعلى الرغم من المبدأ العام الذي ذكره تارد من أن المحاكاة تسير في الانسان من الداخل الى الخارج، الا أن العملية البطيئة لتمثيل الثقافة التي يتم بها تعديل بعض نواحي السلوك قد تؤدي بطريقة خفية الى تغيير القيم الأصلية.

التفاعل الاجتماعي

Social Interaction

تعريف التفاعل:

يعرف التفاعل الاجتماعي بأنه العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عقلياً ودفاعياً وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف وما شابه ذلك. ويمكن تعريف التفاعل الاجتماعي اجرائياً بأنه ما يحدث عندما يتصل فردان أو أكثر (ليس بالضرورة اتصالاً مادياً) ويحدث نتيجة لذلك تعديل السلوك.

ومن أهم مظاهر التفاعل الاجتماعي تقويم الذات والآخرين واعادةالتقويم و التقويم المستمر. ويلاحظ أن التأثير في التفاعل الاجتماعي يتوقف على شخصية الفرد ومكانته الاجتماعية، كما يلاحظ أن الشبكة الاجتماعية للفرد تتكون من الأشخاص الذين له معهم

Swanson, G.E: On explanation of social interaction. Sociometry, 28, 101-123, 1965.

اتصال ورابطة اجتماعية وبينه وبينهم تفاعل اجتماعي.

وتشير نظريات التفاعل الاجتماعي * إلى أهمية الحب والمودة والتعاطف والوفاق في عملية التفاعل الاجتماعي. ويعني هذا ضرورة المشاركة في القيم والميول والاهتمامات والاتجاهات. وتدل البحوث في هذا الموضوع على أن الفرد يميل إلى الانجذاب إلى أولئك الذين لديهم اتجاهات تماثل اتجاهاته. ويتحدث ديوي وهمبر ** (Dewey and Humber) عن التفاعل الاجتماعي في إطار مرجعي يضم الفرد-والبيئة-وموضوع التفاعل. ونحن نلاحظ أن التفسير البسيط للسلوك الاجتماعي للفرد يكون صعباً بالنسبة لتداخل هذه النواحي المختلفة.

عملية الاندماج الاجتماعي:

ان من أهم مظاهر التفاعل الاجتماعي هو عملية الاندماج في الحياة الاجتماعية تلك العملية التي تطبع بها المادة الخام للطبيعة البشرية في أنماط ثقافية منوعة. وهذا يطابق إلى حد كبير دراسة نمو الشخصية، سوى أن موضوع الشخصية يميل إلى أن يكون أكثر تركيزاً حول الفرد. وعملية الاندماج في الحياة الاجتماعية بالنسبة لعلم النفس الاجتماعي، هي بمثابة التاريخ بالنسبة للعلوم الاجتماعية. وفي الواقع يعدها مرفي (Murphy) ونيوكومب (Newcomb) محور المادة الدراسية لعلم النفس الاجتماعي.

وكان علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في الماضي يميلون إلى اعتبار انتقال الثقافة من جيل إلى جيل عملية آلية، وأن كل جيل ينظر إليه كعدد من الأوعية الفارغة تصب فيها معايير الثقافة الاجتماعية. وعليه تستمر الثقافة لفترات طويلة بحيث يكون كل جيل صورة من الأجيال السابقة. هذا التفسير على أي حال مقتضب جداً. ويهمل الطبيعة الديناميكية ذات الجانبين للاندماج الاجتماعي. إن المخلوقات البشرية ليست سلبية، ليست مخلوقات من الطين يمكن صياغتها بسهولة في قالب معين. بل إنهم يردون على التأثيرات التي يتلقونها خلال هذه العملية. والشخصية الناتجة في النهاية هي نتيجة هذا التفاعل. وإذا ما نظرنا إلى عملية الاندماج الاجتماعي على أنها مجرد انتقال كامل وسلبي للثقافة، فإننا نكون قد تغاضينا عن مصدر أساسي من مصادر التغير الاجتماعي.

وقد عولج هذا الإهمال الحالي في الدراسة الاجتماعية بفضل عناية علماء الطب العقلي والأنثروبولوجيا بعملية الاندماج الاجتماعي. ويعتبر أفضل ما لدينا للآن من دراسات

* Secord, P.E. and Backman, C.W: Social Psychology. New York: Mc Graw Hill 1964.
** Dewey, R. and Humber, W.J: An Introduction to Social Psychology. New York, Mac Millan, 1966.

اجتماعية تناولت عملية الاندماج الاجتماعي بشكل واسع ما ساهم به العالم الأنثروبولوجي لينتون (R. Linton) والمحلل النفسي كاردينر (A. Kardiner). فقد وصف لينتون عدداً من الثقافات البدائية، ووضع كاردينر بعض المدلولات لتفسيرها سيكولوجياً. ويذهب كاردينر إلى أن المؤسسات الأولية التي تعنى بتدريب الأطفال وما يتصل بها من أوجه نشاط ، لها أهمية كبيرة في تكوين أساس الشخصية. والشخصية الأساسية بدورها تؤثر على المؤثرات الثانوية مثل الدين والتقاليد السائدة في العشيرة. وعليه فكاردينر يرى أنه ينبغي ألا نبحث عن علاقة بين المؤسسات الاجتماعية مباشرة. بل ينبغي أن نستعمل الشخصية الأساسية كحلقة وسطى بين المؤسسات الأولية والمؤثرات الثانوية.

وسواء أكان رأي كاردينر هذا صحيحاً أم لا ، ففي الواقع أن لينتون وكاردينر قد وضعا أوضاعاً جديدة لتطور الطفولة المبكرة، وما يؤدي إليه هذا التطور من أنماط الشخصية. فمثلاً، في قبيلة الألوريز (Alorese) ، تهمل الأم الطفل ، لأن عليها أن تخرج للعمل في الحقول. ويستمر هذا الإهمال طول فترة الطفولة ولا يوجد شخص واحد يحل محل الآباء بالنسبة للطفل خلال تلك السنوات الأولى التي لا يستطيع فيها الطفل الاعتماد على نفسه. فلا تجد حاجاته إشباعاً دائماً أو منتظماً. ويعاقب إذا ما أبدى أي عدوان، ويقف الأهل من الأطفال موقف المشاكس. والشخصية الناتجة عن جميع هذه الظروف تبين تكويناً ضعيفاً للذات. وعليه فإن الألوريز أناس يقهرون بسهولة. لا ثقة عندهم في أحد. ولا قدرة لهم على العمل البنائي النشط. ومستوى طموحهم منخفض، مع قدرة محدودة على تكوين علاقات قوية مع الغير. وتعوزهم قوة الضمير أو الذات العليا.

عمليات التفاعل الاجتماعي:

يمكن أن نميز بوجه عام بين أربع عمليات للتفاعل الاجتماعي: الصراع، التعاون، التنافس. المواءمة. ويتميز الصراع عن التنافس في أنه في حالة الصراع يوجه الأفراد طاقاتهم نحو هدم أعدائهم أو إيذائهم. أما في التنافس فغالباً ما يتبعون سبلاً متوازية من العمل، موجهة نحو نفس الهدف المشترك، وذلك بقصد الوصول إلى الهدف أولاً أو الحصول على أكبر قدر ممكن منه. وفي التنافس الصادق بين فريقين يجب أن يتفق الفريقان على قواعد السباق. أما التعاون فلا يتضمن الدوافع الغيرية، وإنما هو يصف مجهوداً متناسقاً متصلاً بين فردين أو أكثر. والمواءمة تشير إلى انهاء الصراع إما عن طريق إخضاع فريق للآخر عما يترتب عليه فرض علاقة السيد والعبد أو عن طريق إيجاد حل وسط.

وفي بعض الأحيان تميز المجتمعات بأنها متنافسة أو تعاونية أو فردية النزعة . ولكن في الواقع نجد أن العمليات الأربع للتفاعل الاجتماعي (الصراع والتنافس والتعاون والملاءمة) تظهر في كل مجتمع ، ولو أن العملية الغالبة قد تختلف . وحتى هذه العمليات الديناميكية كقاعدة عامة تتحدد في صورة مستويات وأنماط معينة . فدوافع العدوان التي لا تجد لها مخرجاً مباشراً عند الأطفال في حروبهم بعضهم مع بعض تردع في مرحلة الرشد وتوجه نحو أعداء الجماعة – حقيقيين أو خياليين. وليست هذه الدوافع العدوانية نتيجة لغريزة المقاتلة . بل هي التعبير الحركي لما يفيض مباشرة من الانفعالات التي تستثار عند الطفل بسبب الإحالة دون تحقيق رغباته . ومراعاة لصالح الحياة الاجتماعية . نجد أن هذا العدوان يتحدد في أنواع معينة من التعبير . إما تعبير غير ضار نسبياً أو تعبير ضد الغرباء في سبيل تقوية الجماعة .

إن الظروف الخاصة التي ترجح التنافس على التعاون . والصراع الفردي النزعة على المواءمة ظروف معقدة للغاية . ولقد حاول الأنثروبولوجيون في دراساتهم للمجتمعات البدائية تحليل هذه الظروف. وقد تبين لهم أن نسبة الالتجاء إلى التعاون بالقياس إلى المنافسة ليست مرتبطة بدرجة التعقد الثقافي للجماعة . ولا بنوع البيئة الطبيعية التي تعيش فيها الجماعة .. بل ترتبط بالنظام المركب الشامل للعوامل الطبيعية والاجتماعية في مجتمع ما . وبناء عليه . فقد يرى الرجال أن الخطط التعاونية من أنفع الوسائل في الصيد . فالفريسة الكبيرة التي يريدون قنصها ومعداتهم الفنية محدودة . يكاد يجعل الصيد تحت ظروف التنافس أمراً محالاً . على أي حال . إذا تكونت عادات تعاونية في الصيد . فمن المحتمل جداً الاحتفاظ بهذه العادات حتى بعد اكتشاف الأسلحة التي تسمح بالصيد الفردي . وقد يستمر التعاون على الرغم من الظروف الجديدة لأنه تكيف مناسب . بل قد تزداد عصبية التعاون قيمة لأنها تؤدي إلى نتائج واضحة . فيكون من الصعب تغيير عادات الرجال .

وبمثل ينشأ التنافس من ظروف البيئة التي تجعل التعاون صعباً . فصيد الفريسة الصغيرة مثلاً يكون من الأفضل لصائد واحد القيام به بدلاً من القيام به بالاشتراك مع جماعة . ويتأصل هذه العادة في الناس . فإنهم يبررون أسسها الموضوعي . ويعلمون أولادهم القيم التنافسية . وبعبارة أخرى . فإن أوجه النشاط السائد في مجتمع لا يمكن دائماً أن نستخلصها مباشرة من البيئة الطبيعية لأن الناس لا يحتاجون - كي يعيشوا - إلى أن يقوموا بأحسن تكيف ممكن لمجموعة من الظروف . وتوجد تكيفات أخرى متعددة . ولكن التكيف الخاص الذي تتعوده الجماعة . قد يدوم طويلاً على الرغم من وجود طرق أفضل للحياة الاجتماعية .

وفي بعض الأحيان يتأثر الناس بالطريقة التي تدوم بها العادات القديمة لدرجة أنهم يرون أن السبب الوحيد للعادات المختلفة هو الحدث التاريخي الذي أدى إلى تكوين هذه العادة. ويهمل هذا الاعتقاد حقيقة هامة وهي أن العادات تبقى لأنها مجدية من الوجهة السيكولوجية. وعند زوال هذه الفائدة، تتغير العادة. إن الناس يتشبثون بالعادات القديمة، ولكن إذا ما عجزت هذه العادات عن إشباع الحاجات، فان الناس سيجدون طرقاً جديدة لمواجهة مشاكلهم.

ميكانيزمات التفاعل الاجتماعي:

إن عمليات التفاعل الاجتماعي التي سبق وصفها هي علاقات بشرية معقدة إلى حد ما، ولكي نصف التعاون أو التنافس وصفا كافياً يجب أن نرجع إلى كل من الأفراد المتفاعلين وأغراضهم. ولقد اهتم علماء النفس الاجتماعيون أيضاً بوصف الميكانيزمات الأولية التي تعمل في التفاعل الاجتماعي. ومن أمثلتها الميكانيزمات الخمسة الآتية وهي:

التيسير الاجتماعي، والكف الاجتماعي، والمحاكاة، والإيحاء، والتقمص. وقد سبق الاشارة إلى البعض منها، ومع ذلك سنعرضها هنا جميعها لاستكمال الصورة ما أمكن.

التيسير الاجتماعي: (Social Facilitation)

يقصد بالتيسير الاجتماعي زيادة سرعة النشاط وكميته نتيجة لرؤية الزملاء الذين يقومون بأوجه نشاط مماثلة أو سماع أصواتهم. وليست هذه الزيادة مجرد مسألة تنافس. ففي وجود الزملاء معنا في العمل، يكون مجال الإثارة أكثر مما لو كنا فرادى. فنحن نأكل لو كنا في صحبة آخرين أكثر مما لو كنا بمفردنا. ونميل بوجه عام إلى أن نسرع في أعمالنا حينما نكون مع أفراد يقومون بأعمال مماثلة. ولقد أظهرت التجارب أن الناس يقومون بقدر من العمل - إذا كان في الحجرة ذاتها أناس يقومون بنفس العمل - أكبر مما لو كانوا بمفردهم. بل إن هناك دلائل حتى على أن أحسن المقاعد للطلبة في أثناء المحاضرة ليست مقاعد الصفوف الأمامية، ولكنها تلك التي توجد في وسط الجماعة حيث يتوافر أكبر قدر من الاثارة الاجتماعية. ومن المؤكد أن الأفراد الذين يقفون بأطراف حشد من الناس، لا يشعرون بقوة الدفع لاتباع زملائهم كما يشعر به الموجودون في الوسط. وكل عداء يعرف أنه من الأفضل التنافس في الجري ضد آخرين، لا الجري بمفرده متنافساً ضد الوقت حتى ولو استعمل سجله الزمني لقياس كفاءته التي تؤهله للالتحاق بفريق ما.

وإن كان التيسير الاجتماعي يعني ازدياداً في السرعة أوكمية النشاط. غير أنه

لا يتضمن التحسن في نوع الأداء. والواقع أن التجارب تبين أن الأفراد يكونون أكثر دقة حين يعملون بمفردهم عمّا لو عملوا في جماعات. فضلاً عن أن الأبحاث تثبت أن من الأفعال التي تتطلب تفكيراً. يكون آراء الفرد لها في عزلة أفضل من آدائها مع جماعة تشترك معه فيها. وأفضل الظروف لإجراء امتحان هي تلك التي يتم فيها في غرفة ينزلك بها الطالب وحده.

الكف الاجتماعي: (Social Inhibition)

إن هبوط مستوى الأداء في الجماعة يبين لنا أن هناك عملية معارضة للتيسير ألا وهي التكيف الاجتماعي. فالتيسير ينطبق على أنماط استجابات الفرد غير الدقيقة. أما الكف فإنه غالباً ما يؤثر في الانماط الدقيقة التي تدخل في التفكير. والمنبهات الاجتماعية كغيرها من المنبهات تحرر الطاقة في الجهاز العصبي على شكل سيالات عصبية. وإن نمطاً من أنماط الاستجابة الجسمية مثل الجري الذي يتضمن الكثير من العضلات. يقوى عن طريق الطاقة الاضافية المستمدة من المؤثرات الاضافية المختلفة. ومن ناحية أخرى. فإن التكيف الراقي المميز يتضمن اختيار قليل من الأنسجة العضلية. هذا النوع من التكيف العضلي العصبي من السهل ربكه عن طريق أي زيادة في الطاقة. فالانفعال الزائد في المواقف الجماعية يؤدي إلى أنماط التفكير المتواصل وغيرها من التكيفات الدقيقة التي تحتاج إلى توافقات من نوع راق. فمثلاً قلائل جداً من الناس يمكنهم أن يفكروا جيداً وباطمئنان أثناء إلقاء خطبة على نفر من الناس. ولاعب الجولف يضطرب في الحلقة بسهولة إذا حصل اضطراب في الشرفة. وقد يضل هدفه. كما أن لاعب كرة السلة قد يصيب أهدافاً أثناء تمرينه أكثر مما يستطيعه أثناء اللعب في مباراة أمام جمهور من المشاهدين يراقبونه.

إن الإثارة الإضافية التي تغمر الجهاز العصبي في المواقف الاجتماعية تأتي جزئياً من رؤية الآخرين وسماع أصواتهم. ولكن قدراً كبيراً منها يأتي من تنشيط الجهاز العصبي السمبتاوي تحت تأثير التنبيهات الاجتماعية الأصلية. وعلى ذلك يحدث غالباً أن الفرد الذي لا يتصف بالحساسية الانفعالية لا يصيبه الكف الاجتماعي. هذا ويختلف الناس فيما يتعلق بقابليتهم للتأثر الاجتماعي. ولكن أغلب الأفراد يجدون أن حركاتهم المتناسقة الخاصة بمهارة ما وتفكيرهم يختل بتأثير الجماعة. والرعب الذي قد يعتري المرء حين الظهور على المسرح مثل بالغ لهذه الظاهرة. وعلاجه يكون باعطاء الفرد دوراً بسيطاً تكثر فيه الحركة ويقل الكلام. وبتعوده الظهور أمام الجمهور. يمكن أن يعهد إليه بأدوار أصعب تتضمن كلاماً أكثر.

المحاكاة: (Imitation)

لقد تأثر الكتاب القدامى في علم النفس الاجتماعي مثل تارد (Tarde). وروس (Ross) كثيراً باللهفة التي يتبع بها الناس مودات الأزياء والعادات الشخصية والأفكار، ولقد فسروا التماثل في الجماعة وعدوى الجماهير بافتراض وجود غريزة «المحاكاة»، ونحن اليوم لا نزال نسلم بأهمية المحاكاة كعملية تفاعل اجتماعي، ولكننا نشك في أساسها الغريزي، ويمكن أن تعرف المحاكاة من وجهة نظر موضوعية على أنها تشابه دقيق بين المنبه والاستجابة، ويمكن أن نميز بين نوعين من المحاكاة: المحاكاة البسيطة، والمحاكاة المركبة.

١ – المحاكاة البسيطة:

تشير المحاكاة البسيطة إلى تعديل الاستجابة بمنبه مماثل للاستجابة نفسها. فمثلاً طفل عمره سنة يستجيب لضحكة بضحكة مثلها، أو يكرر منبها إذا كان على صورة صوت من أصوات المناغاة التي يعرفها. والعملية هنا بمثابة فعل منعكس شرطي. فالطفل الصغير بما يصدر عنه من أصوات مختلفة. قد أثار أذنه هو بهذه الأصوات. فالصوت الذي من نوعها يصبح لذلك مرتبطاً بالسلك الحركي لإحداث هذا الصوت بالذات. وعلى ذلك، فإن الطفل يستجيب بتكرار هذا الصوت سواء كان صادراً منه ذاته أو من أي شخص آخر.

والمحاكاة البسيطة تتضمن في الحقيقة. تلك الحالات فقط التي لا تستدعي إثارة استجابات جديدة لشخص آخر سواء بالكلام أو بالفعل. والشخص الذي يحاكي لا يتصف بالابتكار سواء كان اجتماعياً أو فردياً. لأنه لا يظهر سوى لون من ألوان الاستجابة سبق اكتسابه. ونحن نحاكي الجماعة في الابتسام أو الضحك أو التثاؤب لأن ردود الأفعال هذه جزء من معداتنا القديمة التي تستثار بمنظر أو بصوت آخرين يسلكون السلوك نفسه.

المحاكاة المركبة أو المعممة:

ولكن ليس كل محاكاة. على أي حال. بهذا المستوى من البساطة. فالملاحظة اليومية تبين حالات كثيرة من الميل العام إلى المحاكاة أكثر تعقيداً من مجرد القيام بأعمال سبق اكتسابها. فنحن نحاول. متعمدين أن نقتفي أثر أولئك الذين نعجب بهم. والطالب في أثناء السنة الأولى في الجامعة يتخلى عن القيم والعادات الخاصة بالمدرسة الثانوية.

ويصوغ نفسه تبعاً للقادة الجدد في الجامعة. وليس عالم الجامعة فريداً في ذاته من حيث الميل للمحاكاة. ففي كل نواحي الحياة يطمح الناس لأن يكونوا نسخاً من الطرق الصحيحة في التفكير والعمل كما يمثلها بعض القادة. ولكن المحاكاة الناجحة على هذا الوصف تتأتى فقط بعد فترة من التعلم بالمحاولة والخطأ.

إن المحاكاة المعممة تشير إلى كل من الطريقة أو الميكانيزم والدافع. أما الميكانيزم فتجده في طبيعة السلوك الانساني. فالسلوك مرتبط بعالم الإثارة. بمعنى أن طبيعة نمط المثير هي التي توجهه. ولكن تتنوع الاستجابة لنواحي البيئة الموضوعية. فعلى الكائن أن يوجد ارتباطاً دقيقاً بين أفعاله وتفاصيل الموقف المنبه.

ويكتشف الطفل عالمه بتتبع حدود الأشياء وصفاتها بعينيه ويديه. فالمربع معناه وصف أربع حركات بزوايا قائمة سواء بالأيدي أو بالعينين. فالاستجابة لذلك تتضمن إعادة القيام بالحركة أو محاكاتها. وبعد ذلك تختصر هذه الحركات المفصلة للمحاكاة أو التتبع لدرجة أنها لا تصبح تمثيلاً جيداً للعالم الخارجي. ومع ذلك. فهذه المحاكاة الحركية الداخلية هي أساس الإدراك. وتفسر بمبدأ الإقبال أو ميل الكائن إلى أن يحصل على قدر أكبر من المؤثرات. فالطفل حين يستكشف لعبة. فإن الحركات التي يقوم بها تزداد ويزيد من نشاطها المنبهات التي تنشأ من عملية الاستكشاف. فالإثارات البصرية التي تنتج من الألوان الزاهية. والإثارات اللمسية التي يؤدي إليها لمس اللعبة. والإثارات الحركية التي تحدث من حركات ذراعيه. كل هذه تغذي النشاط القائم لأن الدوافع العصبية الناشئة تفرغ في المسالك الحركية الأكثر تعبيداً. وهذه المسالك الأكثر تعبيداً هي تلك التي تكون مستعملة في تلك اللحظة. وبعبارة أخرى. تلك التي تكون مسؤولة عن السلوك الاستكشافي. فالطفل يستمر في استكشافه وفي أثناء ذلك يستعيد بحركاته الخاصة صور الأشياء التي فحصها. وكذلك الحال في سلوك البالغين. حينما يحاول الناس أن يكتشفوا طبيعة الموقف. فإنهم يعيدون خلق مميزاته الموضوعية في سلوكهم.

ولكي نفهم المحاكاة المعممة. يجب أن نعرف عنها أكثر من ميكانيزماتها. فالميكانيزم يدلنا على كيفية حدوث المحاكاة. ولكنه لا يعرفنا شيئاً عن السبب في أن الناس يميلون إلى محاكاة بعض الحركات دون غيرها. وعلى ذلك يتضح أنه ينبغي بحث «الدوافع» لكي

نفهم تماماً سلوك المحاكاة لدى الإنسان. وإن أهم الدوافع العامة التي تدفع المرء إلى المحاكاة أن يصبح مثل الشخص الذي يحاكيه. والشخص إذ يحاكي نموذجاً معيناً يصبح هو النموذج في نظر نفسه.

فمثلاً الطفل الذي يلعب لعبة العسكري يشعر بنفسه بطلاً حربياً أثناء لعبه. وكذلك موظفة الاختزال التي تشتري ملابس فيها تقليد للأزياء الباريسية ترفع نفسها إلى منزلة فتاة المجتمع التي ترتدي هذه المبتكرات الأصلية. وكثيرون من المولعين بموسيقى «سوينج» يحاولون أن يبرهنوا على يقظتهم الاجتماعية وتقدمهم في المدنية بتتبعهم لهذا الاتجاه الموسيقي الشائع. ولقد فهم القائمون بالإعلان والدعاية القوة الدافعة وراء المحاكاة. وحاولوا بناء على ذلك أن يقدموا بضائعهم على أنها المنتجات التي تجد قبولاً عند الشخصيات المعروفة في المجتمع. فاتباع الطبقة الراقية لعادة ما، كفيل بانتشارها في المجتمع. فمن سنوات قلائل، كانت النساء ذات السمعة المشبوهة فقط هن اللاتي يدخن في الأماكن العامة. ولكن ما ان انتشرت هذه العادة بين نساء الطبقة الراقية حتى عم انتشارها بين الجميع.

وهناك دوافع أخرى وراء المحاكاة. ولو أنها ليست بنفس قوة الرغبة في تحسين المركز أو التحلي بصفات النموذج المرغوب فيها. والناس يتبعون قادتهم ويحاكون أحدهم الآخر لأن المحاكاة أسهل من الابتكار. هذا فضلاً عن أنه بمجرد أن تكتسب فكرة أو عمل تعضيد أغلبية الرأي العام، فإن الناس يقبلونها بدلاً من المغامرة بالخروج عن الجماعة. كما أننا في ثقافتنا. وفي تربيتنا لأطفالنا نجعل للمحاكاة تقديراً كبيراً. فمثلاً. الصغير الذي يقتفي أثر الكبار يجد ثناء ومدحاً في المنزل. وفي المدرسة نجد أن التلميذ الذي يستطيع أن يسترجع كلمات المدرس أو دروس الكتاب يكافأ على ذلك.

هذا والتماثل في سلوك الجماعة ليس دائماً نتيجة للمحاكاة. فهناك تشابه كاف بين المخلوقات البشرية فيما زودتهم به الطبيعة والحياة وفي تدريبهم مما قد يؤدي بهم جميعاً إلى الوصول إلى حل واحد للمشكلة نفسها. فإذا ما ألقي الحب لجماعة من الأفراخ الجوعى، فإنها تبدأ جميعاً بالتقاطها، لا لأنها تحاكي بعضها بعضاً، ولكن لأنها كلها جائعة. وفي السلوك الانساني نجد أمثلة كثيرة من عدوى الجماهير تبين خليطاً معقداً من المحاكاة والدوافع المستقلة. فالناس يضاربون بعضهم بعضاً في المزاد مثلاً لأنه يحاكي أحدهم الآخر ولأنهم مدفوعون بطمعهم في الحصول على قسطهم من المساومة.

الإيحاء : (Suggestion)

غير أن الإيحاء هو من جميع ميكانيزمات التفاعل الاجتماعي أهمها. وهو عملية من الصعوبة في قياسها ومن القوة في نتائجها لدرجة جعلت استعمالها السيكولوجي قديماً يعتبر سحراً محضاً. فالمسمرية ٥ (F.A. Mesmer). وكان المفروض أنها طريقة سحرية للعلاج. هي مجرد حالة خاصة لأثر الإيحاء. فالإيحاء هو القبول الصاغر لفكرة أو القيام بتنفيذ عمل بطريقة إمعية. والإيحاء نوعان: «مباشر» و «غير مباشر».

١ – الايحاء المباشر:

يشير إلى قبول لون خاص من ألوان المثيرات لان عمليات الفكر النقدي لدى الفرد قد تعطلت مؤقتاً. ومن الناحية الذاتية هناك تضييق لمجال الشعور. ففي حالات الاضطراب مثلا. لا يستطيع الشخص أن يفكر لأن الطاقة الانفعالية تعوق التفكير المنطقي السليم. ومن ثم فهو فريسة لأي إيحاء عابر. ويصدق هذا أيضاً على حالات التعب. فالفرد يكون متعباً لدرجة لا تمكنه من التفكير. فيتقبل رأي غيره من الناس.

٢ – الايحاء غير المباشر:

هو أيضاً القبول الصاغر. ولكنه كذلك لأن عمليات التفكير مشغولة بمشكلة أخرى. فالتكرار المستمر للإعلانات له أثر كبير لأن الناس يتشعبون بها دون ان يشعروا في أثناء قيامهم بمسائل أهم. والخطيب السياسي الماهر يوحي بأفكار بينما هو ظاهرياً يناقش مسألة لا تتعلق بالفكرة التي يوحي بها. ولدينا مثل بسيط جداً للإيحاء غير المباشر نجده في السؤال القديم: «هل أقلعت عن ضرب زوجتك؟» فهنا يتركز الانتباه على ما إذا كان هذا الفرد الذي وجه إليه السؤال لا يزال يضرب زوجته. وموضع الإيحاء هنا هو التسليم بأن هذا الرجل يستخدم القسوة مع زوجته. والطريقة في الايحاء غير المباشر هي توجيه انتباه الضحية (أي الشخص الموحى إليه) إلى مشكلة تافهة. فتؤدي بدورها إلى اعترافه بالحقيقة المطلوبة. والاختلاف بين الايحاء المباشر وغير المباشر هو أساساً ما اذا كانت تعطل العمليات الفكرية عند الفرد أو تنفصل عن تصرفاته الأخرى.

ومما نعرفه عن طبيعة الايحاء. نجد ان أي عامل يؤدي إلى تعطل او تشتت عملية التفكير يؤدي كذلك الى الايحاء. وكلما قل ذكاء الفرد وخبرته. قل احتمال استجاباته

( ) نسبة إلى الطبيب النمسوي مسمر (١٧٣٤ ١٨١٥) (F.A. Mesmer)
وكان يدعي القدرة على معالجة مرضاه بمغناطيس يشفيهم من مرضهم.

للأشياء والعلاقات المتعددة في بيئته. فغير الأذكياء من الأفراد وكذلك قليلوا الخبرة منهم، من السهل تأثرهم بالايحاء لأن القدر من الذكاء النقدي الذي سيصاب بالتشتت أو التعطيل قدر ضئيل، والدراسات التجريبية على الأطفال تبين لنا أنهم اكثر عرضة للايحاء من البالغين، وفضلا عن ذلك فإن منحنى الإيحاء يقل تدريجياً مع العمر من سن ٦ إلى سن ١٦.

ولقد كانت الظروف التي تؤدي بالفرد إلى قبول الإيحاء موضعاً لكثير من البحث والدراسة، ولا شك ان أهمية هذا واضحة لأن المعرفة الشاملة لهذه العوامل المهيئة تهم أصحاب الدعاية والاعلان كما تهم المربين. ويمكن أن نصف الظروف المهيئة وصفاً موضوعياً إلى حد كبير، ولكن الأثر الفعلي للإيحاء هو مسألة نسبية بين الموقف الموضوعي والفرد نفسه. فمثلاً قوة مصدر الايحاء تؤدي إلى قبوله قبولاً أعمى، ولكن ما ينظر إليه فرد على أنه مصدر ذو شأن قد ينظر اليه آخر بازدراء. وهناك ثلاثة عوامل هامة توفر للموقف إمكانيات الإيحاء، وهي:

١ - الأعداد والكمية.
٢ - نفوذ السلطة أو المركز.
٣ - الأمر الواقع.

ومجرد الكم والعدد لا يرغمان على الاحترام فحسب ولكنهما أيضاً يحملان معظم الناس يتأثرون سريعاً بالايحاء، ويعتبر الكم أوضح مظهر للشيء كمقياس لقيمته. واصبح الكثير كمًّا يرادف الأحسن جودة. فيؤكد المعلن للرأي العام ان انتاجه أحسن إنتاج لأنه أوسع انتشاراً والمرشح السياسي يحث الناخبين على أن ينضموا إلى الأغلبية التي تؤيده بدلا من ضياع أصواتهم هباء على المرشح ذى الأقلية، وحتى بعض عمداء الكليات يلجأون إلى الكم أو عدد المطبوعات لقياس امتياز أقرانهم من العلماء.

وهذا الاحترام للكم والعدد متأصل في الشخصية. فنحن في طفولتنا. كنا لا نستطيع ان نناضل مع أشياء أو مخلوقات حية اضخم منا، وان تقبلنا للاعداد في جماعتنا الاجتماعية المباشرة كان بمثابة إرضاء لحاجاتنا الأساسية، فهذا القبول معناه الامن والطمأنينة، فضلا عن أنه في ثقافتنا ذات الإنتاج الواسع المدى وطرق الحياة الآلية لانجد الحجم مهما فقط، بل ان كل شيء يبدو قابلاً للتحول إلى ارقام. فلا عجب ان الطفل ينمو وعنده حساسية لما تقوله أو تفعله أكثرية من حوله.

وقد أيدت التجارب أهمية الاعداد في تقرير معتقدات الأفراد. ولقد سأل مور

(Moore) بعض الطلبة ان يبينوا ما يفضلونه من الأفكار الخلقية المنوعة والتعبيرات اللغوية والتعبيرات الموسيقية. ثم حاول التجربة نفسها بعد ان أوضح للمجموعة ذاتها من الطلبة رأى الأغلبية ازاء هذه المسائل. فاتضح له ان كثيراً من الطلبة الذين كانوا ضمن الأقلية قد غيروا آراءهم ليتمشوا مع رأى الأغلبية. وكان الأثر الايحائي لرأي الأغلبية أعظم ما يكون في مجال الحكم الخلقي.

وقد قام سميث بدراسة طريقة لاستجابة الفرد الانفعالية حينما يعرف ان يعبر عن رأى الاقلية وقد استخدم السيكوجلفا نومتر لهذا الغرض. ويمكن الحصول على إجابة الجلد السيكو جلفا نومترية بواسطة وضع القطبين على الأصابع وقياس مقاومة الجلد لمرور التيار الكهربائي. واعتبار هذه المقاومة دلالة عن الانفعال. وقبل تسجيل اجابة السيكوجلفانومتر طلب من الأشخاص ان يبدوا موافقتهم أو عدم موافقتهم لعدد من القضايا. وبعد مضي أربعة اسابيع أحضروا إلى المعمل ثانياً. وسئلوا مرة أخرى ان يعبروا عن موافقتهم أو عدم الموافقة. وفي هذه المرة سجلت إجابتهم السيكوجلفامترية . ولقد كانت الاجابات السيكولوجلفانومترية عند الاشخاص الذين كانوا مختلفين مع رأي الجماعة أكبر منها عند الأشخاص الذين كانوا متفقين مع رأي الجماعة. فمعارضة الجماعة أدى إلى صراع وتوتر انفعالي. واعتقاد الفرد زملاءه يفكرون ويفعلون بالطريقة عينها أطلق عليه أولبورت «أثر الشيوع» (Universality). هذا الأثر هو العامل المهم في الايحاء. أكثر من الدرجة الحقيقية للاتفاق مع الجماعة. وفي علم النفس السياسي. أعطيت أهمية كبيرة لأثر «زيطة المولد» (Band-wagon) أي ميل الناس لاتباع الأغلبية. وعلى الرغم من ذلك. في استفتاء مجلة المختارات الأدبية لانتخابات عام ١٩٣٦ في أمريكا. اذاعت المجلة ان الغالبية العظمى في صف المرشح الجمهوري. وانتشرت الفكرة انتشاراً واسعاً. ثم اذيعت بالراديو بطريقة صاخبة. وبالمثل. فانه حدث في استفتاء عام ١٩٤٨ ان أذيعت نتيجة الاستفتاء ونشرت المقترحات بالجرائد. ومع ذلك ظهرت نتيجة التصويت يوم الانتخابات مخالفة لذلك.

وقد فسر بعض الملاحظين هذا الحادث كدليل قاطع على عدم وجود أثر «زيطة المولد». وان الناس غير قابلين للتأثر بإيحاء رأى الاغلبية. هذا التفسير يهمل الصفة الذاتية لأثر شيوع الرأي. فما له الاعتبار الأول في نظر الفرد ليس شيوع الرأي عند الجميع. بل عند الجماعة التي يتقمص روحها. وفي الانتخابات القومية. لا يهتم الناخب بمجرد العدد بل بالطريقة التي تصوت بها جماعته. أما الناس خارج الجماعة أو الجماعات التي تهمه. فلا

اعتبار لهم في نظره. فأثر الأعداد في مثل هذا الموقف يجب ان يشرط بالاعداد التي تهم الفرد ، فالطبقات المتوسطة لا يهمها ان تتقيد بالطبقات الدنيا ولو ان هذه الطبقات تفوق الأولى عدداً.

وبمحاولتنا ربط أثر الأعداد باحتساب نوع الأفراد أي انتمائهم لجماعات أو طبقات معينة ، فان هذا يؤدي بنا إلى إدخال عامل آخر كمحدد لعملية الايحاء، الا وهو عامل نفوذ السلطة أو المركز الاجتماعي. فليس هناك صراع في عقول كثير من الأفراد بين ما يعمل بصفة عامة وبين ما يفعله افضل الناس. فاؤلئك الذين لا يقتفون أثر أحسن الناس لا يدخلون ضمن العالم السيكولوجي للفرد. وعلى ذلك فالفرد يعتقد انه في جانب أفضل العقول ، وان أغلبية ذوي العقول النيرة معه ، وإذا وجدنا شخصا يتعمد معارضة رأي الخبراء ورأي الأغلبية ، فهذه ليست قاعدة بل حالة شاذة.

وعادة يتحدث الناس عن قوة مصدر الايحاء. فللمركز أو الفرد أو الرمز نفوذ على اولئك فقط الذين يقبلون الايحاء الصادر عنهم. ونجد في التحليل ان النفوذ لا يتعلق بالطبيعة الموضوعية لنمط المؤثر قدر ما يتعلق باتجاهات التقدير والاحترام ، وبعبارة أخرى ، النفوذ لفظ آخر لظاهرة الايحاء، ومما يبرر استعمالها أنها تمكننا من أن نربط الايحاء بكثير من حقائق الحياة الاجتماعية المألوفة. فمثلاً ، نحن نعرف ان النفوذ بالنسبة لأغلب الناس يرتبط بالمراكز ذات السلطة في المنظمات الكبرى ، بالأخصائيين والخبراء في ميدان ما . بالعضوية في الطبقة العليا ، وبقيم معينة في ثقافة ما.

ولماذا يقبل الناس افكار الأشخاص ذوي النفوذ دون أي نقد أو تقويم ؟ تلك مشكله معقدة ، إن أحد الاسباب هو عدم كفاية الفرد لأن يواجه بنجاح أكثر من ميدان محدود جداً من ميادين الحياة ، ولأنه تنقصه المعرفة والتدريب لمعارضة آراء الخبراء. كما أن الشخص ذا النفوذ قد وصل إلى درجة من النجاح لم يصل إليها الرجل العادي. وهذا الأخير بدوره لا يهتم كثيراً بتحليل اسباب نجاح العظماء. ويفترض انه بالاضافة إلى ان توماس إديسون قد بلغ من العظمة ما جعله يهب العالم اختراعات عملية. فانه كذلك بلغ من العظمة ما جعله يزود العالم ببعض النصائح السياسية القيمة. ويمكننا هنا أيضاً أن نفسر هذا الموقف على أساس الاستجابة الشرطية. فالاحترام الذي يوجه لتوماس اديسون كمخترع ينتقل إلى كل شيء يقوله أو يفعله توماس إديسون. وكذلك نفوذ السلطة يتعلق بتقبل الطفولة لسيطرة الآباء والكبار. ان المرء يتعلم بالتجربة ان ينحني للقوة المتفوقة. وهنا تصبح الطاعة عمياء لأي رمز للسيطرة. وقد وضعت رموز مميزة لتمثل سلطة الدولة مثل زي البوليس ، وثوب القضاة. واختام الوثائق الرسمية. وألقاب الحكام.

والعامل الثالث المهيء في عملية الايحاء هو الاستعداد لقبول الحقيقة الثابتة. ومن أساليب السياسة مواجهة الناس بالأمر الواقع. فمها يكون هذا الأمر فالناس يميلون إلى قبوله على انه صواب وصحيح لمجرد وجوده واقعياً. واساس قبول الحقيقة ناشيء عن قبول الواقع. فنحن في طفولتنا نتعلم ان الحقائق لا يمكن تجنبها.

على أي حال. لا يعد قبول الأمر الواقع تكيفا صحيحا سليماً في العالم الاجتماعي كما هو في العالم الطبيعي. فنحن لا نستطيع ان نغير المناخ ولو أننا نستطيع ان نحمي أنفسنا منه. أما فيما يختص بالعالم الاجتماعي. فإن الحقائق الاجتماعية غالباً ما تكون عرضة للتغير لأننا نحن والحقائق الاجتماعية شيء واحد. وعلى ذلك. إذا قبض دكتاتور على زمام السلطة في بلد ما. فإننا سنواجه بالأمر الواقع. فإذا لم تطغ هذه الحقيقة على عمليات النقد العقلي. فقد نجد أنه من السهل إبعاده إذا لم يكن مقبولا لدى الأغلبية. وبعبارة أخرى ان الأمر الواقع يبقى في العالم الاجتماعي أمراً واقعاً لا لشيء إلا لمجرد تقبل الناس له. فهو مثل المناقشة الدائرية لدعاة تحريم الخمور في أيام القانون الأمريكي الذي أطلق عليه قانون ڤولستد (Volstead Act). فكانوا يرون ان التحريم يتم إذا احترم الناس القانون. ولكن الناس لم يعتبروا وجود قانون التحريم ضمن مجموعة القوانين امراً واقعاً. وقد فشل هذا القانون في تقبله كنوع من الايحاء لأنه ضد كثير من الرغبات الأساسية للأمريكيين.

وعلى العموم. سيتحنى الناس أمام القول بان حالة معينة توجد كحقيقة وليست كنظرية. وبمجرد وجود أي حالة راهنة يؤخذ كدلالة افتراضية على ضرورتها. بل على صحتها أيضاً. ولقد سأل كاتز (Katz) وكانتريل (Cantril) بعض الطلبة عن اتجاهاتهم نحو الشيوعية والفاشية. ولو ان الأغلبية الساحقة كانوا يعارضون كلا من الفاشية والشيوعية. فإن أغلبيتهم رأوا ان الفاشية جيدة لإيطاليا والمانيا. وان الشيوعية جيدة لروسيا. فأي نظام يسود في دولة ما ينظر إليه على أنه النظام الملائم لهذه الدولة بصرف النظر عن تعارض هذه الأنظمة.

والى جانب هذه الظروف المهيئة السابق ذكرها. ينبغي أن نضيف ان القابلية للايحاء ترتبط ارتباطاً وظيفيا بشخصية الفرد. ويختلف الناس في مدى استعدادهم لتقبل الايحاء بصفة عامة. وعلى وجه الاجمال. نجد أن الشخصية المتكاملة أقل قابلية للإيحاء من الشخصية الأقل تكاملاً. ان الشخص الذي تتضارب عنده النزعات والرغبات وباقي مكونات شخصيته لا يمكن ان يقابل مشكلة ما بالخبرات الكثيرة التي قد تساعد على حلها. فعدم تكامل شخصيته يجعله يواجه المشكلة كجزء من نفسه فقط.

أما الشخص المتكامل فعنده وجهة نظر موحدة نتيجة صهر تجارب كثيرة، ومن ثم فيمكنه ان يواجه الموقف ويفحص كل احتمالاته. وبذلك يمكن ان يقاوم الايحاء أكثر من الشخص ذي الشخصية الضعيفة التكامل.

ولسوء الحظ فإن من بشأن حضارتنا المعقدة ان تجعل عملية التكامل امراً عسيراً. فالطفل ينمو في عالم تكثر فيه المنظمات الاجتماعية كالمدرسة، والمنزل، والجماعة التي يلعب معها، وجماعة الكشافة التي تتطلب بعضاً من وقته وولائه. وغالباً ما تكون هذه المطالب غير متصلة، بل حتى متعارضة ولا توجد رابطة مركزية تؤدي إلى تآزر أوجه النشاط الكثيرة التي تحيط بالطفل. ومن ثم فكثير من الصغار ينمون دون ميول موحدة في حياتهم. وحتى حينما يدخلون الجامعة لا يعرفون أي مهنة يريدون اختيارها. وكبالغين ليست لديهم فلسفة أساسية للحياة، ويتقبلون بسهولة «الحلول السهلة» التي تروج عن طريق الدعاية.

بعض الحدود للإيحاء الناتج عن النفوذ:

ان وصف الإيحاء على أنه تقبل للافكار بغير نقد او دراسة، وكذلك التجارب التقليدية التي تبين القبول الأعمى للمعتقدات غير الصحيحة تمدنا على أي حال بوصف من أوصاف العقل الانساني. والاستنتاج هو إما أن الناس يتصرفون تصرفاً ذكياً ناقداً أو يتصرفون بغباء بطريقة آلية بتأثير الايحاء، ولقد ثار أنصار الجشطالت ضد هذا التطرف، وحاولوا ان يبينوا ان استجابات بني البشر تكون معقولة وذات دلالة إذا كان تكوين المواقف مما يحتمل حلا له معنى. ولقد بين لويس (H.B. Lewis) بالتجربة ان الناس لا يقبلون ايحاء بسبب النفوذ إذا لم يكن لما يوحى به معنى في نفوسهم. فمثلا المؤيدون المتحمسون لفلسفة نيو ديل (New Deal)–وهي أول اتفاقية لصالح العمال، وضعها لهم الرئيس الأمريكي روزفلت لن يقبلوا الآراء المتصلة باسم فرانكلين روزفلت إذا ما كانت هذه الآراء تتعارض مع نظام معتقداتهم. ويمكن ان يحل النزاع بين الدراسات القديمة للايحاء والدراسات الحديثة لمدرسة الجشطالت كما يأتي: إن الايحاء يحدد الافتراضات ويضيق النطاق الذي يعمل فيه الفرد. وفي هذا النطاق المحدود لا بد ان يكون للأشياء معنى. وعلى ذلك، فإن الشخص يسلك سلوكاً منطقياً حتى في أثناء قبوله للإيحاءات في أنه يربط الايحاء بطريقة ذات معنى بنمط من المعتقدات ولكنه لا يتصرف بأحسن الطرق المعقولة في أنه يحدد بحثه عن العلاقات بتفسير محدود جداً.

التقمص : Identification

إن الإنسان يؤثر حياة الجماعة على الحياة الفردية المنعزلة لأنه يشعر بعدم الاكتفاء الذاتي اقتصادياً أو سيكولوجيا. والميكانيزم الذي يعوض المرء عن عدم كفاية السيكولوجية

يعرف بالتقمص. فعن طريق التقمص يدخل الفرد في حياة زملائه. وبذلك يستمتع بخبرة أكمل وأوفر مما تتيحها له أوجه نشاطه الخاصة. وهو يمكنه من أن يكون عضواً نشطا في الجماعة لأن ذاته تصبح متداخلة في رموزها. كما أنه يمكنه من الاستمتاع غير المباشر بالمغامرة وبحياة اللهو التي توفرها لنا الصور المتحركة والإذاعة والأدب.

ويمكن ان نعرف التقمص بأنه عملية ينشر فيها الفرد حدود ذاته لتتضمن أكثر من ذاته الطبيعية. فمن الوجهة السيكولوجية. الناس والأشياء والرموز جزء من ذات الفرد. وقد وصفت مدرسة التحليل النفسي هذه العملية بأنها أول تعبير للرباط الانفعالي بشخص آخر. فالولد الصغير يتخذ من والده مثله الأعلى وينظم سلوكه تبعا لسلوك والده. والتقمص المبكر يمتد أيضاً إلى لعب الطفل المحبة. فالطفل يتعلق بلعبته لدرجة ان يحملها معه أينما سار. ويأخذها معه إلى الفراش ليلاً. فاللعبة المفضلة عنده تكاد تكون جزءاً من شخصيته.

ومما يسهل عملية التقمص التماثل القائم بين الشخص الذي يقوم بهذه العملية وبين ما يتقمصه من أشخاص أو اشياء. فمن الأسهل على الفتاة ان توحد نفسها بفتيات أخريات عنها بفتيان. ولقد بين هوروتيز (Horowitz) ان الأطفال البيض يوحدون أنفسهم بغيرهم من الأطفال البيض أكثر مما يفعلون بأطفال الزنوج. وبالمثل يمكن ان يقال عن الأطفال الزنوج. فهؤلاء يوحدون أنفسهم بأطفال زنوج مثلهم أكثر مما يفعلونه بالأطفال البيض. بل ان الاطفال الزنوج في الواقع أظهروا ميلاً أقل نحو توحيد أنفسهم بالأطفال البيض مما أظهره الأطفال البيض نحو توحيد أنفسهم بالاطفال الزنوج. ومن المحتمل ان المؤثرات الاجتماعية قد علمت أطفال الزنوج ان يشعروا بذاتهم كجماعة متميزة.

وغالباً ما يكون زعيم الجماعة أو قائدها الرمز الذي يتقمصه الأتباع. أما الرموز غير الشخصية كالأعلام أو التحيات التقليدية. فليست بذات أثر في ضمان توحيد الجماعة مثل المخلوق البشري. ويمكن ان تتجمع مطامح الجماعة ومميزاتها في شخصية فرد واحد. فتأثير هتلر على الألمان كان يرجع جزئياً إلى قدرتهم على توحيد أنفسهم به. وهم قد عانوا من هزيمة ساحقة في الحرب العالمية الأولى. وكان هتلر جاويشا في الجيش المقهور. وكذلك أصيبوا بأزمة اقتصادية عنيفة. وكان هتلر واحدا من طبقات الشعب الدنيا. وكانوا يتلهفون على الوقت الذي تستطيع فيه المانيا ان تنتقم لشروط السلام الشائنة الخاصة بعام ١٩١٨. وقد عبر هتلر عن رغباتهم. وبدأ في سياسته إعادة بناء الامبراطورية. وكانوا يريدون التوظف والامان. وقد عبر هتلر عن هذه الرغبة بعبارات شديدة حاسمة.

هذا ومميزات الرمز البشري في تقوية عملية التقمص تفسر لنا السبب في احتفاظ ديموقراطية سياسية مثل انجلترا بمليكها. ولقد كان هتلر قائداً نشطا ورمزا. اما ملك انجلترا فهو مجرد رمز. فالإنجليز في كل أنحاء العالم يرون ان مليكهم رمز الوحدة الامبراطورية البريطانية. ويشعرون بعضويتهم كإنجليز في هذه الامبراطورية شعوراً أعمق لأنهم يمكنهم ان يوحدوا انفسهم بالطابع الإنجليزي البحت الذي يمثله الملك. أما رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية فهم لا يحققون تماماً هذه الوظيفة لأنهم بمساهمتهم الفعلية في المسائل السياسية يكونونأشبه بالرجال العاديين. وان مشايعي أحزابهم يوحدون أنفسهم بهؤلاء القادة. ولكن أعضاء الحزب المعارض لا يأبهون بهم.

وتفسر لنا عمليات التيسير والمحاكيات والإيحاء والتقمص السبب في اختلاف سلوك الناس حينما يكونون مجتمعين معاً كما لو كانوا منعزلين-كل هذه الميكانيزمات تؤدي إلى تماثل السلوك والمعتقدات. إن حياة الجماعة يمكن استمرارها فقط تحت ظروف التطابق والنظام في السلوك الانساني. وان التجمعات البشرية هي النتائج المنظمة لعمليات التفاعل الديناميكية. هذه العمليات تصبغ رغبات الفرد الأنانية بالصبغة الاجتماعية.

تحليل عملية التفاعل : Interaction Process Analysis

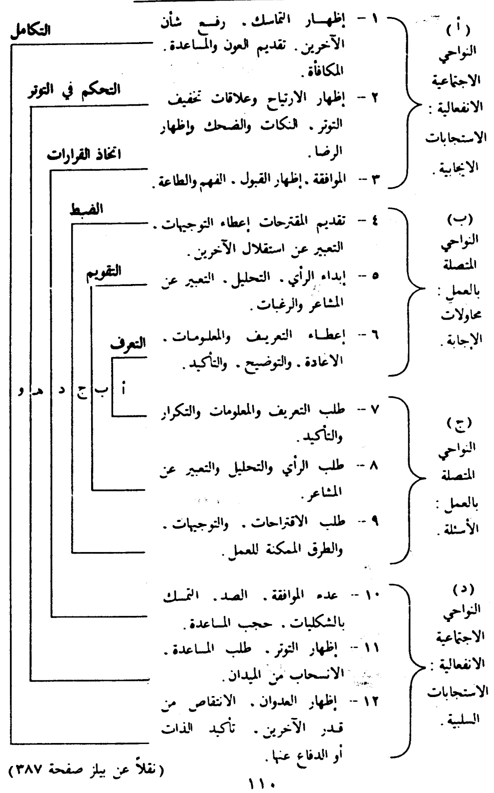
تحليل عملية التفاعل نظرية وطريقة للبحث في الجماعة الصغيرة. استنبطها روبرت بايلز * (Robert F. Bales) في معمل العلاقات الاجتماعية بجامعة هارفارد بأمريكا. وقد وجه بايلز الكثير من بحوثه إلى دراسة عمليات التفاعل بين الافراد. وسنعرض مراحل الحل الجماعي للمشكلة كما يقدمها بايلز.

وتتضح هذه المراحل في تقسيمه للسلوك الذي يمكن ملاحظته في الجماعة إلى ١٢ فئة كما هي موضحة في الشكل التالي:

ويفترض بايلز ان الجماعة في حلها للمشكلة الكاملة. تنتقل من الاهتمام النسبي بمشكلات التعرف، أي الوصول إلى تعريف مشترك للموقف ويشمل ذلك طلب واعطاء المعلومات وتوضيحها. إلى مشكلات تحديد الأسس التي تقوّم في ضوئها الحلول المختلفة ويشمل ذلك طلب أو إبداء الرأي وتحليل المشاعر أو التعبير عنها، ثم إلى مشكلات الضبط أي محاولات الأعضاء التأثير بعضهم في البعض الآخر. ويشمل ذلك طلب الاقتراحات وتقديمها. والتوجيه إلى

* Bales, R.F: Interaction Process Analysis. Cambridge Mass: Addison. Wesley, 1951.

شكل يبين فئات عملية التفاعل



(نقلاً عن بيلز صفحة ٣٨٧)

مختلف أنواع السلوك الممكنة، ثم الوصول إلى قرار نهائي. ولكي تواجه الجماعة المشكلات وحلها في كل من هذه المراحل، يتعين عليها ان تعالج مشكلات تنظيمها فتعالج التوترات التي تنشأ في الجماعة (ضبط التوتر)، وتعمل على صيانة تكامل الجماعة (التكامل).

ويمكن النظر إلى هذه الفئات في ضوء نظام تصنيفي آخر. فالفئات الوسطى أي من ٤ إلى ٩ تتصل أساساً بالعمل المطلوب لحل المشكلة. والسلوك الذي يقع في تلك الفئات سلوك يتميز بالحياد من الناحية الانفعالية، فهو سلوك ضروري لأداء العمل سواء كان عملاً ناجحاً أم فاشلاً. أما الفئات المتطرفة فهي تتصل بالسلوك الذي يتميز بأنه اجتماعي-انفعالي في وجهته، وبمشكلات تنظيم الجماعة وتكاملها، وهي مشكلات يصاحبها الانفعال أي أنه سلوك تعبيري أكثر من أن يكون أداء للعمل.

وعند ملاحظة الجماعة في تحركها نحو الهدف، يتعين ان تؤخذ في الاعتبار أربعة متغيرات هي: شخصيات الأعضاء، والخصائص المشتركة بينهم والتي تكون جزءاً من الثقافة العامة التي يعيشون فيها والثقافة الخاصة التي ينتمون إليها، وتنظيم الجماعة، أي ما يتوقعه الأفراد فيما يتصل بعلاقاتهم الاجتماعية ومراكزهم المختلفة، ثم طبيعة المشكلة التي تواجهها الجماعة وما ينشأ عنها من أحداث تتغير بتفاعل أفراد الجماعة.

ويرى بايلز ان افتراضاته لا تتحقق الا بتحقق شروط معينة في الجماعة وفي المشكلة. ويذكر منها ما يأتي:

١ - ان يكون الأفراد اسوياء.

٢ - ان يكون الأفراد راشدين.

٣ - ان يكون الأفراد على مستوى معقول من التعليم.

٤ - ان يكون هناك حد أدنى من التماسك في الجماعة.

٥ - ان يكون هناك بعض التقارب بين المراكز المختلفة في الجماعة.

٦ - ان تكون هناك مشكلة محددة تطلب تصميماً ووضع خطة واتخاذ قرار.

٧ - ان تكون المشكلة قابلة للحل في خلال فترة المناقشة.

للقيم عامة والقيم التعليمية .

أولا : عرض تاريخي لنشأة مفهوم القيم .
ثانيا : مصطلح القيمة عند الفلاسفة والعلماء .
ثالثا : بعض المفاهيم المرتبطة بالقيم .
رابعا : خصائص القيم .
خامسا : التغير في القيم ومعناه .
سادسا : مستويات القيم .
سابعا : السلوك والقيم .
ثامنا : تقسيمات القيم .
تاسعا : طرق دراسة القيم .
عاشرا : تعريفات موضوعات القيم التعليمية .

اطار نظرى للقيم التعليميه عامة والقيم التعليميه

أولا : عرض تاريخى لنشأة مفهوم القيم والقيم التعليمية :

لما كان موضوع هذه الدراسة عن القيم التعليمية لذا وجب تفصيل القول عن مصطلح القيمة ، والقيم . ويعد أول من استخدم لفظ القيمة وعمل على نشره الفيلسوف الألمانى لوتز Lotze ، واللاهوتى ريتشل ريتخل Rtischl عام ١٩٠٠ ، وبعض علماء الاقتصاد النمساويين مثل منجر Menger ، وفون بوم بافيرك Von Bohm Baverk ، وقد نجم عن نجاح فلسفة الفيلسوف الألمانى نيتشة Nietzsche أن ذاع استعمال كلمة القيمة بين جمهرة المثقفين ، واحتلت نظريات القيمة المكانة الأولى لها فى ألمانيا عام ١٩٠٠ ، وفى انجلترا ، وأمريكا عام ١٩١٠ ، والقيم الاجتماعية لم يرد ذكرها بالمرة كمادة فى حد ذاتها فى موسوعة العلوم الاجتماعية سواء فى الطبعة القديمة أو الحديثة ، ويعلق جاندى Jandy ١٩٤٢ قائلا " أن علماء الاقتصاد كانوا حتى وقت قريب يعتقدون أن دراسة موضوع القيم من شأن الفلاسفة وحدهم ولذلك لم يعيروها أى اهتمام وتركوها للفلسفة .
(١٣٥ : ٢٢٦)

وعلق ليفى شتراوس Lévi Strauss فى معرض الكلام عن أهمية القيم فى دراسة الثقافات المختلفة أنه اذا كان قد بدى من العلوم الاجتماعية شئ من العزوف أو التردد ، أو التقصير ، أو التباطوء فى معالجة القيم ، فان ذلك يرجع الى أنه عندما نتكلم عن القيم انما نتكلم عن الانفعالات والعواطف والظواهر غير المنطقية ، ويقرر هتزلر Hetzler ١٩٤٠ أن علماء الاقتصاد وحدهم ينفردون من بين علماء الاجتماع بما أولوه من اهتمام جدير بالذكر بدراسة القيم ، فقد عكفوا منذ قرن مضى على البحث فيها ، وفى الدور الأساسى الذى تلعبه فى تحديد الأسعار ،

وفى انتاج السلع ، واستهلاكها ، وتوزيعها ، وتعمقوا فى تحليل دراسة ما يتصل بها من اشباع الحاجات والرغبات حتى وصف بعضهم علم الاقتصاد بأنه علم القيمة .

(١٣٣ : ٣٠٩)

وفى أواخر عام ١٩١٢ بدأ كولى Cooley سلسلة من المقالات جمعت فى كتاب واحد أبرز فيها أهمية القيم فى ميدان الظواهر الاجتماعية وتحليلها ، ومنذ ذلك الوقت بدأ الاهتمام بدراسة القيم كمعطيات اجتماعية Social data وكان لاهتمام العلوم الاجتماعية بدراسة القيم أكبر الأثر فى ترابط طائفة كبيرة منها أصبحت تعرف بنظرية القيمة Theory of value ، والتى تطلق على مجموعة من المشاكل المشتركة بين طائفة علوم القيمة تلك العلوم التى تتضمن علم الأخلاق ، وعلم الجمال ، وعلم الاقتصاد ، وعلم السياسة ، والأنثروبولوجيا ، وعلم الاجتماع ، ونظرية المعرفة .

وفى هذا المجال يمكن تسجيل ملاحظة جماعة كورنيل Cornell ١٩٥٤ ، لدراسة القيم وهى أن مفهوم القيم أصبح نقطة تقابل مختلف العلوم الاجتماعية المحدودة التخصص كما أصبح أيضا مفتاحا لمفهوم التكامل فى الدراسات الانسانية .

(٨٠ – ١٩)

وأوضح ليهمان Lehman ١٩٦٣ أن التغير فى القيم يتوقف على طبيعة الاحتكاك الاجتماعى الذى يتعرض له الأفراد ، وعلى الرغم من اتضاح أهمية الجو الجامعى فى تغيير القيم عند طلاب الجامعة فى أبحاث نيوكمب Newcomb ١٩٦٢ ، الا أنه من المستحيل عزل عامل واحد ، واعتباره مسئولا عن التغيرات فى القيم ، وتلعب القيم دورا هاما فى تحديد سلوك الفرد ، وتوجهاته ، فى المجتمع

الذي يعيش فيه ،كما تلعب نفس الدور في تحديد سلوك الجماعة وتفاعلها الاجتماعي من خلال مختلف أشكال السلوك الاجتماعي ، بل ويمكن للقيم أن تسهم بالنصيب الأوفر في تكوين الشخصية القومية لشعب من الشعوب أو جماعة عرقية أو حضارية معينة ، وتنشأ القيم من خلال تفاعل الفرد مع ثقافة مجتمعه أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، وهذا ما يؤدي الى وجود التشابه بين أفراد المجتمع الواحد ، وينتج عنه ما يسمى بالطابع القومي والشخصية القومية National character وقد تعرض هذا المفهوم للنقد من كثير من الباحثين في علم النفس الاجتماعي لأنهم يرون أن الثقافة الواحدة تشمل عدة ثقافات فرعية Sub-cultures مما يجعل من الصعب القول بوجود شخصية واحدة ، وهذا ما ساعد فريقا آخر من الباحثين على تقريب هذا المفهوم من المعنى الاحصائي ، والقول بوجود الشخصية المنوالية Model per-sonality أي الشخصية التي يشيع وجودها في المجتمع ، وتبنى أحد العلماء في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية وهو باتال Patal ١٩٧٦ في كتابه عن العقلية العربية تعريفا للشخصية القومية ، أو الطابع القومي يأخذ به معظم الدارسين ويتضمن هذا التعريف أن الطابع القومي : هو الحصيلة الكلية للدوافع أو السمات والمعتقدات ، والقيم السائدة بين مجموع السكان في مجتمع قومي معين .
(٢١ : ١٧٩ ـ ٢٠٣)

ويقول كلوكهوهن Klukhohn ١٩٥٢ في هذا المعنى أن الحياة الانسانية هي في الحقيقة خلقية ، بل لابد وأن تكون حياة خلقية لأنها اجتماعية ، وفي حالة الجنس البشري لايحدث التعاون ، أو غير ذلك من ضروريات الحياة الاجتماعية بصورة آلية كما هو الحال في الكائنات الحية الأخرى ، ويجب أن ندرك أن الأخلاق قيم تتصل بالخلق (السلوك) تتفق الجماعة عليها ، وبهذه الدرجة تعتبر الأخلاق ، وكافة القيم الاجتماعية نتائج للتفاعل الاجتماعي في نطاق الثقافة . (١٤٠ : ٣٨٨)

ثانيا : مصطلح القيم عند الفلاسفة والعلماء :

تعد القيم من المفاهيم الهامة فى حياة الأفراد ، والمجتمعات ، وفى جميع ميادين الحياة من سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية فهى توجه السلوك ، وتعتبر معايير ، وأهدافا ، وتتضح فى السلوك الظاهر للأفراد شعوريا ، أو لا شعوريا ، والقيمة مفهوم مجرد وغالبا ما يكون ضمنيا يوضح للفرد ، أو للوحدة الاجتماعية الغايات ، والنهايات المرغوبة ، وهذه المفاهيم المجردة للقيمة عادة لا تكون نتيجة لتقييم الفرد ، وانما هى نواتج اجتماعية فرضت نفسها على الفرد ، واكتسبها من خلال عملية التشرب ، أو الامتصاص ، أو الاستدخال ، أى أنه قبلها ، واستخدمها كمحك خاص به ، ويقول سميث Smith ١٩٥٤ ، أن كل اختيار ، أو عمل ، أو حكم ، يستند الى قيم معينة لدى الفرد ، بل ان الزعم بعلم متحرر من القيم Free Science سعيا وراء الموضوعية من شأنه أن يعوق تقدم العلم ذاته (١٥٤ : ٩)

وقد اختلف علماء النفس فى تحديد طبيعة القيم وتعريفها ، ومن الممكن أن نحكم على مدى هذا الاختلاف من مجموعة التعاريف التى أوردتها برتا فريدمان Berta B. Friedman ١٩٤٦ فى كتابها عن أسس وأصول قياس القيم :

Foundations of the Measurement of values .

فقد قامت بتصنيف هذه التعاريف على أساس وجهة نظرها الى القيم على اعتبار أنها مشاعر ، أو اتجاهات ، أو استعداد ، وتهيؤ ، أو نشاط ، أو سلوك ، أو نهاية لسلوك ما ، أو تفضيل له ، أو تقويم (٦٣ : ١٨٤)

ونجد أن عددا من العلماء يعرفون القيمة من خلال مصطلحات مرتبطة بالمفهوم مثل الميول Interests ، السرور أو اللذة pleasure التفضيلات Preferences ، الواجبات Duties الالتزامات الخلقية Moral obligations

الرغبـات Desires الحاجات Needs ، والعديد من الوسائل الأخـــرى للتوجيهات الانتقائيـة Selective orientations (١٦٤ : ٢٨٣)

وتعد القيم الاجتماعية من أبرز عوامل الضبط الاجتماعي غير الرسميـــة informal حيث تعمل كموجة لسلوك الأعضاء فى اتجاه ماهو مرغوب فيه ، ومفضل ثقافيـا ٠

ويكشف هذا التحليل عن وجود ثلاثة جوانب أساسية للقيم وهى :

- الجانب الفكـــرى ٠
- الجانب التوجيهى أو التنظيمى ٠
- الجانب الوجدانى ٠

وهذا يعنى أن القيم ببساطة مجموعة الأفكار المشتركة التى تدور حول ماهــو مرغوب فيه ، والتى يرتبط بها أعضاء الجماعة وجدانيا بحكم تشلهم اياها وكنتيجـة للتنشئة الاجتماعية التى تسهم فى تنظيم السلوك ، وتعديله ، وتوجيهه ، وتحديـــد مضامينه ٠

ويعرف كلوكهوهن Klukhohn ١٩٥٩ القيم بأنها تصور ، أو ادراك واضح ، أو ضمنى يميز الفرد أو الجماعة للمرغوب فيه الذى يؤثر فى انتقاء الطـــرق الممكنـة والوسائل ، وغايات الفعل ٠ (١٤٠ : ٤٠١)

ويشير رالف بارتون يرى Ralf Barton perry فى دراسة لــــه بعنوان النظرية العامة للقيمة General Theory of value الى أن هناك ارتباطا واضحا بين القيمة ، والميل ، فالأشياء موضع اهتمام أبناء الجماعة هى الأشيـاء التى لها قيمة فى نظرهم ، فالقيمة تنبع من الاهتمام والرغبة والاهتمام بدوره يتصـــل

بالسلوك كما أن له هدفا ، وغاية ، فهو ينبع من الانسان، ويتجه نحو أشياء، أو معان .

والقيم عند بيرى Perry تعد قوى دافعة وموجهة للسلوك ، ذلك أنها هادفة ، وغرضية ، فهى هنا كالدوافع حيث تدفع الشخص وتحركه لتحقيق غايات محددة ، ومن أهم مميزات نظرية بيرى Perry حول القيم أنها تحدد القيم بشكل موضوعى ، وتربط القيم بالسلوك ، الى جانب أنها توضح ما يمكن أن نطلق عليه ديناميات القيم ، أو كيفية تغير القيم داخل الجماعة . (٨٠ : ٣٦)

ويعرف روس ستاجنر Ross Stagner ١٩٦١ القيم بأنها نوع من الاتجاه الأكثر تعميما ، فكلمة القيمة مصطلح نستخدمه للدلالة على نوع الاتجاهات الأكثر تعميما ، والأكثر عمقا . (١٥٥ : ٢٥٣)

فالطالب مثلا اذا اتخذ اتجاها معينا تجاه موقف مثل الموافقة على رئاسة شخص أو معارضة مبدأ معين فان ذلك يعتبر اتجاها ، أما اذا تحول هذا الاتجاه الى اتجاه أكثر تعميما فيصبح هذا الاتجاه نوعا من القيم مثل القيم الدينية أو الاقتصادية .

ويذهب بعض الدارسين الى أن القيم هى فى جوهرها انتظام مجموعة من الاتجاهات فى تكوينات أكبر بحيث تتكامل حول بعض التجريدات التى تتصل بفئات عامة من الأشياء . (١٦ : ١٤٢) ويمكن ترتيب القيم عند الشخص بشكل يوضح أيها أكثر سيطرة ، وأهمية ، وتأثيرا فى سلوكه أكثر من غيرها .

ويشير كلوكهوهن Klukhohn ١٩٥٩ الى أن القيم ترتبط بكل ما هو مرغوب فيه ، فالقيمة عنده مفهوم تجريدى لما هو مرغوب فيه ، والذى يؤثر على اختياراتنا بين عدة بدائل ، ويقصد بما هو مرغوب فيه ، ما يجب أن يكون حسب

ثقافة الجماعة التى ينشأ فيها الانسان، أى ما هو مرغوب فيه على المستوى الجماعى ، وليس على المستوى الفردى .

وهذا يعنى أن القيمة حسب تحديد الباحث المذكور تمثل اختيارا أو تفضيلا ، واهتماما من جانب الشخص الذى يرى أن هذا الاختيار ، والتفضيل ، والاهتمام ينبثق من خلفيات عقلية ، وخلفية تدعمه وهذه الخلفيات تعلمها واكتسبها من الجماعات الاجتماعية التى تربى داخلها .

ويسير ثورنديك Thorndike فى نفس هذا الاتجاه حيث يؤكد أن القيم هى التفضيلات ، أو الأشياء المفضلة لدى الانسان، أو الجماعة ،وهو يقسم القيم الى قسمين : الأول ايجابى يجلب اللذة ، والثانى سلبى يسبب الألم، وهذا يعنى أن هناك قيما ايجابية مطلوبة وأخرى سلبية مرفوضة .

ويفسر ألبورت Allport ١٩٦٧ القيمة بأنها المعتقد الذى يسلك الانسان بمقتضاه ، أى السلوك الذى يفضله . (١١٦ : ٤٥٤)

<u>ويمكن النظر للقيمة باعتبارها أحكاما عقلية حيث :</u>

يرى أحمد زكى صالح ١٩٥٩ أن القيم نوع من المعايير الاجتماعية التى تتأثر بالمستويات المختلفة التى يكونها الفرد نتيجة احتكاكه بمواقف معينة ، ونتيجة لخضوعه لعملية التعلم المباشرة ، أو غيرها من البيئة التى ينمو فيها . (٥ : ٣٨٧)

ويرى عزيز حنا ١٩٧١ أن القيم أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية التى يتشربها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره ، وتحدد سلوكه ، وتؤثر فى تعلمه .
(٥٩ : ٦٥)

ويرى حامد زهران ١٩٧٢ أن القيم أحكام فعليـة انفعالية معممـة، نحـو الأشخاص، أو الأشياء، أو المعانى ، وأوجه النشاط (٢٠ : ١٥٦) .

وينظر البعض للقيم باعتبارها معايير اجتماعية حيث :

ترى فوزية دياب ١٩٦٦ أن القيم اهتمام أو اختيار ، أو تفضيل ، يشعـر معه صاحبه أن له مبرراته الخلقية ، أو العقلية ، أو الجماليـة ، بناء على المعايير التى تعلمها من الجماعة ، ووعاها فى خبرات حياته ، نتيجة عملية الثـــواب ، والعقاب ، والتوحد مع الغير . (٨٠ : ٣٠)

وقام سيد عبد العال باستعراض التعريفات المختلفة من عام ١٩٥٤ ــ ١٩٧٦ ثم قام بدراسة تحليل مضمون تلك التعريفات ، وجاء فى نهايته أن مفهوم القيم يـــدل على مجموعة من الاتجاهات المعيارية (المركزيـة) التى تتكون لدى الفرد فى المواقف الاجتماعية فتحدد له أهدافه العامة فى الحياة ، والتى تتضح من خلال سلوكـــه العملى ، أو اللفظى . (٤١)

واذا رجعنا الى لورى نلسن Nelson ١٩٦٠ عالم الاجتماع الأمريكـــى نجد أنه يوسع من مفهوم القيم ويحددها بشكل اجرائى قابل للدراسة ، والقيــاس ، فهو يرى أنها تتضمن الجوانب الأربعة التالية :

أ ــ الأهداف التى يسعـــى أعضاء المجتمع لتحقيقهـــا .
ب ــ الوسائل المشروعة المتفق عليها لبلوغ هذه الأهـــداف .
جـ ــ نظام الجزاءات الذى يفرض على أعضاء الجماعة ، والمجتمع احترام هذه الأهداف وتلك الوسائل المشروعة الموصلة اليها .
د ــ تحقيق التنظيم بين هذه الأهداف ، والوسائل ، والجزاءات ، حـــتى يتحقق التوازن بينها جميعا . (١٤٧)

ويرى فؤاد أبو حطب ١٩٧٤ أن القيم مجموعة أحكام يصدرها الفرد على بيئته الانسانية ، والاجتماعية ، والمادية ، وهذه الأحكام هي في بعض جوانبها نتيجة تقويم الفرد ، أو تقديره ، الا أنها في جوهرها نتاج اجتماعي استوعبه الفرد ، وتقبله ، بحيث يستخدمها كمحكات ، أو مستويات ، أو معايير ، ويمكن أن تتحدد اجرائيا في صورة مجموعة استجابات القبول أو الرفض ازاء موضوعات ، أو أشخاص ، أو أفكار . (٧٤ : ٦٢ ـ ٦٣)

وذكر ثلاثة مستويات للقيمة كما حددها كراثوهل وزملاؤه Krathwohl, et al., يدل كل منها على مرحلة من مراحل الاستيعاب ، كما أن كلا منها قابل للقياس :

أ ـ مستوى التقبل .
ب ـ مستوى التفضيل .
جـ ـ مستوى الالتزام . (٧٤ : ٦٢ ـ ٦٣)

مفهوم الباحث للقيم :

القيم مفهوم يستدل على معناه من خلال محتوى الاستجابات التفضيلية ، أو الانتقائية لسلوك معين ، أو نواح معينة تتضح ازاء المواقف المختلفة ، والمذكورة في مقياس القيم التعليمية من اعداد وتصميم الباحث .

يتضح مما سبق أن القيم من أهم الدوافع التي تحرك السلوك أو توجهه الوجهة التي تشبع رغباته ، بل ويعتبرها البعض أنها تتغلغل في حياة الفرد ، وأنها تسهم في تشكيل سلوكه ، وأن لها دورا في دفع سلوك الانسان ، وتوجيهه الوجهة التي تحدد له الخطوط العريضة في حياته ، وفي حسم الصراع الذي قد يقع نتيجة لتردده في الاختيار بين الأشياء ، وغالبا ما يسلك الفرد تجاه الأكثر أهمية .

والقيم داخل أى مجتمع أو جماعة تمثل مجموعة الخصائص ، والصفات ، والأهداف المرغوب فيها طبقا لما تحدده الثقافة العامة ، أو الفرعية ، فهناك ثقافات تعلى من قيمة الشجاعة ، والحق ، والتسامح ، فى حين تعلى ثقافات أخرى من قيمة القوة ، والعدوان . وتعد من أبرز عوامل الضبط الاجتماعى غير الرسمية informal حيث تعمل كموجه لسلوك الأعضاء فى اتجاه ما هو مرغوب فيه ، وما هو مفضل ثقافيا .

وينظر بعض الباحثين الى القيم على أنها معيار ، أو محك يقيس الأفراد سلوكهم وفقا له ، وينظر اليها البعض على أنها عنصر مرغوب فيه ، أو مرغوب عنه ، وهذا العنصر يعطى للقيمة فعاليتها فى المواقف الاجتماعية .

ويرى الباحث أن القيم مجموعة من الاتجاهات التى تتكون لدى الطالب فى المواقف الاجتماعية والتعليمية ، فتحدد له أهدافه ، وتتضح فى سلوكه العملى أو اللفظى .

وعلى هذا فالقيم مرتبطة ارتباطا وثيقا بسلوك الفرد فى كل موقف من مواقف حياته حيث تكمن خلف هذا السلوك ، وتوجهه لتعطيه المعنى لذا فمجموعة القيم السائدة لدى الطالب ، أو جماعة من الجماعات تمثل نوعا من الضغوط الاجتماعية التى تؤثر فى سلوك الطالب تأثيرا مباشرا ، وعلى سبيل المثال الطالب الذى ترتفع لديه القيمة التعليمية يشعر ، ويعمل نحو ما تتطلبه هذه القيمة ، فيختار أساليب سلوكية فى الدراسة ، والحياة تنسجم مع تلك القيمة ، ويعنى هذا أن القيم تضع الأشياء ، والأعمال ، وطرق السلوك وأهداف العمل فى مقياس يتدرج بين التقبل ، والرفض ، كما سيتضح ذلك من قياس القيم التعليمية من اعداد الباحث .

النسق القيمي Value System :

هو مجموعة القيم ، أو النظام القيمي الذي ينظم تصرفات الفرد وغالبا ما يكون ذلك بدون معرفة الفرد ، أو هو مجموعة القيم التي يقبلها الفرد ، أو الجماعة الاجتماعية صراحة ، وتختلف الثقافات بعضها عن البعض الآخر في التنظيم الهرمي للقيم ، أو في النسق القيمي الذي تتميز به ٠

كذلك يمكن تعريفه بأنه نموذج منظم ومتكامل من التصورات ، والمفاهيم الدينامية الصريحة ، أو الضمنية ، يحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعيا ، ويؤثر في اختيار الطرق ، والأساليب ، والوسائل ، والأهداف الخاصة بالفعل في مجتمع ، أو جماعة ما ، وتتجسد مظاهره في اتجاهات ، قيم الأفراد ، والجماعات ، وأنماطهم السلوكية ، ومثلهم ومعتقداتهم ، ومعاييرهم الاجتماعية ، ويتداخل في كافة مكونات الفعل الاجتماعي ، ويرتبط بها ، يؤثر فيها ، ويتأثر بها ٠

(٤٢ : ٢٠٩ ـ ٢٣٠)

ثالثا : بعض المفاهيم المرتبطة بالقيم :

١ ـ القيمة والاتجاه :

استعرض ألبورت Allport ١٩٣٥ ستة عشر تعريفا مختلفا للاتجاه ذكرها بعض العلماء ، من أمثال وارن Warren ، وتشيف Chave ، وكانترل Cantril ، ولندبرج Lundberg ومن خلال هذا العرض يقدم ألبورت Allport ١٩٣٥ تعريفا للاتجاه يعد أكثر تعاريف الاتجاه ذيوعا ، وأكثر قبولا لدى المتخصصين في هذا المجال ، فالاتجاه وفقا لرأي البورت Allport ١٩٣٥ : حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي ، والنفسي تنتظم من خلاله خبرة الشخص ، ويكون ذا تأثير توجيهي ، أو دينامي ، على استجابة الفرد تجاه جميع الموضوعات ، والمواقف التي تستثير هذه الاستجابة ٠ (١١٥ : ١٨٠)

ويتحدث عدد من الباحثين عن القيم بمعنى الاتجاهات ، ومن أمثلة هؤلاء كانترل Cantril الذى تحدث عن القيم باعتبار أنها اتجاهات قيمية ، ويرى سارجنت Sargent أن القيم تمثل الأمور التى تتجه نحوها رغباتنا ، واتجاهاتنا ، وفى ذلك يقرر كاتز وستوتلاند Katz, stotlande ١٩٥٩ أنه اذا انتظمت الاتجاهات فى تكوينات متسقة أومترابطة فانها تعرف بالأنظمة القيمية .
(١٣٦ : ٦)

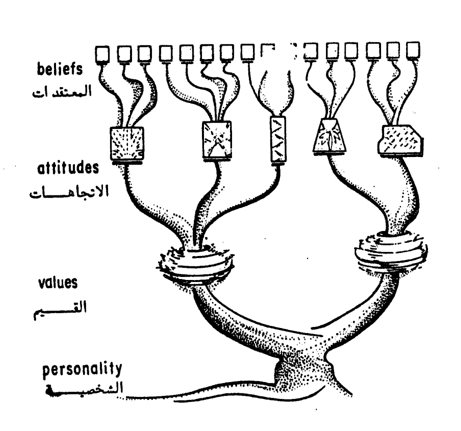
ويرى أحمد زكى صالح ١٩٥٩ أن الاتجاه يمثل استجابة عامة عند فرد ما ازاء موضوع معين وبالتالى فان الاتجاه يتضمن حالة تأهب ، أو استعداد لدى صاحبه تجعله يستجيب بطريقة معينة سريعة دون تفكير ، أو تردد ازاء موضوع معين ، وهذا الموضوع يرتبط عادة بشعور داخلى لدى الفرد ، أى أن الاستجابة الصادرة من الفرد ازاء موضوع الاتجاه هى استجابة تنتمى الى التكوين الانفعالى فى الشخص ، وان كان يعبر عنها قولا أو فعلا .

ويرى سيد عثمان ١٩٧٢ أنه على الرغم من اختلاف علماء النفس فى استخدامهم لمصطلح الاتجاه ووجود اختلافات واسعة بينهم فى تعريفهم له ابتداء من المستوى الاجرائى الى المستوى الفلسفى ، الا أنهم يتفقون على خاصية عامة واحدة ، وهى أن الاتجاه يستلزم وجود تهيوء ، أو تأهب ، أو استعداد للاستجابة ، سواء كانت استجابة قبول ، أو رفض للأشياء الاجتماعية ، كما يشترط أن يكون هذا الاستعداد موجودا قبل الاستجابة بحيث يوجه السلوك الظاهر للفرد حين يتفاعل مع المتغيرات الموقفية والتكوينية .

وأكد بوجاردس Bogardus ١٩٣١ أن وراء كل اتجاه قيم تحركه ، والحديث عن القيم دون التعرض للاتجاهات ، أو الحديث عن الاتجاهات دون التعرض للقيم ضرب من ضروب المحال ، فهما وجهان لعملة واحدة .
(١٢١ : ٥٢)

وقد أشار أوبنهايم Oppenheim ١٩٦٨ فى كتابه " تصميم الاستفتاء وقياس الاتجاهات " الى أن الاتجاهات موقعها بين المعتقدات beliefs والقيم values ، وذكر أن الاتجاهات تأخذ عدة مواقع ، ولها أعماق متفاوتة ، فهناك اتجاهات سياسية قد تظل مع المرء طوال حياته ، وقد يكون له اتجاهات نحو نوع معين من السيارات ، أو نحو المراهنات، وهذه قد تتطور ، وتتغير عدة مرات ، كذلك نجد بعض الاتجاهات العميقة التى قد تمس فلسفة المرء فى حياته ، بينما نجد لديه اتجاهات أخرى تعتبر سطحية وللتيسير والفهم نجد أن بعض العلماء فى مجال علم النفس يميزون بين هذه المستويات بتسمية الحالات السطحية معتقدات beliefs ، ويليها الاتجاهات Attitudes ، أما المستوى الأعمق فيطلق عليه القيم values ، أو الاتجاهات الأساسية Basic Attitudes (١٤٩ : ١١٠).

ويتبقى بعد ذلك الأكثر عمقا فيطلق عليها الشخصية personality كما يوضحها الشكل الآتى :



شكل رقم (١)

شجرة الشخصية نقلا عن أوبنهايم

هذه المستويات المختلفة تتباين من ناحية القدرة على التحمل Endurance والسطحية ، أو العمق deeper versus superficial ، والثبات ضد القابليه للتغيير stable versus changeable ، والأكثر عمومية ، أو الأكثر نوعية more general versus more specific ، ويتضح من الشكل المبين أن الاتجاه الواحد قد يكون مرجعه الى عدة معتقدات ، كما أن القيمة الواحدة قد يكون مرجعها الى عدة اتجاهات • وطبيعى أنه لايجوز أن يقودنا هذا الشكل الى تبسيط الأمور أكثر من اللازم ، وهذه الطبقات ليست منفصلة ، وانما هناك علاقات وأنماط من الاتصالات بين تلك الطبقات تشبه مايطلق عليه أحيانا " نموذج الشجرة " : The tree Model •

ويرى مظفر شريف ١٩٦٩ Sherif أن الا[illegible] لاتكون فطرية وأنها تقرر العلاقة بين الشخص والأشياء أو الموضوعات ، كما أشار ا ى ان مصادر الاتجاهات تنتج مايعتنقه الفرد من قيم ، ومعايير سائدة لدى جماعة الفرد ، وطبقته الاجتماعية) ، ويتسم هذا المفهوم بابراز الطابع الاكتسابى ، بالاضافة الى الدور الذى تلعبه الجماعة المرجعية • (٣٣٤ : ١٥٩)

وقام سيد عبد العال ١٩٧٧ باستعراض التعريفات المختلفة من عام ١٩٥٤ حتى ١٩٧٦ ، ثم قام بتحليل مضمون تلك التعريفات ، وانتهى الى أن هناك ملامح أساسية تميز القيم عن غيرها نعرضها فيما يلى : (٤١)

١ ـ أن القيم فى الأساس مجموعة من الاتجاهات رسخت عبر تاريخ الفرد ، وبالاكتساب من الثقافة المعايشة ، كما يتمثل ذلك فى عملية التنشئة الاجتماعية وبمعنى آخر أن عددا من الاتجاهات المتقاربة ، والمتشابهة بعد أن تتعمق وترسخ تتمركز فى شكل قيمة من القيم الأساسية التى تحتل من الفرد وضعا مركزيا فى اتجاهاته الفكرية وتصرفاته السلوكية •

٢ ــ أن الاتجاهات لاتعكس قيمة من القيم الا اذا توافر لها الشرط المعيارى أى اذا تحول الاتجاه الى قضية معيارية تمس معتقدات الأفراد • وان الفرق بين الاتجاه والقيمة • يتضح أيضا بتحديد الأهداف بمعنى أن الاتجاه فى حد ذاته لايحدد الأهداف فى الحياة • ولكن يجعل للفرد اتجاها معينا نحوها • فاذا انقلب الى قيمة أصبح مؤشرا الى انعقاد تلك الأهداف بدقة وعناية بالغة •

٣ ــ أن القيم لاتنشأ من عدم • ولاتعيش فى فراغ • فهى تنشأ فى بداية الأمر فى شكل اتجاهات يكتسبها الفرد فى مواقف الحياة على اختلافها بدءا بالتنشئة الاجتماعية • وانتهاء بالتأثر بالجماعات الفرعية التى ينضم لها خلال رحلته المتصلة فى الحياة الاجتماعية •

ويؤكد أحمد زكى صالح ١٩٥٩ أن القيم هى الاتجاهات فى صورتها العامة، والاتجاهات هى قيم تتعلق بموضوعات محددة خاصة • وفى هذا الاطار يجب أن يكون تصورنا العلمى لهذه المفاهيم التى تلعب دورا خطيرا فى توجيه سلوك الأفراد والشعوب• (٥: ٣٣٨)

٢ — الميل والاتجاه :

ارتبطت دراسة الميول بنظريات التربية منذ أيام روسو Rousseau حين نادى بأن التربية عملية نمو من الداخل وليست اضافة خارجية ، وتتم هذه العملية عن طريق ماتقوم به الغرائز ، والميول الطبيعية .

وأثبتت الدراسات والبحوث المختلفة أن أكثر الأفراد تحمسا لأعمالهم المدرسية وأكثرهم اقبالا عليها هم أكثرهم ميلا لدراستهم ، بما تتطلب هذه الدراسة من نشاط مصاحب .

ويعرف جيلفورد Guilford ١٩٥٦ الميل باعتباره نزعة سلوكية عامة لدى الفرد تجعله ينجذب نحو فئة معينة من فئات النشاط .

ويعرف عطية هنا ١٩٥٩ الميل بأنه استجابة الفرد استجابة ايجابية ، أو سلبية نحو شخص أو نشاط أو شيء أو فكرة معينة (١٥٢:٦٣)

ويعرف عماد الدين اسماعيل وآخرون ١٩٦٧ تعريفا اجرائيا حيث يرى أن الميل مفهوم يعبر عن استجابات الفرد نحو موضوع معين من حيث القبول أو المعارضة .

الميل هو ما نحب ، أو ما نفضل ، بينما الاتجاه يتعلق بما نعتقد لأنه ليس كل ما نحبه نعتقد فيه ، وليس كل ما نعتقد فيه نحبه .

يتضمن الاتجاه عقيدة ، أو رأيا أو حكما غير مسبب ، بينما الميل يقرر نوعا من التفضيل لأمر ما على أمور أخرى .

والواقع أن الميل والاتجاه يتجهان نحو استقلال كل منهما عن الآخر اذ يمكن أن يعتقد الفرد أن الموز مفيد كطعام (اتجاه) ولكن لايحبه (ميل) ، ويعد الاتجاه تعبيرا عن عقيدة ، بينما الميل يعد تعبيرا عن شعور . (٣٨٣:٥)

٣ – القيم والمعايير :

قدم مظفر شريف Sherif ١٩٣٦ مفهوم المعايير الاجتماعية Social Norms متضمنة مايقبله المجتمع من قواعد وعادات ، واتجاهات ، وقيم ، وغير ذلك من محددات وتعتبر هذه المعايير الاجتماعية بمثابة أطر يرجع اليها الفرد كى تكون مرشدا له لماينبغى أن يكون عليه سلوكه ، وتحدد الأساليب السلوكية المختلفة المتداولة ، والمقبولة ، بين أفراد الجماعة ، والتى تيسر للأفراد تعاملهم بعضهم مع بعض ، وتسهل التفاعل الاجتماعى . ويتسع مفهوم المعايير ليشمل جميع الاتجاهات ، والقيم ، والعادات التى تنتشر ، وتصطلح عليها الثقافة ، واتجاهاتنا نحو القضايا الاجتماعية المختلفة ، وقيمنا المتعددة ، وماتكتسبه من عادات هى الحقيقة مكونات للمعايير الاجتماعية ، وتشمل المعايير عددا هائلا من نتائج تفاعل الجماعة فى ماضيها ، وحاضرها ، فهى تشمل التعاليم الدينية ، والمعايير الأخلاقية والقيم الاجتماعية ، والأحكام القانونية ، واللوائح ، والعرف ، والعادات ، والتقاليد . (٩١ ص١ : ١٩)

وتحدد المعايير ماينبغى أن يكون ومايجب ألا يكون فى سلوك أفراد الجماعة ومن شأنها أن تحدد وتشمل سلوك الفرد بدرجة تتمشى مع ماترتضيه الجماعة ، أو المجتمع ككل ، ويكتسب الفرد المعايير ويتعلمها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

وتختلف المعايير الاجتماعية باختلاف الثقافات ، والجماعات الا أنها تنمو ، وتتطور وتتعدل ، وتتغير مما جعل البعض يفضل مصطلح المعايير الثقافية Cultural Norms مؤكدين أهمية التراث الثقافى .

وتؤثر المعايير فى سلوك الأفراد وتحدده حين لايكونون فى موقف الجماعة الأصلى ، أى أن الفرد يحمل معيار الجماعة ، ويتمثل أسلوب الجماعة ومعيارها فى ادراك موضوعات البيئة التى يعيش فيها : وهذا يوضح بجلاء الى أى حد يتأثر ادراكنا للعالم الذى نعيش فيه شعوريا ، أو لاشعوريا بالمؤثرات الاجتماعية .

وقد أوضح روكيتش (١٩٧٣) Rokeach الفرق بين القيم والمعايير فيما يلى :

- القيم معايير مثالية توجه السلوك رغم أنها داخلية ، وليس لها مصدر خارجي ومستقاة من البيئة ، أى أنها فى جوهرها شخصية ، فى حين أن المعايير الاجتماعية تمثل قواعد ، أو توقعات ، من الجماعة كسلوك ، أو اتجاه معين أى أن مصدرها جماعة خارج الفرد .

- تعمل القيم على ارشاد السلوك الى الغايات النهائية للحياة على حين أن المعايير الاجتماعية ترشد الشخص الى أنواع من السلوك فى المواقف النوعية المحددة بالزمان والمكان ، والأشخاص.

- تحدد المعايير الاجتماعية ماهو مقبول من الجماعة فى موقف معين ، وماهو مرفوض ، على حين أن أهم مايميز نسق القيم لدى الفرد أن يرتب فئات السلوك المقبول حسب أفضليتها بالنسبة للفرد . (١٥٣ : ١٩)

٤-٤ السمة :

يعتبر مفهوم السمة من المفاهيم الأساسية فى دراسة الشخصية ، والسمة بالمعنى العام أى صفة يمكن أن نفرق على أساسها بين شخص وآخر ، فكأن السمة استعداد عام ، أو نزعة عامة تطبع سلوك الانسان بطابع خاص ، وتشكله ، وتلونه ، وتعين نوعيته ، وكيفيته ، وتتميز بالثبات النسبى ، وقد تكون السمة استعدادا فطريا كالسمات المزاجية ، وقد تكون مكتسبة مثل السمات الاجتماعية .

ويوضح أحمد زكى صالح ١٩٧٢ السمة على أنها تجمع سلوكى فستدل عليه من سلوك الفرد وتنتظم فيه فئة ضخمة من الاستجابات التى تشترك فيما بينها فى علاقة واضحة تثبت احصائيا عن طريق استخدام أسلوب التحليل العاملى .

وأهتم البورت Allport (١٩٣٥) بمفهوم السمة كوحدة أساسية لدراسة الشخصية فالسمة عنده نظام نفسى عصبى مركزى عام (يختص بالفرد) ويعمل على جعل المثيرات المتعددة متساوية وظيفيا ، كما يعمل على اصدار وتوجيه أشكال متساوية من السلوك التكيفى ، والتعبيرى ، ويمكن اعتبارها استعدادا عاما أو نزعة عامة توجه السلوك وتشكله بطابع معين (١١٥ : ٣٤٧)

ويوضح موراى ١٩٣٨ Murray أن السمة هى أى خاصية من خواص الشخصية التى يمكن ملاحظتها ، وهذه السمات قد تكون سمات فردية Indivdual traits أو سمات مشتركة Common traits يشترك فيها الأفراد الذين يعيشون فى ثقافة واحدة ، وبعض هذه السمات دافعية Motivational traits أقرب الى الحاجات والأخرى سمات وسيلية Instrumental traits أقرب الى أساليب السلوك . (١٤٥ : ٧١٣)

ويميز كاتل ١٩٥٠ Cattell بين خصائص السلوك الظاهرى السطحى التى أطلق عليها سمات وصفية ، أو سمات سطحية Surface traits ومايقع تحتها من خصائص

عميقة لايمكن ملاحظتها وهى التى يطلق عليها سمات مصدرية Source traits وهذه السمات الأساسية هى المصادر التى تتفرع عنها السمات السطحية ، أو الظاهرية، أو هى التكوينات الأساسية التى تصف السمات السطحية ، ويمكن تفسير العلاقة بين السمات الأساسية ، والسطحية احصائيا باستخدام أسلوب التحليل العاملى .

ويرى جليفورد Guilford السمة على شكل بعد dimension أو تواصل continuum يمتد بين نقطتين الحد الموجب يمثل الدرجة المرتفعة ، والحد السالب يمثل الدرجة المنخفضة ، ويقع كل انسان عند نقطة ما على هذا المتصل ، ويوضح أن السمات خصال للأفراد ، نستنتجها من سلوكهم ، وأنها تتسم بالدوام النسبى ، ويشترك فى الاتصاف بها مختلف الأفراد بدرجات متفاوتة . (٥١ : ١٦٠)

رابعا : خصائص القيم :

ان القيمة لاتكون قيمة بالنسبة للفرد الا اذا توافرت فيها ثلاثة شروط هـى :

١ ــ أن يكون عنده وعى يتبلور حول وجود شىء ، أو فكرة ، أو شخص.

٢ ــ أن وعيه هذا يخصه ويهمه ، بمعنى أنه يحدث عنده اتجاها انفعاليا مع ، أو ضـد الشىء ، أو الفكرة ، أو الشخص ، فينظر اليه على أنه خير ، أو شر الى حد ما .

٣ ــ أن وعيه واتجاهه الانفعالى يكونان أكثر من حالة وقتية عابرة ، أى يدومان بعـض الوقت .

والملاحظ أن ارنولد جرين ١٩٦٠ Arnold Green عندما تحدث عـن خصائص القيمة تعرض لوجود المظهرين الادراكى والوجدانى للوعى وأغفل المظهـر النزوعى . والواقع أن القيمة تتضمن دائما الوعى بمظاهره الثلاثة : الادراكية ، والوجدانية ، والنزوعية . (١١٧ : ١٣٥ـ١٣٦)

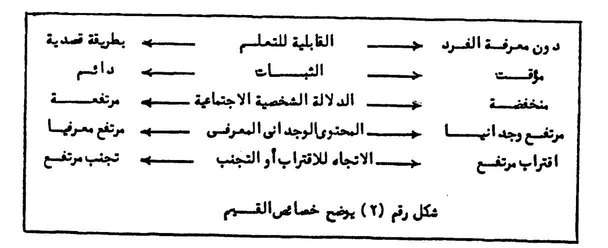
أ ــ المظهر المعرفى : يتضح فى عملية ادراك الشىء موضوع القيمة التى يميزه ومايتصل بذلك من عمليات عقلية ، وذهنية ، وفكرية مثل التذكر ، والتصور .

ب ــ المظهر الوجدانى للوعى بالقيمة : ويظهر فى الشعور العاطفى ، أو الانفعالـى ، بالميل الى الشىء (موضوع القيمة) ، أو النفور منه والميـل والنفور لهما درجات ، وألوان مختلفة يعبر عنها بالسـرور ، أو الألم ، والحب ، أو الكراهية والاستحسان ، أو الاستهجان .

جـ ــ أما المظهر النزوعى للوعى بالقيمة : فيظهر فى السعى ، أو الجهد الحركى الظاهرى الذى يبذل لبلوغ هدف معين ، أو الوصول الى معيار معين من السلوك ، ولو أننا استفسرنا عن أى من تلك المظاهـر

له حظ أوفر في القيمة ، لأسفرت الاجابة عن وجود آراء مختلفة، فبعض العلماء يبرز المظهر النزوعي ، وبعضهم يبرز المظهر الوجداني ، والبعض الآخر يبرز أهمية العوامل المعرفية الادراكية ، وسواء كانت الأولوية للعوامل المعرفية ، أو الادراكية أو للعوامل الوجدانية ، فلابد من توافرها في موضوع القيمة حتى تكون قيمة بالنسبة للفرد .

وتتكون القيمة على مراحل اذ تبدأ بمجرد كونها نوعا من الميل يشير الى بعض الأشياء الخاصة حيث يميل الفرد اليها ، أو يحبها ، أو يميل عنها فيكرهها ، وللقيمة خمس خصائص وهي نفس الخصائص التي تتميز بها الاتجاهات أو هي مايتعلق بقابليتها للتعلم وثباتها ، ودلالتها الشخصية الاجتماعية ، ومحتواها المعرفي الوجداني ، وتميزها باتجاه الاقتراب والابتعاد ، كما يتضح من الشكل التالي : (١٤٠ : ٣٥٧ـ٣٥٩)



شكل رقم (٢) يوضح خصائص القيم

ولنتناول كل خاصية على حدة :

١- القابلية للتعلم :

جميع القيم متعلمة ، وقد يتم تعلمها ، واكتسابها دون قصد ، ودون معرفة الفرد ، ومثال ذلك أن يشعر الفرد شعورا ايجابيا نحو المدرسة ، أو المدرسين ، أو الدين ، وقد يشعر بشعور سلبى ، وقد يشعر بكره أو حب نحو أى شىء ، ومن ناحية أخرى فان الفرد قد يتعلم أن يسلك بطريقة حسنة ، أو غير حسنة ، نحو أى فرد أو جماعة ، كالمدرسين مثلا أو المؤسسات كالمدرسة ، ويحدث التعلم القصدى عند رغبة الأفراد فى اكتساب بعض الأشياء ذات القيمة الشخصية .

٢ - الثبات :

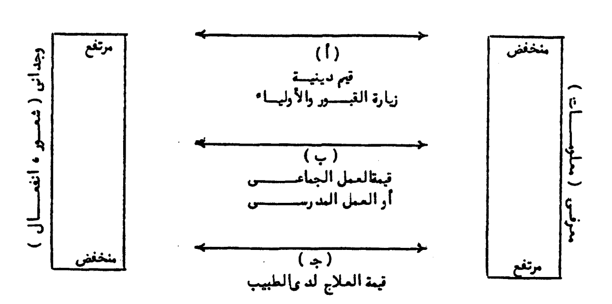
بعض القيم التى يتعلمها الفرد تصبح ثابتة فى حين بعضها الآخر يتم تعديله ، أو اهماله ، اذا أدى الى حدوث صراعات لدى الفرد نتيجة لتعارضها مع قيم أخرى لديه .

٣ - الدلالة الشخصية الاجتماعية :

اذا اعتقد أشخاص بأن أفرادا آخرين مقتنعون بصداقتهم ، ومساعدتهم ، وتعاملهم مع الآخرين بصدق وأمانة ، فانهم يسعدون بذلك ، والعكس صحيح فانه اذا شعر الفرد أن الآخرين ينظرون اليه على أنه حقود ، ولا يمكن أن يكون صديقا ، فان ذلك قد يدفعه لأن يميل الى العزلة أو الرفض ، ولا يتعاون مع الآخرين ، والواقع أن القيم ذات أهمية قصوى للجماعات الصغيرة التى يتكون منها المجتمع الأكبر اذ أن الفروق الكبيرة فى القيم ، أو فى طرق اكتسابها بين الجماعات الفرعية التى يتكون منها المجتمع المحلى قد ينتج عنها صراع ، ومثال ذلك أن الفروق بين الآباء والمدرسين فى نفس القرية ، أو البلدة ، أو المنطقة قد ينتج عنها صراعات فى بعض الأمور الهامة مثل الزواج وغير ذلك مما يهتم به الأبناء .

٤ ـ المحتوى المعرفى الوجدانى :

المكون المعرفى للقيم هو المحتوى الخاص بالمعلومات ، أما المكون الوجدانـــى فيشير الى الانفعالات التى يشعرها الفرد نحو الشىء المتصل بالقيمة . ويبين الشكل رقم (٣) الأوزان النسبية للمكون الوجدانى (الشعور ، الانفعال) والمعرفـــى (المعلومات) ، للقيم المكتسبة ، وكما يشير الشكل فان الوزن قد يتغير من مرتفـــع للغاية الى منخفض للغاية ، لكلا المكونين الوجدانى والمعرفى . ويوضح الشكل ثلاثـــة أمثلـة :



شكل رقم (٣) يمثل بعض القيم ومكوناتها المعرفية والوجدانيـــة

يوضح الشكل ثلاثة أمثلة ، فالقيمة أ مبنية على خبرات وجدانية ، وقدر بسيط من الناحية المعرفية ، والقيمة ج مبنية الى حد كبير على خبرات معرفية مع قدر ضئيل من الخبرات الوجدانية .

تستثمر المدارس الفرص المناسبة لتكوين النمط ج ، ويرجع السبب فى ذلك الى أن أولياء الأمور يرغبون فى أن يكتسب الأبناء قيما ايجابية نحو التعليم ، ولذلك يستخدمون المواقف الانفعالية السارة مع استخدام معلومات قليلة مناسبة ومحببة ، فى حين أن المدرسة تقدم الكثير من المعلومات التى تؤيد وجهة نظرها سواء الى جانب أو ضد الشىء ، فهى أكثر منطقية .

٥ – الاتجاه الى الاقتراب أو التجنب :

اذا اكتسب الأفراد قيمة معرفية نحو بعض الأشياء فانهم يعملون على تأييدها ، أما اذا اكتسبوا قيمة سالبة نحو بعض الأشياء فانهم سيتجنبونها أو سيكونون سلبيين نحوها ، ومثال ذلك اذا اكتسب الأفراد قيمة سلبية نحو التعليم فانه يحتمل ابتعادهم عن كل مايمت بصلة للمتعلم ، واذا اكتسبوا قيمة موجبة نحو القراءة ، فانهم يعملون على الاطلاع على كل ماهو جديد فى العلم ، وكل مايستطيعون الحصول عليه من مادة قرائية .

٦ - نسبية القيم :

(٦ ـ ١) النسبية المكانية للقيم :

القيم ليست واحدة ، أو عامة فى جميع المجتمعات البشرية وانما هى نسبية تختلف باختلاف الجماعات الانسانية ، ونماذجها الثقافية والدينية والسياسية ، وتختلف باختلاف الثقافة الواحدة فى المجتمع الواحد باختلاف أقاليمه المحلية ، أى باختلاف ثقافاته الجزئية أو الفرعية ، وباختلاف الطبقات ، وباختلاف الجماعات المهنية . وقد قال مونتانى Montany ان أقبح الرذائل فى نظر أمة قد يكون واجبا فى نظر غيرها ، وكان القتل مباحا لدى سكان فرنسا الأصليين فى بعض الأحوال ، فالمريض مثلا كان يقتل ، وكذلك الفقير بقصد تنظيف المدينة ، كذلك ثقافة الاسكيمو كانت تبيح قتل المسنين من أهلهم . (١٤٨ : ٧٣٧)

(٦ ـ ٢) النسبية الزمانية للقيم :

كما أن القيم نسبية مكانيا ، فكذلك هى نسبية زمانيا أى أنها تختلف وتتغير فى المجتمع الواحد بما يطرأ على نظمه من تطور وتغير ، وهى فى تطورها وتغيرها تخضع للمناسبات الاجتماعية فى التاريخ ، كما تخضع لظروف الوسط الثقافى الذى توجه فيه فالقيم لاتدوم على حال ، بل تخضع للتغير الذى هو سنة الوجود .

ويقول العلامة ابن خلدون ١٩٥٧ أن أحوال العالم والأمم لاتدوم على وتيرة واحدة ، ومنهاج مستقر ، انما هى اختلاف على مر الأيام ، والأزمنة وانتقال من حال الى حال . (١ : ٢٨)

والقول بأن القيم نسبية يفيد أن معناها لايتحدد ولايتضح فى النظر اليها والحكم عليها فى حد ذاتها مجردة من كل شئ ، بل لابد من النظر اليها خلال الوسط الذى تنشأ فيه ، والحكم عليها ليس حكما مطلقا بل حكما موقفيا situational ، وذلك بنسبتها الى المعايير التى يضعها المجتمع المعين فى زمن معين ، وبارجاعها دائما الى الظروف المحيطة بثقافة القيم .

خامساً : التغير في القيم ومعناه :

يأخذ التغير في القيم أشكالا متعددة منها :

(٥-١) اكتساب القيم أو التخلي عنها :

عندما يبدأ الانسان بالأخذ بقيمة معينة ، نطلق على هذه الحالة اكتساب هـذه القيمة ، والعكس عندما يتخلى الفرد عن قيمة من قيمه ، فيطلق على هذه الحالة التخلي عن هذه القيمة . ونقول عن الفرد أنه مع هذه القيمة أو ضدها ، كأن يتحول الفرد مـن أيديولوجيته لأخرى .

(٥-٢) اعادة توزيع القيم :

نتحدث عن اعادة توزيع القيمة ، عندما يطرأ تغير في مدى انتشار هذه القيمة فـي المجموعة التي نتحدث عنها ، أو عندما يحدث تغير في نمط توزيع تلك القيمة بين أفـراد هذه المجموعة ، ومن الطرق الشائعة التي تصبح بها القيمة قيمة للمجتمع ، أي تنتشـر انتشارا واسعا يأخذ اغلبية أفراد المجتمع بها ، أن تبدأ هذه القيمة لدى قليل مـن الأفراد الذين يتجهون الى نشرها .

(٥-٣) التأكيد على شأن القيمة أو التقليل من شأنها :

ان مجرى الأحداث قد يجعل بعض القيم موضع اهتمام رغم أنها لم تكن في مثل هـذا المركز من قبل ، في حين أن بعض القيم الأخرى لا ننتبه اليها نظرا لعدم وجود مايدعـو الى ذلك فتصبح مهملة .

(٥-٤) اعادة تدرج القيمة :

يرى بعض العلماء أن القيم من طبيعتها أن تأخذ ترتيبا هرميا ، بحيث تحتل قيمـة من القيم ، قمة التنظيم تليها قيمة أقل منها في المرتبة ، وقيما أخرى أقل في المرتبة الثالثة ،

فالأمر يتعلق بدرجة الالتزام بهذه القيمة ، ويتحدد ذلك بعديد من العوامل منها شدة تمسك الفرد بها أو المحافظة عليها ، ومدى الاستعداد ، وبذل الجهد ، والامكانيات لتحقيق هذه القيمة ونشرها ، ومدى مايرتبط بهذه القيمة من عقوبة ، أوتحريم أي مدى مايتوقع من احترام الفرد لهذه القيمة ، أو مدى اللوم الذى يقع على من يخالفها .

وغالبا مايحدث التغير فى القيم فى مرحلة عدم الاستقرار الاجتماعى الذى يمر بها المجتمع المتغير ، فيحدث اعادة توجيه فيما يتعلق بقيمة الفرد ، ومركزه فى المجتمع .

(٥ـ٥) اعادة انتشار القيم ، التوسع فى القيم :

قد يتسع مجال تطبيق القيم بحيث يشمل مجموعات أخرى جديدة غير المجموعات الأصلية ، فمثلا فى أمريكا اتسعت دائرة تطبيق المساواة بحيث شملت جميع الأمريكيين من الزنوج الأمريكان ، والهنود الحمر ، ولكن ليس معنى هذا أن مركز هذه القيمة قد تغير بالنسبة لغيرها من القيم الأخرى التى يلتزم بها الأمريكيون .

وبعبارة أخرى فان دائرة هذه القيمة قد اتسع فشمل مجموعات أخرى غير المجموعات الأصلية ، وقد حدث هذا بالنسبة للامبراطورية الرومانية عندما منحت الحرية السياسية لمجموعات أخرى غير سكان روما. ومثل هذه الأحداث تعتبر انتشارا للقيمة أكثر منه اكتسابا لقيمة جديدة ، من حيث أنها تتضمن اعادة تحديد المجال الذى تطبق فيه القيم القديمة .

(٥ـ٦) التغير فى مستويات تحقيق القيمة :

من أنماط تغير القيمة التى تتأثر بالتغيرات التى تحدث فى المجال الاجتماعى ، والاقتصادى ، والتكنولوجى ذلك التغير الذى يحدث فى مستوى تطبيق القيمة فى ضوء احتمالين :

(١) التغير فى المستويات القائمة ٠
(٢) ادخال مستويات جديدة أخرى ٠

(٥ـ٧) التغير فى الأهداف التى تحقق القيم :

هناك نوع آخر من التغير فى القيم ، وهذا التغير فى الأحداث التى عن طريقها تستطيع تحقيق القيم التى يؤمن بها الانسان ، ومما سبق يمكن القول أن التغير فى القيم يتلخص فى :

أ ــ اكتساب القيم ، أو التخلى عنها ٠
ب ــ اعادة توزيع القيم بالتوسع ، أو الحد من انتشارها ٠
جـ ــ الارتفاع بمركز القيمة بالنسبة للقيم الأخرى ٠
د ــ التوسع فى تطبيق القيمة ، أو الحد من تطبيقها ٠
هـ ــ التأكيد على القيمة أو التقليل من شأنها ٠
و ــ الارتفاع بمستوى التطبيق أو الخفض منه ٠
ز ــ الزيادة فى الأهداف التى تحقق بها القيم أو التقليل منها ٠ (٢٦ :٣٠ ــ٣٣)

سادسا : مستويات القيم :

للقيمة ثلاثة مستويات كما حددها كراثوهل Krathwohl يدل كل منها على مرحلة من مراحل الاستيعاب ، كما أن كلا منها قابل للقياس هى :

(٦ـ١) مستوى التقبل Acceptance :

وهو المستوى الذى يشار اليه فى التراث السيكولوجى بالمصطلح اعتقاد belief والذى يعرفه انجلش " English " بأنه تقبل انفعالى لقضية أو مبدأ على أساس يعتبره المرء ضمنيا أساسا ملائما ، وأما من حيث درجة اليقين فان هذا المستوى يقع فى أدنى درجاته ٠

(٦ـ٢) مستوى التفضيل Preference :

وهو مستوى يقع فى منزلة بين التقبل (المستوى الأول) ، والالتزام الكامل (المستوى الثالث)، ويتمثل فى اندماج الفرد فى موضوع القيمة ، وأما من حيث درجة اليقين فانهـا فى منزلة متوسطة .

(٦ـ٣) مستوى الالتزام Commitment :

وفيه يوجد أعلى درجات الثقـه فهو مستوى الاعتقاد بدون أدنى شك ،أو العقيدة، أو الأيدولوجية ، أو التقبل الصارم لاعتقاد معين على أسس لاعقلانية ،وكما يقول فؤاد أبـو حطب فى مقال له بالمجلة الاجتماعية التى يصدرها المركز القومى للبحوث الاجتماعيــــة والجنائية (٧٤ : ١٢) .

ويمكن التمييز بين المستويات الثلاثة اجرائيا فى ضوء الوقت ، والنشاط الذى يبذلـه الفرد حول موضوع القيمة (سواء كان شيئا ، أو شخصا ، أو ظاهرة ، أو قضية ، أو مبدأ) فان مقدار هذا الجهد ، والوقت يتزايد فى كل مستوى عن المستوى السابق ، فهو فـى مستوى التفضيل أعلى منه فى مستوى التقبل ، وأقل منه فى مستوى الالتزام .

ويمكن توضيح مستويات القيم مـن خلال المثال الآتـى :

يمكن أن نستنتج من سلوك القراءة عند الفرد هذه الزيادة فى الوقت والجهد فـى كل مستوى عن سابقة ، فقد يقرر المفحوص أنه نتيجة للقراءة الاختيارية الحرة يتقبل بعـض الموضوعات ، ويعتبرها هامة أو لها قيمة ، وهى الخطوة الأولى نحو القراءة المتخصصـة (مستوى التقبل) .

وفى المرحلة الثانية (مستوى التفضيل) يستدل على أن المفحوص يبذل مقدارا أكبر من الوقت والجهد حين يقرر تفضيله لقراءة الكتب التى تتناول مثل هذه الموضوعات الـتى

اختارها على غيرها من موضوعات القراءة ، أما فى المستوى الثالث (مستوى الالتزام) فان المفحوص قد يضع خطة لبرنامج شامل فى القراءة حول هذه الموضوعات .

وتنتهى سلسلة الدراسات التى قام بها محمد ابراهيم كاظم الى مستوى التقبل فى هذا التصنيف الثلاثى (تطورات فى قيم الطلبة ، دراسة تربوية لتتبع قيم الطلبة فى خمس سنوات) ، فقد سعى الى تقنين القيم السائدة عند طلبة المراحل النهائية فى السلم التعليمى وتطورها ، واستخدام منهج تحليل مستويات سير الحياة ، أما البحوث التى أجراها عطية محمود هنا وجابر عبد الحميد فتنتهى الى مستوى التفضيل حيث استخدم كل منهما مقياسا يحدد مدى اندماج المفحوص فى موضوع القيمة ، وفى الدراسة التى أجراها فؤاد عبد اللطيف أبو حطب فى استطلاع أسلوب المعلم ، أو دوره للقيم الذاتية فى تحقيق درجة من التوافق فيه ، وبين تلاميذه هى من نوع قيم التفضيل . (٧٤: ٦٢-٦٣) .

سابعا : السلوك والقيم :

ان الكثير من سلوكيات الانسان يستند الى قيم معينة. والسلوك يمكن تحديده بأنه يتضمن كل الأنشطة التى يقوم بها الانسان ، والتى يمكن أن نلاحظها بشكل مباشر ، أو تلك التى لايمكن اخضاعها للملاحظة المباشرة أو القيم عامة على الصدق ، والأمانة ، والتفوق . والسؤال الذى يتبادر الى الذهن حول الانسان الذى يتصف بالأمانة (والأمانة قيمة طبعا) ، وهى عادة قيمة خلقية ، واذا كانت فى المجال التعليمى فماذا نسميها ؟ انها قيمة تعليمية لها أثرها على سلوكيات من النوع التالى :

(١) اذا دخل الطالب معمل الفيزياء ، أو الكيمياء للقيام بتجربة علمية ، ووجد أن الرقم الذى حصل عليه فى كثافة المادة أو الوزن النوعى ، أو غير ذلك بعيد تماما عن الواقع ، والقيمة المسجلة فى الكتب . فان سلوكه فى مثل هذا الموقف ستتحكم فيه بطبيعة الحال قيمة الأمانة العلمية .

(٢) اذا وجد أن أحد الواجبات المدرسية لايسهل عليه تأديته بنفسه ، فماذا سيكون سلوكه ؟ الاحتمالات كثيرة ، والمرجع في ذلك الى القيم التي تحكمه .

(٣) هل يحل تمارين الهندسة بأية كيفية ، وفى النهاية يقول " وهو المطلوب اثباته " وهو يعلم أن هذا غير صحيح ؟

(٤) هل ينقل من جاره حلول المسائل وغيرها مما يكلف به ، وينسبه الى نفسه ؟

هذه مجرد أمثلة لبعض السلوكيات التي توضح آثار القيم التعليمية كما يتصورها الباحث وطبيعي أن لها مايؤيدها ، أو مايعارضها ، ويمكن أن يقال مثل هذا على كثير من المواقف الأخرى .

أمثلة لمواقف أخرى بالنسبة للتلاميذ :

(١) هل يحافظ التلميذ على النظام داخل الفصل ، ويمتنع عن الكلام مع الزملاء أثناء الحصة ؟

(٢) هل يقوم بتحضير أدوات المدرسة والكتب المقررة عليه ؟

(٣) هل يهتم بالواجبات المدرسية ؟

(٤) هل يواظب على حضور طابور الصباح ؟

(٥) هل يلتزم بالصمت أثناء تحية العلم ؟

(٦) هل يحافظ على النظام أثناء الطابور ؟

(٧) عندما يدخل الفصل هل يتوجه الى مقعده ، أم يتجول في الفصل ؟

(٨) هل يتعمد عدم تحية المدرس أثناء دخوله الفصل ؟

(٩) هل ينصت له أم لا ؟

(١٠) اذا لم يفهم شيئا أثناء شرح المدرس هل يستأذن المدرس في اعادة الشرح ؟

(١١) هل ينظم وقته جيدا (أي يجعل وقتا للمذاكرة وآخر للعب) ؟

أمثلة لمواقف المدرس :

فى حالة التزام المدرس بالقيم التعليمية فان ذلك يساعد التلميذ على التمسك بتلك القيم ، ويبدو ذلك بصورة أكثر وضوحا بالنسبة للطالب الذى سافر والده للعمل فى الخارج ، اذ أن المدرس علاوة على دوره كمدرس ، فانه يقوم ولو جزئيا بدور الأب الغائب فى بعض الأحيان ، والسؤال الآن : ماهى أمثلة السلوكيات التى يقوم بها المدرس ، والتى تستند الى قيم معينة ؟

(١) هل يحرص على أن يفهم الطلبة الدرس فهما جيدا ؟
(٢) هل يهتم بالذهاب الى الحصة فى موعدها ؟
(٣) هل يطلع ، ويزود نفسه بالمعلومات العامة حتى يمكنه الاجابة على أسئلة الطلبة ؟
(٤) هل لديه الرغبة فى معاونة الطلبة خارج الحصة ؟
(٥) هل يهتم بتصحيح الواجبات المدرسية ؟
(٦) هل يقوم بالاشتراك فى المجموعات التى تعقد بالمدرسة ؟
(٧) هل يهتم بالاشتراك فى النشاط المدرسى كالاهتمام بانشاء جماعة للخطابة ، أو جماعة للرحلات ... الخ ؟

بالنسبة لادارة المدرسة :

(١) هل تهتم الادارة المدرسية بظروف الطالب البيئية ؟ أم يقتصر الاهتمام على الحضور والانصراف ؟

(٢) هل تتأكد الادارة من نظافة التلاميذ (ممثلة فى قص الشعر والأظافر .. الخ ؟)
(٣) هل تتأكد الادارة من نظافة المدرسة ؟
(٤) هل تصرفات ادارة المدرسة مع أولياء الأمور جميعا تتم على قدم المساواة ، ام أن هناك تمييزا للبعض على البعض الآخر ؟

(٥) هل السلوكيات فى المدرسة توحى للزائر من خارج المدرسة بأن الادارة فى جملتها ادارة حكيمة ؟

(٦) هل تطالب ادارة المدرسة الأبناء بدفع رسوم اضافية بدون وجه حق ؟

(٧) هل تفرض ادارة المدرسة على الأبناء الالتحاق بمجموعات التقوية نظير دفع مصاريف اضافية ؟

(٨) هل تفرض ادارة المدرسة على الأهالى نفقات بناء طوابق ، أو أى توسعات أخرى فى المدرسة ؟

ثامنا : تقسيمات القيم :

اختلف علماء النفس فى تحديد طبيعة القيم وتعريفها ، ومن الممكن أن نحكم على هذا الاختلاف من مجموعة التعاريف التى أوردتها برتافريدمان ١٩٤٦ Berta, B. Friedman فى كتابها عن أسس قياس القيم Foundations of the measurement of values وقامت بتصنيف هذه التعاريف انطلاقا من وجهة نظرها للقيم على اعتبار أنها مشاعر ، أو اتجاهات ، أو استعدادات ، أو تهيوء ، أو نشاط ، أو سلوك ، أو نهاية لسلوك ، أو تفضيل ، أو تقويم .

وتتعدد تقسيمات القيم ، وتختلف باختلاف الزاوية التى ينظر منها للقيم ، وقد يتم التقسيم على النحو التالى : (٨٠ : ٨٠)

(٨ ـ ١) **من حيث القوة الملزمة :**

توجد ثلاثة مستويات تتدرج فيها القوة الالزامية للقيم :

أ ـ **القيم الالزامية وتشمل الفرائض والنواهى** Categorical values

(أى القيم الملزمة ، أو الآمرة الناهية)

وهى القيم ذات القدسية التى تلزم أفراد المجتمع (الثقافة السائدة فى مجتمع ما) ويسير المجتمع مثلا فى سلطاته على تنفيذها ، ومعاقبة من يخالف ما تقضى به هذه القيم ، وتعد وسيلة فعالة للعمل على ادماج الفرد فى مجتمعه ، وتكسب الجماعة التجانس اللازم لتحقيق التكامل ، والتكافل الاجتماعى . ويرعى المجتمع تنفيذها بقوة ، وحزم ، سواء عن طريق العرف ، وقوة الرأى العام ، أو عن طريق القانون ، والعرف معا . ومن أمثلة ذلك فى مجتمعنا القيم التى ترتبط بتنظيم العلاقة بين الجنسين مثلا ، أو بمسئولية الأب نحو أسرته ، أو بتحديد حقوق الفرد ووقايتها من عدوان الغير .

(٨ ـ ١ ـ ٢) ب ـ القيم التفضيلية Preferential values : وهى القيم التى يشجع فيها المجتمع الأفراد على الاقتداء بها ، والسير تبعا لها ، ولكنها لاتحتل مكانة الالزام ، والقدسية ، والفرق بينها وبين القيم الالزامية فى درجة الالزام المتصل بكل منهما ، وكثيرا ما تكون القيم التفضيلية ذات أثر بالغ وعميق فى توجيه السلوك . ومن أمثلة القيم التفضيلية فى ثقافتنا المصرية صلة الرحم . واكرام الضيف ، ورعاية الجار والطموح ، والترقى وشغل المناصب القيادية فى العمل .

(٨ ـ ١ ـ ٣) (جـ) القيم الفرضية Utopian or Hypothetical values :

والتى وان كان المجتمع بأفراده ، وفئاته المختلفة يحس باستحالة تحقيقها بصورة كاملة ، فانها تؤثر مع ذلك تأثيرا بالغا فى بعض الأحيان فى توجيه سلوك الأفراد . ومن ذلك القيم التى تدعو الى مقابلة الاساءة بالاحسان ، والقيم التى تتطلب من الفرد أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ولآخرته كأنه يموت غدا ، وهى القيم التى تتطلب الكمال فى أمور الدين والدنيا معا .

وجدير بالذكر أن هذه المستويات من الشدة والالزام بالنسبة للقيم ليست مستقلة منفصلة تمام الانفصال ، فضلا عن أن القيم فى زمن ما قد تتغير ، وتنتقل من عصر الى آخر ، فتصبح القيم المثالية القانون الطبيعى ، وقواعد العدالة مثلا قيما تفضيلية أو الزامية .

(٨ ـ ٢) ثمة تقسيمات أخرى من حيث المحتوى :

يدور هذا التقسيم حول ما تعالجه تلك القيم ، من أوجه النشاط الانسانى المختلفة ، وقام ألبورت Allport ، وفرنون Vernon ، ولندزى Lindezy بوضع اختبار للقيم استنادا الى اطار سبرانجر Spranger فى كتابه أنماط الرجال Types of men ، وأعده فى صورته العربية عطية هنا ١٩٥٩ ، وهو يقيس القيم التالية :

١ ـ القيم النظرية .
٢ ـ " الاقتصادية .
٣ ـ " الجمالية .
٤ ـ " الاجتماعية .
٥ ـ " السياسية .
٦ ـ " الدينية .

ويهمنا هنا أن نوضح ما نعنيه بالقيم النظريه وذلك لصلتها الوثيقه بمتغيرات الدراسة الحالية ونعنى بها اهتمام الفرد بالتعرف على العالم المحيطة به ، فهو يوازن بين الأشياء على أساس ماهيتها ، ويحاول الوقوف على كل تطور على يحدث فى شتى المجالات ، كما تكون لديه رغبة فى الاطلاع ، فهو يسعى وراء القوانين التى تحكم الأشياء بقصد معرفتها دون النظر الى قيمتها العملية ، ويتميز الأشخاص الذين يضعون هذه القيم فى مستوى

أعلى من غيرهـا من القيم بنظرة موضوعيـة ، نقديـة ، معرفية . وفي بحث محمـد ابراهيم كاظم ١٩٧٠ (٨٩) صنف القيم الى مجموعات (بحث القيم السائدة بـين الشباب من معلمي المرحلة الابتدائيـة) :

مجموعة القيم الأخلاقيـة
الاجتماعيـة
الذاتيـة
الأمنيـة
الجسمانيـة
الترويحيـة
العمليـة
المعرفيـة
المتنوعـة

وأوضح أن القيم المعرفية تشمـل :

الحقائق ، الفهم ، الكتب ، التعلم ، التربية ، الرحلات العلمية ، التفكير ، التخطيط . (٨٩)

وقد كتب البعض عن قيم أخرى مثل القيم المادية ، والروحية :

القيم الماديـة : هي التي تتصل بالأشياء المادية كالمـال ، والثروة ، وسائر اللـذات الحسية المختلفة التي تتعلق بالحياة الشهوانية وتتغير وتتبدل بسرعة . والقيم الماديـة لاغنى عنها ، فهي ضرورية للانسان ويجب أن تتحقق في توسط واعتدال ، وهذه الماديـات ليست قيمتها خالدة ، بل هي كالهشيم تذروه الريـاح .

القيم الروحيـــة : تتعلق بأشياء غير مادية مثل القيم المتعلقة بالشرف ، والمجد ، والصداقـة ، والتعاون ، والوطنيـة ، وغيرذلك من القيم التى تحـض على الأخلاق ، وكذلك القيم التى تنبع من الأديان كالتقوى ، والعدل ، والجهاد ، والســـلام ، والصـبر . (٦ : ١١٧)

(٨ ــ ٣) وهناك وجهة نظر تقسم القيم من حيث القصد ، أو الهدف الى :

قيم ذرائعيـــة	Instrumental values
هادفة أو غرضية	Goal values

(٨ ــ ٣ ــ ١) القيم الذرائعية : هى تلك القيم التى ينظر اليها الأفراد والجماعات على أنها وسائل ، أو أدوات ، أو أساليب لغايات أبعد .

(٨ ــ ٣ ــ ٢) أما القيم الهادفة أو الغرضية : فهى الأهداف والفضائل التى تضعهـــا الجماعات والأفراد لأنفسهم ومثال الأولى الحرب فى نظر الرجل العسكرى فهى وسيلة للترقـــى بنجاحه فيها ، والترقى فى هذا الموقف بالذات قيمة غائية . ويسبب هذا التقسيم صعوبـــة التفرقة بينهما ذلك لأنه لا يمكن فصلهما ، أو لأنهما فى بعض الأحيان يشكلان وحدة واحـدة من القـيم .

(٨ ــ ٤) ويمكن تقسيم القيم من حيث العمومية والخصوصية :

(٨ ــ ٤ ــ ١) من حيث العمومية : وزاوية البحث هنا هى مدى الانتشار بالنســـبة للقيم ، ويمكن أن تقسم الى :

القيم العامـــة : وهى التى يعم انتشارها فى المجتمع الواحد مع اختلاف مناطقـــه وأقاليمه ، وظروف ومهن مواطنيه ، مثل أهمية التمسك بالدين ، وأهمية الزواج كوسيلـة للتنظيم الاجتماعى ، وأهمية الأسرة والحفاظ على تكوينها واستقرارها ، ورعاية الصغـــار

وتنشئتهم ، وأهمية النظام ، واحترام الوقت ، والتمسك بتقاليد الماضي والمحافظة عليها ، والطابع العملي في التفكير ، وأهمية المال ، والاستثمارات الضخمة ، والسعي وراء المال باعتباره أهم عناصر الحياة كما هو مشاع في المجتمع الأمريكي .

(٨ ـ ٤ ـ ٢) القيم الخاصة : وهي التي يعم انتشارها في مناطق اقليمية معينة مثل التمسك بالأخذ بالثأر في صعيد مصر ، أو تختص بها طبقة اجتماعية معينة ، أو تكون بمواقف مناسبة معينة (٨٠ : ٨٦ ـ ٨٧)

(٨ ـ ٥) ويمكن تقسيم القيم من حيث درجة الوضوح الى قيم صريحة Explicit وقيم ضمنية Implicit

القيم الضمنية : تلك التي تستخلص ويستدل على وجودها من ملاحظة الاختبارات، والاتجاهات التي تتكرر في سلوك الأفراد بشكل نمطي Patterned، لا بصفة عشوائية Random . ويرى لابيير La Piére ١٩٥٤ في هذا المجال أن القيم الضمنية هي في الغالب القيم الحقيقية ، أما القيم الصريحة المعلنة غالبا ما تكون زائفة .

(٨ ـ ٦) وتصنيف القيم من حيث درجة الدوام ، أو الاستمرار الى < القيم العابرة / القيم الدائمة

(٨ ـ ٦ ـ ١) أما القيم العابرة Transient: فهي القيم الوقتية العارضة القصيرة الدوام ، السريعة الزوال ، مثل القيم المرتبطة بالمودات فهي تتذبذب وتتغير حسب أذواق الناس، وأمزجتهم ، ويرى لابيير ١٩٥٤ La Piére أن بعض القيم بطبيعتها سريعة الزوال ، وهذه القيم هي التي ترتبط وقتيا الى حد ما ببعض الأشياء ، أو الأعمال، وهي لذلك لا تتمتع بصفة القداسة أو الالتزام .

(٨ ـ ٦ ـ ٢) القيم الدائمة Permanent :

ويقصد بها القيم التى تدوم نسبيا بطبيعة الحال ، وتلك القيم التى تبقى ، وتتناقلها الأجيال ، وتمد جذورها الى أغوار بعيدة ، مرتبطة بالماضى ، وتتمثل فى العرف ، والعادات ، والتقاليد السائدة فى مجتمع بعينه ،ولذلك فان القيم المرتبطة بها غالبا لها صفة القداسة ، أو الالزام ، وأنها تمس الدين، والأخلاق ، كما تمس الحاجات الضرورية للناس، ولها علاقة كبرى بمصلحة المجتمع على وجه العموم، ولذلك تبقى وترسخ فى المجتمع .

تاسعا : طرق دراسة القيم (١٠٤ : ٤٢)

(٩ ـ ١) الاستفتاء Questionnaire :

يضع أى دارس مجموعة من المواقف والأسئلة التى يراها تعبر عن القيم التى يريد الكشف عنها ،ونجاح هذه الطريقة يعتمد على اتباع الدارس للشروط المنهجية اللازمة، وعلى قدرته على وضع المواقف ، والعبارات التى تكشف عن القيم .

(٩ ـ ٢) المقاييس أو الاختبارات :

من أشهر مقاييس القيم التى صممت لقياس قيم الأفراد ، الاختبار الذى أعده ألبورت Allport ، وفرنون Vernon ووضعه فى صورته العربية عطية هنا ١٩٥٩، وهو يقيس قيما ستة كما ذكرنا من قبل . ومن المقاييس الهامة أيضا مقياس القيم الفارقة الذى وضعه برنس Prince ويقوم بتصنيف القيم الى قيم تقليدية Traditional values ، وقيم منبثقة Emergent values ،

ويوجد أيضـا اختبار القيم الشخصيـة الاجتماعية اعداد عبد السلام عبد الغفـار ١٩٧٤ ٠

القيم الشخصيـة : وتتضمن ست قيم وهى : القيمة العمليـة ، والانجاز ، والتنوع ، والحسم ، والتنظيم ، ووضوح الأهداف ٠

القيم الاجتماعية وتتضمن ست قيم ، هى : قيمة المساندة ، والمسايرة ، والتقديـر ، والاستقلال ، ومساعدة الآخرين ، والقيادة ٠

ويلاحظ فى هذه الاختبارات أنها تصنف القيم الى قسمين رئيسيين ويتضمن كل قسم منهـا ست قيم ٠

ويلاحظ أن هناك الكثير من الاعتراضات على دراسة القيم دراسة كمية ، ومع ذلـك ظهرت عدة محاولات بعد الحرب العالمية الثانية ، من أبرزها تلك المقارنة التـى قامت بها كلوكهوهن ١٩٦١ Klukhohn حول المشكلات الانسانية العامـة التى تحاول كافة المجتمعات حلها واتخاذ موقف قيمى ازاءها مثل علاقة الانسـان بالجماعة ، والطبيعة ، والزمن ٠ (١٤٨ : ١٠)

(٩ ـ ٣) الملاحظـة :

والمقصود بها دراسة أنواع الأنشطة المختلفة التى يقوم بها المفحـوص ، وينبغى على الباحث أن يحدد من البدايـة :

(أ) الوقائع التى يجب ملاحظتهـا ٠

(ب) كيفية تسجيل الملاحظـات ٠

(جـ) الاجراءات التى يجب اتخاذها للتأكد من دقة الملاحظـة ٠

(٩ ـ ٤) الأساليب الاسقاطية Projective techniques :

تتراوح الأساليب الاسقاطية المستخدمة فى دراسة السلوك الاجتماعى من حيث درجة نجاحها فى اخفاء حقيقة القصد منها ، ومن حيث غموض المثير فيها أو من حيث المهارة التى تتطلبها فى التطبيق ،وفى التصحيح ، وفى التفسير ، وتشتمل هذه الأساليب على الاختبارات المصورة مثل اختبار تفهم الموضوع (T.A.T) ، واختبار بقع الحبر لروشاخ Rorschach ، واختبار تداعى الكلمات ،وأساليب لفظية مثل تكملة الجملة ، وتكملة القصة ، ومنها أيضا أساليب اللعب ، والأساليب السيكودراماتية .

ومما يقلل من فائدة هذه الاختبارات أنها تعتمد على التبرير الشخصى للمفحوص ، ومن ثم لاتتيح له مجالا للانتقاء ، واصدار الأحكام التى تمثل جانبا هاما من القيم ، وتحتاج فى تفسيرها مرانا متعمقا ، وخبرة واسعة . (١٠٤ : ٤٢)

(٩ ـ ٥) تحليل الوثائق الشخصية :

وتعد من أفضل الوسائل ، وتأخذ أشكالا عديدة تبدأ من اليوميات ، والخطابات الشخصية ، وسير الحياة الى الخطابات الموجهة للجماهير ،وتمتاز بالدقة العلمية مع الابقاء على ادراكنا للمعوقات الانسانية .

عاشرا : تعريفات موضوعات القيم التعليمية :

سبق أن ذكرنا أن القيم تعد من أهم الدوافع التى تحرك سلوك الانسان ،وتوجهه الوجهة التى تحقق رغباته ، وتشبع احتياجاته البيولوجية ، والاجتماعية النفسية ، وتسهم فى تشكيل سلوكه ، وترتبط عنده بمعنى الحياة ، والانسان قلما يقبل على مهنة لاتتفق مع القيم التى تكونت لديه الا مرغما ، كما أن تكيفه فى الدراسة ، والعمل لايتحقق الا اذا كان ثمة وفاق الى حد ما بين قيم الفرد ، والقيم التى يتطلبها العمل ، ويعمل

على تحقيقها ، ولهذا فان دراسة القيم التعليمية للأبناء تعتبر ذات أهمية كبرى في توجيه التلاميذ وتوافقهم . (٦٢ : ١٨٣)

وفيما يلى بيان بالقيم التعليمية التى وقع اختيار الباحث عليها لأهميتها الخاصة والتى تم استخلاصها من مجموعة الدراسات السابقة التى رجع اليها الباحث وهى :

(١٠-١) الطموح التعليمى :

يقصد به التطلع للوصول الى مستوى أعلى وأكبر مما هو محقق بالفعل ، والقيام باعداد الخطط العامة لتحقيق مايصبو الطالب اليه من خلال مراحل تعليمه المتعاقبة ، وأن يتميز بأن يتوفر لديه قدر كاف من الاستبصار فى المواد التى يحبها ، والهوايات التى يميل اليها ، والمثابرة ، وبذل الجهد ليلتحق بما يريده فى مرحلة الدراسة الجامعية .

(١٠-٢) التحصيل الدراسى :

ويعنى استثمار الطالب لكل الامكانيات الشخصية والبيئية فى سبيل استيعاب المادة العلمية ، وتركيز انتباهه ، وتحليل الموقف ومحاولة أن يكون قادرا على استخدام المادة التى تعلمها ، ويجب أن يكون لديه القدرة على أن يختار ، ويكيف المعرفة التى ألم بها فى اجاباته ، ويتخير الظروف الطبيعية التى تلائم تركيز عقله ، وجدولا زمنيا محددا للدراسة ، ويحلل عادات الدراسة ، ويحاول أن يقضى على نقاط الضعف ، وأن يكون لديه الرغبة والميل نحو تحصيل المادة العلمية لتحقيق النجاح الذى يتمناه ، وأن يبحث عن الأفكار الرئيسية فى كل فقرة ، ويميز طرق التفكير ، مستخدما الأسلوب العلمى فى التفكير والمناقشة ، والاستذكار مما يمكنه من تحقيق مستوى متقدم بالنسبة لاقرانه .

(١٠-٣) التعلم الذاتي :

وهو عبارة عن نشاط الطالب المقصود الذى يستمد حركته ، ووجهته من شعوره الذاتى ، وتوجيهه الداخلى ، وتنظيمه الذاتى بهدف تغييره للجانب التحصيلى نحو مستوى أفضل ، وأن يدرك المعنى الدقيق للكلمات المقروءة ، وليس المهم أن تكون الكلمة أو المقطع ، أو الجملة مألوفة ، ولكن المهم أن يكون الطالب القارىء قادرا على ادراك العلاقة بينها وبين ما يسبقها ، وما يليها ، حتى يتكون لديه فهم تام لوجهة نظر الكاتب ، ويتميز بدوام الاطلاع على الكتب المدرسية ، وغيرها من القراءات الحرة ، ورغبته فى فهم ما لا يقوم المدرس بشرحه ، وتوضيحه بنفسه ، واستفساره عن مدى صحة ما فهمه من مدرسيه .

(١٠-٤) الاهتمام بالمدرسة :

ويتضح فى الدافعية المرتبطة بالرغبة فى الدراسة ، والتأكيد على النجاح ، والوصول لهدف ، أو أهداف تتجاوز الواقع المحقق بالفعل ، والاهتمام بالمقررات الدراسية والمدرسين وزملاء الدراسة ، والادارة المدرسية ، ويفكر فى مصلحة زملائه الآخرين ولا يغشهم ويخلص لزملائه ، ويحافظ على سمعة ومصلحة المدرسة ، ويرحب باسهامه فى حل مشاكل المدرسة ، ويفخر بكونه طالبا بهذه المدرسة ، ويشترك فى اعداد أعمال ناجحة بالمدرسة .

(١٠-٥) مراعاة قواعد النظام المدرسى :

تبدو فى رغبة الطالب وحرصه على الحضور فى مواعيد بدء الدراسة ، والالتزام بمعايير السلوك المنضبط ، كما يتعلق بالحفاظ على قواعد النظام ، والانضباط فى الفصل ، وفى الفناء ، وأثناء الطوابير ، ويحافظ على سمعة فصله بالمدرسة ، ويشترك مع زملائه فى العناية بأثاث المدرسة ، وفى الاشراف على طابور الصباح ، والمساهمة فى تنظيمه اذا طلب منه ذلك .

(١٠–٦) المشاركة فى النشاط المدرسى :

ايجابية الطالب فى الاندماج فى أوجه النشاط المتاحة بالمدرسة وفقا لاهتماماته، وميوله، وقدراته ، وأن يدرك أن احتفاظه بذاته نامية ، مستقلة ، متماسكة ، مكتملة ، لايكون الا بالعمل مع آخرين فى سبيل هدف مشترك يختاره بارادته واقتناعه .

(١٠–٧) حب المدرسة :

شعور الطالب بالولاء والحب والترابط بينه وبين مدرسته ،ومدرسيه ، وزملائه، ويتضح هذا فى علاقاته الطيبة معهم جميعا ،وأن يضع لذاته غرضا محددا للدراسة .

(١٠–٨) الاستقلالية :

وهى الاعتماد على النفس القائم على الثقة بها ،كما يتضح فى تفضيل الطالب لان يفكر، ويسلك بدرجة أكثر اعتمادية على نفسه وفى القدرة على اتخاذ قرار يعبر عن الارادة الذاتية للطالب ،واثقا فى ذاته ، أى أن موقفه يتميز بايجابيته أكثر منه فى حالة اللامسايرة.
Non Conformity.

ويشير هذا المستوى الى تجنب المسايرة ، والحياد فى مواجهة أحكام الجماعة وعقائدها ،ومعاييرها أو تصرفاتها ، وهنا لايساير الطالب ،ولاينصاع ، ولايتخذ التبعية سبيلا ، كما أنه لايقف عند ضغوط الجماعة .

الفصل الرابع

التنشئة الاجتماعية

التنشئة الاجتماعية

The Sociolization Process

تعريف :

يمكن تعريف عملية التنشئة الاجتماعية[1] بأنها عملية تعلم وتعليم وتربية ، وتقوم على التفاعل الاجتماعي ، وتهدف إلى اكتساب الفرد (طفلاً فراهقاً) فراشداً فشيخاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة ، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها ، وتكسبه الطابع الاجتماعي ، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية .

وهي عملية تعلم اجتماعي (Social Learning) يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الامور . انه يكتسب الاتجاهات النفسية ويتعلم كيف يسلك بطريقة اجتماعية توافق عليها الجماعة ويرتضيها المجتمع ولهذا يرادف نيوكومب (Newcomb)[2] بين مصطلح التنشئة الاجتماعية ومصطلح التعلم الاجتماعي .

وهي عملية نمو يتحول خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيره ، متمركز حول ذاته ، لا يهدف في حياته إلاّ إلى إشباع حاجاته الفسيولوجية إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية وكيف يتحملها ، ويعرف معنى الفردية والاستقلال ، يسلك معتمداً على ذاته ، لا يخضع في سلوكه إلى حاجاته الفسيولوجية فحسب ، ويستطيع أن يضبط انفعالاته ،

---

(١) يطلق على عملية التنشئة الاجتماعية أحياناً «عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي» وأحياناً «عملية التنشئة والتطبيع والاندماج الاجتماعي».

2) Newcomb, T. M : Social Psychology, London, 1959.

ويتحكم في إشباع حاجاته بما يتفق والمعايير الاجتماعية، ويدرك قيم المجتمع ويلتزم بها، ويستطيع أن ينشئ العلاقات الاجتماعية السليمة مع غيره.

وهي عملية مستمرة لا تقتصر فقط على الطفولة ولكنها تستمر مع المراهقة والرشد وحتى الشيخوخة. وانظر إلى الفرد خلال مراحل نموه، انه ينتمي باستمرار إلى جماعات جديدة لا بد أن يتعلم دوره الجديد فيها ويعدل سلوكه ويكتسب أنماطاً جديدة من السلوك.

وهي عملية ديناميه تتضمن التفاعل والتغير. ان الفرد في تفاعله مع أفراد الجماعة يأخذ ويعطي فيما يختص بالمعايير والأدوار الاجتماعية والاتجاهات النفسية، والشخصية الناتجة في النهاية هي نتيجة لهذا التفاعل.

وهي عملية معقدة متشعبة تستهدف مهام كبيرة وتتوسل بأساليب ووسائل متعدّدة لتحقق ما تهدف إليه.

وإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية لها هذه الأهمية الكبرى في تحديد معالم شخصية الفرد، فان هذا لا يعني أننا ننسى العوامل الأخرى غير الاجتماعية التي تؤثر في نمو الشخصية، ومن هذه الوراثة والبيئة والغدد والغذاء والنضج والتعلم وعدد من العوامل الأخرى مثل أعمار الوالدين والمرض والحوادث وغير ذلك.

الوراثة والبيئة

طبيعة الوراثة:

تمثل الوراثة كل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند بداية الحياة أي عند الإخصاب. وتنتقل الوراثة الى الفرد من والديه عن أجداده وسلالته عن طريق المورثات (الجينات) التي تحملها الصبغيات (الكروموزومات) التي تحتويها البويضة الأنثوية المخصبة من الحيوان المنوي الذكري بعد عملية الجماع الجنسي. وتعتبر الوراثة عاملاً هاماً يؤثر في النمو من حيث صفاته ومظاهره، نوعه ومداه، زيادته ونقصانه، نضجه وقصوره... الخ.

والانسان يرث الاستعدادات (الخصائص الأولية) للسلوك بشكل معين، أي أن الوراثة تحدّد الأساس الحيوي للشخصية.

طبيعة البيئة:

تمثل البيئة كل العوامل المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي تسهم في تشكيل شخصية الفرد وفي تعيين أنماط سلوكه أو أساليبه في مواجهة مواقف الحياة. إن البيئة

الاجتماعية التي يعين فيها الفرد تشكلة اجتماعياً وتحوله إلى شخصية اجتماعية متميزة. ويكتسب الفرد أنماط ونماذج سلوكه وسمات شخصيته نتيجة التفاعل الاجتماعي مع غيره من الناس من خلال التنشئة الاجتماعية. كذلك فإن البيئة الحضارية تسهم في بناء الشخصية، والدليل على ذلك اختلاف السلوك الاجتماعي لكل من الجنسين في البيئات والثقافات المختلفة، وعلى العموم فكلما كانت البيئة صحية ومتنوعة كان تأثيرها حسناً على نمو الشخصية، وكلما كانت غير ملائمة كان تأثيرها سيئاً على النمو، فالجوع في الغذاء قد يؤدي إلى الهزال أو الموت، كذلك يمكن أن نرى كيف يصل الحال بالفرد حين يجوع عقلياً وحين يجوع انفعالياً وحين يجوع اجتماعياً أيضاً.

الوراثة والبيئة:

فيما يتعلق بنمو الشخصية يصعب فصل أثر الوراثة عن أثر البيئة إلاّ من الناحية النظرية. أي أن العوامل الوراثية والعوامل البيئية تتفاعل وتتعاون في تحديد شخصية الفرد وأنماط سلوكه ومدى توافقه وشذوذه. وقد أجريت بحوث كثيرة لدراسة الأثر النسبي لكل من الوراثة والبيئة في نمو الشخصية وذلك بدراسة التوائم المتماثلة حيث نجد أن التوأمين المتماثلين يتساويان من حيث العوامل الوراثية. فإذا تربيا في بيئة واحدة فإن سمات الشخصية لديهما تكون متقاربة إلى حد كبير، أما إذا تربيا في بيئتين مختلفتين، فإن تأثير هاتين البيئتين يتضح في اختلاف سمات شخصية كل من التوأمين المتماثلين أصلاً.

عناصر عملية التنشئة الاجتماعية لدى الفرد:

١ - الجوع الاجتماعي، والدوافع الاجتماعية، والحاجات النفسية الأخرى التي تدفع الفرد دفعاً للانتماء إلى جماعة وبالتالي بدء عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي التي تنتهي بعملية الاندماج الاجتماعي.

٢ - الميراث والامكانيات الحيوية التي تسمح بالتنشئة الاجتماعية والتي يعتمد عليها التعلم الاجتماعي.

٣ - قابليته للتعلم وتغير سلوكه نتيجة للخبرة والممارسة وقدرته على التفاعل الرمزي وتعلم الرموز واكتساب اللغة.

٤ - القدرة على التعاطف وتكوين علاقات عاطفية مع الآخرين.

* في المجتمع :

١ – الضغوط الاجتماعية المختلفة التي توجهها الجماعة لأفرادها حتى يعدلوا فرديتهم واتجاهاتهم الخاصة في سبيل الانتظام مع معايير الجماعة.

٢ – المعايير الاجتماعية التي تبلورها الجماعة كموازين للسلوك الاجتماعي.

٣ – الأدوار الاجتماعية التي تتطلب الجماعة من كل فرد القيام بها.

٤ – المؤسسات الاجتماعية مثل الاسرة والمدرسة وجماعة الرفاق ووسائل الاعلام.

٥ – القطاعات الاجتماعية–الثقافية–الاقتصادية ، أو الطبقة الاجتماعية أو المستويات الاجتماعية–الاقتصادية أو الجماعات والثقافات الفرعية.

العوامل المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية.

نستطيع أن نذكر هنا عدة عوامل منها :

١ – الثقافة.
٢ – الاسرة.
٣ – المدرسة.
٤ – جماعة الرفاق والصحبة.
٥ – وسائل الاعلام.
٦ – دور العبادة.

وسنتحدث عن كل منها بشيء من التفصيل.

١ – الثقافة

الثقافة هي مجموع ما يتعلم وينقل من نشاط حركي، وعادات وتقاليد، وقيم واتجاهات ومعتقدات تنظم العلاقات بين الأفراد، وأفكار وتكنولوجيا وما ينشأ عنها من سلوك يشترك فيه أفراد المجتمع.

ويتعلم الفرد عناصر الثقافة الاجتماعية هذه أثناء نموه الاجتماعي من خلال تفاعله في

* Hamza, Mukhtar: "The assessment of childrens Needs." Unicef International Conference, Addis-Ababa, 1962.

المواقف الجتماعية مع الأفراد الكبار. وتؤثر الثقافة في تشكيل شخصية الفرد والجماعة عن طريق المواقف الثقافية المتعددة ومن خلال التفاعل الاجتماعي المستمر.

وهكذا تحدّد الثقافة السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية. وفي هذه المواقف الاجتماعية يخبر الفرد عناصر الثقافة ويمارسها، وهذه هي عملية التعلم الاجتماعي أو عملية التنشئة الاجتماعية.

وتبلور الثقافة أطفالها وتشكلهم في سني حياتهم الأولى لتحولهم من مجرد كائنات حية إلى كائنات بشرية اجتماعية عن طريق العمليات التي تسمى بالنظم الأولية (Primary Institutions)، وتوجد هذه النظم في الثقافات. غير أن علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع قد وجدوا أن الثقافات تختلف فيما بينها في العادات المتصلة بهذه النظم. ويرى فريق من العلماء يتزعمهم كاردنر (Kardiner)* أن هذه النظم مسؤولة عن تكوين ما يسمونه بالشخصية الأساسية للأفراد في ثقافتهم (Basic Personality)، ويقصدون بها التكوين النفسي الاجتماعي الذي يتشابه فيه الأفراد بحكم نشأتهم في ثقافة واحدة وتربيتهم تبعاً لنظم أولية متشابهة.

ويرى كاردنر وتلاميذه أن هذه النظم تشمل الخبرات وأنماط السلوك المتصلة بالعناية بالطفل كالرضاعة، والفطام، وضبط حركة المعدة، وكذلك التدريب على الاستقلال، والتصرف إزاء الانفعالات، ومعاملة الكبار والأشقاء، والتربية الجنسية والحياء. وسنتكلم الآن عن بعض هذه النظم في ثقافتنا والثقافات الأخرى وأهميتها وأثرها في تنشئة الطفل.

١ - الرضاعة:

لا تقتصر أهمية عملية الرضاعة على مجرد إطعام الطفل وتغذيته، إذ ان الأم حين ترضع طفلها تضمه الى صدرها وتلاعبه وتداعبه. ويحس الطفل خلال ذلك بالحب والعطف والطمأنينة. لذا ينصح علماء النفس الأمهات اللائي يرضعن أطفالهن بالزجاجة أن تحمل الأم طفلها وتضمه إلى صدرها كما هو الحال في الرضاعة الطبيعية، حتى يشعر الطفل بحنانها وحرارتها، على أن يقوم بهذه العملية فرد واحد، فلا تتبدل الأيدي في القيام بها، حتى يكون هناك نوع من الاستقرار والاستمرار فيها، نظراً للاختلافات المتوقعة بين الأفراد في الطريقة التي قد يحملون بها الطفل.

---

* Kardiner, A: The Individual and his Society. New York. Columbia U.P., 1939.
Kardiner, A: The Psychological Frontiers of Society. New York. Columbia U.P., 1945.

فلا تقتصر أهمية الرضاعة إذن على مجرد مد الطفل بالطعام، بل تتضمن أيضاً ضرورة شعوره بالطمأنينة والعطف والحنان.

ويضاف إلى ذلك أن الأم بتنظيمها عملية الرضاعة للطفل تمهد لإعداده لنظام التغذية المتبع في الثقافة التي يعيش فيها. ولقد قامت (Dorothy Marquis) في سنة ١٩٤١ ببحث تبين لها فيه بصفة مقنعة أن ما يبدو من بعض الأطفال من الحركة الدائمة والنشاط الزائد أثناء الجوع متوقف على الجدول الزمني للتغذية والذي أتبعته معه أمه في خلال الأيام العشرة الأولى من حياته. وأنه كلما طالت الفترة التي تفصل بين الوجبة والوجبة كان الطفل أقل استقراراً لجوعه.

إن عملية الرضاعة على أي حال عملية معقدة. فبالاضافة إلى ضرورة شعور الطفل بحنان الأم وعطفها أثناء الرضاعة، وبالاضافة إلى ضرورة تنظيم المواعيد بما يتفق وقدرة الطفل ورغبته، فهو في حاجة إلى أن يتمتع بعملية المص، فقد وجد كل من ليفي (١٩٢٨) وروبرتس (١٩٤٤) أن مص الأطفال لأصابعهم يعود إلى أنه لم تكن تتاح لهم فرصة كافية للامتصاص في فترة الرضاعة.

٢ - الفطـــام:

تتصل عملية الفطام بعملية الرضاعة. وتختلف الثقافات فيما بينها في توقيت ميعاد نظام الفطام. وهناك كثير من الدراسات التي وجهت اهتمامها إلى سن الفطام. ومن هذه تلك الدراسة التي قامت بها جو لدمان (١٩٥٠) والتي تبين منها أن الناس الذين يتم فطامهم في مرحلة مبكرة يصيرون في الكبر أقرب إلى التشاؤم في حين أن الناس الذين تم فطامهم في مرحلة متأخرة يصبحون في الكبر أميل الى التفاؤل. كما ذكر إريكسون أن الناس الذين يتم فطامهم في مرحلة مبكرة يتصفون بالبخل والشح والشدّة والحنين الدائم إلى بديل الأم في حين أن الناس الذين تم فطامهم في مرحلة متأخرة يتصفون بالكرم والشجاعة وحب القسوة. ولا يعزو إريكسون هذه المظاهر إلى عملية الرضاعة والفطام وحدها بل يعزوها إلى أثر النظم الأولية كلها.

وكما تختلف الثقافات فيما بينها في توقيت عملية الفطام تختلف أيضاً في الطريقة التي تتم بها هذه العملية إذ تتم في بعض الثقافات بشيء من القسوة، بينما تتم في البعض الآخر بكثير من اللين وبالتدريج. غير أن الثقافات كلها تشترك في أنها تبدأ عملية الفطام بإطعام الطفل بالسوائل والمواد اللينة وزيادة كميتها بالتدريج بالاضافة إلى الرضاعة. وتستعمل

الأمهات طرقاً مختلفة لمنع الطفل عن الثدي منها دهن الثدي بأي شيء مر المذاق كالصبار أو الحر أو دهنه بمادة حريفة كالفلفل أو الشطة ، وقد تهجر الأم طفلها لبضعة أيام حتى يتعود على فراق الثدي.

وتودي القسوة في الفطام الى ترك آثار نفسية عميقة في الطفل قد يكون لها أثرها في المستقبل. وليس غريباً أن يشعر الطفل بقلق دائم لا يعرف مصدره أو يعوض عن الثدي بمص أصابعه وقضم أظافره.

وتتفق الآراء على ضرورة إتمام عملية الفطام بالتدريج بتعويد الطفل تدريجياً على تناول السوائل وغيرها من الأطعمة اللينة مبكراً وزيادتها بالتدريج مع اختصار عدد مرات الرضاعة وقصرها على وجبة في الصباح ووجبة في المساء. ولا بأس من إتمام عملية الفطام في نهاية العام الأول على أن تراعى الفروق الفردية بين الأطفال والحالة الصحية لكل طفل.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الحرمان المبكر من الشبع من ثدي الأم له ضرره. كما أن الافراط في تعويد الطفل على رضاعة الثدي له ضرره أيضاً فكلاهما يلون شخصية الطفل في المستقبل بلون يتفق والحرمان أو زيادة الشبع.

٣- الإخـــراج:

انكب بعض الباحثين على دراسة الاساليب المختلفة التي يتبعها الوالدان في تدريب أطفالهم على ضبط عمليات الإخراج. وما يكون لهذه الأساليب من آثار في نفوس هؤلاء الأطفال وشخصياتهم في الكبر.

وتختلف الثقافات كذلك في السن التي تبدأ فيها في تعويد الطفل على ضبط حركة معدته. وفي الطريقة التي تتبع في تحقيق ذلك.

وقد وجد سيرز (١٩٤٣) أن ما يكون عليه الناس في كبرهم من بخل أو إسراف أو تعلق زائد بالترتيب والنظام وحرص عليها يعود ويرجع إلى الأساليب التي اتبعها اباؤهم في تعويدهم على ضبط عمليات الإخراج في الطفولة. كذلك نجد أن الدراسة التي قام بها هوايتنج وتشايلد (١٩٥٣) بينت وجود علاقة ارتباط بين أساليب تعويد الأطفال على عملية ضبط التبرز وبين بعض السمات النفسية التي إن توافرت في شخص من الأشخاص أطلق عليه أصحاب التحليل النفسي صفة الشخصية الشرجية. وهذه السمات النفسية هي

الإصرار في الحفاظ على الترتيب والنظام والدقة البالغة في التزام المواعيد والعناد الزائد والتزمت وهكذا.

وقد ثبت أنه ال يسهل تدريب الطفل على ضبط حركة معدته قبل سن سنة ونصف. ففي هذه السن يكون الطفل قد تعلم المشي وتعلم الكلام والتعبير عن رغباته وفهم رغبات الكبار باللغة أو بالاشارة. وحينئذ يكون الوقت مواتياً لتدريبه على ذلك.

٤ - الحياء والتربية الجنسية:

ويقصد علماء الأنثروبولوجيا بالحياء ستر الأعضاء التناسلية والاخراجية وعدم الكشف عنها. ويقصدون بالتربية الجنسية العادات الجنسية ومدى سماحة الثقافة أو تزمتها في تنشئة الأطفال عليها. والفروق الثقافية موجودة فيما يتعلق بالحياء والنواحي الجنسية في تنشئة الأطفال.

ففي ثقافتنا مثلاً نعوّد الأطفال على ستر العورة في سن مبكرة خاصة في الطبقة الوسطى والمتعلمة. كما نحتم أداء العمليات الاخراجية في أماكن معينة. ونحتم عدم الكشف عن الأعضاء التناسلية أو التحدث عن عملياتها. كما نفصل بين البنين والبنات. ويتعلم بذلك الطفل الشعور بالعار والخجل عن طريق اتجاهات الاسرة نحو هذه الأعضاء. ولا يفهم الطفل الصغير في البداية ولا يميز بين ما هو حسن وما هو سيء فيما يختص بهذه العمليات وهذه الأعضاء. غير أن اتجاهات الآباء وحب الاستطلاع يؤديان به إلى التساؤل والرغبة في المعرفة عن هذه النواحي. وكثير من الآباء يحيطون الجنس بجو من الغموض والأسرار، حتى ان أطفالهم يندفعون إلى معرفة أموره من مصادر مريبة. فتكون النتيجة أن هؤلاء الاطفال لا يكونون على الاطلاق اتجاهات سوية تجاه أمور الجنس. فينبغي أن نشجع الأطفال على تناول هذه الأمور في صراحة وبلا خجل شأنه شأن المسائل الأخرى. على أن نساعدهم على تنمية الإحساس بالحياء بشرط خلوه من مشاعر الخجل أو السرية. ولا شك أن االطفال سيصبحون عاجلاً أو آجلاً متلهفين على معرفة «من أين يأتي الصغار» فلا ينبغي أن نقابلهم بالرفض أو التخلص بل نجيب بالطريقة التي تتناسب مع قدرة الأطفال على الفهم.

٥ - الاستقلال أو الاتكالية:

يقصد بالاستقلال اعتماد الطفل على نفسه في سني حياته الأولى في إطعام نفسه بنفسه، وفي ارتداء ملابسه، وفي نظافة نفسه، وفي اداء عملياته الاخراجية وما إلى ذلك.

ويقرر هويتنج وتشايلد في دراستهما أن متوسط السن الذي يبدأ فيه تعليم الطفل الاعتماد على نفسه في الثقافات التي تمت دراستها هو ما بين ثلاث سنوات وثلاث سنوات ونصف . وأن هذه السن تتراوح في كل الثقافات ما بين سنتين وأربع سنوات ونصف .

ويقصد بالاتكالية اعتماد الفردية في بلوغه لأهدافه على غيره من الأفراد ولا سيما الكبار منهم . وهي صفة من صفات الشخصية تختلف عن العجز وعدم القدرة على القيام بالأشياء . كذلك يلاحظ أن المجتمعات تتوقع من الطفل الكبير ومن الراشدين أن يستقلوا وينفردوا بأنفسهم في قضاء الكثير من أمورهم . مما يترتب عليه أن يصبح الاتكال سمة من السمات التي لا تعين الفرد على أن يحسن التوافق مع بيئته الاجتماعية .

وقد دلت الأبحاث في هذا العدد (ليفي ١٩٤٣) على أن السلوك الاتكالي عند الاطفال يرتبط ارتباطاً موجباً بما لدى بعض الأمهات من ميل إلى أن يفرطوا في حماية أطفالهم ووقايتهم .

وتختلف الثقافات فيما بينها في مدى الشدة أو اللين في تدريب الطفل على الاستقلال . وفي بحث قام به سيرز وأعوانه في سنة ١٩٦٣ قاموا فيه بتقدير السلوك الاتكالي عند أطفال مدارس الحضانة كما يلاحظ في المدرسة وكما تراه المدرسات في هذه المدارس . فوجدوا أن هناك ارتباطاً موجباً بينه وبين عدد من العوامل التي تنطوي عليها عملية التطبيع مقدرة من واقع المقابلات التي عقدها الباحثون لأمهات الأطفال . وقد تبين لهؤلاء الباحثين أن السلوك الاتكالي عند الأطفال يرتبط ارتباطاً موجباً بالتزمت في اتباع نظام محدد للتغذية والرضاعة وبالتشدد في فطام الطفل على وجه الخصوص . على أنه لما كان هذان العاملان (التشدد في فطام الطفل والتزمت في اتباع نظام تغذية محدد) من قبل الإحباط الذي يتعرض له الطفل أثناء فترة الرضاعة . فقد ذهب سيرز وجماعته من ذلك إلى أن الإحباط الذي تتضمنه عملية التطبيع الاجتماعي في فترة الرضاعة يؤدي إلى ميل متزايد إلى الاتكال على الغير عند الطفل .

٢ - الأســـرة

الاسرة هي ممثلة الثقافة أو هي مرآة تنعكس عليها الثقافة التي توجد فيها بما تحتويه من قيم وعادات واتجاهات . ومن الاسرة يستقي الطفل ما يرى من ثقافة ومن قيم وعادات واتجاهات اجتماعية . ومنها يتعلم الطفل فكرة الصواب والخطأ . ومنها يتعرف على الأساليب السلوكية التي عليه أن يتخذها كأسلوب في سلوكه . يتعلم الطفل من الأسرة ما عليه من

واجبات وماله من حقوق وكيف يعامل غيره وكيف يستجيب لمعاملة الغير. وجميع هذه الانماط السلوكية والقيم يتعلمها الطفل في مراحل تكوينه الأولى في السنين التي تسبق دخوله المدرسة وتحدد إلى حد كبير أساليبه السلوكية في المستقبل.

والاسرة بجانب تلك الوظيفة الاجتماعية لها أثرها على النمو النفسي للطفل . فهي تحدّد إلى درجة كبيرة إن كان الطفل سينمو نمواً نفسياً سليماً أو إن كان سينمو نمواً نفسياً غير سليم. هي مسؤولة إلى حد كبير عن سمات الشخصة التي يدخل فيها عنصر التعلم كالعدوان والاكتفاء الذاتي والانبساط والانطواء وغير ذلك من السمات المكتسبة.

وقبل أن نتكلم عن العوامل الاسرية التي تؤثر في تشكيل شخصية الطفل. نود أن نذكر كقاعدة عامة أن الاسرة المستقرة التي تشبع حاجات الطفل في اتزانه وبما تتميز به من تجاوب عاطفي بين أفراد الاسرة عامل هام في سعادة الطفل. أما الاسرة المضطربة فهي لا شك مرتع خصب للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية.

ذكرنا من قبل أن الاسرة هي عامل هام في تشكيل شخصية الطفل وتحديد سلوكه في المستقبل إلى حد كبير. والواقع أن علماء النفس رغم اختلافهم في إطارهم النظري إلاّ أنهم يجمعون على أن الخبرات الاسرية التي يتعرض لها الطفل في سنيه الأولى من أهم المؤثرات التي تؤثر في نموه الاجتماعي والنفسي.

ولكي نستطيع أن نحدّد أثر الاسرة في نمو الطفل الاجتماعي وتشكيل شخصيته يحسن أن نحلل العلاقات الموجودة داخل الاسرة والتي تؤثر على الطفل إلى الأنواع الآتية من العلاقات :

١ - العلاقة بين الوالدين.
٢ - العلاقة بين الاخوة والأخوات.
٣ - العلاقة بين الوالدين والطفل.

وسنعرضها الآن بشيء من التفصيل :

١ - العلاقة بين الوالدين :

كلما كانت العلاقة بين الوالدين منسجمة، أدى ذلك إلى جو يساعد على نمو الطفل إلى شخصية متكاملة متزنة. أما الخلافات والتشاحن بين الزوجين وخاصة عندما يشعر بها الطفل تعتبر من العوامل المؤدية إلى نمو الطفل نمواً نفسياً غير سليم، إذ لا شك في أن الجو الأسري الذي تشيع فيه الخلافات والمشاحنات يختلف عن جو يشيع فيه الحب والاتفاق والتعاطف. ولا شك أيضاً أن من الخبرات القاسية ذات الأثر النفسي غير السليم

على نمو الطفل شعوره بما يوجد بين والديه من انعدام الحب والتعاطف وما تحويه علاقاتهما من خلاف وتشاحن. وخلاف الوالدين يمثل بالنسبة اليه صراعاً نفسياً ويترك آثاراً قد تهدد إشباع حاجته إلى الحب والأمن النفسي والانتماء. وان ما ينتج عن ذلك من توتر نفسي قد يؤدي إلى السلوك العدواني والسلوك المعادي للمجتمع.

وقد وجدت هاتويك ارتباطاً موجباً بين التوتر الذي يشيع من جو الاسرة نتيجة لخلافات الوالدين وبين أنماط من السلوك بين الأطفال كالغيرة والأنانية والخوف والشجار وعدم الاتزان الانفعالي. وجميع هذه الأنواع السلوكية تدل على عدم توافر الأمن النفسي عند الطفل وعدم اتزانه انفعالياً.

٢ – العلاقة بين الاخوة:

كلما كانت العلاقة منسجمة، وكلما خلت من تفضيل طفل عن آخر وما ينشأ عن ذلك من أنانية وغيره كلما كانت هناك فرصة لكي ينمو الطفل نمواً نفسياً سليماً. وقد اهتم علماء النفس بترتيب الطفل بين إخوته وأثر ذلك في شخصيته، وتعرض لهذه الناحية الفريد أدلر الذي عمل على انتشار فكرة أن الأخ الأصغر يشعر بالنقص نحو أخيه الأكبر ويحاول أن يعوض هذا النقص بإظهار التفوق على من يكبره من إخوة وأخوات. وأكد أهمية الآثار التي تتولد عن ترتيب الطفل بين إخوته في نمو شخصيته.

ويرى البعض مثلاً، أن الطفل الوحيد غالباً ما يسوء تكيفه. وأن الطفل الذي ينشأ بين عدد كبير من الأخوة ينمو إلى شخصية متكيفة تكيفاً سليماً.

وقد ينشأ الأكبر غيوراً وعدوانياً إذا ما ولد منافس له وهكذا... غير أن مورفي ونيوكومب (Murphy & Newcomb) يريان أن ترتيب الطفل بين إخوته في حد ذاته ليس عاملاً مؤثراً في شخصية الطفل النامية وأن ما يؤثر هو اختلاف معاملة الوالدين للطفل، وهذا هو ما سنتحدث عنه الآن تفصيلاً.

٣ – العلاقة بين الوالدين والطفل:

إن نوع العلاقة التي تنشأ بين الوالدين والطفل وطريقة معاملة الوالدين لطفلهما عامل هام يدخل في تشكيل شخصية الطفل، فهناك فرق بين شخصية فرد نشأ في ظل من التدليل والعطف الزائد والحنان المفرط وشخصية فرد آخر نشأ في جو من الصرامة والنظام الدقيق الذي يتصف بشيء من القسوة. هناك فرق بين هذين الفردين في سلوكهما

وسماتها الشخصية، وهذا الفرق مرده إلى حد كبير إلى نوع العلاقة بين الوالدين والطفل أو إلى الاتجاهات الوالدية نحو الطفل.

فإذا ما نشأ الطفل في جو اشبع بالحب والثقة تحول عند نموه إلى شخص يستطيع أن يحب لأنه أحب وتعلم كيف يحب، سينمو إلى شخص يستطيع أن يثق في غيره لأنه عاش في جو من الثقة مع الوالدين. مثل هذا المنزل يساعد الطفل على اشباع حاجاته النفسية كالشعور بالأمن والطمأنينة والإحساس بقيمته الشخصية. وان علاقة الوالدين الطيبة بالطفل تتطلب اشتراكها في أوجه متعدّدة من النشاط وتنمية الاهتمامات المشتركة وتشجيعاً للطفل على العمل وعلى اعتماده على نفسه، هذا النموذج من الوالدين أيضاً يتعامل مع طفله لا على مجرد الاهتمام بما يحدث له في الحاضر فقط، بل على أساس النظر إلى النمو نظرة بعيدة المدى تشمل مستقبل الطفل أيضاً.

والآباء في الجو المنزلي الصحي يشاركون أطفالهم خبراتهم ويكسبون ثقتهم واستعدادهم الطيب للتعاون معهم حين يظهرون اهتماماً مخلصاً بشؤونهم، وحين يناقش الآباء أحداث اليوم أو مشكلات الاسرة المادية مع أطفالهم، بذلك يضعون الاسس السليمة للروابط القوية المشتركة بينهم وبين أطفالهم، تلك الاسس التي ستنكسر عليها عواصف الخلافات المستقبلة بين الوالدين والابن، كذلك فان شعور الطفل بالأمان بالقدر الذي سيصبح معه معتمداً على نفسه، وبالمهارة التي تجعله يقدر المسؤوليات الاجتماعية يعتمدان إلى حد كبير على تلك الروابط التي يكونها الوالد مع طفله منذ الصغر.

العلاقات الخاطئة بين الوالدين والطفل:

في بعض الحالات تكثر الخلافات والاحتكاكات بين الوالدين والطفل مما يؤدي إلى سوء التكيف ويتضمن السلوك الخاطئ للأبوين أموراً كثيراً نذكر من بينها:

١ – نبذ الطفل انفعالياً.
٢ – إهمال الطفل أو حرمانه.
٣ – السيطرة عليه.
٤ – الخضوع له.
٥ – حماية الطفل المفرطة.
٦ – إسقاط آمال الوالدين على الطفل (الطموح الزائد).
٧ – غيرة أحد الوالدين من الطفل.

٨ – تفضيل طفل من أحد الجنسين.

ولا بد من فهم أثر كل صورة من هذه الصور لمعاملة الآباء على شخصية الطفل.

نبذ الطفل انفعالياً:

يمكن أن نعرف النبذ بأنه سلوك ظاهر نحو فرد ما يجعله يعتقد أنه ليس بالمحبوب ولا بذي القيمة، وهو سلوك يهدد أمان الطفل ويتركه فريسة للشعور بالشك وبأنه وحيد، وتبين هذه القائمة بعض الصور المختلفة لنبذ الوالدين للطفل:

١ – تكرار الإشارة إلى نواحي النقص.

٢ – العقاب الشديد والاستجابات السلبية. مثل: (الاحتقار – الاشمئزاز – السخرية – التأنيب المستمر – التهديد).

٣ – النظام الصارم.

٤ – هجر الطفل أو طرده.

٥ – التفرقة بينه وبين إخوته في المعاملة.

٦ – معايرة الطفل المستمرة ومقارنته بالأطفال الآخرين.

٧ – تعمد القول أمام الطفل انه غير مرغوب فيه.

والنبذ يجعل الطفل في خوف من أن هؤلاء الذين يكونون عالمه لن يقفوا إلى جانبه، وانهم يعادونه وعلى استعداد للتخلي عنه أو تحقيره، فعالمه إذن عالم خطر لا يتسامح، يهدد أمنه وتقديره لذاته.

وقد يؤدي نبذ الأبوين إلى اضطرابات سلوكية متنوعة عند الأطفال. وهي تختلف في الشدة ما بين مجرد صور الغضب لجذب الانتباه حتى السلوك المنحرف كالسرقة أو التخلف الدراسي. وقد أجرى سيموندز وزملاؤه * دراسات على نبذ الوالدين للأطفال، وخرجوا منها بأن الأطفال المنبوذين يغلب أن تظهر عليهم واحدة أو أكثر من الأعراض التالية:

السلوك العدواني – العصيان في المدرسة – الشعور بالاضطهاد – التبرم من

---

* Symonds, M. Percival; Newell, W.H: "The Psychodynamics of Maternal Rejection" American Journal of Orthopsychiatry, 4 387-401.

السلطة – الحساسية نحو جذب الانتباه – الارتياح إلى إقلاق راحة الأمهات – الكذب – التهتهة – التبول الارادي – والسرقة.

إهمال أو حرمان الطفل:

قد نجد من الآباء من لا يهتم بالإشراف على أطفاله أو العناية بهم والعطف عليهم. وقد يرجع ذلك إلى عدم قدرتهم على تعليم الطفل احترام السلطة واتباع القواعد الاجتماعية، وقد يرجع هذا الموقف في بعض الحالات إلى موت أحد الوالدين أو الطلاق بحيث ان الآباء لا يزودون الطفل بالعناية الكافية، فقد يتركونه في المنزل وحيداً. أو أن يدعوه قذراً غير حسن المظهر ولا يأخذ طعامه بانتظام أو لا يأخذه على الإطلاق. مثل هذا الطفل يكون في حاجة إلى العطف شغوفاً بالانضمام إلى نشاط الجماعات غير المرغوبة. أو قد تستبد به الرغبة في ارضاء الآخرين حتى ينتبهوا إليه. وفي بعض الأحيان يمكن أن ينغمس في التفكير فيما يهفو إليه فيعيش في الخيال وأحلام اليقظة.

فإذا كان الطفل المهمل يعيش في الأحياء الموبوءة من المدن. فإنه قد يلجأ إلى الانحراف وإلى تحدي السلطة. ولا يقبل اللوم على سلوكه الذي لا يتفق والقانون. ولا يكاد يحس بالذنب على ما يقترف من إثم. وعلى رغم أنه لا يكون «شرساً» عادة. فإنه يميل إلى الافتراء على من هم أضعف منه. وقد تتكرر سرقته من منزله أو من زملائه في المدرسة. حتى إذا وصل إلى مرحلة المراهقة فإنه قد يصبح عضواً في عصابة منظمة أو أن يصاحب أصحاباً لا ينظر إليهم نظرة الاحترام. فيكون بينهم نعم الصديق. ولكن القانون والنظام يهددانه. مثل هذا الطفل يمكن أن يصير مجرماً.

السيطرة على الطفل:

وسيطرة الوالدين مصدر آخر من مصادر سوء التكيف عند الأطفال. وقد سادت طويلاً فلسفة التنشئة الاجتماعية والتربوية التي تميل نحو التحكم الصارم. ولا زالت بعض الدوائر تعتقد أن وضع الطفل في تنظيم محكم أمر ضروري لنموه. ولكن الذي يحدث في كثير من الأحيان أن الآباء يصبحون لسوء الحظ طغاة في استخدام سلطتهم، ومن النادر أن يكون بين هؤلاء من يعامل الأطفال باعتبارهم شخصيات لها أفكارها وعواطفها ومشاعرها ويعاملونهم بفهم واحترام.

وبعد هذا فإن الصداقة في معاملة الأطفال قد تصبح أساساً لتمردهم فيما بعد، بل

إن إصرار الآباء المستمر على ما يسمى بحقهم في طاعة الأطفال لهم يجعل الطفل لا يتمرد وحسب، بل وأن يتصف في معظم الأحيان بالعناد المستمر.

وقد وجد في دراسة تحليلية * عن نتائج سيطرة الآباء، أجريت على ثمانية وعشرين طفلاً، أن هؤلاء الأطفال الذين يسيطر عليهم الآباء - بالقياس إلى الأطفال الذين لا يلقون إلا قليلاً من الإشراف - ضائعون خجلون، وكثيراً ما يظهرون بمظهر مضطرب، كما أنهم يشعرون بالنقص وأنهم ليسوا أكفاء، وأحياناً ما يتميز بعض هؤلاء الأطفال إلى حد ما، بوجود روح عدائية كامنة لديهم يمكن أن تظهر بأشكال عدوانية إذا وصلوا إلى مرحلة المراهقة أو الرشد. وقد اعتبر هذا البحث أن الآباء يسيطرون على هؤلاء الأطفال حينما:

١ - يصرون على الطاعة الكاملة.
٢ - ويشرفون على اختيار أوجه نشاطهم إشرافاً دقيقاً.
٣ - ويفرضون عليهم مثلهم.
٤ - ويتمادون في الإشراف عليهم إلى حد كبير.
٥ - ويحمونهم حماية مفرطة.
٦ - ويزداد قلقهم عليهم حتى بسبب أمور تافهة.

وهناك نماذج أخرى لسيطرة الوالدين غير المعاملة الصارمة والمغالاة في الإشراف على الأطفال. فبعض الآباء مثلاً متشددون جداً ولا يقبلون أي تفاهم حول أنواع الطعام الذي يتناوله أطفالهم ولا مواعيد تناول وجباتهم بحيث ان الطفل يصاب بالقلق إلى حد كبير. وقد يصبح الطفل المتوتر قليل الشهية، فتتهمه أمه بأنه عنيد، فتعود روح العداء المتزايدة عند الأم إلى جعل الطفل أكثر توتراً وعدائية (إحباط دائري).

كذلك فإن الآباء يقابلون مص الأصابع وقضم الأظافر والتبول في الفراش - وهي كلها نتيجة القلق - يقابلونها بالتهديد والحرمان، ويؤدي العقاب والسخرية أو استخدام القوة إلى زيادة القلق والتوتر لدى الطفل، ويزداد إحساسه بأنه مهمل فيستمر في مص أصابعه (أو ما يشابه ذلك) للتخلص من الانفعال.

وفي بعض الأحيان فإن إصرار كثير من الآباء على تمرين الطفل على استخدام المرحاض في وقت مبكر يسبب القلق عند الطفل، كما أن طلبهم هذا من الطفل مصحوباً

* Symonds et al: Ibid.

بالتهديد والتحقير من الوسائل التي تؤدي بالفعل إلى أن يفقد الطفل شعوره الآمن ويصبح عنيداً عدائياً.

الخضوع للطفل :

الوالد الذي يجيب طلبات الطفل بصفة دائمة، مهما كانت تافهة، لا تكون له سلطة ملزمة على الطفل. وأهم سببين لهذا النمط من العلاقة بين الوالد والابن هما إصابة الطفل أو مرضه مرضاً شديداً يجعله عاجزاً لا يستطيع شيئاً، أو وجود نوع من السيطرة عند الطفل يضلل الآباء ولا يستطيعون أن يتغلبوا عليه.

أما مشكلة الطفل المريض فانها مشكلة معروفة. فهو موضع عطف العائلة والأصدقاء، وهم يوفرون له الراحة والاطمئنان ويرفعون عنه كل المسؤوليات. فإذا كان هذا المرض مستمراً لمدة طويلة فإن انغماس العائلة في هذا السلوك قد يستمر، وكثير من الآباء يستمرون عليه حتى بعد أن تنتهي آخر علامة من علامات المرض بوقت طويل.

وليس من الغريب أن يصل الطفل إلى ما يريده بتضليل وخداع الوالدين. والاسلوب الذي يستخدمه في هذا اعادة هو أسلوب الغضب الشديد وربما الإغماء والتشنج والثورة. وكثير من الأطفال يسيطرون على آبائهم بمثل هذه الوسيلة وبخاصة الغضب الذي يمسك فيه عن التنفس حتى يزرق وجهه، فسرعان ما يستسلم الوالدان خشية أن يموت الطفل أو أن يضر نفسه، كما أن بعض الأطفال يحصلون على ما يريدون بالتهديد بترك المنزل أو بالانتحار. فيضطر بعض الآباء إلى التنازل لصغارهم خشية تنفيذ الوعيد.

وهناك ما يدل على أن هذا السلوك الخضوعي من الآباء يؤدي إلى تكوين الغرور والثقة الزائدة بالنفس والعصيان وعدم احترام السلطة عند الأطفال. فإذا ما ظهرت هذه الميول ظهوراً فعلياً في سلوك الأطفال فإنها قد تؤدي إلى سوء التكيف الشخصي والاجتماعي، ويصبح الطفل نتيجة لهذا في حالة من التوتر الانفعالي تتميز بعدم الشعور بالأمان والكفاية.

حماية الطفل المفرطة :

ليس هناك من ينكر أنه ينبغي أن يشعر الطفل أن من بالمنزل يهتمون به. ولقد أكدنا مراراً حاجته إلى العطف والتوجيه. إلا أن الحماية المفرطة من جانب الآباء وشدة الجزع عليه يجعل في إشباع هذه الحاجات الأساسية شيئاً من الخطورة. وهكذا فإن

الأطفال الذين يخطئ الآباء في معاملتهم يصبحون غير قادرين على الاعتماد على أنفسهم. كما انهم لن يكونوا قادرين على مواجهة الصعاب التي لا شك ستقابلهم. والنتيجة هي التهديد المستمر إلى حد يقل أو يزيد لإحساسهم بقيمتهم الشخصية. فإذا ما كبر الأطفال وجدوا أن الناس خارج المنزل لن يشبعوا كل رغبة لديهم. وبهذا يتكرر الإحباط. وقد يكون رد الفعل له. هو نقد الذات نقداً شديداً أو الشعور بمشاعر الفشل والميل إلى البعد عن الآخرين. وهؤلاء الأطفال عادة يكونون قليلي المبادأة وتنقصهم الثقة بقدراتهم. وهناك أربعة عوامل لتفسير مثل هذه المبالغة في حماية الطفل:

١ - عدم توافر الحب والعطف في طفولة الآباء أنفسهم.
٢ - العلاقات الزوجية غير المنسجمة.
٣ - الإحباط في العمل أو الخيبة في تحقيق الأهداف المهنية.
٤ - فقد الزوج أو طفل آخر.

ويختلف الأطفال من حيث رد الفعل على شدة جزع الوالدين عليهم. فنهم من يظهر حداً أدنى من السلوك غير المرغوب فيه. بينما تظهر على بعضهم الآخر أعراض سوء التكيف الاجتماعي الخطيرة. وقد يصبح الأطفال بصفة خاصة ضحايا لارتباطهم بوالديهم ارتباطاً قوياً. أو لنقص الشعور بالثقة بالنفس أو يكون رد فعلهم على الإحباط رداً عنيفاً. أو أن يقاوموا السلطة مقاومة شديدة. كما يحتمل أن يصبحوا ديكتاتوريين يطلبون أن يكونوا مركز الاهتمام. وينتظرون الكثير من الآخرين. ويفرضون ما يحبون وما يكرهون على من يحيطون بهم. وينفذون ما يريدون بالغضب والعبوس والصياح والتهديد.

إسقاط آمال الوالدين على الطفل (الطموح الزائد):

في بعض الأحيان. يعتبر الآباء الفاشلين أطفالهم وسيلة لتحقيق ما فشل من آمالهم بالتعويض. وهم يريدون أن يعيشوا حياتهم مرة أخرى بطريقة ناجحة خلال وظائف أطفالهم. وبهذا يسقطون عليهم آمالهم في العمل. ورغبتهم في التعويض عن فشلهم المهني بدون ما مراعاة لرغبات الطفل وقدراته. وهناك آباء آخرون اكتسبوا مركزاً اجتماعياً مرموقاً بسبب ما بذلوه هم من جهة فيتوقعون من أطفالهم أن يستمروا في رفع «اسم» العائلة بقيامهم بأعمال مشابهة. أما هؤلاء الصغار. وبعضهم يحاول جاهداً أن يكون كما يتوقع منه الوالدان. فإنهم يصابون أحياناً بحالة من التوتر الانفعالي المستمر. وهم يجدون أنفسهم

معظم الوقت تحت ضغط شديد، حتى أنه لا تكاد تتاح لهم فرصة التسلية والراحة. فتكون النتيجة أن تنشأ لديهم مشاعر عدم الأمان، وفي كثير من الحالات التي يطلب فيها منهم التمكن من مواد الدراسة أو المهام الأخرى التي ليست لديهم القدرة المناسبة عليها أو الاهتمام بها. فإن احترامهم لأنفسهم يصبح مهدداً وتظهر لديهم مشاعر النقص وضعف الثقة بالنفس.

غيرة الوالدين من الطفل:

قد يؤدي شعور أحد الزوجين بعدم الأمان في علاقته العاطفية بالزوج الآخر إلى النقمة على مولد طفل ما. والإحساس بأن الاهتمام الذي يوجه إليه يحرمه (أو يحرمها) من الأمان. وعلى الرغم من أن مثل تلك المشاعر لا يعبر عنها صراحة في بعض الأحيان، فإنها تؤثر ولا شك على معاملة الوالدين للطفل، وهي معاملة كثيراً ما تكون ضارة بالطفل.

وقد يصبح الأب - على سبيل المثال - غيوراً من الطفل بسبب اهتمام الأم الزائد به. وهو الاهتمام الذي لعله يرجع إلى حاجة الأم للحنان وهو ما تفتقده في زوجها، فيصبح الأب تحت مثل هذه الظروف لا يبالي بالطفل، وقد يعامله بقسوة تؤدي إلى وجود علاقات متوترة قائمة على العناد والمقاومة. وفي العادة فإن الطفل الذي يلاقي خبرات مثل هذا يكره أباه كرهاً شديداً. ويميل إلى التعويض عن ذلك بطلب الأمن والعطف من الأم. وقد يؤدي عدم مبالاة الأب بالطفل إلى أن تزيد الأم من عنايتها بالطفل. أما إذا كانت الأم من جهة أخرى هي التي تغير من انصراف الأب إلى الطفل فإنها قد تعامل الطفل في برود بلا مبالاة. إلا أن الأم يغلب أن تخفي غيرتها وعداءها تحت ستار الاهتمام الزائد والحماية المفرطة. والطفل يدرك مثل هذه الصراعات الدقيقة في مرحلة مبكرة من حياته. وقد يعتقد أنه سبب المشكلة. فإذا كان هذا هو الواقع فإنه من المحتمل أن يشعر بالذنب وبعدم الأمان.

تفضيل طفل من جنس معين:

الأب الذي يفضل طفلاً من جنس معين تفضيلاً كبيراً قد يجعل طفلاً من الجنس الآخر يشعر بأنه غير مرغوب فيه. وسرعان ما يتأكد مما إذا كان الأب والأم يرحبان به أم لا. وكما قلنا في المناقشات السابقة فإن الطفل المهمل غالباً ما تنتابه مشاعر عدم الأمان وبأنه غير مرغوب فيه. كذلك فإنه عندما يولد طفل من جنس لا يرغب فيه الوالدان فإن

خيبة أملها كفيلة بأن تؤثر على معاملتها له. ويصدق هذا خاصة في الحالات التي لا يكونان فيها متكيفين تكيفاً انفعالياً.

ومن الشائع أن يعبر الوالدان عن رغبتهما الشديدة في إنجاب طفل ذكر وخاصة إذا كانا ينتظران أول طفل لهما. ولعل هذا التفضيل استمرار لأمل كل أم منذ قديم الزمان أن تنجب طفلاً ذكراً. مثل هذا الموقف عقبة خطيرة أمام البنات اللاتي قد يأخذن صفات الأولاد إلى الحد الذي يصبحن معه أشبه بهم حين يردن الاستمتاع بشعور مشابه لشعور بالقبول وهو ما يحتاجه كل طفل. وقد تفعل كثير من البنات أقصى ما في وسعهن للحصول على تقدير الآباء. ولكن ما أن يولد الطفل الذكر حتى يلمسن إهمال الوالدين لهن. ولما كان الأطفال لا يستطيعون تغيير جنسهم (ومن المعروف أنهم يرغبون في هذا التغيير) فإن كثيراً من البنات يشعرن بأنهن غير محبوبات ولا مرغوبات في المنزل مما قد يؤدي إلى شعور باليأس وعدم الكفاية.

ماذا يعطي الآباء أبناءهم؟

يتضح لنا من العرض السابق أن الآباء يعطون لأبنائهم الكثير بل والكثير جداً. وقد حدد بوسارد ما يعطيه الآباء لأبنائهم فيما يلي:

١ - الشعور بالتقارب والالتصاق والمحبة.
٢ - تهيئة الجو المناسب لتنمية مواهب الطفل وقدراته.
٣ - إشباع الحاجة إلى التقدير.
٤ - تعلم الدرس الأول في كيفية التعامل مع الآخرين.
٥ - تكوين الاتجاهات النفسية نحو الناس والأشياء والمبادئ.
٦ - كما تعلمه الأسرة اللغة والعادات التي تبقى معه مدى الحياة.

ولعل أهم ما تعطيه الأسرة للطفل هو تحديد دوره في ثقافته تبعاً لجنسه وسنه ومستواه الاجتماعي والاقتصادي. وتحديد مركزه. واعطاؤه فكرة عن نفسه كما سنوضح الآن.

تحديد الدور:

يعامل الطفل الذكر منذ اللحظة الأولى في حياته ليعد لدوره كرجل. وتعامل الأنثى لتعد لدورها كفتاة. فيدرب كل منهما على أسلوب معين في الحياة أي يتعلم دوره

فيها، ويتحدد هذا بسن الطفل وجنسه. فدوره في الخامسة من عمره غير دوره وهو مراهق غير دوره وهو رجل.

ويتضمن الدور العام للرجل أو المرأة أدواراً مختلفة. فهو عبارة عن مجموعة من الأدوار تنتظم كلها وتتبلور تحت ما يسمى بفكرة المرء عن نفسه.

ففي ثنيات الدور العام للرجل مثلاً دوره كابن ودوره كرجل بين أصدقائه ودوره كعامل أو موظف في العمل ودوره كفرد يكسب لقمة عيشه ودوره كزوج إذا كان متزوجاً ودوره كأب إذا كان له أطفال. وتتعدد الأدوار التي تنضوي تحت الدور العام بتعدد المواقف التي يتعرض لها الفرد في حياته اليومية.

وهذه الأدوار المختلفة هي حصيلة الخبرات الاجتماعية للفرد أثناء تفاعله مع أسرته والمجتمع الخارجي. وتعود كلها في نشأتها إلى نوع التدريب الذي تلقاه الطفل في أسرته. والفرص التي مر بها لاكتساب هذه الأدوار.

تحديد المركز:

يقصد بالمركز مكانة الفرد في المجتمع بين أقرانه. وليس للطفل مركز واحد بل له عدة مراكز مختلفة. إذ تحدد له الأسرة، فهل هو الطفل الأوسط أو الأول أو الأخير. ويتحدد مركزه في الأسرة بمدى ما تضفيه عليه الأسرة من امتيازات أي أن الأسرة هي التي تمنحه مركزه فيها وتحدده له. وكثيراً ما تؤدي صفات الطفل الخاصة إلى اكتسابه مركزاً جديداً فيها. فقد يؤدي ذكاء الطفل وبخاصة في المدرسة أو لباقته إلى تغيير مركزه بين إخوته. ويتوقف المركز على ترتيب الطفل بين إخوته وعلى سنه وعلى جنسه وعلى مميزاته الفردية.

ويهمنا هنا المركز الذي تحدده الأسرة للطفل في المجتمع الأكبر. ويتحدد هذا المركز بمستوى الأسرة الاجتماعي والاقتصادي، وبمقارنة الطفل نفسه وأسرته بالأطفال وأسرهم. فابن العامل يعرف مركز والده ومركز أسرته وبالتالي مركزه بالنسبة لغيره، كذلك ابن الطبيب وابن الحاكم. وهذه المراكز تكون عادة جامدة في المجتمعات الطبقية الجامدة التي يصعب التحرك فيها من طبقة لطبقة، غير انها تتغير في المجتمعات المتطورة. إذ يؤدي التعلم والاجتهاد الشخصي، والمال، والزواج إلى تغير مركز الفرد وتحرره من المركز الذي حدده له ميلاده في أسرة معينة.

ويتصل المركز اتصالاً وثيقاً بتحديد فكرة المرء عن نفسه. وهذه الفكرة هي الناحية التي سنتكلم عنها فيما يلي.

فكرة المرء عن نفسه (الذات أو النفس):

يولد الطفل في عالم مليء بالضجيج والضوضاء وليس لديه أي فكرة عن نفسه. فجسمه والعالم الخارجي يكونان وحدة واحدة لا يستطيع الطفل أن يفرق بينهما. وتستمر فكرة الطفل عن نفسه غامضة. طيلة السنوات الخمس الاولى من حياته. لا تتضح ولا تتبلور حتى تنفصل ذاته تماما عن العالم الخارجي. ويتمكن من رؤية نفسه كما يراها الغير. ويستمر الطفل خلال هذه الفترة وهو يخلط في استعمال الضمائر. فيخلط في استعمال هو وهي وأنتَ وأنتِ. فقد يخاطب الفتاة بضمير المذكر ويتكلم عن نفسه بضمير المؤنث... وهكذا.

وتتكون الذات بالتفاعل الاجتماعي وعن طريق التنشئة الاجتماعية. ويرجع الفضل إلى جورج ميد * في إخراج نظرية عن تكوين الذات محورها هذا التفاعل وهذه التنشئة.

مفهوم الذات (Self-concept):

يمكن تعريف مفهوم الذات بأنه تكوين معرفي منظم موحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات. يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً نفسياً لذاته. ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخارجية. وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس إجرائياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو «الذات المدركة» (perceived self). والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد أن الآخرين يتصورونها والتي يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين «الذات من تصور الآخرين» (other self). والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود أن يكون «الذات المثالية» (ideal self). ووظيفة مفهوم الذات وظيفة دافعية وتكامل وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه. ولذا فانه ينظم ويحدد السلوك.

ويعتبر «مفهوم الذات» هو حجر الزاوية في الشخصية. ويقول كارل روجرز (Rogers) صاحب نظرية الذات (Self Theory) انه بالرغم من أن مفهوم الذات ثابت إلى حد كبير إلا أنه يمكن تعديله تحت ظروف العلاج النفسي المركز حول

---

* Mead, G.H: Mind, Self and Society, Chicago University Press, 1934.

العميل الذي يؤمن بأن أحسن طريقة لإحداث التغير في السلوك تكون بأن يحدث التغير في مفهوم الذات .

وهناك إلى جانب نظرية الذات لكارل روجرز عدة نظريات تؤكد النظرة النفسية الاجتماعية للذات ومفهوم الذات ، ومنها آراء ميد (Mead) حول المفهوم الاجتماعي والنمو الاجتماعي للذات .

الطبيعة الاجتماعية للذات :

إذا نظرنا إلى الآراء الأولى في تكوين الذات نجد أنها تؤكد طبيعتها الاجتماعية ، فبينما كل الاتجاهات منشؤها الخبرة الاجتماعية ، نجد أن اتجاهات الذات ينظر إليها على أنها نتاج للتفاعل الاجتماعي بصفة خاصة وذلك لأن :

(أ) نظريات نمو الذات تركز على إدراك الفرد لكيفية رؤية الأفراد الآخرين له .

(ب) تركيز الاهتمام على العملية أو الأسلوب الذي يقارن الفرد به أفكاره عن نفسه بالأنماط الاجتماعية الموجودة مع التوقعات التي يعتقد أنها تكون لدى الأفراد الآخرين .

ويشبه كولي (Cooly) إدراكاتنا عن كيفية رؤية الأفراد لنا بالذات المنعكسة (looking glass self) أي مفهوم الذات كما ينعكس من فكرة الآخرين عنا .

وقد استخدم ميلر (Miller) مصطلح «الهوية الذاتية العامة» للتعبير عن ادراك الفرد لمظهره بالنسبة للجماعة خاصة . وفي هذا يقول ميلر ان الفرد يكون لديه مثل هذه الذوات ، وذلك بالقدر الذي توجد به الجماعات ، والتي يعتقد أنه يرى نفسه بصورة مميزة في نظرها . وعلى أي حال فانه خارج نطاق خبراته مع الأفراد الآخرين ، فان الفرد يكون ذاتاً داخلية تكون بمثابة النواة كما قال بذلك وليم جيمس (James) وهي «أعمق وأقوى وأصدق ذات» . وتحتوي هذه النظرة على أكثر الاتجاهات ذات القيمة والأهمية نحو الذات . وهذه النواة تنمو خارج إطار العمليات التعليمية الاجتماعية ، وخاصة تعلم الدور والتوحد أو التقمص .

وعمليات التوحد أو التقمص ذات أهمية خاصة في فهم نمو الذات . ومن تحليل هذه العملية يتضح أن هناك عدة أسباب توضح لماذا يتم اختيار الشخص الآخر كمثل أعلى ، وبمجرد أن يتم اختيار المثل الأعلى فان الفرد يتعلم ويقلد سلوكه وحتى مشاعره . وعلى ذلك فإن حب وعطف الوالدين للطفل واتجاهاتهما نحوه أثناء مراحل النمو تكون على درجة كبيرة من الأهمية في تكوين مفهوم الذات لديه .

وبالإضافة إلى المراحل الأولى في الطفولة ، فإن الأفراد الآخرين خارج نطاق الأسرة يلعبون دوراً هاماً في تكوين الذات ومفهوم الذات مثل المربين والزملاء ورفاق اللعب والأصدقاء، وفي سنوات الرشد أيضاً يضاف إلى ذلك جماعة زملاء المهنة والزوج ... الخ .

المؤثرات الاجتماعية في مفهوم الذات :

إلى جانب المؤثرات الأخرى والتي تؤثر على مفهوم الذات ومنها صورة الجسم (body-image) والقدرة العقلية وما لها من أثر في تقويم الفرد لذاته ، نجد أن المؤثرات الاجتماعية لها تأثير واضح في مفهوم الذات بصفة عامة وعلى المؤثرات الأخرى أيضاً مثل صورة الجسم. فصورة الجسم لدى الطفل تتأثر بخصائصه الموضوعية مثل الحجم وسرعة الحركة والتناسق العضلي... الخ ، ولكن إذا كانت هذه الخصائص تعتمد على معايير اجتماعية مثل نظرة الآخرين إليه والتقويم الدائم بين الحسن والرديء ، فانها تكون بمثابة خصائص اجتماعية.

وقد ظهرت أهمية المعايير الاجتماعية بالنسبة لمفهوم الدراسات التي قام بها جورارد وسيكورد * (Jourard and Secord) عام ١٩٥٥ ، فقد وجدا أنه بالنسبة للرجال فإن الحجم الكبير للجسم يؤدي إلى الرضا عن الذات ، أما بالنسبة للنساء فقد تبين أنه كلما كان الجسم أصغر إلى حد ما من المعتاد ، فان ذلك يؤدي إلى مشاعر الرضا والراحة مع تحفظ واحد هو مقياس النصف الأعلى من الجسم (الصدر). ومع تقدم السن نجد أن التركيز ينتقل من القدرة العقلية العامة إلى القدرات الخاصة مثل القدرة اللغوية والقدرة الميكانيكية والقدرات الفنية... الخ. ورضا الفرد عن ذاته في هذه الحالة يعتمد على كيفية قياسه للمظاهر التي يكتشفها والتي يساعد الكبار المحيطين به على احاطته بها.

ويؤثر الدور الاجتماعي في مفهوم الذات حيث تنمو صورة الذات من خلال التفاعل الاجتماعي وذلك أثناء وضع الفرد في سلسلة من الأدوار الاجتماعية. وأثناء تحرك الفرد في إطار البناء الاجتماعي الذي يعيش فيه ، فإنه عادة يوضع في أنماط من الأدوار المختلفة منذ طفولته. وأثناء تحركه خلال هذه الأدوار ، فانه يتعلم أن يرى نفسه كما يراه رفاقه في المواقف الاجتماعية المختلفة. وفي كل منها يتعلم المعايير الاجتماعية والتوقعات السلوكية التي يربطها الآخرون بالدور. وان هذا التصور للذات من خلال الأدوار الاجتماعية ينمو مع نمو الذات.

---

* Jourard, S.M. and Secord, P.F: Body-Cathexis and the ideal female figure. J. Abnorm. Soc. Psychol., 50, 243-246.

أما عن **التفاعل الاجتماعي** ومفهوم الذات فقد أوضحت الدراسات أن التفاعل الاجتماعي السليم والعلاقات الاجتماعية الناجحة تعزز الفكرة السليمة الجيدة عن الذات، وأن مفهوم الذات الموجب يعزز نجاح التفاعل الاجتماعي ويزيد العلاقات الاجتماعية نجاحاً، وان النجاح في العلاقات الاجتماعية يؤدي إلى زيادة نجاح التفاعل الاجتماعي.

وعلى العموم فإن مفهوم الذات يتأثر بالخصائص والمميزات الأسرية. فالطفل الذي ينشأ في أسرة تحيطه بالعناية والتقبل، يرفع ذلك من قدراته واهتماماته ومهاراته. وفي نفس الوقت يمكن أن يتسبب الوالدان في أن يدرك الطفل نفسه كشخص غبي أو مشاكس أو غير موثوق به وذلك إذا اتبعا أساليب خاطئة في تنشئته الاجتماعية داخل الأسرة.

وتلعب **المقارنة** دوراً يؤثر في مفهوم الذات لدى الفرد إذا هو قارن نفسه بجماعة من الأفراد أقل قدرة منه فيزيد من قيمتها، أو بجماعة أعلى منه شأناً فيقلل من قيمتها. فمثلاً ربما يشعر الفرد بالفقر بدرجة غير حقيقية إذا ارتبط في علاقات مع جماعة من الأفراد مستواهم الاقتصادي أعلى من مستوى أسرته... الخ.

وهكذا نرى أن المؤثرات الاجتماعية تلعب دوراً هاماً في مفهوم الذات لدى الفرد.

٣ - المدرسة

تحدثنا عن تأثير الاسرة في شخصية الطفل وأوضحنا مدى أهمية الاسرة كمؤسسة اجتماعية في تشكيل شخصية الطفل وعلى الرغم من أن أثر الاسرة على هذه الشخصية له الأهمية الكبرى إلاّ أن هناك مؤسسات اجتماعية أخرى تؤثر على شخصية الطفل، ومن هذه المؤسسات المدرسة وهي ما سنتحدث عنها الآن.

انتقال الطفل الى المدرسة:

يدخل معظم التلاميذ المدرسة للمرة الأولى في سن السادسة تقريباً وتكون الاسابيع الأولى في المدرسة من أكثر الفترات الحرجة في حياة الطفل. وفي سنوات ما قبل المدرسة ينشغل الطفل في أوجه نشاط طبيعي غير متكلف في بيئة تتسم باتصالات محدودة، وعند دخول المدرسة ينتقل الطفل إلى بيئة ذات طبيعة تتميز بجديتها وتتضمن أدواراً وتنظيمات متعدّدة ورتيبة، وعادة ما تكون هذه التنظيمات ذات صراع مباشر مع السلوك المألوف في المنزل، ويتطلب ذلك من الطفل أن يعدل سلوكه إلى المدى الضروري لتحقيق التكيف المناسب في المدرسة.

ولا شك أن لأسلوب تنشئة وحياة الطفل في سنوات ما قبل المدرسة أثراً كبيراً في تحقيق ذلك التكيف المطلوب في المدرسة. فإذا كان المنزل يعوق نمو الاعتماد على الذات بالإفراط في التسامح أو الحماية الزائدة، فإن الأيام الأولى في المدرسة قد تجلب معها درجة ملحوظة من التوتر الانفعالي الذي يشكل معوقاً هاماً من معوقات التكيف الملائم.

واتباع الطفل لجدول زمني مدرسي، وإخضاع الذات لقواعد لم تكن موجودة في المنزل، ومواجهة أنظمة وواجبات معينة يتطلبها المنهج المدرسي، كل ذلك يؤدي إلى نشأة العوامل المسببة للتوتر عند الطفل، كذلك فإن الطفل الذي لم يدرب على الاعتماد على نفسه، بل على الرعاية المفرطة والتوجيهات الوالدية لكافة أنشطته، سيواجه بعدم قدرته على الذهاب الى المدرسة بمفرده وعدم المشاركة بدرجة طيبة في أوجه نشاط مناهجها.

كذلك تنشأ في المدرسة مواقف كثيرة تحد من قدرة الطفل على تحقيق التكيف النفسي، ففي حالة الطفل غير المستقر انفعالياً، أو الطفل الذي يعاني من بعض مشاعر النقص، فإن هذه الظروف الجديدة - التي يبدو له نها تهديد لشعوره بالأمن - قد تعوق مجهوداته نحو التكيف. ومن بين هذه المواقف سلطة المدرسة وحجز الطفل لفترة طويلة نسبياً في حجرة واحدة أو في مقعد واحد في حجرة الدراسة. كذلك التحكم في أوجه نشاطه الاجتماعية والبدنية، والتنافس للحصول على احترام وعطف المدرسين، وسائر المرتبطين به في المدرسة.

وبالنسبة لعدد كبير من التلاميذ، وخاصة اولئك الذين يجدون رعاية فائقة في المدرسة، تكون الطرق التي يستعملها المدرس في ممارسة السلطة متعارضة تماماً مع الخبرات التي مر بها الطفل في المنزل، ويجد بعض الأطفال صعوبة في ملاءمة أنفسهم للمطالب التي يطلبها منهم المدرس، نتيجة للتراخي في تربيتهم المنزلية. فإذا لم يخضعوا للقواعد المرسومة، فإنهم سيتعرضون لزجر المدرس أو عقابه. ومثل هذه الخبرات تهدد احساس الطفل بالكفاية، ويؤدي ذلك بالتالي الى زيادة استخدامه للحيل العقلية الدفاعية أو الهروبية من تبرير وإسقاط وتقمص ونكوص وعدوان وغيرها. وقد يعد ذلك بالنسبة لبعض الأطفال نقطة بدء نحو فقد مشاعر الأمن. وبالنسبة للبعض الآخر مقدمة لانحرافات أو أمراض نفسية أكثر حدة.

والانتقال الفجائي - بين الحرية الزائدة في المنزل.. ووضع القيود على أوجه نشاط الطفل الاجتماعية والبدنية في المدرسة - قد يؤدي الى علاقات محدودة أو غير صحية مع غيره من الأفراد. ففي بعض المنازل لا يهيأ للأطفال برنامج منظم للعب. ولأوجه النشاط الاجتماعية، وللراحة. فهم يلعبون عندما يشعرون بالرغبة في ذلك، ويتكلمون ويغنون

ويصرخون ، ويجرون كلما ثار الحافز لذلك . أما في الفصل فإنهم يجدون الخضوع لقواعد المدرسة ، ولا يسمح لهم عادة بالكلام حتى يؤذن لهم من المدرس ، ولا يقبل الضحك أو الصراخ . وعلى ذلك فإن العلاقات المتوترة بين المدرس والتلميذ قد تكون الخطوة الأولى نحو سوء تكيف الطفل ،ومن كثير من الأحوال يؤدي هذا الاحتكاك الى الوقوف ضد التحصيل المدرسي .

ديناميات السلوك في المدرسة :

يحاول الانسان الوصول الى حالة من التوازن والتوافق الطبيعي كلما واجهه عائق يحول دون اشباع دوافعه وحاجاته . والفرد السوي يحاول الوصول الى هذا التوافق عن طريق زيادة نشاطه والعمل على تذليل العوائق واقتحامها أو إزالتها طالما لا يتعارض ذلك مع القيم والقوانين السائدة في المجتمع . أما إذا لم ينجح الفرد في تحقيق توافقه باستخدام هذه السبل ، وفشلت الطرق المباشرة في التغلب على الاحباط ، فإن حالة القلق والتوتر تدفعه الى استخدام أساليب غير مباشرة بهدف التخفيف من حدة التوتر النفسي وآثاره بصورة مؤقتة – تلك الأساليب هي الحيل العقلية الدفاعية أو الهروبية اللاشعورية التي يلجأ اليها الراشد كما يلجأ اليها الطفل لمعالجة أثر الكبت والصراع أو الهرب من الأوضاع والمواقف المسببة لها أو من الفشل أو المخاوف او القلق أو الشعور بالدونية . وتمثل كثير من المشاكل السلوكية التي يواجهها المدرس في الفصل والملعب نماذج من تلك الحيل العقلية اللاشعورية . ولا شك أن المدرسة يمكن أن تسهم الى حد كبير في تحقيق تكيف الطفل إذا بذلت الجهود للكشف عن الصراعات وعوامل الإحباط التي تكمن وراء ما يبديه الأطفال من مخاوف ومشاعر الدونية والقلق والتقمص ، والتي أدت بدورها الى لجوء الطفل الى الحيل اللاشعورية الهروبية والدفاعية . والكشف عن تلك العوامل هو الخطوة الأولى في سبيل علاج الأنماط السلوكية الشاذة . ولهذا فإن المدرس بحاجة الى تفهم **ديناميات السلوك** في كل موقف من تلك المواقف .

وبالرغم من أن كثيراً من مظاهر سوء التكيف يكون قليلاً أو معدوم الضرر ، فإن بعضها – وخاصة إذا أهمل في الصغر – قد يتطور الى اضطرابات خطيرة في شخصية الفرد عندما يصبح راشداً .

إن المعالجة الواعية لهذه الأنماط السلوكية يجب أن تؤخذ فيها صحة الأطفال النفسية في الاعتبار ، وألا يضحي المدرس بالاستقرار والتكيف النفسي للتلميذ عندما يصبح راشداً في سبيل استتباب النظام في الفصل وتسهيل مهمته . ولا شك أن حرص المدرسة وحذرها

في معالجة هذه الحالات سيؤدي الى أن يصبح أصحابها ذوي شخصيات تتميز بحسن التكيف . ويرجع كثير من علماء النفس بعض الاضطرابات الاجتماعية الى مشاكل سوء تكيف بسيطة أهملت في الصغر ، مما يؤكد أهمية الحاجة الى انتباه معظم المدرسين لمشكلات عدم التكيف البسيط في المدرسة .

وقد يؤدي احباط ما - كالفشل ومادة دراسية - الى توتر أو الى أنواع من الاستجابات الشاذة . وصور السلوك غير المرغوب مثل المشاغبة أو الهروب أو انحراف الاحداث أو التهتهة او التبول اللارادي قد تنتج عن عديد من الأسباب التي من بينها الخوف وعدم الشعور بالأمن ومشاعر الدونية .

ولكي يتيسر للمدرس النجاح مع الأطفال ، ينبغي أن تكون لديه الرغبة في العمل مع الأطفال والحساسية لمشاكلهم وانفعالاتهم . وان هذه المشاعر تجاه الأطفال ضرورية من أجل التدريس الجيد ، وضرورية جداً من أجل خلق جو سيكولوجي صحي وعلاقات نفسية سليمة داخل الفصل . واذا غابت هذه المشاعر ، فان التلميذ يفتقدها ويحس بنقصها وتتشابه استجاباته مع مشاعر أولئك الأطفال المنبوذين من والديهم .

بعض المبادئ السيكولوجية الواجب مراعاتها في المدرسة :

١ - التأكيد على الجهود التعاونية المشتركة وتقليل طرق التدريس الدكتاتورية أو الأوتوقراطية .

٢ - مرونة البرامج أو المناهج التي تسمح بالتعرف والكشف عن الحاجات الفردية واشباعها والتأكيد على اتجاهات المدرس السليمة نحو التلاميذ .

٣ - ارتباط أوجه نشاط الحجرة الدراسية بأوجه نشاط المنزل والمجتمع بحيث ينشأ الطفل ويعين في بيئة متكاملة .

٤ - زيادة فرص النجاح والتقليل من الفشل عن طريق اختيار اوجه النشاط التي تتلاءم مع قدرات الطفل واستعداداته وميوله .

٥ - توفير بيئة طبيعية صحية تكتمل فيها كل مقومات الصحة .

٦ - الاهتمام بدراسة مشكلات التلاميذ في أول ظهورها والتركيز على معرفة أسباب هذه المشكلات بدلاً من التركيز على علاج مظاهرها وأغراضها .

٧ – تشجيع طرق التدريس القائمة على التقويم الذاتي وعلى مقابلة الفروق الفردية بين التلاميذ.

٨ – التخلص من التوتر في جو اجتماعي مقبول، مع فرص إيجابية للتلميذ الانطوائي، وضوابط اجتماعية معقولة للطفل العدواني.

٩ – الوعي بالدلالة النسبية للأنواع المتعددة من مظاهر سلوك التلميذ الشاذ.

١٠ – الاهتمام ببرامج التوجيه والارشاد النفسي بالمدرسة.

والأمثلة الثابتة لنقص هذه المبادئ تبدو بوضوح في حجرات الدراسة حيث يطلب من التلاميذ التنافس من أجل النجاح والحصول على الدرجات المدرسية. وظروف التدريس الجمعي التي تحتم على المدرس أن يكيف طريقة تدريسه لتناسب الطالب المتوسط... بينما يضم الفصل بجانب الطفل المتوسط، الطفل الموهوب من جانب والطفل البطيء التعليم من جانب آخر. ولا شك ان لهذه العوامل أثرها على الأطفال. فالطفل الذي يتميز بذكاء عال يتأثر بالملل المترتب على عدم توافر الأنشطة العقلية التي تستطيع أن تتحدى ذكاءه العالي. كما أن الطفل بطيء التعلم أو حتى المتوسط الذي لا يعتقد أن حماسه ومستوى طموحه يصلان الى المستوى المعقول، سوف يعاني من مشاعر النقص والفشل كلما قارن نفسه بالمستويات الأعلى من بين زملائه. ولا شك في أثر أمثال هذه الظروف والمواقف على تكيف الطفل في المدرسة، مما يؤكد ضرورة توفير فرص النشاط الجمعي التعاوني الذي يتيح الفرصة لكل طفل لإظهار قدراته الكافية وتحقيق قدر مناسب من النجاح والاحساس بالرضا لمجرد الشعور بقدرته على الاسهام في نشاط الجماعة. ولا شك أن عدم قدرة الطفل على تقبل التنافس المدرسي وكسب ثقة وعطف واحترام المدرس وغيره من المسؤولين في المدرسة... يعد عاملاً آخر يؤدي الى عدم استقرار الطفل. وأكثر العوامل الفردية أهمية للطفل في حجرة الدراسة هو المدرس.

العلاقة المشتركة بين التلميذ والمدرس:

يحتل المدرس لدى معظم الأطفال مكانة ومنزلة الأب، ويمثل الأب، بالنسبة للبعض الآخر مكانة الوالد. ويجتهد الطفل في معظم الأحيان لكسب رضا المدرس وعطفه ولتحقيق اعتبار الطفل لذاته واحساسه بالأمن. كما أن الفشل في تحقيق مثل هذه الرغبة قد ينتج عنه تهديد خطير لاحساس الطفل بقيمة شخصيته.

وفي المدرسة يصبح المدرس بديل الوالدين في علاقته بتلاميذه. ومن الممكن أن

ينقل المدرس الى تلاميذه مشاعره الخاصة من عدم الاستقرار . والتوتر . والعداء . والسلوك الانطوائي . والخجل . وغيرها من نواحي الشذوذ . ومن جهة أخرى يستطيع المدرس أن يغير الثقة في الطفل الخجول . ويقلل من المشاعر العدائية لدى الطفل الذي يبدي مشاعر العدوان في سلوكه . ويستطيع المدرس أن يشبع حاجة الطفل الى التقدير واعتبار الذات بالنسبة للطفل الذي يعوزه العطف والتقدير في المنزل ، وينبغي أن يكون المدرس معداً للقيام بدور الوالد السوي ... بحيث يكون قادراً في بعض الحالات على تقبل الطفل انفعالياً ، وتقديره لذاته ، ومساعدته على التكيف وعلاج أو التخفيف بقدر الامكان من أثر العلاقات غير الصحية بين الطفل ووالديه .

ويحتاج المدرس الى فهم الطفل فهماً شاملاً بدلاً من أن يقصر فهمه له على ضوء تحصيله المدرسي فقط ، ويكون المدرس هنا في وضع يساعده على تشخيص الأعراض المبكرة لسوء التكيف واتخاذ الخطوات العلاجية المناسبة . والمدرس هو الشخص الذي يجب أن يخصص الوقت الضروري لمساعدة الطفل على التكيف السليم ، كذلك تعديل مطالب المادة الدراسية والنظم المتبعة داخل الفصل ... من طرق تدريس وغيرها .. بطريقة تهيء للتلميذ مكاناً بين الجماعة .

سيطرة المدرس :

يتوخى كثير من المدرسين احترام سلطاتهم في الفصل الى أبعد الحدود . وتعتبر الطاعة عند هؤلاء المدرسين مثال النظام الجيد ، يحاولون فرض النظام الحسن عن طريق التهديد واثارة الخوف . وأي سلوك غير العادي مخالف للنظام ، لا بد أن يكبت في الحال ، كذلك لا يسمح بالمشاركة في النشاط أو استكمال النشاط الا بموافقة رسمية من المدرس . وفي مثل هذا الفصل حيث يسيطر المدرس على سلوك التلاميذ بصرامة ، لا بد وأن تتولد التوترات الانفعالية .

ولا شك أن الأطفال الذين يأتون من منازل تعودوا فيها على الحرية الشخصية ، سوف يعانون من مثل هذه الفصول ، ولا يقتصر هذا فقط على تهديد مشاعر الأمن لديهم . لكنهم في بعض الحالات تنمو لديهم كراهية قوية للمدرس أو للجو المدرسي بأكمله . وتأثير مثل هذه الظروف على الأطفال الذين لا تتوافر لديهم مشاعر الأمن أصلاً . تأثير أشد خطراً . وتعبر هذه التوترات عن نفسها في بعض الحالات بشكل مص الأصابع . أو قرض الأظافر . أو تقطيب الوجه . أو الصداع . أو التبول اللاإرادي . أو التهتهة .

الحماية الزائدة من المدرس :

هناك عدد من المدرسين، مثلهم مثل الآباء، يقدمون للتلميذ رعاية أكثر من الحد المعقول، فهم يفضلون طفلاً لسبب او لآخر، ويقدمون له رعاية خاصة، ويحاول بعض المدرسين – مثل بعض الآباء الذين يقعون في مثل هذا الخطأ – حماية تلاميذهم المفضلين من المصاعب والمشاكل التي تقابل التلميذ العادي في المدرسة، ومثل هذا المدرس قد يقف في جانب التلميذ خلال كل المنازعات، سواء منها الودية أو غير الودية مع سائر التلاميذ، وقد يساعده في المذاكرة أو يغمره بمزايا خاصة.

وفي حالة الطفل الذي يفتقد تقدير والديه في المنزل. قد تكون أساليب التدليل هذه من المدرس نقطة بدء لميول تجاه التركيز على الذات والأنانية. وبالنسبة للأطفال المدللين فعلاً، فان خبرته بأنه الفتى المدلل. قد تدعم ميول سلوك غير مرغوب فيه. وكما ذكرنا سابقاً فان مثل هؤلاء الأطفال يتوقعون أن يستجيب كل شخص لرغباتهم. وعندما تحبط مطالبهم، فإنهم يشعرون بعدم الأمن.

النظام المدرسي :

يمكن للمدرس استخدام العناصر التالية كمحك لتقويم الاجراءات النظامية :

١ – ينبغي تجنب الاعتماد على التهديد والتخويف لتوفير الهدوء.

٢ – ينبغي تنمية قيم جمعية واشراك التلاميذ في مسؤولية النظام.

٣ – ينبغي عدم استعمال السب والهزء والسخرية والعقاب البدني مطلقاً. كوسيلة لتحقيق النظام.

٤ – ينبغي توفير جو سيكولوجي صحي يؤمن تقبل الأفراد ويشبع حاجتهم الى التقدير والانتماء.

٥ – ينبغي احترام الطفل كفرد.

٦ – يجب أن يكون المدرس ايجابياً وثابتاً غير متقلب في معالجة مشاكل النظام.

٧ – ينبغي التقليل من الطرق الدكتاتورية أو المتسلطة، سواء كان ذلك من جانب المدرس أو قادة التلاميذ.

٨ – ينبغي توجيه الجهد الى تنمية وبناء الاتجاهات الأساسية الاجتماعية المرغوبة.

٩ – ينبغي تقويم أية وسيلة نظامية في اطار رفاهية كل من المجموعة والأفراد.

١٠ - ينبغي الاهتمام بالوقاية ومنع حدوث مشكلات النظام كلما أمكن ذلك ، بدلاً من الانتظار حتى تقع ، ثم محاولة حلها .

١١ - ينبغي أن يكون المدرس موضوعياً وواقعياً فيما يتعلق بالمواقف أو « الحالات » الفردية ، والتي يهتم بمعالجتها .

١٢ - ينبغي تذكر أن دوافع النظام لا يمكن فصلها عن دوافع المواقف التعاونية .

١٣ - ينبغي العمل على تنمية جو اجتماعي صحي .

١٤ - ينبغي تحليل مشاعر عدم الكفاية والقلق وافتقاد الأمن التي قد يعاني منها المدرس نتيجة لما تتطلبه المجموعة في الفصل ، والتلاميذ كأفراد داخل هذه المجموعة .

١٥ - ينبغي أن تتجنب اصدار الأحكام على ضوء السلوك السطحي ، وانما ينبغي التمييز بين النتائج والمسببات وبين العرض والمرض .

١٦ - يجب تجنب وضع اجراءات نظامية مبالغ فيها أو قواعد روتينية جامدة .

١٧ - ينبغي أن ندرك أن العقاب هو النتيجة الطبيعية للعمل الخاطئ وأنه ليس مجرد تحكم من المدرس أو وسيلة للارهاب .

١٨ - ينبغي التأكد من أن التلميذ يفهم الاجراءات النظامية المعقولة التي تتضمنها اللوائح المدرسية ، وأنه يشعر بها كعناصر أساسية لتحقيق جو مدرسي سليم ، وليست تحكماً من الراشدين . ويساعد على تحقيق ذلك اشراك التلاميذ في وضع وتنفيذ الاجراءات النظامية المدرسية في الفصل .

ويعتبر النظام أساساً رمزياً لعلاقات الفرد بالجماعة ، وعلى هذا فإنه يعد أساساً لمطالب الحياة في مجتمع ديمقراطي .

٤ - الرفاق أو الصحبة

تقوم الصحبة أو جماعة الرفاق أو الأقران أو الشلة بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية وفي النمو الاجتماعي للفرد ، فهي تؤثر في قيمه وعاداته واتجاهاته . وفي الصحبة يجد الطفل مجموعة من الأفراد يتصل بهم ويقاربونه في العمر والميول . وللصحبة وظائف معينة نذكر منها ما يأتي :

١ - يجد الطفل من يسايره ممن يشابهونه في العمر .

٢ - تنمية الحساسية نحو القيم.

٣ - تكوين الاتجاهات الاجتماعية والأدوار الاجتماعية.

٤ - يصل الطفل الى مستوى مناسب من الاعتماد على النفس.

ويتلخص أثر الصحبة في عملية التنشئة الاجتماعية فيما يلي:

١ - المساعدة في النمو الجسمي عن طريق اتاحة فرصة ممارسة النشاط الرياضي، والنمو العقلي عن طريق ممارسة الهوايات، والنمو الاجتماعي عن طريق أوجه النشاط الاجتماعي وتكوين الصداقات، والنمو الانفعالي عن طريق المساندة الانفعالية ونمو العلاقات العاطفية في مواقف لا تتاح في غيرها من الجماعات.

٢ - تكوين معايير اجتماعية وتنمية الحاسية والنقد نحو بعض المعايير الاجتماعية للسلوك.

٣ - القيام بأدوار اجتماعية جديدة مثل القيادة.

٤ - تنمية اتجاهات نفسية نحو الكثير من موضوعات البيئة الاجتماعية.

٥ - المساعدة على تحقيق أهم مطالب النمو الاجتماعي وهو الاستقلال والاعتماد على النفس.

٦ - إتاحة فرصة التجريب والتدريب على الجديد والمستحدث من معايير السلوك.

٧ - إتاحة فرصة تقليد سلوك الكبار في جو سمح.

٨ - إتاحة فرصة السلوك بعيداً عن رقابة الكبار.

٩ - إتاحة فرصة تحمل المسؤولية الاجتماعية.

١٠ - تصحيح التطرف أو الانحراف في السلوك بين أعضائها.

١١ - اشباع أهم حاجات الفرد الى المكانة والانتماء.

١٢ - إكمال الفجوات وملء الثغرات التي تتركها الأسرة والمدرسة في معلومات الطفل.

ولقد أوضحت أبحاث تراشر أن نوع الشلة وطبيعة الصحبة يتوقف على نوع وطبيعة الجيرة التي ينتمي اليها الطفل. وقد أوضحت الدراسات التي قام بها شريف مظفر أن مدى الفرد بالصحبة ومدى ما يتقبله من قيمها واتجاهاتها ومعاييرها كقيمه واتجاهاته

ومعاييره، هو أمر يتوقف على العلاقة بين الفرد والصحبة. وكلما ازدادت درجة هذه العلاقة كلما ازداد مدى تمثل الفرد لما اصطلحت عليه الجماعة من أنماط سلوكيته.

٥ – وسائل الاعلام

تؤثر وسائل الاعلام المختلفة من اذاعة وتليفزيون وسينما وصحف ومجلات وكتب واعلانات... الخ بما تنشره وما تقدمه من معلومات وحقائق وأخبار ووقائع وأفكار وآراء لتحيط الناس علماً بموضوعات معينة من السلوك مع اتاحة فرصة الترفية والترويح. ويمكن تلخيص أثر وسائل الاعلام في عملية التنشئة الاجتماعية فيما يلي :

١ – نشر معلومات متنوعة في كافة المجالات تناسب كل الأعمار.

٢ – إشباع الحاجات النفسية مثل الحاجة الى المعلومات والتسلية والترفية والاخبار والمعارف والثقافة العامة ودعم الاتجاهات النفسية وتعزيز القيم والمعتقدات أو تعديلها والتوافق مع المواقف الجديدة.

ويتوقف تأثير وسائل الاعلام في عملية التنشئة الاجتماعية على ما يلي :

١ – نوع وسيلة الاعلام المتاحة للفرد.

٢ – ردود فعل الفرد لما يتعرض له من وسائل الاعلام حسب سنه.

٣ – خصائص الفرد الشخصية ومدى ما يحقق من إشباع لحاجاته.

٤ – درجة تأثر الفرد بما يتعرض له من وسائل الاعلام.

٥ – الادراك الانتقائي حسب المستوى الاجتماعي الاقتصادي والمستوى الثقافي الذي ينتمي اليه الفرد.

٦ – ردود الفعل المتوقعة من الآخرين اذا سلك الفرد وفق ما تقدمه وسائل الاعلام.

٧ – مدى توافر المجال الاجتماعي الذي يجرب فيه الفرد ما تعلمه من معايير ومواقف وعلاقات اجتماعية وما تقمصه من شخصيات.

٦ – دُور العبادة

تقوم دُور العبادة بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية. لما تتميز به من خصائص فريدة أهمها إحاطتها بهالة من التقديس، وثبات وإيجابية المعايير السلوكية التي تعلمها للأفراد، والاجماع على تدعيمها.

ويتلخص أثر دور العبادة في عملية التنشئة الاجتماعية فيما يلي :

١ – تعليم الفرد والجماعة التعاليم الدينية والمعايير السماوية التي تحكم السلوك بما يضمن سعادة الفرد والمجتمع.

٢ – إمداد الفرد بإطار سلوكي معياري مرتضى مبارك.

٣ – تنمية الضمير عند الفرد والجماعة.

٤ – الدعوة الى ترجمة التعاليم السماوية السامية الى سلوك عملي.

٥ – توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين مختلف الطبقات الاجتماعية.

الفصل الخامس

الانحرافات الاجتماعية



الانحرافات الاجتماعيّة

مقدمة :

ان السلوك الاجتماعي في حد ذاته لا يمكن أن يقال عنه انه سلوك منحرف او غير منحرف ، سويّ أو مرضي ، ولكن الذي يصفه بهذه الصفة او تلك هو تقويم المجتمع له في ضوء مدى التزامه او خروجه عن المعايير الاجتماعية للسلوك . ولقد اهتم علماء النفس وعلماء الاجتماع بالامراض الاجتماعية او ما يسمى احياناً الباثولوجيا الاجتماعية (Social Pathology) . ويعرف المرض الاجتماعي بأنه سلوك منحرف هدام ويعتبر مشكلة اجتماعية تهدد امن الفرد والجماعة .

ان المنحرفين والجانحين وذوي السلوك المضاد للمجتمع يمثلون خطراً على حياه الآخرين ، ويكونون عنصر قلق واضطراب ، قد يعرضون فيه حياة الآخرين للخطر ، فهم اما أن يسرقوهم أو يقتلوهم او يعتدوا عليهم جنسياً ... الخ ، وهم في نفس الوقت يمثلون خطراً على حياتهم انفسهم لأنهم نتيجة لانحرافهم يقاومهم المجتمع مما يجعلهم عرضة لاضطرابات نفسية اقلها القلق . وهم يمثلون مشكلة اجتماعية اقتصادية خطيرة ، فهم فاقد بشري بالنسبة لعملية البناء الاجتماعي .

والواقع اننا لو حللنا أي مشكلة ، لوجدنا أن معظمها متعددة الجوانب ، ففيها الجانب الاجتماعي ، والجانب النفسي ، والجانب الصحي ، والجانب الاقتصادي . ولعل هذا هو السبب في انتشار العيادات السيكولوجية في الخارج (Psychological Clinics) والتي يعمل فيها فريق من مختلف التخصصات : الطبيب والاخصائي النفسي والاخصائي الاجتماعي (Social Worker) والأفضل أن

يكون اخصائياً اجتماعياً نفسياً (Psyciatric S.W.) .

وقد تصادفنا مشكلة سرقة يصاحبها اضطرابات نفسية متعددة . ويتضح أن السبب الرئيسي لهذا الانحراف هو الحاجة إلى المال . ويكفي علاج الموقف الاقتصادي(•) للشخص واسرته حتى تنصلح الأحوال جميعها . أي أن اصلاح جانب واحد قد يكفي لتنصلح الحالة بأكملها .

ولقد انتشر في السنوات الأخيرة مراكز التحويل (Referral Units) وظيفتها مقابلة الحالة مقابلة مبدئية وتجميع البيانات التي توضح جوانبها او الجانب المتغلب فيها والذي يستحسن البدء به والذي قد تنتهي عنده المشاكل . فتحول احدى الحالات إلى مصحة او مستشفى عام او متخصص وحالة اخرى إلى جمعية خيرية ترعى فئة معينة وحالة ثالثة إلى الضمان الاجتماعي ، ورابعة إلى مؤسسة للتأهيل المهني ، وخامسة إلى مكتب التشغيل والعمل وهكذا ... اما الحالات التي يتضح تعدد جوانبها فانها تحال إلى احدى العيادات السيكولوجية حيث تتضافر جهود فريق المتخصصين في العلاج واعاة التكيف•• .

مشكلات التكيف (Adjustment)

التكيف او التوافق هو عملية ديناميكية مستمرة يحاول بها الانسان عن طريق تغيير سلوكه أن يحقق التوافق بينه وبين نفسه ، وبينه وبين البيئة التي تشمل كل ما يحيط بالفرد من مؤثرات وامكانيات للوصول إلى حالة من الاستقرار النفسي والبدني والتكيف الاجتماعي .

وليس معنى تحقيق التوافق الشخصي والاجتماعي والاستقرار النفسي ان الفرد يخلو من المشكلات ولا يصادف أن عقبات تحول بينه وبين اشباع حاجاته والوصول إلى اهدافه ، فليس هناك فرد الا وله مشكلاته ، والتوافق السليم يقاس بمدى قدرة الفرد على مواجهة هذه المشكلات وحلها او تقبلها والحياة معها ، فالمشاكل والعقبات امر عادي في حياة الفرد والأمر غير العادي هو فشل الفرد في حل هذه المشكلات او عجزه أن يتعلم كيف يعيش معها متقبلاً لها او جنوحه إلى اساليب شاذة من السلوك اذا تعذر عليه حلها .

(•) علاج الموقف الاقتصادي لا يعني دائماً إعطاء المال . بل ربما كان الأفضل هو العلاج الدائم والبحث عن عمل للشخص نفسه أو لأحد أفراد أسرته . وفي إحدى الحالات كان الحل هو إعطاء ماكينة خياطة لوالدته وتعليمها التفصيل والخياطة ومعاونتها على تسويق المنتجات .

(•) هذه المراكز أنشئت في مصر لخدمة تلاميذ المدارس وأطلق عليها مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية .

والفرد السوي هو الذي يتصف بالمرونة في محاولة لتحقيق التوافق وبالقدرة على تغيير استجاباته وتنويعها، بحيث تلائم المواقف البيئية المتغيرة وتحقق له الاشباع الذي يسعى اليه عن طريق سلوك توافقي يتناسب مع تلك المواقف المتغيرة. فالفرد السوي – عندما تتغير الظروف الخارجية – يتحتم عليه أن يعدل سلوكه ويكتشف طرقاً جديدة لاشباع حاجاته عن طريق انواع جديدة من الاستجابات والنشاط المنوع حتى يصل إلى حل يؤدي إلى درجة الاشباع وبالتالي إلى حالة من التوافق السوي.

هذا التعديل في السلوك هو الذي نطلق عليه عملية التوافق او التكيف. ولما كانت الدوافع الاجتماعية تنشأ عن الحضارة والتفاعل الانساني – وهذه بطبيعتها في تقلب وتغير دائمين – فان عملية التوافق الخاصة باشباع هذه الدوافع الاجتماعية تصبح أكثر تعقيداً واكثر خطراً في حياة الانسان لما يتطلبه من مرونة وقدرة على تعديل استجاباته كلما تغيرت الظروف الاجتماعية والبيئة التي يعيش فيها، ولذا كان اشباع الدوافع الاجتماعية في كثير من الأحيان أمراً عسيراً، ونتيجة لذلك تنشأ كثير من مشكلات التوافق عند الأفراد الذين يعجزون عن تعديل استجاباتهم ونشاطهم، او تغيير الظروف البيئية في محاولاتهم لاشباع دوافعهم.

ومن الطبيعي جداً أن يواجه الناس في توافقهم بعض الصعاب، بل ان مثل هذه الصعاب قد تكون امراً مرغوباً فيه، اذ هي تحفظ لنا جلدنا ومثابرتنا وتزيد من رونق الحياة وتعطي شعوراً بالسعادة والارتياح، عندما تكلل جهودنا في النهاية بالنجاح.

غير أن العوائق والعقبات القاسية العنيفة التي تعترض اشباع بعض حاجاتنا الضرورية – فهي على النقيض من ذلك تماماً – اذ انها تفت في عضد الفرد، وتدفعه في كثير من الأحوال الى تقبل حلول توافقية اقل اشباعاً لحاجاته، أو إلى سلوك يتعارض مع قوانين المجتمع وقيمه وتقاليده فيكون انحرافاً او شذوذاً او مرضاً.

وقبل أن نتكلم عن الأنواع المختلفة لهذه الانحرافات، او الشذوذ، يجدر بنا أن نعرض للآراء المختلفة في تحديد معنى الشذوذ او الانحراف.

النظريات المختلفة للشذوذ

١ – النظرية القيمية : The Valuational Theory

تبعاً لهذه النظرية، يعرف الشذوذ بأنه الانحراف عن المثل الأعلى أو الكمال. فالمعيار

الذي يقاس به مدى الانحراف أو الشذوذ، هو مدى اقتراب الفرد أو ابتعاده عن الكمال. والشخص العادي - طبقاً لهذه النظرية - هو الشخص الكامل في كل شيء. الا ان صفة الكمال لا تتوافر إلا في أقلية قليلة جداً من الناس. فتبعا لهذه النظرية، يكون السويون أقلية نادرة، بينما تكون الغالبية شاذة بحكم ضرورة انحرافها عن المستوى المثالي. وبذلك نرى أن معايير هذه النظرية مطلقة وغير واقعية.

٢ - النظرية المرضية : The Pathological Theory

وتستمد هذه النظرية أصولها من علم الطب. إذ يعرف الشذوذ فيها بأنه حالة مرضية، فيها خطر على الفرد نفسه أو على المجتمع. والشاذ فيها شخص ينحرف عن الكمال أيضاً، إلا أن انحرافه يتطلب التدخل لحمايته، أو حماية المجتمع منه.

ولكن هناك من قد يكون في سلوكه انحراف، ولكن ليس فيه ضرر على الفرد أو المجتمع، مثل بعض العصابيين الذين يعانون من مرض الخوف من التلوث، فيغسلون أيديهم كلما صافحوا أحدا أو لمسوا شيئاً، فهؤلاء لا يعتبرون مرضى تبعا لهذه النظرية، بالرغم من حاجتهم إلى المساعدة والعلاج. إذ انها تتطلب ان يكون الانحراف شديداً بدرجة تهدد الفرد، وتهدد المجتمع. وطبقا لهذه النظرية، يكون الشواذ أقلية قليلة، والعاديون الغالبية، ويدخل في عدادهم عدد كبير من المرضى غير الخطرين.

وهاتان النظريتان تقيسان الأمور بمعيار غير ثابت، إذ ما هو الكمال؟ وكيف يعرف الخطر الذي يتعرض له المجتمع؟ ففي الحالة الأولى، لن يتفق اثنان على مفهوم الكمال ومستوياته. وفي الحالة الثانية، ما قد يعتبر خطراً في مجتمع قد يعتبر عادياً في مجتمع آخر.

٣ - النظرية الإحصائية : The Statistical Theory

هذه نظرية موضوعية، والمعيار فيها هو مدى الانحراف عن المتوسط الشائع. ويمثل الشواذ فيها الأقلية التي تنحرف بمدى واسع عن هذا المتوسط وهذا الشائع. وتبعا لهذه النظرية، تعتبر الأقلية الشاذة في النظرية المرضية، شاذة أيضاً بحكم انحرافها عن الغالبية، بينما تصبح الأقلية التي تعتبر عادية في النظرية القيمية شاذة أيضاً بحكم انحرافها عن المتوسط، والغالبية التي كانت تعتبر شاذة تبعا لها تكون عادية. وهذه النظرية تعطي أهمية للتدرج والنسبية في الدرجة.

٤ – النظرية الثقافية : The Cultural Theory

المعيار في هذه النظرية هو مدى الانحراف عن الشائع في ثقافة من الثقافات. وهي إلى جانب انها احصائية، إلا أنها تضيف عاملي الثقافة والنسبية. وتقوم هذه النظرية على ان بعض أنواع السلوك قد يعتبر شاذاً في ثقافة معينة، إلا أنه يعتبر عادياً في ثقافة أخرى، والعكس صحيح. كما ان أنواعاً من الشذوذ قد توجد في ثقافة معينة، بينما تنعدم في ثقافة أخرى. فعلى سبيل المثال نجد ان كثيراً مما نعتبره في مجتمعاتنا انحرافات جنسية، «كالجنسية المثلية» (Homo sexuality) تعتبر في بعض المجتمعات الغربية سلوكا عاديا يتقبله المجتمع، وليس لأحد ان يتدخل في هذه الشؤون التي يعتبرونها خاصة وتدخل في حدود حرية المرء!.

٥ – نظرية الوظيفة والواقع :

يرى بعض العلماء ان الصراع النفسي في الانحرافات واحد في كل الشعوب والثقافات، وما قد يبدو من اختلاف إنما يعود إلى ان طريقة التعبير عن الانحراف أو المرض قد تختلف من ثقافة إلى أخرى بحكم ما بين الثقافات من اختلاف. وقد ذكرنا مثلا ان الجنسية المثلية معترف بها في بعض الثقافات وبذلك فهي لا تتضمن صراعاً نفسياً فيها، ولكنها محرمة في مجتمعات أخرى، فاذا حدثت فانه يصاحبها حينئذ صراعات وأعراض مرضية، وهذه الأعراض المرضية تتوقف على مدى تقبل الثقافة لها. فالثقافة هي التي تؤدي الى الصراع .وكذلك العادة السرية تعتبر شذوذاً فيما لو استعملت كحيلة هروبية.

فوظيفة السلوك إذن هي التي تحدد شذوذه من عدمه، أي ان للصراع النفسي أهمية في تحديد الشذوذ بالاضافة إلى الوظيفة التي يؤديها السلوك الناتج عنه، ومدى مساعدة هذا السلوك للفرد على التكيف والتفاعل الاجتماعي، وبذا لا يتجاهل هذا التعريف العامل الاجتماعي. «فالواقع» الذي يتكيف له الفرد تكيفاً فاشلاً أو ناجحاً يحدده المجتمع. ويقاس شذوذ الفرد بمدى انحرافه عما يحدده مجتمعه بأنه هو الواقع.

أمثلة للانحرافات الاجتماعية :

الانحرافات الجنسية : وتشمل السعي للحصول على الإشباع الجنسي بطرق غير شرعية، وتجارة الجنس والدعارة في أسواق البغاء والنوادي الليلية وسائر الأماكن التي تقدم الخدمات الجنسية في عالم الانحراف، والمغامرات الجنسية المتواصلة غير المسؤولة والاستهتار والاستسلام الجنسيين، والجنسية المثلية (اللواط والسحاق)، وجماع الأطفال ولبس ملابس

الجنس الآخر والتشبه بهم. والاستعراض الجنسي أو العرض الشبقي عن طريق إظهار أعضاء التناسل أمام أعضاء الجنس الآخر أو الأطفال وفي الأماكن العامة. والأثرية أو الفتيشية أي التعلق الجنسي بالأشياء التي يستعملها الجنس الآخر كاللباس أو جزء من جسمه كالشعر أو الرائحة مثلاً. والفرجة والتلصص والنظر الجنسي إلى الأجسام العارية أو إلى العملية الجنسية نفسها. والاحتكاك الجنسي. والسادية أي الحصول على الاشباع الجنسي عن طريق تعذيب الغير. والماسوكية أي الحصول على الاشباع الجنسي عن طريق التعذيب من الغير. والاغتصاب وهتك العرض. والجنسية الحيوانية. وجماع المحارم.

الادمان: ويشمل الكحولية وادمان تعاطي العقاقير والأفيون والحشيش والكوكايين ومشتقاته والباربتيورات (barbiturates) والأمفيتامين (amphitamine).

الإجرام: ويشمل الأعمال غير القانونية الشائعة في عالم الرذيلة والإجرام مثل الغش والخداع والتزييف والتزوير والنصب ولعب الميسر والاتجار في السوق السوداء والاختلاس والرشوة وابتزاز الأموال والنشل والسرقة والجاسوسية والدجل والشعوذة والقتل.

السلوك المضاده للمجتمع: وتشمل أعراضه اضطراب السلوك الذي يكون تمرداً مخربا ضد مطالب المجتمع وضد السلطة الاجتماعية. وعدم الاستعداد للسلوك الملتزم بالمعايير والقيم الاجتماعية.

جُناح الأحداث: وتشمل أعراضه الكذب المرضي المزمن. والسرقة والنشل والنصب والاحتيال والغش والتزييف. والتخريب والشغب وإشعال النار والخطورة على الأمن والهروب من المنزل والمدرسة والفشل الدراسي والتشرد والتسول والبطالة والعدوان والتمرد وعدم ضبط الانفعالات (حدة الطبع والتقلب). والسلوك الجنسي المنحرف. وتعاطي المخدرات والادمان وغير ذلك من ألوان السلوك الاجرامي المضاد للمجتمع وسندرس الآن بعض هذه الانحرافات بشيء من التفصيل.

مشكلات الشباب

يمكننا تصنيف مشكلات الشباب وهي متعددة - إلى الأصناف التالية * :

(*) أنظر بحث «احتياجات الطفولة والشباب» إشراف الدكتور مختار حمزة نشرة المنظمة الدولية للطفولة «اليونسيف» ١٩٧٠.

المشكلات الانفعالية : القلق والتوتر ، الانقباض وعدم السعادة . تقلب الحالة الانفعالية ، الشعور بتأنيب الضمير . الشعور بالنقص . الشعور بالخجل ، الارتباك . عدم القدرة على تحمل المسؤولية ، نقص الثقة بالنفس . الشعور بالذات ، الشعور بالضيم . الاحساس بالفراغ ، والضياع . الخواف ، الخوف من الخضوع والإهانة ، الخوف من النقد ، المعاناة من الاندفاعات المزاجية ، العناد . عدم الاستقرار . التهيجية وسهولة الاستثارة . العصبية والحساسية الانفعالية ، اللازمات العصبية ، الإهمال ، ضعف العزيمة والإرادة . عدم القدرة على التصرف وقت الطوارئ ، أخذ الأشياء بجدية زائدة ، الاستهتار واللامبالاة ، الاستغراق في أحلام اليقظة ، الاحلام المزعجة والكابوس . الشعور بالإثم . التبرم بالحياة والرغبة في التخلص منها .

مشكلات الأسرة : الخلافات والانفصال أو الطلاق بين الوالدين . موت الوالدين أو أحدهما . رجعية الوالدين . الشعور بالبعد عن الوالدين في الميول . عدم القدرة على مناقشة الموضوعات الشخصية مثل المسائل الجنسية مع الوالدين ، اللوم والتأنيب والتقريع . العقاب بالضرب وغيره . مناوأة الوالدين والرد عليهما ، الخوف من إخبار الوالدين عندما يخطئ . عدم القدرة على اعتبار الوالدين كصديقين ، الشعور بأن الوالدين يتوقعان منه أكثر من طاقته . تدخل الوالدين في اختيار الأصدقاء ، عدم السماح له بالخروج ليلاً أيام الدراسة ، الزامه بالتواجد في البيت في ساعة محددة ، اعتباره غير مسؤول . زيادة الرقابة في الأسرة ، معاملته كطفل في الأسرة ، التفرقة بين الاخوة ، العراك مع الإخوة . النزاع الدائم بخصوص النقود ، قلة المصروف . عدم التمتع بالحرية في الأسرة . عدم حرية إبداء الرأي ، الشعور بالحرمان من أشياء كثيرة . عدم ضمان الخصوصية . عدم وجود مكان للاستذكار . عدم وجود غرفة خاصة . شعوره أنه عبء على الوالدين . مشكلات تكوين أسرة جديدة .

المشكلات الجنسية : نقص المعلومات الجنسية الصحيحة . مشكلات النمو الجنسي . مشكلات النضج الجنسي المبكر والنضج المتأخر . عدم وجود صديق من الجنس الآخر . الكبت الجنسي ، الوقوع في الحب والخروج منه ، عدم معرفة السلوك السوي مع الجنس الآخر . القلق بخصوص الزواج من الشخص المناسب . القلق بخصوص الاضطرار لتأجيل الزواج لظروف خارجة عن ارادته ، الرغبة في أن يصبح أكثر جاذبية ، الرغبة في أن يصبح أكثر لفتا لأنظار أفراد الجنس الآخر ، الاستغراق في حكاية النكت الجنسية . الاستغراق في قراءة الكتب الجنسية ، الاستغراق في مشاهدة الصور والأفلام الجنسية .

الاستغراق فكريا في الجنس. القلق بخصوص الاستمناء. الاستسلام بسهولة للإغراء والتورط في خبرات والشعور بالإثم.

مشكلات الدين والأخلاق:

الحاجة إلى التوجيه الديني. الحيرة بخصوص الحياة والموت وما بعدها. الخوف من الموت. الحيرة بخصوص المعتقدات. الشك الديني. الضلال وعدم إقامة الشعائر الدينية. عدم التمسك بالتعاليم الدينية. عدم احترام القيم الأخلاقية. عدم معرفة المعايير التي تحدد الحلال والحرام والصواب والخطأ. الصراع بين المحافظة والتحرر. محاولة التغلب على عادات سيئة. الشعور بالذنب وتأنيب الضمير. القلق بخصوص التعصب الديني. القلق بخصوص عدم التسامح. القلق بخصوص الإصلاح.

المشكلات الاجتماعية: عدم القدرة والارتباك في المسائل والمواقف الاجتماعية. الخوف من مقابلة الناس. عدم القدرة على الاتصال بالآخرين. قلة الأصدقاء. عدم القدرة على إقامة صداقات جديدة. الرغبة في الاشتراك في شلة. القلق بخصوص السلوك الاجتماعي السليم. عدم معرفة أصول السلوك في المسائل الاجتماعية. عدم فهم الآخرين. عدم اللياقة. الوحدة وعدم الشعبية ورفض الجماعة له. الرغبة في أن يكون أكثر شعبية. قلة أوجه النشاط الترويحي. واعتقاد الوالدين ان الترويح لا فائدة منه. عدم وجود من يناقش مشكلاته الشخصية معه. القلق بخصوص التعصب الاجتماعي وعدم التسامح.

أسباب مشكلات الشباب:

تتلخص أهم أسباب مشكلات الشباب فيما يلي:

١ - قد تكون الأسباب عميقة الجذور وترجع إلى مرحلة الطفولة.

٢ - قد يعاني المراهق من الصراعات مع نفسه وهو يحاول التوافق مع جسمه الذي يتغير ودوافعه التي تتطور ومطامحه التي تتبلور.

٣ - الإحباطات المتعددة ومطالب البيئة أو نقص إمكانياتها.

٤ - صعوبة إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية.

٥ - نقص الخبرات الجديدة اللازمة لتطبيق القدرات والمهارات الجديدة.

٦ - عدم وجود فلسفة واضحة للحياة. وعدم الرضا عن الروتين اليومي والمواقف

الرتيبة في الحياة اليومية مما قد يدفع المراهق إلى الاندفاع والمخاطرة ومخالفة القانون والعرف أحياناً.

٧ – الرغبة القوية للارتباط برفاق السن قد تؤدي إلى تكوين شلل، مما قد يتعارض مع المسؤوليات في المدرسة والأسرة.

٨ – إشباع الدافع الجنسي قبل الزواج، والحمل قبل الزواج وهذا يتعارض مع المبادئ الدينية والخلقية.

٩ – الضغوط الأسرية والاجتماعية قد يقابلها ثورة وعقوق من جانب المراهق.

١٠ –قد يرفع المراهق دروع الدفاع عن النفس بحيله المعروفة مثل التبرير والنكوص والكبت والعدوان والإسقاط، الخ.

١١ – عدم النضج الانفعالي ونقص التوازن الانفعالي، وتذبذب الروح المعنوية بين الارتفاع والانخفاض، والميول الاستعراضية، وعدم الاستقرار مما يساعد على تبلور الصراعات.

١٢ – المواقف الخارجية مثل عدم التوافق الأسري بين الوالدين أو مع الأخوة وعدم التوافق في المدرسة، وسوء التوافق الاجتماعي ورفض الجماعة له مما يزيد نار الصراع اشتعالا ويؤجج التوتر النفسي.

١٣ – سوء التوافق الشخصي والاجتماعي والانطواء ونقص الميول والاهتمامات الاجتماعية والرياضية وغيرها.

١٤ – فساد التوجيه وقلة الرعاية في الأسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة.

الوقاية من مشكلات الشباب:

لا جدال في ان وقاية الشباب من الوقوع في المشكلات خير من العلاج وتغني عنه. ولذلك يجب مراعاة تنفيذ الواجبات التربوية. ونذكر منها هنا–على سبيل المثال لا الحصر–ضرورة بذل الجهود لتهيئة البيئة الصالحة التي ينمو فيها المراهق، واتاحة الجو النفسي لنمو الشخصية السوية، وضرب المثل الصالح والقدوة الحسنة أمام الشباب، ومساعدة الشباب على فهم نفسه وتقبل ذاته وتقبل التغيرات التي تطرأ في مرحلة المراهقة، وتحسين علاقة المراهق بأسرته ومعهده العلمي وأقرانه... وتحمل المسؤولية بخصوص تنمية مفهوم موجب للذات لدى الشباب، والاهتمام بالتوجيه والارشاد النفسي والتربوي والمهني.

علاج مشكلات الشباب :

فيما يلي أهم التوصيات لعلاج مشكلات الشباب :

١ - اكتشاف المشكلات العامة التي يعاني منها الشباب ومعرفة أسبابها والعمل على إزالة هذه الأسباب أو التخفيف من حدتها . والاستعانة بالأخصائيين النفسيين واستشارتهم ضماناً لنجاح علاج مشكلات الشباب.

٢ - مساعدة المراهقين على أن يتعلموا الشيء الكثير عن أجسامهم ومشكلات النمو الجسمي وكيفية علاجها. ومساعداتهم على تنمية المهارات التي تحول اهتمامهم عن مظهرهم . وتوفير الرعاية الصحية ، وتشجيع المراهقين على أن يتناولوا غذاء مناسبا متوازيا . وتشجيعهم على أن يعرضوا أنفسهم للفحص الطبي والنفسي.

٣ - علاج مخاوف الشباب والاضطرابات العصبية التي يعانون منها وكل ما ينغص حياتهم الانفعالية ، وعدم نقد المراهق أو السخرية منه . وتوجيه الشاب الى التعود على نسيان الإساءة بسرعة واستخدام النشاط المتولد عن الغضب في عمل ناجح واستخدام العواطف بحكمة.

٤ - توجيه الشباب توجيها سليماً واتباع الطرق التربوية الصحيحة مع مراعاة اللباقة وحسن المدخل ، وعلاج مشكلات الأسرة . وتوجيه الآباء وتعريفهم بمرحلة المراهقة ومطالب النمو فيها ودورهم في تحقيقها وضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الشباب . وان الأولاد يطلبون دائماً ما هو معقول ويناسب مرحلة نموهم ، وان الأولاد لا يرغبون في شيء قدر رغبتهم في العمل على إرضاء والديهم ، وانه كثيراً ما يسيء الأبناء فهم اتجاهات الوالدين نحو بعض المشكلات ، وان الأولاد يرغبون دائماً في معرفة أسباب الاعمال التي يطلب منهم القيام بها.

٥ - اعداد برامج منظمة لخدمة التوجيه والارشاد النفسي بالمدرسة . وان يحقق الجو المدرسي التوافق النفسي السليم للمراهق ، وضرورة مقابلة الدراسة لمشكلات وحاجات الشباب . ومساعدة المراهق على أن يكون فكرة صحيحة عن قدراته واستغلالها إلى أقصى حد ممكن . وادراك ان القدرة العقلية ليست سوى عامل واحد في النجاح المدرسي أو المهني . والمساعدة في تحسين اتجاهات المراهقين نحو المدرسة والمدرسين . والتعاون الكامل مع الأسرة لعلاج المشكلات المشتركة بين المنزل والمدرسة.

٦ - المساعدة في عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي وتعليم المعايير السلوكية الاجتماعية السليمة والسلوك الاجتماعي السوي والمهارات الاجتماعية والقواعد الأخلاقية . وتهيئة الفرص

للمناقشات الجماعية حول مشكلات الشباب وشغل أوقات فراغ الشباب بطريقة مفيدة مدروسة واستغلال الميول والهوايات، ومساعدة المراهقين في اختيار الأصدقاء على الا يكونوا منحرفين.

٧ - مساعدة الشباب في التوجيه المهني والاعداد للمهنة، وادراك الفرص المتاحة بالفعل في ميدان العمل، ومدهم بأدق المعلومات المهنية، ومساعدتهم في ادراك قيمة جميع أنواع العمل وأهميتها.

٨ - الاهتمام بالتربية الجنسية العلمية للشباب ومساعدتهم على تقبل النمو الجنسي والسعادة والفخر بالنضج الجنسي وتقبل هذا التطور الجديد في حياة الفرد قبولاً حسناً، والحرص بخصوص المثيرات والأفلام الجنسية، والتوجيه اللازم بخصوص الزواج وامداد الشباب بالحقائق عن الحياة الأسرية ومسؤولياتها.

٩ - توجيه عناية خاصة إلى التربية الدينية للشباب وتوجيههم إلى ممارسة الشعائر الدينية وتعليم المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية ونمو الضمير والضبط الذاتي للسلوك، ومساعدة المراهقين في تكوين فلسفة ناضجة للحياة والعمل على تحقيقها بمهارة حتى يتحقق النجاح في الحياة.

انحراف الأحداث

(Juvenile Delinquency)

تمهيد:

يتعرض الأطفال لأنواع متعددة من المشاكل المرتبطة بالسلوك الاجتماعي منها السرقة والغش والهروب من المدرسة والتخريب والانطواء والكذب وجناح الأحداث الى غير ذلك من صفوف الانحراف.

ولا شك أن كثيراً من هذه الانحرافات الاجتماعية يرجع الى المواقف الاحباطية التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية مما يتسبب عنه الشعور بالاضطراب والقلق الذي يدفع الأطفال الى التخلص من هذا الشعور المتكرر المتراكم في نفوسهم على شكل أو أكثر من الاستجابات السابقة بعد فشلهم في العمل على الملاءمة الاجتماعية السوية بالطرق الطبيعية.

ولهذه الانحرافات أسباب قد تكون اخطاء في عملية تنشئة الطفل في الأسرة ومنها قسوة الآباء أو الغيرة أو الكبت المتواصل لرغبات الطفل المختلفة أو التدليل الزائد

أو التذبذب في المعاملة أو لضعف الروابط العائلية مما لا يتحقق معه ما ينشده الطفل من إشباع لحاجته للأمن والعطف والحنان والحب والانتماء والتقدير والنجاح، وهي من الحاجات الرئيسية للطفل. وقد تكون الأسباب في المدرسة والجو المدرسي الذي تسود فيه المنافسة البغيضة أو التحيز أو التعصب الى غير ذلك من المؤثرات التي تنكر الحاجات الرئيسية للطفل وتؤدي الى سوء التكيف الاجتماعي والنفسي.

وسنقتصر هنا على عرض مشكلة جناح الأحداث باعتبارها أهم المشكلات المرتبطة بالسلوك الاجتماعي والتي تتسع دائرتها ويتفاقم خطرها مع تيار التصنيع والتمدن وازدحام المدن بالمهاجرين من الريف وغير ذلك.

تعريف الجُناح:

إن أي مخطط يهدف الى علاج مشكلة جناح الأحداث يجب أن يقوم على تعريف دقيق لما يسمى بجنوح الحدث وكذلك متى يكون الحدث جانحاً. ويبدو لسوء الحظ أن هذه العبارات لها مدلولات متباينة في مختلف البلاد وتتراوح هذه المدلولات في حدودها بين التعريفات القانونية المحضة بمعنى أن جنوح الحدث هو أن يخرق الحدث القانون الجنائي العام وبين الشمول الذي يضم ظاهرات أخرى كالهرب والتشرد وانحراف السلوك وسوء التكيف. وفي بعض البلاد لا يوجد تعريف للمشكلة بالمعنى المفهوم، وإنما تحديد للسلطات القضائية التي تحاكم الأحداث.

وفي حلقة البحث التي عقدت سنة ١٩٥٩ تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة * حول منع الجريمة ومعاملة المخالفين في البلاد العربية، رؤي التمييز بوضوح بين الحدث الآثم والحدث المشكل. وقد نصت توصيات هذه الحلقة ضمن ما نصت عليه على أن وسائل حماية الحدث يجب أن تقوم على الأسس الآتية:

(أ) إن «الجنوح» و «سوء التكيف» لفظان يختلفان تماماً في المدلول. ولا يجوز استعمالهما كمرادفين بالرغم من أن الجنوح يمكن اعتباره نوعاً من أنواع سوء التكيف. وعلى ذلك فإن جنوح الحدث يشكل مشكلة اجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن المشكلات الناشئة عن حاجة الحدث للخدمات الاجتماعية. وكلتا الفئتين تستحق الاهتمام والمساعدة كفئتين متباينتين.

---

* First and Second United Nations Congresses on the Prevention of Crime and the Treatment of offenders, held in 1955 and 1960 in Geneva and London respectively.

(ب) إن تعريف جنوح الحدث يجب أن يقوم على أن اقتراف الحدث لإثم لو اقترفه البالغ اعتبر جريمة •.

وفيما يختص بالحد الأعلى لسن الحدث الجانح نلاحظ اتجاهاً مطرداً لا سيما في الدول النامية اقتصادياً – الى رفع هذه السن التي تصل في بعض الأحيان الى الحادية والعشرين. وواضح أن تحديد السن الأعلى للحدث الجانح أمر يتعلق بالنواحي الاجتماعية والسيكولوجية السائدة في بيئته وأن الاقتداء بالبلاد التي تعتبر متقدمة قد ينجم عنه نتائج سيئة ••. والملاحظ في كثير من أنحاء العالم ولا سيما في الشرق الأوسط وآسيا والشرق الأقصى أن الفرد يتحمل مسؤوليات اجتماعية ولمّا يتجاوز العشرين، كأن يكون متزوجاً ولديه عدد من الأبناء، وفي هذه الحالة تكون حياته قد اتخذت نمط حياة البالغين واندمجت تماماً في الإطار الاجتماعي البالغ. ويرى البعض أن الأحداث في هذه البلاد يصلون الى النضج الجسماني مبكراً لأسباب تتعلق بالظروف الطبيعية والاجتماعية السائدة. وفي ضوء هذه العوامل رأى المختصون عند مناقشة هذه النقطة في حلقة البحث الأولى لمنع الجريمة ومعاملة المخالفين (القاهرة ١٩٥٣) جعل الحد الأعلى لسن الجنوح في بلاد الشرق الأوسط ثماني عشرة سنة، وقد بنيت التوصية على أن الحدث يصل الى مرحلة التفكير والسلوك البالغ قبل هذه السن •••.

أسباب الجنوح :

من المسلم به الآن أن السلوك الاجرامي ناتج عن عدة عوامل تختلف في أهميتها وفي تأثير كل منها على الآخر. ففي البلاد المتقدمة يعزى الجنوح الى العوامل النفسية والحيوية والاجتماعية أكثر من أي عوامل أخرى. وفي البلاد النامية يعزى الجنوح عادة الى العوامل الاجتماعية الاقتصادية كالفقر والبطالة وسوء المحيط الاجتماعي وما ماثل ذلك.

وفي البلاد المتقدمة حيث مستوى المعيشة مرتفع الى حد ما بالنسبة لأغلبية الشعب نجد أن مشكلة البطالة أقل خطورة وأن الخدمات الاجتماعية تصل الى معظم الأفراد. ومع ذلك فإن ظاهرة الجنوح واضحة بل ان الأرقام تدل على أنها في ازدياد مطرد.

أما في البلاد المتخلفة اقتصادياً، فقد لوحظ أن بعض الوسائل التي قصد بها تحسين

(•) وثيقة هيئة الأمم المتحدة رقم ST/TAO/SER.C/42 •

(••) وثيقة رقم AS/FCW/WP.2 ••

(•••) وهذا الموضوع يعاد مناقشته في مصر حالياً.

النواحي الاقتصادية والاجتماعية ساعدت على خلق ظروف مواتية للاجرام، ومثال ذلك التصنيع. فبينا التصنيع يؤدي الى امتصاص البطالة والتقليل من الفقر وإذابة الفوارق الاجتماعية تدريجياً يخلق ظروفاً اجتماعية مواتية للجريمة إذ يصبح المجتمع متسماً بالعزلة الفردية وتقل روابط الأسرة وتقل معها سيطرة الآباء على الأبناء وتتميع القيم المرتبطة بالمناصب التقليدية وتتفكك الصلات الروحية.

ويمكن القول بصفة عامة أن البلاد العربية تمر بمرحلة تطور من مجتمع زراعي أو بدوي الى مجتمع صناعي ذي مراكز حضرية وفي كثير من هذه البلاد توجد مخططات للتنمية الاقتصادية بعضها دخل حيز التنفيذ. ولا شك أن تنفيذ هذه المخططات سيخلق مراكز حضرية جديدة أو ينعش المراكز الموجودة حالياً.

وليس معنى هذا أن التحضر ظاهرة جديدة في هذه البلاد. فقد نشأت مراكز حضرية في هذه المنطقة منذ قرون مثل تلك التي نشأت حول حوض دجلة والفرات وحوض النيل. ويلاحظ أن النمو الحضري لا يستتبع بالضرورة قيام الصناعة. فقد يتضخم عدد سكان المدن نتيجة لتدفق اللاجئين عليها أو إقبال أهالي الريف سعياً وراء الرزق وغير ذلك من الأسباب *. على أن التصنيع قد يزيد من هذه الاتجاهات بما تمنحه المصانع من مغريات مثل الأجور المرتفعة والعمالة المستديمة.

ويبدو من دلائل النمو الاقتصادي في الدول النامية أن النمو الحضري سيستمر في الزيادة في السنوات المقبلة. ورغم ما لهذا النمو الحضري من مزايا. فإن المساوىء يجب ألا تغيب عن بالنا. فبينا المدينة هي الموطن التقليدي للنشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتجاري نلاحظ أن هناك ترابطاً بين الحضرية وانحراف السلوك. فحياة المدن – بعكس حياة الريف – تشهد بسجلات إجرامية حافلة ولا سيما الجرائم الخاصة بالاعتداء على ملك الغير. والجرائم الجنسية والدعارة والانتحار وتداول المخدرات وسرقة السيارات وغير ذلك من مظاهر جنوح الأحداث. وبرغم هذا الترابط بين الظاهرتين لم يستطع الباحثون حتى الآن إثبات علاقة سببية بينهما. ولا شك أن أحد الأسباب الهامة هو قصور الاحصاءات في هذا المجال.

وبرغم أن الشواهد في كثير من البلاد تدل على أن الإجرام والجنوح أكثر انتشاراً في المدن عنهما في الريف إلا أنه من الصعب القول ان التحضر في حد ذاته هو السبب في

* Hamza, Mukhtar. (Supervisor):
Employment Problems in Rural Areas, Research published by I.L.O., Geneva, 1964.

انتشار الاجرام والجنوح. وانما يمكن القول ان التغيير الاجتماعي وما يتبعه من تفكك يساعد على انتشار أنماط من الاجرام والجنوح في البيئة الحضرية •.

وسواء كان هناك له علاقة سببية بين التحضر والجنوح أم لا فانه لا مندوحة من موجهة الحقيقة وهي أنه في البلاد التي تمر بمرحلة تضيع لا بد وأن نتوقع زيادة في حالات الجنوح. وهذه حقيقة أكدها الباحثون في الحلقة الدراسية الثانية للبلاد العربية ••.

والواقع أنك إذا سألت أي فرد لماذا يصير الطفل حدثاً منحرفاً. فانك تجد إجابة سريعة له. ولو أنك لا تجد منحرفاً. فانك تجد إجابة سريعة له. ولو أنك لا تجد الاجابة نفسها في كل حالة. وتسمع بعض الاجابات مثل «انحراف الأحداث سببه البيئة الفقيرة، أو ازدحام المساكن غير الصحية أو تفشي الجهل وعدم التعليم. أو الاضطهاد. أو إخوان السوء. أو حيث تنتشر المخدرات، أو حيث يكثر الادمان على الخمر أو كتب الأدب الرخيص أو الإلحاد أو الافلام البوليسية أو الخلافات العائلية التي تنتهي بالطلاق أو ضعف الذكاء أو من قراءة قصص المجرمين.

والواقع أنه من بين الإجابات السابقة لا يمكن أن نجزم أنه السبب الوحيد الحقيقي لانحراف الاحداث. وينشأ الانحراف من تحالف مجموعة عوامل تعمل باستمرار على فشل الطفل وحرمانه وخيبة أمله وتتدخل في عدم اتزان حالته الانفعالية. وبالاختصار يحدث انحراف الأحداث عندما لا يجد الطفل فرصة لينمو ويصبح ذا حالة نفسية سليمة. وبعض العوامل التي ذكرت قبلاً يتدخل في نشأة الطفل العادية ويجعله يسلك سبيل الانحراف.

والواقع أنه لا يوجد سبب واحد قائم بذاته يؤدي بالطفل الى هذا السبيل. بل عوامل متداخلة تضغط على الفرد باستمرار وتحوله الى شخصية ذات قابلية للانحراف.

وانحراف الاحداث من وجهة نظر السيكولوجي هو سلوك مضاد للمجتمع يقوم على عدم التوافق أو الصراع النفسي بين الفرد ونفسه. وبين الفرد والجماعة. بشرط أن يكون الصراع والسلوك المضاد للمجتمع سمة واتجاهاً نفسياً واجتماعياً تقوم على شخصية الحدث المنحرف وتستند اليه في التفاعل مع أغلب مواقف حياته وأحداثها. وانحراف الأحداث ما هو الا عرض أو مجموعة أعراض وليس مرضاً قائماً بذاته له اسمه وله تطوراته. فقد يكون عرضاً يعكس اضطراباً اجتماعياً وضعفاً اقتصادياً كما قد يكون عرضاً لاضطراب

• Prevention of Types of Criminality Resulting from Social change and Accompanying Economic Development in Less Developed Countries. Report by U.N. Secretarial V/CONF 17/4. Page 4.

(••) وثيقة رقم ST/TAO/SERC/42

نفسي أو مرض عقلي وقد يكون عرضاً لنقص عقلي موروث أو ولادي. ويشترك في خلق جنوح الأحداث جملة من تلك الأسباب المتنوعة الاضافية والرئيسية والعقلية والاقتصادية والدينية والحضارية بحيث تتفاعل جميعها وبدرجات متفاوتة وتتعاون على خلق ما نسميه جنوحاً أو انحرافاً.

وفي بحث لنا عن العوامل الديناميكية الفعالة في شخصيات الأحداث المنحرفين في البيئة المصرية نشرناه في عام ١٩٥٣ •. اتضح أن من أهم عوامل الانحراف عند الصغار هو الشعور بالحرمان الذي ينتج عن وجود عائق بالبيئة يحول دون إشباع حاجات الطفل النفسية ويهدد شخصيته. ولقد أظهر ذلك بوضوح استجابات الأحداث لاختبار تفهم الموضوع (.T.A.T) حيث استخدم هذا الاختبار الاسقاطي لأول مرة في مصر وفي الشرق الأوسط مع غيره من الاختبارات السيكولوجية المعروفة.

والواقع أننا إذا تأملنا حياة الصغار المنحرفين في مصر لوجدناها سلسلة من تجارب الحرمان – الحرمان من حاجات البدن أو حاجات النفس. فمعظمهم أطفال حرمتهم أوضاع اسرهم الاجتماعية والاقتصادية أبسط المقومات المادية للحياة الانسانية. ومعظمهم يعيش على الصد الدائم أو الحرمان من الغذاء الكافي والرعاية الصحية أو الحرمان من مشاعر الأمن والحب والعطف والطمأنينة. والمفروض أن الفرد السوي يحاول أن يكيف نفسه للموقف الذي يواجهه. وذلك بإزالة العائق إذا كانت إزالته لا تتعارض مع القيم السائدة في المجتمع وعاداته وقوانينه. أو باتخاذ بديل للإشباع أو تأجيل الاشباع اذا كان العائق مؤقتاً... هذه كلها طرق مختلفة للتوافق السليم. أما الصغير المنحرف فهو يستجيب الى الحرمان بتحطيم العائق وإزالته بغض النظر عن النتائج الاجتماعية أو القانونية التي تترتب على سلوكه. وهنا يأخذ السلوك المنحرف أشكاله العدوانية المختلفة: تخريب. اعتداء على ممتلكات أو أشخاص. سرقة. شذوذ جنسي... الخ. وقد يستجيب الصغير إلى تجربة الحرمان بالانسحاب من الموقف المحيط به ويظهر ذلك بشكل هروبه من المدرسة أو التشرد في الطرقات أو المروق من سلطة الأبوين. ولا يفوتنا أن نذكر أن طاقة الحدث وقدرته على تحمل تجربة الحرمان قدرة محدودة. فإذا كانت الحاجة ملحة ولا يحتمل التأجيل في إشباعها. وإذا كانت عوائق الاشباع كثيرة ومتلاحقة فإن تجربة الحرمان في هذه الحالة تؤدي بالضرورة الى حالة من القلق والتوتر تؤدي بدورها الى اضطراب في سلوك الحدث يأخذ شكل السلوك المنحرف.

• HAMZA, MUKHTAR: "The Dynamic Forces in the Personalities of Juvenile Delinquents in the Egyptian Environment." British Journal of Psychology, London. 1953.

البرامج العلاجية:

إن الطفل الحدث طفل واجهته مشكلات نتجت عن علاقات غير سويه بينه وبين المجتمع. وأصبح من واجبنا أن نعمل على استعادة تكيفه تكيفاً سوياً مع مجتمعه مما يتطلب دراسة مظاهر انحرافه. والعوامل التي أدت اليه ثم أساليب علاجه واعادة تربيته وتوجيهه حتى يصبح قادراً منتجاً في مجتمعه. ولهذا فإن أهم ما يتطلبه العمل مع الحدث هو دراسة تحليلية له كفرد تسبق رسم البرنامج الخاص به في المؤسسات لمعرفة كيف أصبح على ما هو عليه. وما هي العوامل التي يتطلبها تدريبه لإحداث التغيير المطلوب. هذه الدراسة كخطوة أولى أساسية يرتكز عليها برنامج الرعاية في المؤسسة يجب أن تتم بالصورة التي تكفل تحقيق الغاية الأساسية منها.

خدمات الرعاية الطبية والصحية:

تلعب الخدمات الطبية دوراً كبيراً في علاج وتأهيل الاحداث الجانحين. وينبغي أن تشمل برامج الرعاية الصحية في المؤسسة ما يأتي:

١ – تهيئة بيئة صحية سليمة.

٢ – وقاية صحة النزلاء والمحافظة عليها.

٣ – توجيه الأطفال صحياً وإيجاد الحلول لمشاكلهم الصحية.

٤ – التربية والتثقيف الصحي لهم.

الخدمات التربوية والتعليمية:

الخدمات التعليمية بالمؤسسة يجب أن تستهدف الأغراض الآتية:

١ – تهيئة الفرصة أمام الحدث لاستكمال تعليمه أو التزود بحد أدنى من التعلم والثقافة وتزويده بالمهارات الأساسية لاكتساب المعرفة من قراءة وكتابة وحساب.

٢ – معاونته على تنمية الاتجاهات الاجتماعية والخلقية والعادات السليمة ليتسنى له حسن التكيف داخل المؤسسة ثم في المجتمع عقب مغادرتها.

٣ – نمو الأمية الصحية ومساعدة الحدث على تنمية واكتساب العادات الصحية اللازمة لسلامته وسلامة الغير.

٤ - معاونته على استثمار وقت فراغه عن طريق الهوايات وقراءة الكتب والتذوق الفني والموسيقي.

٥ - تبصيره بحقوقه وواجباته والتزاماته وتنمية مشاعره نحو الاتجاهات الموجبة.

٦ - معاونته على تنمية شخصية وقدرته على التعامل مع الغير وذلك خلال التوجيه الفردي والجماعي في حياة اجتماعية.

الخدمات الاجتماعية:

لا جدال في أن خلق الجو الاجتماعي السليم في المؤسسة يؤدي الى تنمية الاتجاهات الواعية بالنسبة للمنزل والأسرة والعمل ووقت الفراغ والحكومة والقانون والنظام.

ويجب أن يدرك المشرفون على الأطفال أن أحد العوامل ذات الأهمية البالغة في علاج هؤلاء الأطفال هو علاقتهم الوجدانية بالمشرف. فإذا لم يتخذ المشرف من الطفل ما يلزم في الموقف المناسب فسوف لا تجدي معه أحسن الطرق ولا يصل من ورائها الى أية نتيجة.

وينبغي معاملة الأطفال لا على أنهم خوارج على المجتمع يجب أن نحميه من شرهم. بل على أنهم آدميون قست عليهم ظروف الحياة وأثقلت عليهم بما يبرر ضغينتهم على المجتمع، لهذا كان الواجب أن نهيء لهم جواً يحسون فيه بالراحة والأمن وأن يكون للمسؤولين عنهم علاقات طيبة مبنية على العطف وأن يشعروهم بأن العالم لا يعمل ضدهم وأن يساعدوهم على التكيف للحياة تكيفاً سليماً.

الخدمات الترويحية:

أصبح الترويح من الخدمات الأساسية في أية مؤسسة من هذا النوع. إذ تبين أن استهلاك الطاقات في نشاط ترويحي سليم يؤدي الى الإقلال من مظاهر التمرد والانحراف. ويتطلب توفير هذه الخدمات الترويحية إعداد القيادات المدربة من المدربين والأطفال أنفسهم والإشراف المناسب والتجهيزات الفردية. ويكمن جوهر الترفيه في تهيئة الفرصة أمام الفرد كي يفعل ما يريد في الوقت الذي يريده دون ضغط أو إكراه. فيترك الحدث حراً ليختار نوع النشاط والجماعة التي تروقه، ويقتصر دور المشرف في هذا النشاط على ملاحظته فقط. وتساعد تلك الملاحظة على فهم الحدث ومعرفته والكشف عن شخصيته، بما يساعد على حسن توجيهه.

ويجب أن يتنوع النشاط الترفيهي ليقابل الاحتياجات بالميول المختلفة للأطفال . فيتناول النواحي الفنية والثقافية والرياضية . وأن يراعى في اختيار كل نشاط فيا أن يكون هادفاً وليس هدفاً في حد ذاته . فالنشاط الرياضي مثلاً لا يقتصر الغرض منه على مجرد التدريب بل يجب أن يهدف الى العلاج والتنافس الحر والتنفيس الذي يتيح الفرصة لإخراج الانفعالات المكبوتة والتخلص من حياة العزلة التي يفرضها الجنوح في نفوسهم .

خدمات الإعداد المهني والتشغيل :

تمثل خدمات التدريب المهني جوهر الخدمات التعليمية للطفل الجانح والتي تسهم في إعادته الى المجتمع عضواً نافعاً منتجاً . وذلك لأن التدريب المهني يزود الطفل الجانح بالمهارات والحرف التي يستطيع أن يمارسها في كسب عيشه بأمانة وشرف تقيه الانحراف عقب خروجه من المؤسسة . وهذا بالطبع هو أهم الأهداف التي يجب أن تلق العناية الكافية في أثناء الفترة التي يمضيها الحدث في المؤسسة باعتبارها مؤسسة تأهيلية علاجية وليست عقابية .

ومن الضروري أن يعنى برسم برنامج التدريب المهني على أساس الكشف الدقيق عن قدرات وميول واستعدادات الحدث عن طريق الاختبارات السيكولوجية من جهة وعن طريق تعويضه من جهة أخرى لبرنامج عام يمر خلاله الحدث على عدة مجالات عملية وفنية تتيح له الفرصة للتعرف على هذه المجالات الصناعية المختلفة على سبيل التجربة والاختبار والتذوق ثم الممارسة . فتوجيه الطفل إذن نحو المهنة التي تناسبه بحيث يتم على أساس الاختبارات والعمل والملاحظة (*) .

وليس من الضروري أن يقتصر النشاط المهني على التدريب فقط . بل يكون أقرب الى الواقع إذا ما خصص جزء من نشاط مراكز التدريب نحو الانتاج الفعلي ومنح الحدث مكافآت تشجيعية وادخار جزء منها يساعده بعد مغادرة المؤسسة .

ولا بد أن تعنى المؤسسة بتشغيل أبنائها ومتابعتهم عن طريق دراسة مجالات العمل في المهن التي تعد الأبناء لها والاتصال بأرباب الأعمال والمصانع والمؤسسات وتوثيق صلتهم بالمؤسسة لفتح ميادين العمل للأبناء وتهيئة المجتمع الخارجي لتقبلهم أعضاء منتجين فيه . ولا شك أنه مما يساعد على تحقيق ذلك اتباع الاتجاه العالمي في القاء جزء كبير من مسؤولية

(*) «التكوين المهني» - بحث قدمه الدكتور مختار حمزة للمؤتمر الدولي الذي نظمته هيئة العمل الدولية بجنيف - تونس ١٩٦٣ .

التدريب على الجهات التي يمكن أن تستفيد منهم بعد خروجهم من المؤسسة.

• • •

تلك هي الأسس العامة للرعاية العلاجية داخل المؤسسات أو الوحدات الاجتماعية الشاملة التي تهدف الى نقل الطفل الجانح الى مرحلة توافق وتواؤم مع المجتمع الذي يعيش فيه. وليس في استطاعة التربية العلاجية أن تحقق هذا الغرض إلا إذا جعلت النمو الغريزي والبيئي عند الطفل يسيران في اتجاه سليم فيتم تحويل ميوله وعاداته الفطرية والمكتسبة الى الاتجاهات الصحيحة بحيث يتجنب أنواع السلوك التي لا يقرها المجتمع ولا تستخدم لارضاء نزعاته واشباع حاجاته الا الأساليب التي تضنيها الجماعة التي يعيش فيها.

واذا لم تتمكن التربية العلاجية من القضاء على عوامل الانحراف وتنظيم السلوك الفطري والمكتسب على نحو يرضاه المجتمع. فمعنى ذلك أن يبقى الطفل مخلوقاً لا اجتماعياً. وحتى إذا عدل أساليب سلوكه فيما بعد فسيبقى تلاؤمه مع المجتمع مسألة شكلية سطحية. أما في أعماق نفسه. فسيبقى كما هو لا يهضم قيود المجتمع ومطالبه لأنه لم يتخلص من الجذور الغريزية لميوله ولكنه قمعها فقط. وعملية القمع والكبت لا تستأصل جذور الشر ولكنها تعتقلها. ومتى سنحت الفرصة للقوة المعتقلة أو المقموعة انطلقت من عقالها تطالب بالاشباع وهذا ما يسمى بالانحراف الكامن الذي لا يلبث أن يغدو انحرافاً ظاهراً متى وجد ما يثيره ويبعثه من جديد.

البرامج الوقائية (*):

يقصد بالوسائل الوقائية تلك التي تؤدي الى توفير السعادة والأمن والصحة للأطفال. والى خلق جيل جديد يشق طريقه في الحياة بخطى ثابتة هادفة وبنفس خالية من القلق والتوتر والى تهيئة الظروف الملائمة لنمو الأطفال وتنشئتهم تنشئة صالحة ووقايتهم من الانحراف أو الانزلاق في مهاوي الجريمة.

والبرامج الوقائية لمشكلة انحراف الأحداث إما عامة شاملة أو خاصة مباشرة. والبرامج العامة الشاملة أو غير المباشرة كما يفضل أن يسميها بعض علماء الاجتماع هي تلك التي تدور حول:

(*) أنظر بحث «برامج رعاية الطفولة» مقدم من الدكتور مختار حمزة لمؤتمر الطفولة المنعقد في بيروت ١٩٦٤ باشراف المنظمة الدولية للطفولة «اليونسيف».

١ - تحسين الظروف الاجتماعية أي ظروف المعيشة وتتناول برامج تدعيم الاسرة ورعاية الطفولة وتحسين الاسكان والخدمات التربوية والصحية والضمان الاجتماعي والتأمينات العمالية وغيرها.

٢ - برامج تربية الآباء وإعداد الشباب للزواج والحياة الاسرية.

٣ - إستثارة الأنماط السوية للسلوك كالبرامج التي تزيد من مساهمة الأفراد في جوانب نشاط المجتمع المحلي.

أما البرامج الخاصة المباشرة فتتناول:

١ - عمليات الكشف عن الأطفال الذين يظهرون ميلاً إلى الجريمة والسلوك المنبئ عن الجناح عند الأحداث بواسطة السلطات التربوية وعيادات توجيه الأطفال ومراكز الخدمة الاجتماعية ومكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية.

٢ - برامج حماية ورعاية ووقاية الأحداث الذين أصبحوا عرضة للانحراف أو لسوء معاملتهم أو عدم ملاءمة البيئة التي يعيشون فيها للنمو السليم.

ولا شك أن لكل من المنظمات الاجتماعية كالدولة والمجتمع المحلي والتنظيمات الاجتماعية كالاسرة والمدرسة ودور العبادة والهيئات الأهلية وعيادات توجيه الأطفال والشرطة الدور الذي تلعبه في برامج الوقاية من جناح الأحداث وضبطه.

دعم الحياة الاسرية:

تعتبر الاسرة أهم ركن من أركان المجتمع والخلية الأساسية في بنائه، لذلك فهي في معظم الأحيان مصدر الانحراف الذي يبدو على الحدث، وعلى هذا فان العناية بالاسرة من أهم العوامل الوقائية في مكافحة انحراف الأحداث. إن انحراف الأحداث يرجع في كثير من الأحيان إلى انحلال في حياة أسرهم أو حرمان من حاجات البدن من ملبس ومأكل ورعاية صحية سليمة، كما يرجع إلى حرمانهم من العلاقات الأسرية السليمة في طفولتهم. والطفل لا يحتاج في اسرته إلى إشباع حاجات البدن فقط ولكنه في أشد الحاجة إلى حرارة العطف وصدق الحب من الأم والأب والاخوة. ومما لا شك فيه أن إشباع تلك الحاجات الأساسية يتطلب حياة أسرية سعيدة يسودها الحب والتعاون والعلاقات الانسانية السليمة التي تؤثر فيه وتجعل منه إنساناً يشعر ويتأثر.

والاسرة تحمل إلى الطفل مثل المدرسة العادات والتقاليد وتضع بذور المثل العليا

وما تراه ضرورياً لتقبله في المجتمع كمواطن صالح، فهي المكان الأول الذي يقوم بمهمة التنشئة الاجتماعية للطفل، فتخطط له أنماط السلوك وتحدّد له أساليب الحياة. ومن أجل هذا كله، يرى المسؤولون عن تربية الأجيال القادمة ووقايتهم من أساليب الانحراف في المستقبل ضرورة العناية بالاسرة وأن تضمن الدولة كيانها السليم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والخلقية والوجدانية وفي سبيل ذلك تتناول الخطة العامة للدول تحقيق ذلك عن طريق :

برامج الضمان الاجتماعي :

والضمان الاجتماعي ركن من أركان الأديان السماوية التي جعلت «في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم». وقد أصبح الضمان الاجتماعي مقرّراً في كافة بلاد العالم المتحضر ومن أهم سياستها.

• • •

وقد اهتمت الحلقات الدراسية التي عقدتها الأمم المتحدة والتي تتناول مشكلة جناح الأحداث اهتماماً خاصاً بتدعيم الحياة الأسرية عن طريق تدابير الرعاية الاجتماعية العامة حتى يستطيع الأحداث أن ينموا نمواً سليماً دون أن يتعرضوا للانحراف. وكان من بين التوصيات ما يأتي :

(أ) ينبغي أن تقدم التسهيلات لإنشاء المساكن في تلك البلاد التي ينحطّ فيها مستوى إسكان الطبقات الفقيرة، وذلك حتى يمكن تفادي النتائج الأخلاقية والمادية للاختلاط.

(ب) ضمان وضع العامل الزراعي وتشجيعه على البقاء في الريف، وبذلك يمكن تجنب النزوح إلى الأماكن المكتظة بالسكان وذلك عن طريق رفع مستوى الحياة في المناطق الريفية.

(ج) توفير التدابير لرعاية الأطفال الذين تضطر أمهاتهم للخروج والعمل، بحيث تطبق هذه التدابير أثناء ساعات اشتغال الأم والاهتمام بإنشاء دور الحضانة وإعداد العاملين فيها.

الرقابة والاشراف على الخدمات والمؤسسات ووسائل الاعلام :

إن رقابة الدولة وإشرافها ينبغي أن يمتد إلى كل ما يمكن أن يؤثر على تنشئة الطفل

وتكوين عاداته وقيمه واتجاهاته. وقد أوصت حلقة دراسات أمريكا اللاتينية بضرورة «الاشراف على مواد النشر سواء في صورة المطبوعات والكلمة المقروءة والأفلام التي يمكن أن تتضمن توجيهاً ضاراً، أو تقدم للأطفال والمراهقين أمثلة غير مرغوب فيها، أو تفسد قيم الانسان الخلقية»(•).

وكذلك رأت حلقة دراسات الشرق الأوسط «أنه من الواجب على الحكومة أن تحث الشركات السينمائية على انتاج واستيراد الأفلام التي تلائم الأطفال وتفيدهم»(••).

ويماثل ذلك ما أوصت به حلقة الدراسات الاجتماعية الأوروبية(•••) من دراسة موضوع المطبوعات الموجهة للشباب وأثر السينما والتلفزيون على جناح الأحداث.

توفير الخدمات التعليمية:

لا شك أن التعليم من الدعائم الأساسية التي ترتكز عليها برامج الوقاية من الانحراف. ويتطلب التعليم تغييراً جوهرياً في قيم الأفراد، واذا لم يرتكز التغيير على أساس من التقدم الثقافي والنمو المتكامل عقلياً وجسمياً ونفسياً واجتماعياً لجميع أفراد الشعب فلن يتم حدوثه بالصورة التي نتطلبها، وان على المدرسة أن تتيح الفرص المتكافئة لأبناء الشعب للحصول على تعليم متنوع متعدد النواحي يتناسب مع قدرات كل فرد وتوجيهها الوجهة الاجتماعية التي يمكن كل فرد من القيام بدور إيجابي في بناء المجتمع وتطويره وتقيه شر الانحراف ويمهد السبيل أمام إماناته الكامنة لتنمو وتعمل وتثمر، والارتقاء به اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً.

والواقع أن للمدرسة وظيفة هامة -فضلاً عن التعليم- هي تشكيل شخصية الأطفال حتى يتمكنوا من القيام بمسؤولياتهم الاجتماعية إذا ما شبوا في اتساق مع معايير الجماعة وقيمة المقبولة، وتقوم المدرسة بهذه الوظيفة بطريقة تماثل طريقة الاسرة.

وبينما تهيء الاسرة -بسبب تكوينها- أفضل بيئة ممكنة لنمو الطفل خلال طفولته المبكرة، غير أنها وحدها تعد قاصرة عن أن تهيىء له الأساس اللازم لتوسيع آفاق نظرته الخارجية حتى يستطيع أن يفهم تدريجياً القيم الاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه. والمدرسة إحدى المؤسسات الرئيسية التي يمكن أن تهيء ذلك الأساس، حيث يكون

(•) وثيقة رقم ST/TAA/Ser. C/13, P.73

(••) وثيقة رقم ST/TAA/Ser. C/17, P.75.

(•••) وثيقة رقم E/CN. 5/202/Rov. 1, P.63

الطفل قبل ذهابه إلى المدرسة قد تعلم بطريقة جزئية أن يقبل قيماً اجتماعية معينة في بيته الاسرية، وبذلك تصبح مهمة المدرسة استكمال هذا التعلم متعاونة في ذلك مع الاسرة والمؤسسات الأخرى.

ومن الواضح أن هناك ضرورة لوجود أقصى قدر من الاتصال في التدريب الثقافي بين المنزل والمدرسة. لذلك ينبغي لتحقيق هذا الغرض، أن تنشأ علاقة تعاونية بين الآباء والسلطات المدرسية. ويعد الاتجاه الحالي لتنظيم روابط للآباء والمعلمين إحدى الطرق التي تقابل هذه الحاجة.

وترجع الأهمية المتزايدة للمدرسة في الوقاية من جناح الأحداث إلى أنها قد أصبحت إلى حد بعيد المكان الذي يمكن فيه اكتشاف الأحداث الذين يبدون ميولاً جانحة. وقد أوصت معظم الحلقات الدولية بتوفير الخدمات الاجتماعية والسيكولوجية بالمدارس للكشف في وقت مبكر عن الأحداث الذين تظهر عليهم المشكلات السلوكية وعلاجهم.

التوجيه والإعداد المهني:

إن التربية المهنية جزء لا يتجزأ من عملية التربية إذ انها تعين الأحداث على أن يعدوا أنفسهم لضروب النشاطات المختلفة في الحياة العملية، وتتيح لهم فرصة اختيار المهنة التي تتناسب وقدراتهم في إطار الاحتياجات الفعلية للمجتمع. فالفرد إذا لم يوفق في الإعداد لمهنة واختيار العمل الذي يناسب قدراته اضطربت حياته وقل انتاجه وتعرض للانحراف ولن يعود سوء التوجيه بالخسارة على الفرد فحسب بل سيعود ذلك بالضرر على المجتمع إذ انه من جهة يحرمه جهود وانتاج فئة من أبنائه كان من الممكن أن تسهم في تدعيم أركانه وزيادة إنتاجه إذا أحسن توجيههم نحو الأعمال التي تناسب قدراتهم، ومن جهة أخرى جعلت من هؤلاء أفراداً جانحين يسلكون سلوكاً مضاداً لما اصطلح عليه المجتمع من عرف وتقاليد وقيم وقوانين. والتوجيه المهني في حد ذاته له أهمية بالغة للاقتصاد القومي لأنه يزود العمل بأصلح الأخصائيين وأمهر العمال، وبهذا يؤدي إلى زيادة الانتاج والاستفادة من القدرات إلى أقصى حد ممكن.

الرعاية الصحية والطبية:

والرعاية الصحية والطبية من الحاجات الأساسية للفرد التي تحتاج إلى إشباع، فالاسرة المريضة عالة على المجتمع. والبيت السليم قوة ودعامة لبنيانه، والانتاج الوفير

لا يصدر عن جسم غير سليم. ونحن في عصر تقاس فيه رفاهية الشعوب وقوتها بمقدار ما تقدم من إنتاج، والسليم منتج والمريض عاجز عن الانتاج.

والرعاية الطبية وهي الجانب العلاجي، تقع على عاتق الحكومة تقوم بها في شكل ما تقدمه من مستشفيات أو وحدات ثابتة للعلاج، أما الرعاية الصحية وهي الجانب الوقائي الذي تحتمد برامجه على إثارة الوعي الصحي بين المواطنين عن طريق الارشاد في مختلف أساليبه. وتشمل برامج المحافظة على الكيان الصحي للاسرة العناصر الآتية:

١ - منع الأمراض المتوارثة بالعناية بفحص الراغبين في الزواج والتأكد من خلوهم من هذه الأمراض التي تشمل الأمراض التناسلية والعقلية.

٢ - رعاية الأمومة والطفولة وتشمل رعاية الأم صحياً ونفسياً خلال فترة الحمل وبعده ورعاية الطفولة هدفها تنشئة جيل سليم.

٣ - تنظيم الاسرة، ويشمل إرشاد الوالدين إلى تنظيم إنتاجهم من حيث العدد ومن حيث تتابع الإنجاب وسرعته.

٤ - التثقيف الصحي، فلا شك أن برامج الإصلاح الصحي تكون أيسر نجاحاً وأكبر نفعاً في مجتمع يرتفع فيه الوعي الصحي بين أفراده فيقدرون ما يبذل لهم من نصح ويستفيدون مما تقدم لهم من خدمات. ولا شك أن ارتفاع الوعي الصحي يقلل من إصابة أفراد الاسرة بالأمراض الوبائية والمعدية وغيرها.

إعداد الآباء وتعليمهم:

يعتمد نجاح الحياة الاسرية على اسس كثيرة أهمها:

١ - حسن اختيار الفرد لشريك حياته حتى يعيش في حب ووئام ينعكس على الأسرة ويؤثر في الأطفال إذ يتنفسون في هذا الجو الصالح ما يكون له أكبر الأثر في تكوين شخصية متوازنة.

٢ - الوسائل التي تلزم الزوجين لتدعيم الحياة الزوجية ووقايتها من المشكلات التي تؤثر على تماسكها.

٣ - اعداد الفرد لحياة الاسرة قبل أن يشترك في تكوينها حتى يدرك واجباته ومسؤولياته تجاهها.

٤ - إعداد الفرد لحياة الأبوة والامومة من حيث معرفته بأسس وخصائص التناسل

والحمل ووقاية الحامل والوضع ورعاية الوليد ومعاملته وتدبير المنزل وادارته.

٥ - تزويد الزوجين بالقدر الأساسي من الثقافة عن صحة الطفل ونموه ورعايته والأخطاء التي تؤثر في تربيته حتى يقدما لطفلها الرعاية الصحية والنفسية منذ ولادته فيشب مواطناً منتجاً متوازناً سعيداً.

وقد دلت الدراسات المتعدّدة على أن أغلب الأشخاص الذين ينجبهم أبوان سعيدان معاً في حياتهم الزوجية يكونون سعداء، وبالعكس فإن أغلب المنحرفين قد نشأوا في بيوت متصدّعة وجو عائلي يسوده الشقاء. وأن كثيراً من هؤلاء الأحداث بعد أن شبوا وأصبح لهم اسرهم وأطفالهم قد فشلوا في تربية أطفالهم، وأن بعضهم يتردّد في تكوين اسرة وربما يحجم عند ذلك طوال حياته(٥).

ولو أن الآباء والأمهات يعلمون ما يجره كثرة خلافاتهم وشجارهم على أطفالهم، لو علموا أنهم بذلك يخرجون للحياة أطفالاً مليئين بالعقد النفسية وعوامل الانحراف ويحملون في شخصياتهم بذور الشذوذ لتغيرت اتجاهاتهم وحاولوا إصلاح أساليبهم في الحياة المنزلية وتربية أطفالهم وملئوا الجو المنزلي بالمرح والانسجام والصفاء.

ولهذا كله أصبح من أهم ما تعني به المجتمعات الحديثة تخطط برامج إعداد الشباب للزواج وتبصيرهم بمعناه الاجتماعي الواسع وأهميته من حيث تنظيم حياتهم ومن حيث أثره في الأطفال والمجتمع العام، وأسس نجاحه وأثر هذا النجاح، والعوامل التي تساعد على سعادة الحياة الزوجية ومشاكل الاسرة وعلاجها، ورعاية الأطفال صحياً ونفسياً واجتماعياً ومعاملاتهم وربما كان أوفق وقت لهذه التربية هو خلال مرحلة المراهقة أي مرحلة التعلم الثانوي وخلال مرحلة التعليم العالي بالنسبة لمن يتاح لهم الفرص للتعليم. ومن الضروري أن تشمل التربية الاسرية الشبان والشابات، وحبذا لو امكن شمول هذه الدراسات على الناحية العملية بتكليفهم الاشراف على تربية الأطفال وملاحظة سلوكهم ومشكلاتهم. ومن بعض الدول تلحق دور الحضانة بالمدارس الثانوية للبنات، وبهذا تقوم المدرسة بدور خطير في إعداد الشباب للحياة الزوجية وحياة الابوة والامومة.

إجراءات وقائية أخرى:

١ - مراقبة وسائل الاعلام وتوجيهها توجيهاً سليماً، ومن هذه الوسائل السينما والتلفزيون والصحافة والكتب... الخ.

---

(٥) أنظر تقرير الاتحاد المصري لرعاية الطفولة بقلم الدكتور مختار حمزة مستشار الاتحاد. القاهرة ١٩٥٧.

٢ – رفع الكفاية الانتاجية للدولة بتخطيط المشروعات التي تعمل على زيادة الانتاج ورفع المستوى الاقتصادي للاسرة.

٣ – الاهتمام ببرامج تدريب العاملين في ميدان الطفولة والاسرة.

٤ – مساعدة الجمعيات والمؤسسات الأهلية التي ترعى الطفولة والاسرة وتنظيم نشاط الاتحادات العامة التي تعمل في هذه الميادين.

٥ – إنشاء مكاتب التوعية والتوجيه الاسري وعيادات توجيه الأطفال ودور الحضانة وانشاء عيادة نفسية مركزية يتوفر لها إمكانيات خدمة المؤسسات والهيئات الأهلية.

٦ – الاهتمام ببرامج تنظيم الاسرة التي تهدف إلى نوعية الشعب، وتقديم الخدمات الطبية المرتبطة بهذه البرامج.

٧ – إعادة النظر في قوانين الأحوال الشخصية، وتشريعات حماية الطفل وتشغيل الصغار والمرأة العاملة، وكافة التشريعات الخاصة بكيان الاسرة وتنظيم علاقاتها لحمايتها من التفكك والانهيار الذي ينعكس على الأطفال. (طلاق – تعدد الزوجات ... الخ).

٨ – إعادة النظر في قوانين التبني ونظام الاسر البديلة ورعاية اللقطاء.

٩ – الاهتمام ببرامج شغل أوقات الفراغ ورعاية الشباب وتنظيم معسكرات العمل ومخيمات الشباب والنوادي والملاعب.

١٠ – انشاء مراكز التدريب المهني والتلمذة الصناعية لمن تفوتهم فرص الالتحاق بالمدرسة.

١١ – الاهتمام ببرامج رعاية الأطفال المعوقين جسمياً والمتخلفين عقلياً بما يضمن تأهيلهم تربوياً ومهنياً واجتماعياً وصحياً.

١٢ – الاهتمام بإزالة الأحياء السكنية غير الصالحة وإعادة تخطيطها وتنفيذ مشروعات الاسكان الصحي.

١٣ – توفير الرعاية الصحية والعلاج لكل مواطن وتوفير الأدوية والمبيدات الحشرية ومواد التنظيف والتطهير بأسعار مناسبة.

١٤ – الاهتمام بالبحوث العلمية للكشف عن أسباب انحراف الاحداث وتشجيع الهيئات العلمية والأفراد على القيام بهذه البحوث ووضع نتائجها موضع التنفيذ.

١٥ – العناية بإعداد الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وتطوير برامج دراستهم وفتح أعمال أمامهم للتخصص والبحث العلمي بعد تخرجهم، والاهتمام بالتخطيط السليم لهذه العملية بحيث يتوافر العدد الكافي منهم للعمل في المؤسسات الاجتماعية والصناعية والمدارس والجمعيات الأهلية التي تعمل في ميدان الطفولة والاسرة.

١٦ – تنظيم وتقييد الهجرة من الريف إلى الحضر.

١٧ – محاربة العصابات التي تستخدم الأطفال في النشل والسرقة وتوزيع المخدرات والاستغلال الجنسي، وتشديد العقوبة على زعماء هذه العصابات.

١٨ – المسح الشامل للأحياء التي يكثر بها انحراف الأحداث ومحاربة الجريمة، وعقد المؤتمرات وإجراء البحوث لدراسة أسبابها.

١٩ – تنفيذ قوانين سلب الولاية من الآباء غير القادرين على تنشئة أطفالهم تنشئة سليمة.

٢٠ – الاهتمام بإنشاء مؤسسات رعاية الأطفال المعرضين للانحراف كأطفال الأسر التي يثبت لسبب أو لآخر أن ظروف الحياة فيها يمكن أن تعرض الطفل للانحراف.

• • •

تلك بعض المبادئ العامة، ويهمني في ختام هذا الموضوع أن أنبه إلى الاختلافات الواسعة في هذا المجال بين بلد وأخرى مما يتطلب إجراء بحوث خاصة* ودراسات محلية لتلقي الضوء على طبيعة المشكلة ومداها، وهذا من شأنه أيضاً أن يوضح الجوانب التي ينبغي التأكيد عليها في البرامج الوقائية.

كذلك ينبغي استمرار التقويم القائم على أسس علمية سليمة وهذا أيضاً يتطلب المزيد من الدراسات والبحوث حتى يمكن تقدير فاعلية التدابير المطبقة تقديراً مستمراً. وبذلك يمكن تغيير هذه التدابير الوقائية كلما استلزم الأمر ذلك.

(*) اطلع على «منهجية البحوث» – دراسة مقدمة من الدكتور مختار حمزة لمؤتمر اليونيسف بالكويت، ١٩٦٥.

الفصل السادس
الأسرة ووظائفها ومشكلاتها



مقدمة تاريخية

إذا كانت المجتمعات فى الماضى السحيق وفى البداية الأولى لم تكون على الوجه الذى نعرفه فى تاريخنا المعاصر أو القديم ، ولم تتميز بالخصائص التى تعرف بها المجتمعات الحديثة ، وإذا لم يكن للأسرة وضعها وشكلها الذى نعرفه منذ أن عرفت فى شكلها المؤرخ عنه وفى علاقاتها التى تتميز بها فيما عرف عنها سواء فى علاقة الأسرة بالمجتمع أو فى علاقة أفرادها بعضهم ببعض . فإن ذلك كان مرجعه أن المجتمعات لم تكن تضم أسراً بمعناها الجماعى وتكوينها الاجتماعى بل كانت الدنيا تضم أناسا بصورهم الفردية ، والتى كانت تضم أفرادا يرتبطون ببعضهم البعض على شكل تزاوجى يجمع بين فردين، يجمع بينهما اختلاف الجنس ويجذب بينهما الدوافع الغريزية البيولوجية ويدفع إلى ذلك البقاء على الجنس البشرى بالتكاثر الذى يتحقق بينهما . فكون العلاقة بين رجل وامرأة فى صورة عابرة غير مستقرة فى معناها الأسرى المعروف لنا حاليا ، وأن العلاقة بينهما لا يضبطها نظام يلزم بالتزامات أو بحقوق متبادلة بينهما .

ولا شك أن أسلوب الحياة فى تلك الحقبة السحيقة من التاريخ كان شاقا ويفرض على الناس شظف العيش وضيقه ، وكان الصيد هو أسلوب

الحياة والعيش الذى يمكن الاعتماد عليه ، ومن لا يستطيع أن يصل إلى عيشه بكده وسعيه فانه يموت جوعاً ، وكان يتنقل من مكان لآخر وراء صيده ، يختزن منه لوقت ضيق ويأكل منه ويوزع على من حوله ممن يرتبط بهم بعلاقة تزاوج أم من هم فى رعاية تلك التى ارتبط بها الرجل سواء من نتاجه أو نتاج غيره من الذكور الذين ارتبطوا بتلك الأنثى فى علاقة سابقة أو معاصرة ومشاركة . وقد كانت الصلة بين الرجل والمرأة فى تلك العصور البدائية الأولى تعتمد على القنص والاستيلاء ، شأنها فى ذلك شأن الصيد الذى يعتمد عليه الرجل لغذائه أو فى أغراضه الأخرى فى ملبس أو غطاء أو غيره .

وإذا كانت الزراعة واستغلال الأرض والبقاء بجوارها حتى يحصد الإنسان غله وثمرة مازوع كانت بداية الاستقرار وتكوين الخلايا البشرية المستقرة ، وينظم العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين أفراد تربط بينهم صلة التزاوج والعلاقات الجنسية والتكاثر المرتبط بالنسب والإنتساب لرجل وامرأة على وجه التحديد ، فكان ذلك بداية لتكوين الجماعات الاسرية والعشائر ، والتى يزداد عدد أفرادها سنة بعد سنة بحكم الارتباطات التزاوجية التى تزداد ، وبحكم عدد الأفراد الذين يخرجون للحياة نتيجة لهذه العلاقات التى تتسع دائرتها يوما بعد يوم .

ولقد كانت سلطة الرجل تقوى مع هذا النظم الجديد وتزداد سطوته على أفراد الأسرة الذين ينتمون إليه ، وتكون كلمته هى القانون الذى يحكم والسلطة التى تفرض ، ويكون رأيه هو التوجيه المسموع والإتجاه الذى يجب اتباعه والسير على طريقه والأخذ بمقتضاه . وقد ظلت نتيجة لذلك تتسع دائرة الأسرة ويزداد عدد أفرادها ، وتتشعب

خلاياها بعدد الزيجات التى تقوم بين أفرادها وتتعقد الروابط والعلاقات التى تربط بين هؤلاء الأفراد جميعا ، وتزداد المسئوليات التى تلقى على عاتق كل فرد من هؤلاء الأفراد فى سبيل العيش والبقاء — وتنظيم سبل الحياة المشاركة التى يقوم بها هؤلاء الافراد وكانت سلطة رب الأسرة وكبيرها هى السائدة وبها الاحترام والاعتبار والتقدير — وهى القانون الذى ينظم كل الأمور ويضع كل التدابير اللازمة لأمور الحياة كلها فيما بينهم .

ومع تزايد قوة رب الأسرة بصفة عامة ، والرجل بصفة خاصة ، فانه كان محور الاهتمام والاعتبار وكان مصدر السيطرة وفرض الإرادة وكان يستغل ذلك فى أن يكون للرجل أكثر من امرأة يستمتع بها وينجب منها .

بداية تكوين المجتمعات :

ولا شك أن مع تزايد حجم الأسرة والعشيرة واتساع العلاقات بين الأفراد ، وانتشار تواجد وارتباط هؤلاء الأفراد بعضهم البعض بدأت تنتشر الوظائف وتوزيع المسئوليات بين هؤلاء الأفراد حسبما تقتضيه طبيعة الحياة وتنوع الاحتياجات التى يشعر بها كل جماعة من هذه الجماعات التى بدأت فى الانتشار والاستقرار فى المناطق التى تضع عليها يدها وتبسط عليها نفوذها . وكلما شعرت كل جماعة من هذه الجماعات المشاركة التى تربط بينها صلة الزواج والدم — قويت كل منها كلما عملت وحاولت أن تنشر مزيداً من النفوذ لها وتبسط سيطرتها على مزيد من الارض واستولت على مزيد من الملك التابع للغير —

وذلك بالعدوان والإغارة من ناحية – وفرض النفوذ والسيطرة بصورة إرادية من ناحية أخرى ، وهذا ما دعا إلى إنشاء ووجود المجتمعات فى شكل الدولة أو الوطن الذى يرتبط بحدود جغرافية معينة من حيث تترابط مجموعات من هذه القبائل وهذه العشائر أو هذه الجماعات الأسرية التى ما زالت صور منها قائمة فى الدول المعاصرة المتأثرة تأثراً كبيراً بالصور القديمة ، حيث الحياة القبلية هى كل شىء فى كيان المجتمع وفى تشكيل الدولة وفى بروز نفوذ زعماء هذه القبائل وهذه العشائر حيث تنقسم الدولة إلى عدد معدود من هذه القبائل وهذه والعشائر تسيطر كل منها على جزء من أجزاء المجتمع أو الدولة بشكلها الوجدانى والسياسى – وها هى دول أفريقيا وآسيا ورغم كل تطور وتغير سياسى وإدارى واقتصادى واجتماعى – نجد مع ذلك أن نفوذ القبيلة والعشيرة يؤثر تأثيرا بعيد المدى فى كيان الاجهزة السياسية والإدارية الحاكمة وكذلك تؤثر فى السلطات وفى النفوذ الذى يملكه من يتولى الحكم فى البلاد ، بل وفى الأجهزة والسلطات الأخرى المعاونة تشريعية كانت أو قضائية، حيث يكون نفوذ القبيلة والعشيرة ممتداً وذا أثر كبير فى نطاق أفراد القبيلة أنفسهم مما يقتضى الفصل والبت فيه بعيدا عن سلطات الدولة الخارجية وبمقتضى أحكام تقوم على الوقت السائد والتقاليد والعادات المعمول بها والسائر العمل على مقتضاها فى نطاق الخبرات والتجارب المكتسبة والتفاهم المرضى بين الأفراد وتحت توجيه وضغط قادة القبيلة ورئاستها دون حاجة لتدخل خارجى أو سلطة مفروضة من خارج نطاق القبيلة والعشيرة نفسها .

وإذا كان العقد الاجتماعى الذى اعتبر أساساً لبناء الدولة فى شكلها الحديث قد جاء على أنقاض سلطة القبيلة ونفوذها حيث ينكمش سلطانها فى سبيل التمتع بما يحققه التضامن الاجتماعى من حماية مشتركة تقوم بها سلطة الحاكم الذى يعمل باسمه الجميع ويدافع ويهاجم باسم الجميع على ضوء ما يجب أن تقوم عليه مصالحهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية فإنه رغم كل ذلك كانت تبغى لكل قبيلة لأفرادها والقائمين على شئونها من شيوخها وقياداتها وذوى السلطة والنفوذ من أفرادها . فما زالت شئون القبيلة والأسرة وأحوالها ومصالحها ملك لهم لا يتدخل فيها آخرون ولا يقضى فى خلافاتهم أو فى علاقاتها دخلاء ، ولا يحكم فى هذه الشئون والمصالح إلا بمقتضى ما يرونه مناسباً ومحققاً لخيرهم ودون أحكام أو تشريعات تأتى من الخارج ، والعرف والعادة والتقليد هو الذى يتحكم فى هذه الأمور منظماً للعلاقات الأسرية والمصالح الفردية فى نطاق القبيلة الواحدة — ومن ضمن ذلك الروابط والحقوق والإلتزامات الزوجية والآثار المترتبة عليها — وإذا كانت سلطات تقوى وتزداد نفوذاً وسيطرة فإنه يقابل ذلك ضموراً واضمحلالا فى سلطة القبيلة أو العائلة وتترابط وتتعقد الروابط والعلاقات والمشكلات فيما بينها ، وعندئذ لدى الدولة مايدعوها فإن تتدخل وأن تقوم وتفرض من النظم والأوامر والتشريعات الملزمة ما تنظم الدولة وما ينظم به الحاكم العلاقات التى تقوم بين الناس ومنها العلاقات الزواجية والأسرية وما يرتبط بها من علاقة ممتدة الولاية والحضانة والنفقة والنسب والميراث وغير ذلك من الأمور .

وأنه ولو أن الأديان السماوية وما نزل معها من كتب إلهية من توراة

وإنجيل وقرآن وما أتت به هذه الأديان من أحكام وما تضمنته هذه الكتب من تعاليم ونصوص ملزمة فى تنظيم العلاقات بين النـــاس وتوضيح ما غمض عليهم من صلات وما تقضى به الديانات فى أمور الحياة والآخرة فى علاقات الناس بعضهم ببعض — ومثل ذلك ما نزل به القرآن الكريم من توضيح لمعنى الزواج والروابط الأسرية ، وإشارة إلى ما للذرية من نعيم وإسعاد وما يحرم على الناس من قتل للأطفال خشية الفقر والإملاق ، وما يحرم من وأد للبنات ، ومن بيان لحكمة الإله فى أن يعطى لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور وأن يجعل من يشاء عقيما من هؤلاء الذكور والإناث الذين يتزوجون ، فلا يعطون لا ذكوراً ولا إناثاً لأنها كلمة الله ولا راد لحكمه أبداً ، وحتى لا يحس إنسان أن بيده أن ينجب من الذرية النوع الذى يريده ويسعده وينسى أن هذه إرادة الله التى لا يستطيع أن يتحكم فيها — وأخيراً وليس آخرا عندما ينظم النفقة والعدة والطلاق بدرجاته كلها جاءت فى أحكام القرآن واكتملت بأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم .

وتبع ذلك تطور كبير بين سلطة الدولة فى المجتمعات الغربية وبين الأحكام الدينية وظل الصراع حتى الآن بين الحكم الدينى والتشريع الوظيفى الذى ينظم العلاقات الزواجية والأسرية .

وظائف الأسرة وتطورها

الأسرة هى كما يعبر عنها وليم جوود «إختراع إجتماعى يتولى جزئياً مشكلة تحويل كائن بيولوجى إلى إنسان بشرى» ، ولا شك أن الإنسان يختلف عن الحيوان إختلافاً بيناً وكبيرا — فإذا كان الإنسان بعد ولادته لا يستطيع أن يعيش مستقلا بذاته لسنوات طويلة ، وإذا ما ابتعد عن أسرته تعرض للهلاك والموت . فإنه عكس الحيوان الذى يمكنه أن يتكيف ويعيش مستقلا بنفسه ولو بدرجات مختلفة حسب نوعه وسلالته التى ينتمى إليها . ومرد هذا بالنسبة للانسان أن استعداده الجسمانى غير ملائم من جميع الوجوه ونموه البدنى يسبط لا يضفى عليه مهارة كافية تلقائياً — فليس لديه غرائز تحثه على تيار مادى له أو قتل حيوانات أخرى أو زرع النبات أو خلق الأدوات ويظل عاجزا بهذا الشكل لسنوات قبل أن يتمكن من أن يعتمد على نفسه بغض النظر عن أن لديه من القدرة على الردود التلقائية التى تدرأ عنه بعض الأخطار كغمز العين بما يحميها واستشعار الحريق والسعى لمقاومة الجوع والعطش .

وإن عجز الطفل وحاجته للرعاية وإشباع حاجاته والحصول على الخدمات والعناية بشئونه ، وأن تتميز الاسرة بثقافة معينة تلقنها ويتلقاها هى مما يدعو إليه وجوده وسط من التجمع العائلى ليتولى اطعامه

وحمايته وتعليمه ، تلك المسئوليات التى لابد منها قبل أن ينمو ويصبح هو نفسه بمهارته وعقليته إنساناً كبيرا قادرا على مواجهة أخطر المسئوليات وأكبر الأعمال التى يمكن أن يقوم بها ولو فى منازلة الوحوش الكاسرة والأسرة لاشك أنها التى تهيء لطفلها الصغير البيئة الصالحة الملائمة لكى ينمو ويكبر ويصبح عضوا فى الأسرة له دوره الكبير الخطير الذى قد يواجه به أكبر الواجبات وأقواها — وأن ينطلق إلى المجتمع كعضو نافع فيه يقوم بأكبر الأعمال ويتحمل أكبر المسئوليات وأخطرها فقد يصبح رئيس دولة أو قائدها أو واحداً من أبنائها ممن يتحملون واحدة من أخطر مسئولياتها أو أن يكون إنسان آخر من أبناء الوطن الذى ينظر إليهم كعالم كبير أو مخترع عظيم أو بطل من الأبطال المرموقين لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالدور الذى تلعبه الأسرة التى ينتمى إليه الطفل فيه ، وهو إنسان صغير وتتولاه إلى أن يصبح كيانا كبيرا ينطلق بطاقته وقوته ، ويكون له شأنه الخطير بعد ذلك ، إنساناً مستقلا بذاته تتفجر ملكاته وقواه وطاقاته ، ويكون له شخصيته المميزة الفذة . ولا شك أن الاسرة هى التى يعود لها الفضل لما هيأته من عوامل وما وضعته من وسائل وأساليب تساعد على الإعداد والتربية النفسية . والبيئة الاجتماعية المحيطة بالنشء الصغير هو نتاج لكل ما تقوم به الأسرة من جهد وتوفير لعوامل النمو والتطور .

والأسرة هى المعهد الاجتماعى للتيار الانسانى للفرد ، والسلوك الذى يتعلمه الفرد داخل الاسرة يصبح النموذج أو الطراز المطلوب لسلوك التصرف فى القطاعات الاخرى من المجتمع ، كما أن ما تحويه عملية التكيف المدنى من تقاليد هى فى الواقع التقاليد الثقافية للمجتمع واتى بانتقالها

من جيل إلى جيل تصبح الأسرة وسيلة لنقل هذه الثقافة حية والإبقاء عليها . والأسرة تعمل كتبع للضغط على الفرد وصقله للعمل أكثر وللعب أقل وللتعبد بدور العبادة والدراسة فى المدرسة ، وفى كل هذه الطرق نجد أن الأسرة هى الأداة أو المحرك للمجتمع الأكبر وأن فشلها فى الأداء بكفاءة يعنى أن أهداف المجتمع الأكبر قد لايمكن الوصول إليها .

وقد يكون من المفيد أن نسير بادىء ذى بدء إلى الخدمات التى تقوم بها الأسرة للمجتمع :

انجاب الأطفال ، إعالة أفراد الأسرة ، وضع الطفل اجتماعيا ، التسكيف مدنيا ، والرقابة الاجتماعية .

على أن هذه الوظائف والخدمات التى تقوم بها الأسرة ليس باللازم أن تقوم بها الأسرة فى صورة مباشرة ، بل يحدث أحيانا أن يكون النظام السياسى للدولة مما يدعو أن تقوم بعض المؤسسات بمسئولية رعاية الأطفال كدور الحضانة والأمهات البديلات مع الحث على اعفاء الآباء من هذه المسئولية وبخاصة أثناء العمل . ويبدو هذا حديثا فى المجتمع الروسى والمجتمع الصينى - وقد سبق ذلك بلا شك بعض التطورات فى المجتمعات المعاصرة عندما أصبح للمدرسة دور متكامل مع الأسرة فى تربية الأطفال ، وأصبح للمؤسسات الاجتماعية الأخرى والدينية دور كبير فى تربية ينتقص قدرا من وظائف الأسرة فى هذا الشأن .

على أن للنظم الاسرية مميزات العدالة والسلطة التى ليست فئة بيولوجية قطعا ، كما أن القيم المتصلة بالأسرة أو بحقوق وواجبات المراتب الاجتماعية فى الأسرة مثل مركز الأب أو الابنة ليست من الفئات

النفسانية ولكنها خاصة بالمستوى النظرى لعلم الاجتماع ، والمظاهر البيولوجية أو النفسية للاسرة ليست ضمن مجال العالم الاجتماعى إلا عندما يقوم بفحص معناها الاجتماعى ، وما تؤثر به الأمراض العقلية على العلاقات الاجتماعية فى أسرة معينة أو فى نماذج من الأسر وكيف تتكيف النماذج المختلفة من الأسر بتلك الأمراض .

ويمكن أن تلخص وظائف الأسرة على الوجه التالى : —

أولا : الوظيفة الجنسية :

وهذه الوظيفة الجنسية يتعلم فيها الانسان كل نماذج الحياة الأسرية ابتداء من العلاقة الجنسية إلى العناية بالأطفال .

ولعل الأكثر أهمية فى هذا الصدد هما مضمونان للسلوك الفكرى أحدهما قائم على أن التجربة قد تخلق ترابطا أو توافقا يربط بين الدافع الجنسى وأى هدف أو موقف . فقد يكون الدافع الجنسى متعلقا بالتطور والزهو وأنواع خاصة بالموسيقى وكلمات أو طرق خاصة أو نغمات للتعبير والحركات ومجموعة شاسعة بين المواقف الاجتماعية التى توصف بأنها جنسية . وهـــذه الأمور تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر حسب الاتجاهات الثقافية ومدى تكيف الناس مع أوضاعها السائدة فى المجتمع .

ولاشك أن للتعليم أيضا تأثيره فى اقلمة واجتماعية الدافع الجنسى وإذا كان هناك نيات تسيء لدوافع الجنس عند الرجل فإن المرأة أيضا ليست لها نزوات جنسية موسمية كمعظم الحيوانات فلها دورة شهرية مرتبطة بالاخصاب وليس بالاقبال وعلى الرغبة الجنسية الزائدة — إلا إذا ارتبطت هذه الرغبة فى الخوف أو عدم الخوف من الحمل .

ويبيء الفتى والفتاة نفسه للحياة الجنسية منذ أن يصل لمرحلة البلوغ والشعور بالخصائص التى تؤهله للحياة الجنسية والميل للطرف الآخر — وكل من الفتى والفتاة يمر بتجربة حقيقية فى هذا الشأن — لأن وصول الفتى لسن ١٥ سنة مثلا لاتدل على أن نموه الجسمى والجنسى يعتبر كاملا ويؤهله للجماع الجنسى الذى يقوم على الانتصاب ثم الأخصاب لدى الأنثى — فى حين أن الأنثى إذا بلغت هذه السن لاتحتاج للتأكد من هذه الخصيصة وليس لديها حاجة لكى تشعر بهذه الأحاسيس ، ويمر الفتى فى مراحل نموه الجنسى فى سبيل اكتمال نضجه ، والوصول إلى مرحلة الاستعداد للزواج والقدرة على الوفاء بالاشباع الغريزى والاخصاب — وهى مرحلة وتجربة تقوم أحيانا على الخوف والقلق . وكم من حالات واجهت الكثير من المشكلات بعد الزواج بسبب القلق الذى قد يظهر قبل الزواج .

ولا شك أن على الأسرة وظيفة جنسية بالنسبة لأفرادها بين الزوجين أنفسهم أولا ، وتجاه أبنائهم ثانيا بعد انجابهم ولعب الأدوار المميزة لهم فهو تلقين تلقائى يتعلمه الأولاد والشباب خلال حياتهم فى كنف آبائهم ، ثم تهيئة النفس عند الوصول إلى مراحل البلوغ والتطور .

ثانيا : الوظيفة البيولوجية :

لاشك أن للاسرة وظيفة بيولوجية تقوم على الارتباط بين الزوجين والطفل الذى يأتى نتيجة للعلاقة الزواجية التى تقوم بين الطرفين . والعوامل البيولوجية تقرب الام والطفل — فكلاهما يستمد بعض

السعادة اللمسية والدفء من اللمس الجسمانى فالطفل ينعم بالرضاعة أى اشباع دافع الجوع ، وتزداد تجارب الأنثى نحو الأمومة فى الفترة التى تلى الولادة وذلك بسبب إفراز الهرمونات ، ويكسب الاثنان الرضا من عملية الرضاعة ويزيد ذلك من احتمال تقارب، واستمرار التفاعل العاطفى بين الأم والطفل وهى العناصر الضرورية فى تأسيس الأسرة .

وقد يكون للأب الذكر دور فى تلقين الطفل الصغير القوة والسيطرة بحكم قوة الذكر وعدم وجود عوائق بيولوجية يفوق انطلاقه وتحد من رغبة سيطرته — فاذا كان للمرأة دور فى احتضان الطفل وإحاطته بعاطفتها ووقتها وحنانها ، وكان للرجل دور فى السيطرة والقوة فهناك بين الجانبين التكيف المدنى — ويستطيع أن يستمتع بسلطته المستمدة من الثقافة تحركه القيم والمعايير الاجتماعية فى المجتمع .

ويعنى هذا أنه لكى يعيش الفرد الطفل وبالتالى المجتمع ذاته يجب أن يكيف حديثا ، كما يجب أن يرغب شخص أو اثنان فى تكييفه هذا ، وهذا يعنى بالتالى أن هؤلاء الأشخاص لابد أنهم كانوا قد كيفوا مدنياً وهم صغار لذلك فهم يريدون بالتالى أن يكيفوا أطفالهم مدنيا . إن هذه العلاقة المثالية التى تربط ثلاثة اجيال والتى يقوم بواسطتها جيل بتكييف جيل ثالث هى رباط ضرورى بين الميراث الثقافى والبيولوجى إن مجرد تعليم الصغار السلوك الثقافى الضرورى للمجتمع لا يعنى المحافظة إذا لم يحتو على الارشاد الأولى بتعليم كل جيل أن يعلم الجيل اللاحق به .

ولا يمكن أن تقوم وحدة أسريه لها هذه الادوار والوظائف إذا لم يكن هناك ذكر وأنثى يتزاوجان تكون الانثى بالبنة الله وترضع الطفل وأن ترتبط بسيطرة رجاها لكى تحقق التعاطف ويسهل عملية التكيف الزمنى المنشود فى حياة المجتمع .

ثالثا : الوظيفة الثقافية :

لا شك أن الأسرة وظيفة ثقافية كبيرة وبعيدة المدى ، فهى الكيان الوسيط بين المجتمع وأفراد الأسرة . فالزوجان عندما يتزوجان يكونان لنفسهما وحدة مميزة بالاساس الثقافى الذى يختارانه لأنفسهما مرتبطا بمستواهما الاجتماعى والاقتصادى الذى يميزهما فى اتصال بقدر التعلم الذى يحققانه ونوع الحرفة التى يحترفها ومستوى الحياة والمعيشة التى يختارها لنفسه رب الأسرة بمشاركة بقية أفرادها .

وتنجب الأسرة أطفالها وتربيهم وتنشئهم وتبث فيهم مفاهيم الحياة والقيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع ، وتنقل اليهم الأسرة عادات المجتمع وتقاليده التى تحكم العلاقات بين أفراده وجماعاته ، وتنظم كل الصلات الاجتماعية فى المجتمع والمعاملات بين الناس سواء كانت جماعات مهنية وحرفية ، أو بين الجيران والأقارب وغير ذلك من الفئات والجماعات .

فالقيم الاجتماعية والدينية والروحية والخلقية كلها أسس تحكم علاقات أفراد المجتمع الواحد ، فالثقة والامانة والاحترام المتبادل والتكافل ، كلها مقومات أساسية فتقوم عليها علاقات الناس وتحكم سلوك الافراد فى تنظيم علاقاتهم وفى مواجهة مشكلاتهم ومن اختيار أنماط السلوك الاجتماعى الذى يمكن أن يسود بينهم ، والفنون والأدب الذى

يزاولها الناس من حياتهم الثقافية والأدبية ...

وعلينا أن ننظر إلى الثقافة على أنها تكييف تطورى إلى عقل كبير ونقص فى الغرائز أو أن النقص فى الغرائز يرجع إلى أن الإنسان يصبح غير محتاج إليها بعد أن ينضج عقله وثقافته . وتؤكد النظرية الحديثة لتطور الانسان أن حجم عقله هو نتيجة لعملية التطور العادية ونظرية الحياة للاصلح ، والتى بواسطتها يمكن للذين نالوا الثقافة بسهولة أكثر أن يحيوا حياة أفضل إذا ما قورن بينهم وبين آدميين أقل ذكاء لا بينهم وبين حيوانات أخرى. لذلك يجب أن يعيش الانسان فى نوع من المجتمع العائلى ليتولى اطعامه وحمايته وتعليمه تلك الاشياء التى لم تزوده بها الطبيعة عن طريق هذه البيئة الاجتماعية وهى الأسرة التى تهيء للطفل فى حياته وفى السنوات التى تعتمد فيها على أفراد أسرته كل أسباب الحياة لتكون منه إنسانا قادراً على أن تحفظ طريقه فى الحياة كفرد مستقل بذاته معتمدا على نفسه .

وإذا كان المجتمع لا يقف جامدا بل هو دائماً كياناً اجتماعياً متطوراً بكل ما يجرى فيه من جهود لتقدمه وتهدفه والارتقاء بأوضاعه عن طريق التغير الثقافى والحضارى الذى يواجه المجتمع نفسه ، وعن طريق الجهود التى يسهم بها أفراد المجتمع وأعضائه أنفسهم - فى علاقاتهم ، فى أسلوب تعاملهم ، فى مستوى معيشتهم ، فى آمالهم وطموحهم وجهودهم الوصول إليها .

والأسرة هى الوسيط كما سبق القول بين المجتمع والأفراد منذ أن يكونوا أطفالا نتاجا للأسرة ، صغارا لا حول لهم ولا قوة يتشبعون

بتعاليم الأسرة وتلقينها ومفاهيمها وقيمها وآمالها وطموحها وروابطها بمجتمعها الذى يجمعها مع غيرها من الأسر ، لأن الأسر هم أعضاء أى مجتمع ، ولا شك أن الجهد والتفسير والتطور الثقافى الذى يجرى فى أى مجتمع هو الثروة التى تنتقل بمعرفة الأسرة من أجيال لأجيال أخرى وتبلورها هى بدورها وتضيف عليها قيما جديدة ونظرات واتجاهات معاصرة يتقبلها الذوق الحديث المتطور لتنقل مرة أخرى إلى الأجيال الجديدة التى تخرجها الأسرة وتنشئوها .

وليس من اليسير لمجتمع من المجتمعات أن ينقل تطورا لأفراده وتغيرا فى مفاهيمهم واتجاهاتهم ، وإنما هى الأسرة الخلية الأولى للمجتمع والتى يلقى على عاتقها أى عهد يراد تحقيقه وأى اتجاه يراد الوصول اليه وأية قيم وثقافة يراد بثها ونشرها وتحقيق السيادة لها بين الناس ، أفراد المجتمع والمكونين لجماعاته .

رابعا : الوظيفة الاقتصادية :

إذا كانت الأسرة تمثل وحدة اجتماعية بمعنى أنها تعتبر كيانا اجتماعيا تقوم العلاقات الانسانية بين أفراده فى توادد وتراحم على أساس من الأمن والاطمئنان والسكن والسكينة بين أعضائها ـ بين الازواج المكونين لها ـ إذا كان هذا هو الواقع ـ فإن هناك واقعا آخر أن هذه الصلة وهذه العلاقة التى تقوم بين أعضاء الأسرة تكون كيانا آخر له وظيفته الاقتصادية .

وإذا كان دور الأسرة الاقتصادى فى الماضى السحيق يلقى على عاتق كل فرد وكل عضو من أفراد الأسر عبئا اقتصاديا لابد أن يقوم به وجهد لابد أن يبذله . فقد كانت الحياة فى البدائية الأولى تقوم على الصيد

فالانسان يسعى وراء صيده حتى يحصل عليه ويعود به ويدخره ويستفيد من كل جزء منه: مأكل وغطاء وملبس، ويساعده في تهيئة ذلك كل فرد آخر يشاركه حياته المعيشية.

ثم كان استغلال طاقة الإنسان في الزراعة واستقراره حول الأرض والزرع، وتجمع المرأة والأولاد الذين يجيئون نتيجة للحياة المشتركة في صورة حياة أقرب ما تكون من الحياة الزواجية والأسرية، وكان لكل فرد من هؤلاء الأفراد دوره المناسب الذي يسهم به في حياة الأسرة الإنتاجية والاقتصادية وكان لابد من هذه المشاركة واقتسام الجهود والأنصبة التي يسهم بها كل فرد بصورة ملائمة حسب طاقاته وقدراته التي يستطيع أن يشارك بها ويقدمها في تعاون مشترك ضروري نظراً لقسوة الحياة وما تتطلبه من تعاون متناول بين جميع الأفراد - وظلت الأسر تكبر ويتسع نطاق العلاقات بين أفرادها وتوزع المسئوليات الاقتصادية والإدارية والدفاعية وغيرها من أعضاء الأسرة الواحدة. وأصبح لكل فرد واجب يقوم به ودور اقتصادي انتاجي أو خدمي يقوم به بتوجيه وباشراف من رب الأسر بين شبابها ونسائها كل يقوم بنصيب من المجهود المطلوب أداؤه والعمل المقرر إنجازه.

ومع التطور في الوظيفة الاقتصادية الانتاجية للاسرة وتوزيع المسئوليات من أفراد الأسرة الواحدة - وظهور مهام ومسئوليات وحرف يمكن أن يقوم بها بعض من أفراد الأسرة وتغير وتطور في أنواع الحرف التي تقوم بها أفرادها على أساس من الحاجة والضرورة ثم من الاتقان والتخصص، ثم الاتجاه إلى استغلال الطاقات وتبادل المنفعة - وقد أصبح لكل أسرة اتفاق معين وشهرة مميزه، وقدرة

وطاقة على العمل والإنتاج ثم التخصص والاستقلال والاتجار بالتبادل بين المنتج والمستهلك وظهور طائفة من الوسطاء بين الفريقين ويمثلون حرفة التجارة والتسويق بين العائلات والأسرة بعضها وبعض في بادىء الأمر ، ثم بين المجتمعات والدول عندما تطورت العلاقات بين الأسر وبناء المجتمعات التي تقوم على الروابط بين عدد من العائلات والقبائل والعشائر وبدء ظهور شكل الدولة على مقتضى العقد الاجتماعي الذي يفترض قيامه بين مجموعة من العائلات تجمعها بقعة جغرافية محددة ترتبط الصلات بين الذين يقيمون في أرجائها ويتميزون بخصائص محددة وتجمع بينهم صلات مشتركة تقوم على الأماني واللغة التي تتصل بها حياتهم وتقوم عليها مصالحهم المتبادلة من شعور بالقوة والتماسك والحماية ضد العدوان الخارجي والغزوات .

ولا شك فان الوظيفة الاقتصادية للاسرة هي وظيفة مستمرة تختلف صورها وأساليبها وأهدافها . فاذا كانت هي في الماضي على الوجه البدائي الجماعي المشترك بمعنى أن الأسرة هي وحدة اقتصادية مشتركة متكاملة تقوى علاقاتها والروابط بين أفرادها سلطة رب الأسرة وسيطرته على مقوماتها وعلى علاقات أفرادها — فان ذلك يتمثل أيضاً في الملكية الجماعية للاسرة لكل عناصر الثروة والملكية التي تحققها جهد وكل فرد من أفرادها ، ويساعد على هذا كله شكل الأسر الممتدة الذي تظهر فيه صفة رب الأسرة وسلطانه وتتضح في نطاقه شكل الملكية الجماعية مهما كانت حدود الملكية القروية في محيطها طبقا للانظمة الاقتصادية التي تسود ، وطبقاً لنظام الملكية والمواريث الذي يقوم منظما للعلاقات

الملكية والعلاقات المالية التي تحكم حياة الناس في الحاضر وبعد الممات .

التطور الاقتصادي والاستقلال الحرفي أو الوظيفي :

وإذا كانت الأوضاع الاقتصادية تسير في تطور مستمر — وقد أصبح الميراث الحرفي غير منسق مع التطورات الاجتماعية ، وأصبح الإنتاج الكبير هو الذي يسيطر على الحياة الاقتصادية ، وأصبح دور الفرد في هذا الإنتاج الكبير محـــدوداً وقاصراً والتخصص فيه لا يسمح له بالاستقلال الفردي — لذلك فقد جاء الوقت الذي يكون لكل فرد من أفراد الأسرة حرفة قد تختلف عن حرفة أخيه ، ولكل طرف من أطراف الأسرة دور مختلف عن الطرف الآخر وليس بالضرورة أن تتكامل وظيفة الرجل وحرفته بوظيفة أو حرفة أفراد أسرته ، حتى ولو كانت المرأة تعمل فليس بالضرورة أن تعمل في نفس العمل الذي يعمل فيه الأبوان ، وأصبحت ملكية الإنتاج تختلف عن حرفة العاملين في عناصر الانتاج نفسه ، وأصبح رب العمل مختلفا عن العاملين فيه ، فلكية صاحبها لا تقوم على تخصصه ، وتخصص العاملين ليس بالضرورة مرتبطاً بملكية العمل نفسه فهناك استقلال كامل بين الملكية والحرفة والعمل — ولكل نصيبه من الدخل الذي يدخل له سواء من الملكية للعمل أو من ناتج الحرفة والعمل الذي يقوم به الفرد الذي يعمل . وقد يكون العائلان الرجل والمرأة ويتزوجان ليكونا أسرة ، ولو أن كلا منهما مستقل عن الآخر في العمل ، ولكن كلاهما يكون وحدة اقتصادية أسرية لأن كلا منهما يتعاون مع الآخر اقتصاديا في مواجهة الأعباء الاقتصادية التي تمليها طبيعة الحياة الأسرية في صورة إيجابية يقدمها كل

من طرفى الحياة الأسرية . رغم أن كلا منهما مستقل فى العمل عن الآخر فكل منهما يتعاون مع الآخر فى المسئوليات الاقتصادية الاسرة .

خامسا : الوظيفة الاجتماعية النفسية فى الزاملة والرفقة : Conipanion ship

إذا كانت هذه الوظيفة تأتى نتيجة طبيعية للعلاقة الزواجية بين الرجل والمرأة لأن المعاشرة والمشاركة هى أساس فى الحياة الزوجية والأسرية ليتحقق التفاعل والتعاون المشترك — ومصداقاً للآية الكريمة فى قوله تعالى: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » — ومعناها أن يقوم بين الرجل والمرأة علاقة زواجية تقوم على السكينة والطمأنينة، وأن يكون ما بين الزوجين علاقة متبادلة من المودة والمحبة والمجاملة والرعاية والرحمة والتخفيف عنه والتقدير والاعتبار الذى يعين الإنسان على القيام بواجباته وحمل مسئولياته — إذا كان كل ذلك قد لا يتضح بعمق فى العلاقات الزواجية التى قد تندفع إليها فى بداية الأمر الحياة الزوجية بدوافع غريزية طبيعية ، وبدوافع عاطفية يمكن أن تتصف بالطيش والمراهقة والاندفاع — باعتبار أن مثل هذه الحياة تقوم وتتجه فى بداية الأمر وفى جدة الحياة وحداثتها ، على مثل هذه المظاهر العاطفية والاتجاهات الغريزية ، فانه مع سير هذه العلاقات والطريق الذى تتخذه هذه الحياة الزواجية والأسرية ، ومع ما يتوافر لها من عوامل توافق وتكيف واستقرار وانطلاق لهذه الحياة كى تؤدى دورها وتقوم بوظائفها العاطفية والجنسية والاقتصادية والاجتماعية ، أو ما تتعرض له هذه الحياة من عوائق ومشكلات وعقبات تعوق أو تضع

أمامها صعوبات ، قد تعطل القيام بتلك الوظائف أو قد تهدد تلك الحياة في استقرارها أو استمرارها .

والمعنى الذى تقوم عليه وظيفة الصحبة المزاملة والرفقة أن يحس كل من طرفى الزواج بحاجته للآخر ليكون بجواره يبادله الأخذ والعطاء والفكر والرأى ، والكلام والمناقشة حول موضوع من الموضوعات التى يجرى الحوار حولها لأنها ذات أهمية مشتركة ، واهتمامات فكرية أو اجتماعية أو قومية متبادلة . كما يمكن أن تكون هذه العلاقة المشتركة حول ترويح أو قضاء وقت فراغ فى نزهة خلوية ، أو فى متعة ثقافية فى مشاهدة مسرحية أو فيلم من الأفلام ، أو زيارة من الزيارات لبعض الأصدقاء أو الأقارب ، بحيث يحس كل منهما بسعادة كاملة وراحة عميقة للشركة التى تجمع بينه وبين الآخر ، ويزداد كل منهما ارتباطا وتعلقا بالآخر كلما مرت الأيام والسنون ، وكلما أنجز كل منهما ماهو مطلوب منه أو يتوقع أن يؤديه كتربية الأبناء وإعدادهم للحياة العملية والكفاح وفى معاونتهم فى أن يتجه كل منهم لتحمل مسئولياته وواجباته فى الحياة، وأن يكتمل كل ابن من الأبناء عوامل استقراره فى الدراسة والعمل والإنتاج والمساهمة فيما تقتضيه أعباء الواجبات الوطنية والقومية من ضريبة عسكرية أو أداء لواجبات تطوعية أو بالوفاء بخدمة عامة تتطلبها التزامات المواطن الاجتماعية ، لكى يؤدى كل فرد واجباته الاجتماعية والوطنية . ثم يتجه كل فرد لاكتمال دوره الاجتماعى الأسرى عندما يحس بحاجته واستعداده لكى ينهض بهذا الدور فى حياته — باعتبار أن الاتجاه نحو بناء حياة خاصة بالزواج وإنشاء أسرة جديدة للأبناء بدورهم هو اتجاه طبيعى وغريزى ، ولكن بشرط أن يكون قد أعد كل ابن من الأبناء للعب هذا الدور بكفاءة عن طريق

أسرته وأبويه والمؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تسهم بدورها أيضاً في عمليات التربية والتنشئة والاعداد الاجتماعي للابناء سواء كانت مدرسة أو مؤسسة وبيئة أو اجتماعية للخدمة البديلة ، كلما انجز كل من الابوين دوره ، وقام بواجبه ، وأحس بالراحة لنجاحه فيما يؤديه ، وفيما يتوقع منه أن يقوم به ، وكلما تخطى خطوة من تلك الخطوات كلما ازداد اقتراباً ومشاركة لشريكه وزميله في الحياة الزوجية ، وكلما أحس بالحاجة لمساندته ومؤازرته مادية كانت أو معنوية .

وكلما تقدم الزوجان في السن وتحقق لهما النجاح في انجازاتهما وفي تربية ابنائهما كلما كان ذلك قمة النجاح في التقدير المتبادل وفي جني الثمار للكفاح المشترك القائم بينهما ، وفي الارتباط في علاقة الزمالة والرفقة والصحبة المتبادلة . وذلك كله على أساس من أن هناك طريقاً للكفاح كان لا بد من عبوره ، وتم العبور فعلا ، وأن هناك آمالا مشتركة لا بد من العمل على تحقيقها ، وقد تحققت فعلا ، وأن هناك رؤيا مشتركة للانجازات التي تمت خلال حياة متكافئة وتضحيات لا بد أن تقدم وكل يتسابق على تقديمها ليخفف من عبئها وعنتها عن نفس شريكه لتستأثر بتقديم التضحية من أجل الحياة المشتركة التي يسعدان من ورائها ، ومن وراء النجاح الذي يتحقق من خلالها .

وكلما زاد كل منهما حاجة لقوة شريكه وقدرته وطاقته على إحاطته برعايته والاهتمام به ، كلما تفانى أي منهما بالآخر وقدم أقوى ما يستطيع أن يقدمه لشريكه ليحظى ويسعد بالقيام بأداء واجبه قبل الآخر ، ويبعد عن نفسه وعن نفس شريكه الشعور بالوحدة ، أو الانفرادية والوحشة،

وبخاصة عندما يقل الأصدقاء وقرناء السن ، وينصرف الأبناء جريا وراء سبل العيش وكفاح الحياة والانغماس فى مسئوليات الحياة وأوضاعها المادية الضاغطة فيحل محل كل ذلك الشعور بالإيناس والصحبة اللتين تقومان على وحدة الأمل والهدف ، ووحدة الكفاح والعمل المشترك والمساندة والمؤازرة التى يقدمها كل طرف لجهاد زميله وجهد شريكه .

المشكلات الأسرية

المشكلة بصفة عامة يمكن التعبير عنها بأنها معوق وشق سلبي وضار وظيفيا وبنائيا ، كما انها تعد حائلا امام اشباع احتياجات الفرد ، وتعرف انها انحرافا داخل اطار المجتمع يدور في دوائر تبدأ من الفرد وتنتهي الى المجتمع . اما المشكلة الاجتماعية هي مشكلة في العلاقات الانسانية التي تهدد المجتمع تهديدا قد يصل الى الدرجة المؤثرة على المصالح الهامة للعديد من اعضاؤه ، وتعرف ايضا اما سلوك انحرافي وتفكك اجتماعي او الاثنين معا .

ويرى اليس فولاند ان المشكلة الاسرية هي تشكيل مرضي من اشكال الاداء الاجتماعي الذي تعتبر نتائجه معوقة اما الفرد كعضو في الاسرة او لاعضاء اخرين فيها او للاسرة والمجتمع او لكل هؤلاء بحيث يعهد المجتمع لهيئاته ومؤسساته المعنية مسئولية القيام ببرنامج تأهيل مؤثر وفعال يوجه الاسرة والمجتمع اما عن النزاع الاسري فانه مفهوم يشير الى الصراع الذي ينشأ بين الزوج والزوجة كرد فعل لعدم التكيف والتوافق في مواجهة اساليب حياتهما بوسائل ايجابية

- من المفاهيم التي ذاعت حديثا في مجال علم النفس الكلينيكي ومجال الطب النفسي مفهوم الاسرة المريضة ومؤدى هذا المفهوم ان الاسرة تمرض قبل الفرد ، فهناك اسرا تمثل ارضا خصبة لنشأة المرض بنوع العلاقات السائدة فيها وبظروفها الاقتصادية والاجتماعية وبطبيعة تركيبها وما المريض في هذه الاسرة الا اضعف حلقاتها او اضعف افرادها واكثرهم استعدادا للمرض وهو الذي تفصح عن طريق الاسرة عن انحرافها واضطرابها .

نظرية بوين Bowen ١٩٦٠ اسس نظريته بناء

على دراساته التى اجراها على عدد من المرضى العقليين
خاصة الفصاميين ، وقد كانت نقطة البدء عند بوين
دراسة علاقة المريض بأمه ثم انتهى إلى الرأى
القائل بأن المرض عند المريض ليس الا عرضا للاسرة
كلها . يحدد بوين ثلاثة اجيال على الاقل
ليظهر المرض فى الاسرة (فالأجداد يكونون ناضجين
نسبيا) ولكن درجة الفجاجة المشتركة بينهما تنتقل
إلى واحد من ابنائهما وغالبا ما يكون اكثرهم
ارتباطا بالأم من بقية اخوته . وعندما يتزوج
هذا الابن من زوجة لديها درجة معادلة من عدم النضج
تتكرر نفس العملية حيث يرث احد الابناء بيولوجيا
وتعليميا محصلة التفاعل بين فجاجة الام وفجاجة الاب
وهذا هو الطفل المريض ضحية الاسرة المريضة
ويلاحظ بوين ان هناك تباعدا عاطفيا بين
الوالدين اسماه الطلاق العاطفى
Emotional Divorce

ويمضى بوين فى شرح التفاعل النفسى الاجتماعى
فى الاسرة المريضة فيرى ان الام تطلب من طفلها
مطلبين متناقضين
المطلب الاول (عاطفى)
وهدفه ان يبقى الابن
طفلا قاصرا ضعيف الحيلة يحتاج دائما إلى حمايتها
ودفئها وتلحأ الام لتحقيق هذا المطلب إلى أساليب
وطرق بعيدة عن الوعى والشعور فهو مطلب غير
لفظى ولكنه ملح .

المطلب الثانى (عقلانى)
وهدفه ان يصبح الابن
شخصا ناجحا معتمدا على نفسه وتعبر الام عن هذا
المطلب عن طريق النصائح والتوجيهات اللفظية
وتشمل العمليات المرضية الثالوث المكون من
الام - الاب - الابن المريض اكثر مما تشمل
بقية افراد الاسرة ويتصور بوين حالة افراد الثالوث

١- أم قاصرة Inadequate عاجزة عن تحقيق التكيف
تعمد إلى السيطرة على ابنها وتجعل كل شىء لحمايتها
لا وجود حقيقى لزوجها فى حياتها ، أو ضعيف الحيلة
لا يجد مفرا من أن يخضع لأمه مما يعزز ضعفه وعجزه

- والد هامشى ، وهذه الهامشية تشجع الابن على الارتباط بالأم وعندما يصل الطفل إلى سن المراهقة يتحول من طفل عاجز إلى طفل راشد سىء التكيف وإذا أراد أن يتحرر من سيطرة الأم فإنه يواجه العالم الخارجى بدون جهاز أنا قوى بالدرجة الكافية بحيث تمكنه من مواجهة ضغوط الحياة فينتهى به الأمر عادة إلى أن يصبح مريضا عاجزا نسبيا ويتحدد شكل المرض حسب ظروف المريض المحيطة به فقط يستخدم ميكانزمات ذات طابع عصابى وبذا يتجه إلى أن يكون شخصية عصابية وقد يجد الضعف والتوترات وسيلة للتعبير من خلال المرض الجسمى أو فى الأعراض النفسية

ويرى بوين أن تشجيع الوالد الاستقلال الابن عن الأم واتخاذه موقفا من زوجته بحيث ينتهى الطلاق العاطفى بينهما يؤدى إلى احتفاظ العلاقة التكافلية بين الأم والابن وبالتالى يفتح الطريق أمام شفاء المريض.

وسنعرض فيما يلى بعض الأنماط الزوجية المرضية

أ - الزوجة المسترجلة

ب - الشخصية الهستيرية

جـ - الزوج الموسوس (أو الزوجة)

د - عدم التوافق العاطفى الجنسى

هـ - العقم

٣- الزوجة المسترجلة :- دائماً لديها الرغبة في ان يكون لها مركز الصدارة في الاسرة

بمفهوم ان يكون لها الدور الرئيسي الامر الناهي والزوج يحتل مركزاً ثانوياً) (المثل العامي يقول عنها تقمص لان من الصعب ان للذكورة خصائصها وللانوثة كذلك ومن يخالف الطبيعة غالباً يكون موضع استفهام

ب- الشخصية الهستيرية

Hysterical personality

الهستريا مرض نفسي عصابي تظهر فيه اضطرابات انفعالية مع خلل في اعصاب الحس و الحركة وهي عصاب تحولي تتحول فيه الانفعالات المزمنة الى اعراض جسمية ليس لها اساس عضوي بغرض فيه ميزة يحققها او هروباً من الصراع النفسي او من القلق او من موقف مؤلم بدون ان يدرك الدافع لذلك وعدم ادراك الدافع يميز المريض الهستيري عن المتمارض الذي يظهر المرض لغرض محدد مفيد

ومن ابرز سمات الشخصية الهستيرية كما يوضحها حامد زهران

- العاطفية الزائدة) والقابلية الشديدة للايحاء والمسايرة) وحب المجاملة) عدم النضج الانفعالي التذبذب الانفعالي) تقلب المزاج ، عدم التحكم في الانفعالات ، الساذجة) وسطحية المشاعر عدم النضج النفسي الجنسي) التمركز حول الذات الانانية ولفت الانظار) واستدرار العطف والاعتزاز بالنفس وحب الظهور والاستعراض وكذلك الاعتماد على الاخرين والتواكل والانقياد (التبعية) والشعور بالنقص

وايضاً المبالغة والتهويل والاستغراق في الخيال و السلوك يكون اقرب الى التمثيل والاستعراض والاندفاع وعدم النضج والاعتماد على الكبت كدافع اساسي

حـ - النوع الوسواسي (او القهري).

الوسواس obsession فكر متسلط والقهر compulsion سلوك جبري

ومن اعراض عصاب الوسواس والقهر:-

الافكار المتسلطة، ويكون معظمها تشككية او فلسفية او اتهامية و المعاودة الفكرية و التكرار الاجتراري مثل ترديد كلمات الاغاني والموسيقى بطريقة شاذة

وايضا الخوف من الجراثيم والميكروبات والقذارة والتلوث والعدوى ولذلك يتجنب مصافحة الناس او تناول الطعام والشراب الذي يقدم له في المناسبات.

استخدام الرخص فى تعدد الزوجات والطلاق

إذا كانت أنظمة الزواج والطلاق فى تطورها من قديم الزمن إنما تستهدف تحقيق الاستقرار والترابط لحياة الأسرية من الزوجية كي تكون الأسرة وحدة اجتماعية قوية قادرة على أن تقوم بوظيفتها فى إحاطة أفرادها بالحماية والرعاية، وأن يلعب كل طرف فيها دوره المتوقع فى تكامل وترابط يؤكد لها القدرة المذكورة ويوصلها للنجاح والسعادة المنشودين .

إلا أن ما يجرى فى مجتمعنا العربى الإسلامى، وما يدور حوله الكلام مرتبطا بمشكلتين أساسيتين هما مشكلة الزواج المتعدد ومشكلة الطلاق من جانب الرجل بإرادته المنفردة، إنما هما من المشكلات الرئيسية التى تواجه الأسرة العربية الإسلامية . تبعاً لما يسمح به الدين الإسلامى الحنيف من أن يكون للرجل، إذا شاء، الحق فى تعدد الزوجات حتى أربع زوجات، وأن يكون للرجل الحق من جانبه، إذا شاء أيضا، فى أن يطلق زوجته بإرادته، دون حاجة للحصول على موافقة زوجته، أو الحصول على إذن أو إقرار لقرار الرجل بالطلاق الذى يريده .

وقد طال الجدل واتسعت المناقشات، وقدمت الدراسات الفقهية والتشريعية حول هذه الأحكام الإسلامية التى تحكم العلاقات الزواجية والأسرية، وهل تحقق هذه الأحكام بممارساتها المطلقة التى لا يقيدها

قيد ، ولا تحد إرادة الرجل فيها أية قيود تشريعية ، ولا يعلق الحكم فيها على تقدير لإرادة الرجل ، وموازنة من الأحكام التى يمكن أن يستند إليها الرجل فى شأن من هذه الشئون فى زواج متعدد أو طلاق ، والدوافع التى تدفع إليها ، ومدى الحق الذى يمكن أن يتمتع به فى هذا النطاق .
ويمكن استعراض ومناقشة المشكلتين المرتبطتين بتعدد الزوجات والطلاق فيما يلى .

تعدد الزوجات :

سبق أن تكلمنا من قبل عن تعدد الزوجات كأحد الانظمة التى كان يقوم عليها نظام الزواج فى الماضى وما استقرت عليه أوضاع الزواج فى المجتمعات المختلفة ليكون الزواج القائم على الفردية أو الوحدية - زوج واحد لزوجة واحدة - هو النظام السائد فى كافة المجتمعات .

وإذا كان التغير والتطور لا يقوم لجأة ولا طفرة وإنما يتدرج بالناس نحو النظام المقبول والمتعارف عليه ، والذى يحقق مصالح الناس ومصالح المجتمع على درجات ، وعلى أساس من إيمان واقتناع وإدراك بحكمة التشريع وسلامة التطبيق والممارسة . وإذا كان الأصل فى الماضى البعيد أن تقوم الحياة الزوجية والأسرية فى صورة أساسية وعادية على تعدد الزوجات ، ولم يكن هذا الوضع غريبا على مجتمع الجاهلية القائم قبل ظهور الإسلام ، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، بل كان تعدد الزوجات هو النظام السائد فى ذلك الوقت .

وقد جاء الإسلام منظما لشئون الناس وأحوال معيشتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم الإنسانية ، بجانب تنظيم علاقات الناس بشئون دينهم

وعباداتهم وعلاقاتهم بربهم وخالقهم . وكان للتنظيم في العلاقات الزواجية والأسرية نصيب كبير من أحكام الدين الإسلامى ، وما جاء به القرآن الكريم من آيات محكمات مفصلات في شأن هذه العلاقات . وقد كان الحكم الوارد في شأن تعدد الزوجات هو توجيه للحد من التعدد المطلق الذى كان سائداً من قبل في عصور الجاهلية أولا ، لأنه عندما نزلت هذه الآية الكريمة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم سائل عن حكم زوجاته الكثيرات اللاتى يزدن عن أربع ، فأشار عليه الرسول الكريم بأن يبقى على أربع ويترك من عداهن . والحكم جوازى في أن يلتزم كل فرد بحكم هذه الآية الكريمة التى صدرت ترخص بالزواج من النساء حتى أربع ، إذا ما قام حرج في رعاية اليتامى الذين زاد عددهم واقتضت الضرورة موالاة شئونهم وحماية أموالهم ، وبخاصه بعد الحروب التى نشبت لنشر الدعوة الإسلامية وتثبت دعائمها في صدر الإسلام . وكان الحرج يقوم إذا ما اقتضت طبيعة رعاية اليتامى وحماية أموالهم وموالاة شئونهم في تردد الرجال على هؤلاء اليتامى وما يتطلبه ذلك من اتصال ضرورى بأمهاتهم للترتيبات والمشاركة والتشاور في الرأى — على أن ذلك كله كان أساسه القسط والعدل ، ولم يكن أساسه بأية حال الجور والظلم . ولذلك كان حكم الآية الكريمة ، إن كان هناك خوف من جور وعدم إمكان تحقيق عدالة بقيام زواج متعدد ، فلا تعدد . وقد جاءت الآية الكريمة في سورة النساء نفسها ، بتأكيد هذا المعنى بأنه ليس في الاستطاعة العدل بين النساء رغم الحرص الشديد الذى قد يحرص عليه من يسعى إليه ومن تسول له نفسه أن يعدد زوجاته .

وسوء الممارسة وسوء استخدام الرخص هو الذى يدفع البعض وقد يكونوا كثيرين ، تدفعهم إليها أو تبهرهم وتغريهم لها .

(ا) واحدة من مغريات الحياة البراقة الزائلة .

(ب) أن تدفعهم إليه أوقات الضيق أو الضغوط التى يتعرض لها بعض الناس فى أوقات أزماتهم الزواجية والأسرية .

(حـ) أو ألا يكون هناك ضرورة ملحة تجعل من الحياة القائمة ، بما لا يسمح بقيام حياة سليمة صحيحة ، لإنهيار مقوماتها ، مع الرغبة الملحة فى الإبقاء على الحياة الزوجية القائمة ، كالذى يحدث فى حالات المرض الخطير أو المستعصى لزوجة مع الحاجة لإستمرار هذه الحياة مثلا ، ويكون الزواج المتعددة عندئذ له ما يبرره بدلا من انحراف لا ترتضيه نفس ولا دين .

ولا شك أن تقدير الحاجة لإستخدام الرخصة الدينية المشروعة . التى تعطى الحق للرجل فى تعدد زوجاته ، هو أمر تقديرى للرجل ، إذا ما ترك إليه استخدامه ، دون تدخل خارجي يحد من حقه أو يقيد من سلطانه فى هذا المجال ، وسوء استخدام الرخص ، أو الحق ، فى تعدد الزوجات ، هذا التعبير الذى يمكن أن يوصف به تصرف الرجل ، إذا ما كان تقــديره لقرار زواجه مرة أخرى ليس له ما يبرره ويحدث ذلك عندما يتجه الرجل لزواج امرأة بسبب اغراء يجذبه نحوها حيث المال أو الجاه أو الرغبة الجامحة ، والحكم فيها يكون لإرادته المطلقة ، دون أن يدخل فيها اعتبار لمصلحة أسرة أو رعاية كيان إنسانى أو روابط وأحاسيس عميقة ، كان يجب أن يوضع لها التقدير والاعتبار .

وهذا كله ، وبحكم الخبرات التي تظهر في كثير من الحالات، فان قرار تعدد الزوجات الذي يتخذه البعض من الرجال لم يكن هناك ما يبرره ولم يراع معه تحقيق مصلحة للعلاقات الأسرية القائمة ، ولم تدفع إليه ضرورة ملحة لا يمكن للرجل تفاديها أو مواجهتها بأسلوب آخر يحمى الحياة الزواجية والأسرية القائمة ، ولا يحقق للحياة الزوجية والأسرية الجديدة المقومات السليمة لبنائها والسير بها جنبا إلى جنب من الحياة الأصلية سواء في رعاية عاطفية ويحقق استقرارا وتماسكا ، أو حماية ورعاية مادية واقتصادية لا تعرض أي من الحياتين الزوجه والأسرية القديمة والجديدة ، لأي تفكك أو تصدع أو أنهيار ، وهذا ما يدعو المسئولين والمعنيين بالأسرة والداعين لحمايتها وتوفير مقومات الاستقرار لها ، وذلك بأن تتدخل الدولة بالتشريع لتحمى الأسرة وتوفر لها أسباب الرعاية والوقاية والحماية والحد من الانطلاق نحو التعدد للزوجات ، مما قد يسيء البعض في استخدام رخصته وهو المسموح بممارسته شرعا ، وذلك بألا يتم عقد رجل لزواج على زوجة أخرى في عصمته ، إلا بشروط :

١ — أن تكون هناك ضرورة ملحة تدعو لحاجة الزوج إلى زواج آخر على زواج قائم ، كمرض الزوجة مرضا عضالا لا يتيح لزوجها حياة زوجية عادية ، أو عقمها وعدم قدرتها على الانجاب حيث لا يكون له أولاد .

٢ — أن يكون الزوج قادرا من الناحية الاقتصادية على أن يتولى كفالة حياة زوجة جديدة بتكاليفها وأعبائها مع الحياة الزوجية الأولى على أساس من العدل .

٣ — أن أن يكون رضا الزوجة القائمة صريحا فى أن تقبل الحياة الزوجية مع زوج يتزوج بزوجة أخرى ، وإلا كان من حقها الحصول على الطلاق من زوجها مع كفالة حقوقها قبله .

ويكون تقدير توافر البندين الأولين عن هذه الشروط للقاضى الذى ينظر فى مثل هذه القضية ، وينظر معها أيضا طلب الطلاق الوارد فى البند الثالث ، إذا ما عرض مع طلب الترخيص بالزواج المتعدد ، عدولا عن رضاها عن زواج متعدد لزوجها .

الطلاق :

الطلاق هو إجراء قانونى يقوم عليه إنهاء الحياة الزوجيه بين الزوجين ، وإذا كان الزواج يقوم على التعاقد والإتفاق بين الطرفين والرضا بينهما لقيام حالة الزواج ، فان الطلاق لا يمثل هذا المعنى من معانى التعاقد ، لأن الخلافات والمنازعات التى تقوم بين الزوجين وتؤدى بهما إلى استحالة استمرار الحياة الزوجية بينهما ، ولا تسمح هذه الحالة بالضرورة من قيام الاتفاق الحر الصريح والتعاقد على إنهاء هذه الحياة فى رضا متبادل بينهما .

ولا يمكن أن يقوم مثل هذا الرضا والاتفاق المتبادل بينهما إلا تحت ضغوط لتنظيم الآثار المترتبة على الطلاق — فى إنهاء المسائل المالية بينهما ، سواء لمصلحة الزوج أو لمصلحة الزوجة حسبما تكون المصلحة لأى منهما والتى يجنيها من وراء الطلاق المنشود بينهما أو لأى منهما ، وكذلك لترتيب عمليات الحضانة والولاية على الأطفال التى لرعاية الاطفال وتركها لأى من الزوجين ، وطريق التعاون بينهما

فيها ، بعد أنهاء العشرة بينهما ، وضرورة ارتباط الأطفال فى معيشتهم بعد الطلاق مع أى من الأبوين .

والطلاق قديم فى نظامه وفى ممارساته فى المجتمعات القديمة طبقاً للأنظمة والقواعد والإجراءات التى تتبع فى تحقيقه ، ولو أنه ينظر إلى الطلاق على أنه نكبة شخصية لأحد الزوجين أو لكليهما ، ولكنه لاشك ينظر إليه كاختراع إجتماعى . ونوع من صمامات الهروب من التوتر الحتمى فى الزواج ذاته ، فبدلا من أن يعيش الزوجان فى توتر مستمر نتيجة للمنازعات المستمرة فى حياتهم المشتركة ، فقد يكون هناك مخرج من هذه الحياة . فالتوتر الزوجى يقوم بين الزوجين ، مما يجره ذلك من التعاسة ، حين تنخفض الآمال التى كان يأمل فيها الأزواج. فعندما يتوافر لدى الشباب الأفكار الخيالية عن الزواج والحب وما يتوقعون الحصول عليه من وراء الزواج من سعادة وهناء ، فيصطدمون بما تلقيه الحياة الزوجية من مسئوليات وواجبات ، ليس من السهل تحملها بكفاءة ومقدرة ، إلابعد إعداد وتقدير وتدبير سابق ، ثم بمقدرة وتدريب يناله الأزواج خلال حياتهم الزوجية بالاستعداد المناسب للنجاح والتوفيق فى هذه الحياة . فاذا ما فشل أى من الأزواج فى تحقيق ذلك فى الحياة الزوجية فليس من طريق للخروج من هذا الطريق ، ومن هذه الرابطة الزواجية إلا بأنهاء الحياة الزواجية ، حيث لا يكون من المقدور الانتهاء منها ، بعد فشل كل سبل الوفاق والتوفيق والمعاونة فى عمليات التكيف والتوافق ، والعمل والسعى الجاد لتعديل السلوك السائد لكل من الزوجين أو لأى منهما ، فى الحياة الزوجية ، تعديلا

يضمن تحقيق التوافق وتغيير الاتجاهات التى ينظر بها الزوجان إلى حياتهما المشتركة ، بما يغير من أنماطها المنفرة والمثيرة والتى لا يرى فيها كل منهما أو كلاهما ما كان يتوقعه من ورائها .

والمفروض أن لا يلجأ أى من الزوجين إلى الطلاق فجأة أو مباشرة أو تلقائياً ما دام لم يجد فى حياته الزوجية نجاحاً أو وفاقا ، أو إذا لم تتوافر السعادة لحياته التى عمل على تكوينها وخلقها ، وربط نفسه بشريك فيها ، وهى السعادة التى كان ينشدها أصلا من قيام هذه الحياة وارتباطه بها . بل لابد أن يسير الزوج والزوجان ، أى سواء كان ذلك فرديا أو بصورة مشتركة ، نحو العمل على تيسير طريق الحياة والتعامل بينهما ، وتحقيق سبل التعاون للتكيف والتوافق والإنسجام فيما بينهما ، وأن يجرى تذليل الصعاب والعقبات والمشكلات التى تعترض حياتهما ، وتعوق طريق التفاهم والتقارب فيما بينهما ، وأن يجرى الاحترام المتبادل بينهما والأداء المناسب للواجبات المتبادلة من جانب كل من الزوجين نحو الآخر، والسعى للحصول على السعادة والوفاق فيما بينهما .

والطلاق لا يلجأ إليه إلا عند الفشل النهائى ، وقيام الصعوبات الجوهرية فى قيام التوافق والتكيف . وعدم القدرة على التعامل المتبادل فيما بين الأزواج بما يحقق قدراً كبيراً ومناسبا للوفاء بالمسئوليات والواجبات والإشباعات المتبادلة والمتوقعة والمنشودة من وراء هذه الحياة ، وأن يكون هناك عمل جاد ومجهود مناسب للوصول لتلك الغاية . وأنه يمكن الالتجاء إلى الخدمات المعاونة والإستعانة بالعلوم والخبرات العلمية والعملية والمهنية التى تتوافر لخدمة الأسرة والأزواج

فى حياتهم وعلاقاتهم الزواجية والأسرية سواء من الناحية الوقائية أو العلاجية .

الطلاق فى الشرائع المسيحية :

إذا كانت الشرائع المسيحية لا تقر الطلاق أساسا كوسيلة لإنهاء الحياة الزوجية ، وتقوم هذه الشرائع على وحدانية الزواج وأبديته ، ولكن وجدت بعض التيسيرات والمخارج لإنهاء أو توقيف هذه الحياة الزوجية وذلك عندما يستحيل إستمرارها سواء كان ذلك فى صورة محدودة أو فى صورة نهائية ، عن طريق نظام للانفصال الجسدى ، أو الهجر والفرقة ، أو الطلاق .

وإذا كانت التشريعات الوضعية قد انتهت إلى تأكيد أن الطلاق ضرورة يجب اعتبارها ، وأن توضع له الأصول القانونية التى يعتمد عليها فى إيقاعه .والوصول إليها قضائيا عندما تتوافر شروطه وأصوله كأساس يعتمد عليه فى تقرير وقوعه . وفى الولايات المتحدة تشريع وضعى لكل المواطنين الأمريكيين بكل ولاية على حدة يطبق على الجميع بغض النظر عن الديانات التى ينتسبون إليها والمذاهب التى ينتمون لها . ويختلف الناس فى مدى إيمانهم وارتباطهم بكنيستهم أو لدياناتهم . وقد تختلف أحكام التشريع الوضعى مع حكم الكنيسة فى هذا الشأن .

وقد أثبتت الدراسات والبحوث الإجتماعية التى أجريت فى أمريكا بأن الميل للطلاق يقل بين الأزواج الذين ينتمون لنفس الكنيسة .

ينتمون لدين واحد تقل الخلافات بينهم ، ولو أن الخلافات بين البروتستانت أو بين الكاثوليك قد تكون نسبة الطلاق بين كل منهما متساوية ، وتزداد النسبة فى الطلاق بين من لا يدينون بديانة ، أو لذوى الديانات المختلطة .

ويشار أيضا إلى أنه عندما يتم الزواج فى الأعمار الصغيرة جداً (من ١٥ إلى ١٩) بأمريكا ، فإن نسبة الطلاق تعلو ، وكذلك الحال عند استنكار الأقارب والأصدقاء للزواج واختلاف آراء الزوج والزوجة بالنسبة لأدوار مسئولياتهما المتبادلة ، حيث ينظر إلى هذين العاملين على أنه تنبؤ بسيط بعدم توقع النجاح فى هذا الزواج .

الطلاق فى الشريعة الأسلامية :

شرع الله الطلاق وسيلة لحل عقد الزواج عندما لا تستقيم أمور الحياة الزوجية والأسرية ، وتتعقد علاقاتها ، وتضطرب الروابط بين أفرادها ، وتتفاقم المنازعات والصراعات بين الزوجين المسئولين عنها والقائمين على شئونها . على أن أحكام الشريعة الإسلامية لم تفرض الطلاق وسيلة قاطعة بمجرد أن تقوم الخلافات والمنازعات فى العلاقات الزوجية والأسرية ، وإنما قرر الطلاق كأسلوب يقطع اضطراب الحياة وعدم القدرة على معالجتها ، وقرر الطلاق على درجات ، فلكل درجة شكلها وآثارها والنتائج المتخلفه عنها ، والطريق الذى يمكن أن يتبع بعدها فى سبيل الوصول إلى تفاهم بين الزوجين يعيد الحياة الزوجية إلى مستوى طبيعى وملائم ، أو يصل بالحياة الزواجية إلى

مستوى طبيعي وملائم . أو يصل بالحياة الزواجية إلى نهاية لا سبيل إلى عودة أو رجعة إليها .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أبغض الحلال عند الله الطلاق » ، بمعنى أن الطلاق رغم مشروعيته فهو بغيض ومكروه عند الله الالتجاء إليه ، وبمعنى آخر ألا يلجأ إليه إلا عندما يستحيل إستقامة الحياة الزوجية وعلاج المشكلات الأسرية . وجاء فى آية كريمة قوله تعالى « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيراً » ، وقال تعالى « وعاشروهن بمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً فيجعل الله فيه خيراً كثيراً » (سورة النساء) ، وحددت الآية الكريمة فى سورة البقرة مرات الطلاق المسموح بها ودرجات الطلاق فيها ، فقال تعالى « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها . ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ، فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله » .

ونجد فى هذه الآيات تحديداً لدرجات الطلاق ومراته والآثار المترتبة على كل درجة من درجات الطلاق ، حيث يحدد قوله تعالى بأن

مرات الطلاق اثنتين تتلوها مرة ثالثة تحدد الإمساك أى البقاء والاستمرار فى الحياة الزوجية على خير ووئام ، أو يجرى انهاء الحياة الزوجية بعد ممارسة الطلقتين الأوليين بطلاق أخير ينتهى به الزواج نهاية قاطعة لا تحل حتى من بعدها زوجة له مرة أخرى .

وقد أتت فى آيات أخرى أسلوب التعامل خلال مراحل الطلاق ، وأسلوب الحياة الزوجية المستقرة الآمنة ، حيث تقوم خلال الحياة العادية معاملة الإحسان والحسنى التى تدعم الحياة الزوجية وتسير بها مؤدية الطريق التفاهم والأخذ والعطاء والسير قدما بالحياة الزوجية ، وتقوم فى فترات الصراع والنزاع والخلافات والاضطرابات معاملة الاحسان والحسنى التى تعالج المشكلات الأسرية وتزيل مافى النفس ، وتجعل النفوس هادئه مستعدة لإزالة مابها من نفور واضطراب . فقد أتت سورة الطلاق فى بدايتها بآداب الطلاق عندما يقع فقد قال تعالى : « ياأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ... » وجاءت آية أخرى فى سورة البقرة تحدد شكل العلاقات التى تقوم بين زوجين فى خلال فترة العدة أو المراجعة ، وقد قال تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ... » هذه بعض من الآيات التى وضعت القواعد والأسس التى يقوم عليها

التنظيم الخاص بالاتجاه نحو انهاء الحياة الزوجية ، بعد أن حددت سور وآيات أخرى كنه الزواج ومقدماته ، باعتبار أن الزواج يقوم على سر خلق الله للناس بأن يجعل السكن والأمن والطمأنينة هي هدف الوصل بينهم ، وأن يعيشوا أزواجا ، وأن تكون المودة والرحمة هي الرباط الذي يجمع بين كل زوجين .

ودرجات الطلاق في أحكام الشريعه الإسلامية على ثلاث هي :

الطلاق الرجعي ،

الطلاق البائن ببنونة صغرى ،

الطلاق البائن ببنونة كبرى .

(أ) والطلاق الرجعي يقوم على امكان مراجعة وتتابع الحياة الزوجية بعد أن يعلن الرجل طلاقه، مادام في حدود الطلقتين الأولتين السابق الإشارة إليهما ، وما دام لا يتعدى الفترة التي يمكن أن يراجع فيها الزوج زوجته ثلاثة قروء (حيضات) أو ثلاثة شهور ، ولا تحتاج المراجعة لأية إجراءات أو رضا من الزوجة بل بمجرد دعوة الزوج لزوجته ، أو ملاطفتها ، ومصالحتها يكون فيها معنى المراجعة . وكان من هدف ابقاء الزوجة بعد طلاقها خلال فترة عدتها في بيتها وعدم اخراجها منه ، والتي أشارت إلى ذلك الآية الكريمة في سورة الطلاق ، فيها معنى ابقاء الود رغم إيقاع الطلاق الرجعي ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ، كما أكدته الآية الكريمة ، فيحدث الود وتزول الكربة وتبتعد النفرة ، ويعود الزوج لزوجته يراجعها مرة أخرى . ولكن هذا ، رغم عودة

الزواج بين الزوجين ، يفقد الزوج ملكية واحدة من طلقاته المقررة له شرعاً رغم أنها مازالت عشرتها حلال له . وتبقى له بعد ذلك فرصة أخرى مماثلة مع الطلقة الثانية .

(ب) والطلاق البائن بينونة صغرى فهو الطلاق الذى تمر عليه فترة العدة دون مراجعة ، أو الطلاق الذى يوقعه القاضى بناء على طلب الزوجة ، أو طلاق الخلع الذى يقع فى مقابل لتنازل الزوجة عن حقوق مالية كانت لها قبل زوجها . المهر المستحق والنفقة ، وهذا الطلاق ينهى إحدى الطلقتين اللتين يملكهما الزوج قبل زوجته ، كما ينهى الحل بينهما ، أى لا يجوز معه المراجعة ، ولكن يجوز إعادة الزواج بينهما ، لأن الزوجة لا تحرم بعد طلاقها قبل هذا الرجل تحريما نهائياً وإنما تحرم عليه كامرأة غريبة عنه حيث لا تصبح زوجة له أو له عليها أية حقوق زوجية ، وهنا يمكن أن يقال أن الطلاق البائن بينونة صغرى يعطى فرصة جديدة للزوجين إذا ماراجعا أنفسهما ، وشعرا بالندم عن الأخطاء التى ارتكباها أو التى ارتكبها أى منهما قبل الآخر ، وشعرا بعد ذلك بالحاجة إلى كل منهما للآخر بأن يعيدا حياتهما الزوجية مرة أخرى ، فعندئذ يمكن أن يتفقا مرة أخرى على زواج جديد ينعقد بعقد ومهر وشروط صحة زواج كما لو كانا يبدأن من جديد كما سبقت بدايتهما الزواجية ، ولكن لا يعود بكل مرات الطلاق التى سبق أن تملكها بالزواج الأول ، وإنما يستكمل فقط حقوق الزواج الأول .

(ح) أما عن الطلاق البائن بينونة كبرى فهو الطلاق المنهى للملك الحل . أى أن الطلاق البائن بينونة كبرى هو المكمل للثلاث طلقات

فهو ينهى الحياة الزوجية نهاية مطلقة ، وتصبح الزوجة المطلقة محرمة، لا يحل زواجها مرة أخرى بزوجها إلا بعد زواج آخر تكون قد تزوجته مع رجل آخر ، زواجا صحيحاً بعشرة صحيحة ، وأن يكون هذا الزواج الآخر قد فشل أيضاً . ثم يحدث بعد التجربة الثانية فى الزواج الآخر أن يحس كل من الزوجين إحساساً صادقاً بالندم عما فات ، ويشعر كل منهما بالرغبة الجادة فى إعادة بناء حياة زوجية جديدة بينهما ، مستفيدين من أخطاء التجربة الزواجية ، الأولى وبعد فشل الزوجة فى تجربة زواجها الثانية ، بأن يعيدا بناء حياة زوجية مشتركة ناجحة مرة أخرى ، مع تقدير كافة المزايا التى يتمتع كل منهما بها ، معتمدين عليها كمقومات يقوم عليها بناء أركان الحياة الزوجية الجديدة بينهما .

معنى سوء استخدام الرخصة :

إذا كانت الشريعة الإسلامية الغراء قد وضعت القواعد المنظمة للطلاق على هذه الدرجات ، ودعت الازواج بأن يسلكوا هذا السلوك فى ممارسته بحيث يتراوح بين التوجيه والانذار والتهديد وانهيار الحياة الزوجية ، بحيث يمكن العودة إليها إلى أن يصل الانهيار إلى حد تحريم الزوجة بعدطلاقها، وعدم إمكان إعادة الحياة الزوجية بينهما مرة أخرى إلا بشروط قاسية ، كل هذا ليتيح هذا النظام الفرصة لحياة سليمة متوافقة تنق من العبث والاستهتار ، وتقوم على معالجة الأمور بحكمة وإعطاء الازواج الوقت لحل مشكلاتهم والانصراف لمواجهة أعباء الحياة ، فى تبصر وتعمق للنتائج الخطيرة التى يتعرضون إليها إذا

ما سارت الأمور فى طريقها المتطور المؤدى فى النهاية لإنهاء الحياة الزوجية بكل المقومات والروابط والآثار التى تقوم عليها .

والأصل أن الناس لا يصدرون قراراتهم فى مواجهة مشكلات الحياة الزوجية والأسرية، بالبتر الحاسم ،أو بانهاء الحياة عن طريق الطلاق، الذى يقضى على أمل العلاج ، ولا يعطى فرصة للتروى والهدوء ومعالجة الامور فى سكون بل يجب أن يتدرج الاسلوب ، كما سبق القول ، مرحلة بعد مرحلة ، دون أن يكون الطلاق هو السيف المسيطر على الموقف . يلوح به ويهدد باستخدامه ويوقعه الزوج ، بل ويعبث به دون وعى .. دون حاجة جادة فى كثير من الاحوال ، وذلك من جهة - أو تظل الزوجة ، من جهة أخرى ، فى هذه المواقف فى حالة من القلق والخوف والاضطراب ، قد يسيطر على تصرفاتها وسلوكها وتعاملها ، ويؤثر بالتالى على علاقاتها الزوجية والأسرية ، وفى الروابط التى ترتبط بها مع زوجها ، ويجعلها إما فى حالة من حالات الخضوع والخنوع ، أو فى حالة من حالات الكيد لزوجها ، أو التوثب لمصارعته للدفاع عن حياتها الزوجية والأسرية ، بدلا من أن ينصرف للعمل إلى توطيد حياة مشتركة متعاونة متوافقة تقدم على الندية والمشاركة الايجابية .

وهناك كثير من الناس لا يدركون فى حياتهم الزوجية والأسرية السلوك الانسانى العادى الذى يسيّر حياة الناس ويوجه تصرفاتهم مع بعضهم البعض ، وأن الناس ليسوا سواء فى هذا السلوك Behavior ، وأن كل فرد له خصائصه التى تميزه وتحدد شخصيته وتؤثر فى تحديد معانى تكاملها . وأن أى زوج أو أيه زوجة لا يمكن ، ولا يجب أن يتوقع أى منهما أن من وقع عليه اختياره شريكا له ، هو إنسان توافرت

فيه كل الخصائص الممتازة التى تجعل منه بشراً مثاليا ، لا يصيبه الخطأ، أو أنه فوق مستوى البشر لا يعيبه عيب . ومن ثم إذا ما كان هناك الخطأ أو التصرف غير الملائم أو التعامل غير المتلائم ، فقد يدعو ذلك إلى ثورة عارمة وتفاعل متهور وإجراء حاسم ، والسلاح السهل استخدامه، والذى ينبعث من إرادة منفردة مطلقة، هو الطلاق فى يد الرجل ، يطلقه مزهوا بسلطته ، يعلنه بكلمة هو صاحبها ، ولا أحد يشاركه فى النطق بها أو يراجعه فيها ، إلا تقديره هو لها ولا يسيطر عليه فيها إلا فكره وضميره .

ومن هنا تكون الطامة الكبرى والمشكلة الخطيرة التى تبنى على كلمة، وتحقق آثارا بعيدة المدى على كل طرف من أطراف هذه الحياة الزوجية والأسرية ، وقد يكون أول من يتأثر بها ، ويضار من جرائها الزوج نفسه الذى نطق بهذه الكلمة ،دون أن يدرك إدراكا عميقاً لهذه الآثار والنتائج التى تبنى عليها .

والتهور والاندفاع فى إيقاع الطلاق يظهر ويتضح بصورة ملفتة للنظر من هذه الارقام التى تعطيها لنا الاحصاءات السنوية عن الطلاق الذى يقع بين الازواج سنوياً ، وبخاصة تلك الارقام التى تظهر فى طلاق حديثى الزواج ،الذين تزوجوا ليسعدوا بزواجهم ، وقد اختار كل منهم شريك حياته بمحض اختياره وإرادته ، ووضع فى هذا الاختيار مواصفاته التى يراها مميزة لشريكه ووجد فيها إسعاده ورضاه وقبوله ، ولكن سرعان ما ينهار كل ذلك فى موقف من المواقف ،فى مواجهة مشكلة من المشكلات ، فيلقى الزوج بالطلاق فى وجه زوجته وينتهى كل شىء أو يكون فى سبيله . وبذلك ينهار البناء ، الذى لم يلبث طويلا فى

بنائه، وتنهار الآمال ، وتبدأ مسيرة الكيد وفقدان الثقة والسعى للانتقام المستمر ورد العدوان .

وتدلنا الجداول التالية بموقف جمهورية مصر العربية فى مواجهة مشكلة الطلاق، بالارقام التى تقوم عليها ومدى جسامتها ، وبالمقارنة مع عدد من الدول فى هذا المجال ، ومصر دولة إسلامية تأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية أساساً تشريعياً ينظم العلاقات الزوجية والأسرية ، بأوضاعها وروابطها وآثارها المترتبة - وهى ماتسمى بأحكام وتشريعات الاحوال الشخصية ، أو قوانين الأسرة كما يقترح لها .



الفصل السابع

مقومات الخلق (الوراثة - البيئة)



مُقوِّمات الخُلُق : عامل الوراثة وعامل البيئة

العامل الوراثى

يقال بصفة عامة إن قانون الوراثة يصدق على الناحية العقلية صدقه على الناحية الجسمية ، وأن الابن لا يرث ملامح أبيه وحدها ، ولـكنه يرث أيضاً عادات أبيه العصبية وخصاله الخلقية . وقد أصبح هذا الادعاء الآن محل ارتياب وعدم تصديق إلى حد كبير .

وكثيراً ما قيل عن عادة أو عن صفة خلقية معينة : « لقد كانت عند أبى من قبل ، ولا بد من أن أكون قد ورثتها عنه » أو : « إن عنـده ميلا إلى القسوة ، وطَبْعاً مرذولا ومزاجاً وضيعا ، طول حياته ، فلا بد من أن يكون قد وُلد هكذا . » ولـكن القول بأن هـذه الصفات قد لازمت امرءا طوال ما تعيه ذاكرته من حياته الماضية ليس دليلا على أن صفة خلقية ما ، تـكون موروثة أو وِلَادية . على أن مثل هذا القول كان مقبولا قبل قيام علماء النفس المحدثين باستكناه السنوات الأولى من حياة الأفراد . فـكثير من الأمور التى تحدث لنا فى السنوات الأربع أو الخمس الأولى لا نتذكرها ، ولـكنها مع ذلك قد تؤثر فينا طول حياتنا . وقد أصبح من الممكن استحياء السنوات الأولى من الحياة وإرجاعها إلى حيز الشعور (الوعى) وألا تظل نسياً منسياً ، وذلك بفضل تقدم طرق البحث ، كالتنويم المغناطيسى والتحليل النفسى .

وقد أدى كشف الغطاء عن تجاربنا فى السنوات الأولى من الحياة إلى الإيقان بأن كثيراً من تلك الأعراض المرضية والصفات التى كانت تعتبر وراثية فيما مضى ، ترجع فى الواقع إلى الظروف البيئية الأولى والحق أن البحث الحديث يشجعنا على الاعتقاد بأن حالات العُصاب النفسى والنقص الخلقى لا ترجع إلى الوراثة ، وأنه إذا وجد منها ما يعتبر موروثاً فإنه يكون نادرا ، ويكون مع ذلك فى حاجة إلى أن يصطلع من يرون إرجاعه إلى الوراثة بإقامة الدليل على ما يرون . وإنه لمن غريب الأمر أن يُتَّخذ إحصاء الصفات الخلقية فى أسرة ما دليلا على ذلك[1] .

ومن الأمثلة التى توضح ما نقول أن رجلا لازمته منذ طفولته رعشة تنتاب يده عقب أى مجهود يبذله سواء أكان مجهوداً جسمياً أم عقلياً . وقد كان يظن أن هذه الرعشة وراثية لأنها كانت تلازم أباه من قبله . ولكن التحليل كشف الغطاء عن حادثة وقعت لهذا الرجل المريض فى سن الثالثة . فقد أصيبت قدمه إصابة شديدة أدت إلى استدعاء أحد الجراحين . وقام أبوه بمساعدة الجراح ، وذلك بأن أمسك يدى ابنه فى أثناء قيام الجراح بتنظيف الجرح وتضميده . فانتقلت الرعشة إلى يد الطفل ، وارتبطت فى عقله ارتباطاً وثيقاً بصراع انفعالى يتمثل فيه كفاحه التافه ضد قوة لا قبل له بها . وقد نسيت الحادثة ، ولكن الارتباط بين هذا الإحساس بالكفاح ضد للقدر وبين رعشة اليدين ظل باقياً . وأخذت يده ترتعش فيما بعد كلما واجه حادثاً أو موقفا يستلزم بذل الجهد ، وذلك عن طريق الترابط ولم تكن هذه الحالة

---

(١) يجب أن نذكر جميع حالات « الضعف العقلى » التى تنجم عن اختلال عضوى فى بنية الأعصاب كعدم نمو المخ أو أى انحراف عضوى آخر . فهذه الحالات وإن قيل إنها عقلية ، هى فى الواقع فسيولوجية ، وهى فى العادة وراثية أو ولادية . [المؤلف]

وراثية على الرغم من أنها كانت تلازم أباه من قبل ، وعلى الرغم مما قيل من أنها كانت تلازمه « طول حياته » فقد ظهر أنها ترجع إلى هذه التجربة البيئية المبكرة التى ألمّت به[1].

وقد ظهر أن الصفات الخلقية والعادات العصبية ترجع بالمثل إلى تجارب الحياة المبكرة . فقد حاول أحد المرضى أن يتخلص مما أصيب به من صلف شديد ، فذهبت محاولاته مع الريح . وكان يظن أنه « ولد مستكبرا » مستعليا ، يحتقر غيره من الناس . ولكن ، تبين أن هذه الحالة ترجع إلى أنه كان مُدلَّلا مُرفَّها فى عهد الطفولة ، وكان هيابا ؛ ومن ثم شجعه أبواه المولَعان به على أن يعتقد أن السبب فى ذلك أنه مخلوق يتميز عن سائر الناس بطينته وحساسيته ودمه الأزرق ، فليس من المتوقع منه أن ينخرط فى نشاط الناس وألعابهم العنيفة . وقد احتفظ بهذا التعليل الموحَى به إليه ، فى أثناء رجولته بطريقة لا شعورية لتغطية جبنه الذى يخفى عليه ، ولتبريره أيضا . فهو إذن لم

---

(١) ومن هذا القبيل أن رجلا فى الثامنة والعشرين من عمره كان ينفر من اللبن ولا يستطيع تناوله ، كما أنه كان لا يستطيع تناوله فى حياته الماضية التى يتذكر حوادثها . وكان ذلك يعزى إلى جبلة ولادية شاذة فى تكوينه الفسيولوجى . فلما أجرى عليه التحليل النفسى تحت تأثير التنويم المغناطيسى اتضح أنه ، وهو فى سن الثالثة وضع له مسحوق طبى فى لبن ليتناوله ، وكان طعمه كريها غير سائغ ، فتعذر عليه تجرعه على الرغم من محاولات الطبيب ، وفى المحاولة السادسة ، بمجرد أن وضع المزيج فى فمه ، أمسك الطبيب فكيه وأغلق فمه ليرغمه على تجرع هذا الدواء ، فتعذر عليه التنفس لوقوف المزيج فى القصبة الهوائية ، وكاد يختنق ، وكان ذلك سببا فى ارتباط طعم اللبن والمسحوق فى عقله بهذا الفزع . وجر النسيان ذيوله على هذه الحادثة ، ولكن حلقة الارتباط ظلت باقية تحول بينه وبين تعاطى اللبن حيلولة مطلقة . ولما اهتدى المحللون إلى الارتباطات المرضية قاموا بحلها وتحطيمها ، حتى أنه حدث قبل أن يغادر الرجل غرفة التحليل أن قدم إليه كوب من اللبن فأقبل على شربه بشهية وهو يقول : « ياللعجب ! إن طعمه ليس كطعم اللبن على الإطلاق ! »

فهذه الجبلة مصدرها بيئى لا ولادى . [المؤلف]

« يولد مستكبرا مستعليا » ، ولكن الاستكبار أُلقى عليه إلقاء عن طريق آله الحق .

من الجائز أن تنتقل أمثال هذه الحالات من الآباء إلى الأبناء . ولكن ، إذا حدث هذا ، فإن الانتقال لا يكون عن طريق الوراثة وإنما يكون عن طريق التقليد والإيحاء فى فجر الحياة ؛ وقد يُظهر التحليل نقطة البداية فى هذا الانتقال بالضبط . ومثَل انتقال هذه الحالات مثل بعض الأمراض التى كان يظن أنها تنتقل إلى الأبناء انتقالا وراثيا — كالسل مثلا — . إننا قد نرث استعدادا لمرض من الأمراض ، ولكننا لا نرث المرض . وهكذا يتجه البحث الحديث إلى التخفيف مما كان ينسب إلى الوراثة من أهمية مبالغ فيها ، وإلى تأكيد أهمية المؤثرات البيئية باعتبارها العامل الفعال فى تقرير الخلق ومن الحق الذى لا يحتاج إلى توضيح أو تأكيد أننا لا نرث الشراسة والكبرياء والضِّعة والإدمان على الخمر والانحرافات الجنسية .

ويُعتبر هذا المبدأ ذا أهمية كبرى من الناحية العملية : فلو كان المرض العصبى أو الخلقى مرضا متأصلا ، لصار المريض أسير العلّة عبد المرض ، ولكان أمله فى التحرر والشفاء ضئيلا جدا . والحق أنه ليس أدعى إلى جعل هذه الانحرافات مستمرة بصفة دائمة مثل الاعتقاد الزائف بأنها متأصلة منذ الولادة وأنها ربما تصمنا .

ولكننا من الناحية الأخرى — إذا أخذنا بالرأى الذى نعرضه هنا ، وهو أن الانحرافات الخلقية والعصبية إنما هى نتيجة لظروف البيئة فى السنوات الأولى من الحياة ، فلابد من أن ننظر إلى الفرد باعتباره مريضا ، وعلى ذلك لا يُلقى عليه عبء المسئولية كاملا . وبما أن مرضه لم يعد متأصلا منذ الولادة ،

فإننا نستطيع أن نجعله يأمل فى الشفاء . إن نظرية « الخطيئة الأصلية » قد فقدت مكانها من كتب العقائد ، وهذا أوان فرارها من كتب الطب .

ولئن كنا نؤكد هذه الحقيقة ، وهى أننا لا نرث أمراضا ذات صفة خلقية أو نفسية ، فلا بد من أن نذكر أن هناك عوامل ورَاثية « مُمَهِّدَة » ليست مَرَضيَّة فى ذاتها ، ولكنها تلعب دورا هاما فى نشأة الصفات الخلقية الشاذة وهذه العوامل هى :

(ا) المزاج العصبى . (ب) الغرائز .

المزاج العَصبى

تسرى الحالات العصبية فى الأسر فيولد بعض الناس بمزاج عصبى . والعصبية قبل كل شىء ، ليست مرضا ؛ ولكنها تصبح مرضا إذا استخدمت الأعصاب استخداما مَرَضِيًّا فحسب . ثم إنها ترجع إلى عوامل فسيولوجية أكثر من رجوعها إلى عوامل نفسية ؛ وهى على هذا لا تناقض المبدأ القائل : إن الْعُصاب النفسى والأمراض الخلقية ليست موروثة بحال » .

(١) إن المزاج العصبى — أو الاستعداد الحاد المرهف — يعتمد على الحساسية المرهفة للأعصاب ، وهو فسيولوجى فى أصله . فالتيَّار العصبى يواجه مقاومات معينة أثناء انتقاله فى العصب ، و بخاصة عند الوصلات العصبية . وتكون المقاومة شديدة عند بعض الناس ، فيستغرق التيار وقتا لاجتياز طريقه فى العصب : ولهذا يكون الواحد من هؤلاء بطىء التفكير بَلغمِىَّ المزاج ، ولكنه يكون ذا خُلق متزن يُعتمد عليه ؛ لا يأتى الصغائر ولا يجىء بالمعجزات . ونجد أصحاب المزاج العصبى ، على العكس من هؤلاء ، وصلاتهم العصبية مفتوحة ممهّدة ، فينتقل التيار بسرعة فى ممرات العصب . أولئك

العصبيون هم أصحاب التفكير السريع ، الذين يحدث الانفعال عندهم مقترنا بالتفكير دائما . وهم حساسون ، ولكنهم لا يكونون دائما معقولين ، قلقون ، كأنما رُكّب استعدادهم على زئبق ، مضطربون فى الخلق ، ثوريون فى النواحى البيانية . وهم الخياليون سريعو الخاطر المندفعون ، من أمثال « ميترلنك » و « وَيْلد » و « بيتَر » على الترتيب . وكثيرا ما يستحوذ أولئك العصبيون على الأتباع ، ولكنهم لا يستطيعون قيادتهم وتوجيههم . ومن ثم يتحول جمهور التابعين المجاهدين إلى جمهور من المعجبين عُبّاد البطولة . هؤلاء العباقرة يكونون مُهَيّئين للأمراض الخلقية والعصبية . ومن السهل أن تنقلب عبقريتهم إلى جنون ، لأن كلا من العبقرية والجنون يقوم على الاضطراب أو عدم الاتزان فى التكوين العصبى .

(٢) والمزاج العصبى ليس فى حد ذاته مرضا ؛ والأمر فى ذلك يتوقف على كيفية اصطناعنا إياه . ففى الأسرة العصبية يكون كلا الأبوين فى حالة توتر . أما الأبناء فمنهم من يصير فنانا ، ومنهم من يصير مصابا بمرض عصبى ، ومنهم من يصير شاعرا يُقدم على الانتحار ، ومنهم من يصير مدمنا على الخمر ، ومنهم من يصير ناسكا أو راهبا . وقد يكون صاحب المزاج العصبى مرهف الحس بمآسى الحياة ومتاعبها ، ولكنه يكون فى الوقت نفسه مرهف الحس بمسرات الطبيعة ومباهجها . على حين أن صاحب المزاج البلغمىّ لا يتلقى هذه الأمور إلا بفتور يشبه بلادة البقر . ولئن كان العصبيون بمثابة الأوانى الخزفية فى هذه الدنيا فإنهم أيضا بمثابة الملح الذى لا غنى عنه . وكثيرا ما يكون فى العصبى عبقرية كامنة .

وبالإضافة إلى المزاج العصبي فإننا نرث الغرائز كذلك . وهى المادة الأولية الأساسية فى تكوين الخلق ، لأن المؤثرات البيئية لا يمكن أن يكون لها أى تأثير فى حياتنا إذا لم توجد الغرائز التى تنبعث لملاقاتها ، فامتزاج العوامل البيئية بالغرائز الموروثة أمر جوهرى لحدوث الخبرة[١] .

وأهم ما يعنينا من الغرائز هو غريزة الخوف والهرب ، والغريزة الجنسية ، والاستطلاع ، والوالدية ، وغريزة القطيع أو الغريزة الاجتماعية ، وحب الظهور ، والمقاتلة ، والسيطرة ، والطمع . وليس فى نيتنا أن نتناول طبيعة الغرائز ، ولكن ما سنعرض له من البحث يستلزم أن نذكر بعض خصائص الغرائز بوجه عام فيما يلى : —

(١) إن الغرائز تورث ولا تكتسب . والحق أن هذا هو وجه الاتفاق الوحيد بين جميع تعاريف الغريزة أو السلوك الغريزى ؛ فلا يمكن والحالة هذه أن نُعتبر مسئولين عما ورثناه .

---

(١) يثور الجدل فى هذه الأيام حول طبيعة الغرائز وماهيتها ، ويدور البحث فيما إذا كانت هناك غرائز كتلك التى نعرفها ، أو أنه ينبغى أن يقتصر الكلام على النشاط الغريزى أو السلوك الفطرى فى جملته ، وسوف نعتمد فى هذا الكتاب على رأى الكثرة من علماء النفس ، فنعترف بوجود غرائز فطرية تدفع إلى السلوك الغريزى وفوق هذا فإننا سوف نتبع تقسيم « مكدوجل » للغرائز الأولية ، ذلك التقسيم الذى عرضه فى كتابه « علم النفس الاجتماعى » لما فى اتباعه من تسهيل البحث . [المؤلف]

ملاحظة :

وعلى خلاف ما ذكر المؤلف تدور المباحث الحديثة حول التمييز بين الغريزة والنشاط الغريزى، أو بين الغريزة والسلوك الغريزى، دون اهتمام بمحاولة التمييز بين النشاط الغريزى والسلوك الغريزى . وقد نشرت مناقشات لفكرة الغرائز اشترك فيها « ثورنديك » و « برت » و « بير » و « فلوجل » و « دريفر » فى خلال السنوات العشر الأخيرة على صفحات المجلة البريطانية لعلم النفس التعليمى وخلاصتها تدعو إلى زيادة الإيمان بفكرة « مكدوجل » فى جملتها . [المراجع]

(٢) وكل فرد لديه جميع الغرائز، إذا استثنينا ضعفاء العقول. وكثيراً ما يقال عن أحد الناس: «إنه مجرد من الخوف»، وعن إحدى النساء: «إنها مجردة من الغرائز الجنسية»، وقد يكون هذا القول صحيحا طالما كانت غرائزها لا تُفصح عن نفسها فى الحياة الشعورية، فتخفى معرفتها على الناس. ولكن جميع الغرائز على الرغم من هذا موجودة، وهى فعّالة فى كل حياة عادية. وقد يظهر تأثيرها فى المسلك بصور مُقنّعة خادعة، كما يظهر الخوف الذى يكبته أحد الناس بإسرافه فى ادعاء الشجاعة، وكما تكشف إحدى النساء عن تطلبها الجنسى بإظهار احتشامها، وقد يؤدى كبت الغرائز إلى ظهور الأمراض العصبية والخلقية. وفى مثل هذه الحالة يمكن بواسطة التحليل النفسى أن يُزال عنها الكبت، ومن ثم تظهر، وتبدو واضحة فى الحياة الشعورية.

(٣) ولئن كان من الأمور المحققة وجود الغرائز لدى كل فرد عادى، فإن وجودها بدرجات متساوية عند كل فرد مسألة أخرى. والأمر الذى يشوق بحثه بصفة خاصة، هو معرفة ما إذا كان هناك فرق بين الذكور والإناث فى ميزان الغرائز، وما إذا كان تفوق الرجال على النساء يعتبر أمراً «طبيعيا» غريزيا.

ومع ذلك، فكثيرا ما وُجد عند ظهور غريزة ما — كالمقاتلة أو التملك مثلا — بقوة زائدة، وُجِد أن رجحان هذه الغريزة لا يرجع إلى أنها قد ورثت هكذا راجحة القوة، بل يرجع فى الحقيقة إلى أنها قد أُنميت إنماء زائدا فى عهد الطفولة. ومن المرجح أن تكون غرائز التملك على درجة واحدة من القوة عند صاحبة فندق صغير فى مدينة «بريتون» وعند قاطع الطريق فى «البلقان». ولكن ما هو محقق من أن الغريزة الاجتماعية عند صاحبة الفندق وغريزة المقاتلة لدى قاطع الطريق قد أُنميت كلتاهما بدرجة أكبر، من المرجح أن يكون ذلك راجعا إلى التمرين المبكر، وإلى مقتضيات الحرفة من

كليهما . والظروف التي تنمّى غريزة التملك في طفل معين ، وغريزة حب الظهور في طفل آخر ، مكوّنة ما نسميه « اتجاه ميل » الطفل ، هي ظروف عارضة أو طارئة في عهد الطفولة إلى حد كبير . ولكن الغريزة إذا أُنميت على هذا النحو في عهد الطفولة ، فمن الأهمية بمكان أنها يجب أن يُعبّر عنها تعبيرا تاما وتستخدم استخداما كاملا في مستقبل حياة الفرد . إن الطفل الذي تكون نزعة حب الظهور قوية لديه لا يمكن أن يجد سعادته في العمل بأحد الدواوين ، كما أن الشاب الذي تكون غريزة التملك قوية عنده يلازمه سوء الطالع إذا جعلنا منه فنانا مُفلسا .

وعلى الرغم من النمو الخاص الذي يحدث للغرائز تحت تأثير الظروف البيئية ، فإنه من المرجح — من جهة أخرى — أننا كما نولد بأمزجة مختلفة ، نولد كذلك بغرائزنا وهي على درجات من النمو متفاوتة . فإذا ارتبطت المقاتلة والغضب بإفراز الغدد الأدرينالية ، وارتبطت الغريزة الجنسية بالحويصلات المنوية أو بالغدد التناسلية ، كان من المحتمل جدا أن تختلف هذه الغرائز في قوتها على حسب اختلاف تكوين تلك الغدد . وهناك أنماط معينة من الناس ترجع قوة غريزة المقاتلة أو الغريزة الجنسية لديهم إلى « المزاج » أي إلى تكوينهم الفسيولوجي ، بينما يرجع السبب في قوة هاتين الغريزتين أو ضعفهما عند أنماط أخرى إلى ما للظروف البيئية وتجارب الطفولة من الأثر في نموهما .

(٤) وكل غريزة تتجه إلى غاية بيولوجية معينة : فغريزة الهرب تتجه إلى المحافظة على النفس ، والغريزة الجنسية إلى التناسل ، وغريزة الأمومة إلى العناية بالصغار ، وغريزة الاستطلاع تتجه إلى اكتشاف كل غريب لاتقاء الخاطر . وقد أوضح « مكدوجل » أن الغرائز قد يعاد توجيهها إلى غايات أخرى أرقى ، وهذا ما سيتناوله حديثنا عن الإعلاء فيما بعد .

(٥) ومع أن هذه الغرائز تكون مُستجنّة ساعة الميلاد ، فهى عندئذ لا تكون فى حالة نشاط ، وإنما تظهر وتصبح فعالة فى أعمار معينة . وقد ظهرت الغرائز فى أثناء تطور الجنس البشرى لمواجهة مطالب معينة ، ولتلبية حاجات بيولوجية خاصة . وكل فرد يتطور كما يتطور الجنس ، مبتدئا من ذرة « البروتوبلازم » مارًا بجميع أدوار النمو حتى يبرز إلى الحياة فى صورة مستقلة ساعة الميلاد ، ثم يسلك بعد ذلك بقية مراحل النمو فى أناة وريث . وكل غريزة تظل كامنة فى الفرد إلى أن يحين أوان ظهورها على مسرح الحياة الشعورية ، حيث تنشط فى التسلط على المسلك ، وفى تقرير الُخلق ، فى حيزها المعين .

فالطفل تتملكه غريزة الصيد فى دور من أدوار حياته ، ويتملكه الشغف بالحيوان الأليف فى وقت آخر ، وهما من الغرائز الموافقة لدور التنقل والجولان فى تطور الجنس . وهذا يمهد السبيل فيما بعد لظهور الميل إلى الجمع والتملك الذى يلائم دور الحياة الزراعية المستقرة . وبينما نجد الطفل يندمج فى مجموعة من الأطفال فى إحدى السنين ، نراه فى سنة أخرى يهجر رفاقه ساعيا للحصول على لباس جميل . وفى كل دور من أدوار الحياة تتفجر الاندفاعات الجديدة للعمل والنشاط[1] .

---

(١) يبدو من هذا أن المؤلف يؤمن بالنظرية التلخيصية كما وضعها « ستانلى هول » وسماها نظرية تلخيص الحضارات Culture Epoch Theory وهذه النظرية تستند على نظرية التلخيص البيولوجى للجنين الإنسانى وهى التى أشار إليها المؤلف فى الفقرة السابقة . وقد كان لنظرية « ستانلى هول » آثار بعيدة المدى فى أوائل القرن الحالى غير أن الاهتمام بها قد فتر كثيرا فى السنوات الأخيرة . والسر فى هذا أنه كان ينظر إليها على أنها نظرية تفسر الحوادث . ولكن النظر إليها أصبح مقصورا على أنها ملاحظات طريفة تنطوى على أن المراحل السيكولوجية للفرد يقابلها إلى حد ما مراحل نمو الحضارة البشرية . والمسألة لا تعدو أكثر من هذا [المراجع] .

ولئن كان لكل غريزة مجال نشاط معين عندما تتسلط على الشخصية كلها ، فالغرائز جميعها تجد فى « اللعب » ، فى عهد الطفولة ، أحسن ميدان للتعبير عن نفسها . ويفسّر اللعب غالبا بأنه مُتنفَّس النشاط الزائد أو مَفيضه، ولكن وظيفته هى إعدادنا للحياة . فلعبة التعمية يستخدم فيها اللعب للتعبير عن غريزة الصيد ، وهى تعدّنا لمقاصد أرقى فى مستقبل الحياة . ونحن نلعب بالعرائس لنعد أنفسنا للأمومة ، كما نصطنع ألعاب القرصنة والاختطاف لنعد أنفسنا لمعركة الحياة .

ونستطيع أن نقول باختصار : إن الغرائز هى المادة الأولية فى بناء حيواتنا وأشخاصنا ، وإنها هى المواهب التى منحناها ؛ وهى قليلة الغناء فى حد ذاتها ولكنها عميمة النفع من حيث الأغراض التى قد تُوجَّه إليها . وما دامت موكَّلة بالنشاط الانفعالى فهى القوى الديناميكية التى لا يقتصر عملها على شحذ الأهواء وإنمائها ، ولكنه يتعدى ذلك إلى شحذ الإرادة وتقويتها أيضا .

ملاحظة :

لقد بذلت محاولات شتى لتفسير الحياة على ضوء هذه الغريزة أو تلك ، من الغرائز المعروفة .

فنجد المدرسة الفرويدية للتحليل النفسى تصب كل اهتمامها على الغريزة الجنسية . وقد توسعت فى استعمال اصطلاح « الجنس » حتى جعلته يشمل كل أشكال الإمتاع . والواقع أن الاصطلاح « جنسى » قد جُعل — فى أكثر الأحيان — مرادفا للذة والإمتاع الحسيين . وسوف نبين فيما بعد معنى اللذة ، وسوف نرى أنه يصاحب التعبير عن كل غريزة من الغرائز ، لا الغريزة الجنسية فحسب . ولئن كان أتباع مدرسة « فرويد » قد أسرفوا

فى تأكيد العامل الجنسى فى الحياة فإنه يتبقى بعد هذا أن تكون الناحية الجنسية هى الوظيفة الأولى للطبيعة على اعتبار أن التناسل غايتها الهامة .

ويصر البيولوجيون المحدثون على تأكيد أهمية قانون « التنازع على البقاء » أو « الكفاح للبقاء » وقانون « البقاء للأصلح » حتى غلب علينا الاعتقاد بأن « المحافظة على النفس » هى قانون الحياة الأوحد ، وأنه الدافع الذى تتسم به حياة الناس ومسلكهم فى هذه الحياة . وقد كان تأكيد المبدأ الجنسى أو مبدأ الحب فى الحياة ردّ فعل لآراء البيولوجيين المتطرفة فى النشوء والارتقاء . وقد ساعدتنا آراء « فرويد » على التحرر من تلك الآراء .

وقد أثبت « ترُوتر » أن غريزة القطيع هى وحدها التى تسيطر على مسلكنا وتؤثر فيه ، كما يرى « فرويد » أن الغريزة الجنسية هى المتسلطة المؤثرة .

ويرى « أدلر » أن أية غريزة لا يمكن أن تبقى بلا قيادة ترتبط بها . وقد برهن على أن جميع الأمراض العصبية تحدث نتيجة للنمو الزائد فى النزعة « الذكرية » أو غريزة حب السيطرة كما يجب أن نسميها ، باعتباره تعويضا عن نقص جسمى .

أما مدرسة « يونج » فيظهر أنها توفق بين آراء فرويد وأدلر ، وذلك بما تقرره من وجود غريزتين هما « القوة » و « الحب » ؛ وهما فى الواقع أعظم مبدأين فى الحياة وإن لم يكونا كل ما فيها من الغرائز .

على أن هذه المحاولات التى جهدت فى تفسير الحيـاة وتعليل انحرافاتها على ضوء هذه الغريزة أو تلك ، قد كتب عليها الإخفاق من الناحيتين النظرية والعملية . إن محاولة تفسير حقائق الحياة على ضوء غريزة واحدة

من الغرائز ، معناه ، من الناحية النظرية ، قلب كثير من الحقائق حتى تلائم التفسير . مثال ذلك ما يذكره لنا أحد « الفرويديين » من أن الناس لا يخافون مناطيد « تسپلن » بسبب الخطر الذى تعرض حياتهم له ، ولكنهم يخافونها لأنها رمز لصورة العضو الذكرى ، يمثل الرغبات الجنسية . وما يقوله لنا أحد أصحاب نظرية « المحافظة على النفس » من أن الأم تعنى بطفلها لأنها تنظر إلى ما ستكون عليه فى شيخوختها من الحاجة إلى هذا الطفل ، ومن أنه سيحميها من غوائل الحياة وقتذاك . أما من الناحية العملية فإننا نجد أن الاختلالات العصبية ربما تحدث نتيجة لعدم التوافق فى أية نزعة من النزعات الغريزية ؛ فالحروب بما تحدثه من صدمات عصبية قد أوحت إلى البيولوجيين أن هذه الصدمات تتصل أولا وقبل كل شيء بغريزتى المحافظة على الذات والخوف . ومن المرجح فى الوقت نفسه أن نجد أكثر أنواع العُصاب النفسي فى الحياة المدنية (وقت السلم) و بخاصة عند النساء ، ترجع إلى ما يعتور الغريزة الجنسية من الاضطرابات الانفعالية التى تحدث نتيجة لما لهذه الغريزة من قوة عارمة ، ولكثرة ما يصيبها من الكبت من دون الغرائز الأخرى . ونجد إلى جانب هذا أن أغلبية الرجال — دون النساء — يكون الصراع عندهم أكثر اتصالا بغرائز السيطرة والطمع والقوة ، مما يؤيد نظرية « أدلر » فى النزعة الذكرية . ثم إن هناك رأيا آخر ينادى بأن تكون غريزة القطيع هى المسئولة عن أكثر الاعتلالات العصبية منذ أن أصبح كبت الغرائز راجعا فى أغلب الأحيان إلى مُواضَعات القطيع ومبادئه وتقاليده وأوامره ونواهيه .

العـــامل البيئى

لاحظنا أن الصفات الخلقية عند الفرد وبخاصة ما يتعلق منها بالأمراض العصبية والخلقية ترجع أولا وبالذات إلى ظروف البيئة الأولى . وقد تنشأ هذه الصفات بسبب حادث واحد ، أو نتيجة لجو فاسد غير صالح .

وغير خاف أن تجربة واحدة من تجارب الحياة قد يكون لها من التأثير الخطير ما يغير موقفنا من الحياة تغييرا شاملا ، ويبدل خلقنا تبديلا كاملا .

وما نلاحظه على بعض الناس من مظاهر الكآبة والشعور بمرارة الحياة ربما يرجع إلى فشل أو خيبة أمل . والتهجم الجنسى إذا صدر عن الإنسان أو وقع عليه ربما يُسبب الجبن أو الهستريا أو البرود الجنسى . ومثل هذه الأحداث بنوع خاص تؤدى إلى حالات الشذوذ المزمن إذا وقعت فى عهد الطفولة وكتب عليها الكبت والنسيان بصفة خاصة .

ولكن الجوّ العامّ الذى يعيش فيه الطفل فى سنواته الأولى ، وما يشيع فيه من الحوادث الكثيرة التافهة ، أهمّ بكثير من حادث واحد معين ؛ فقد يؤدى إلى أن يتكون لدى الطفل اتجاه خاطىء نحو الحياة أو نحو نفسه . ومعنى هذا أن حالات الشذوذ العقلى يسببها الجو العام للطفولة أكثر مما تسببها أية صدمة واحدة معينة . وتباشر هذه المؤثرات عملها فى العادة ، عن طريق الإيحاء .

إن التجارب الشاذة فى عهد الطفولة ، مهما يكن سببها حادثة واحدة معينة أو جوا غير طبيعى ، قد لا يكون لها تأثير سىء مباشر ، ولكنها تترك أثرا على أى حال ، وتحدث عقدة تستقر كامنة إلى مستقبل الحياة ؛ عند ذلك يكون لما يجدّ من الصدمات أو العقبات التى لا تكفى فى حد ذاتها لإحداث

عصاب نفسى ، أثر فعالٌ فى بعث العقدة فى صورة مرض خلقى أو مرض عصبى .
هذا الرأى يتفق تماما مع مايراه المشتغلون بالطب النفسى من أن جميع الاختلالات العصبية الوظيفية — كائنة متى كانت — كانهيار الفتاة فى الثامنة عشرة من عمرها ، أو المرأة فى سن الثلاثين ، أو رجل الأعمال أو المشتغل بمهنة ما فى سن الخامسة والخمسين — إنما تغرس بذورها فى عهد الطفولة . فتجارب عهد الطفولة هى التى تمهدنا لانهيار الأعصاب والخلق فى أدوار الحياة المتأخرة .

وترجع أهمية السنوات الأولى من الحياة إلى ما يكون للعقل والمخ فى عهد الطفولة من شدة القابلية للتأثر . وأعمق الآثار وأبعدها أرسخها جذورا وأشقها اقتلاعا . فالطفل يتقبل الأفكار ، عن طريق الإيحاء ، بلا مناقشة أو نقد . وهو يتأثر بصفة خاصة بما يوحى إليه أبواه به ، فيسلك سبلهما فى الأقوال والأفعال ، وينفعل بنفس انفعالاتهما مستجيبا لنفس المؤثرات التى تثير فيهما الانفعالات . فإذا كان الطفل ووالده فى حضرة مريض ، فإن الطفل يراقب أباه ، ويقف موقف الأب من المريض سواء أكان موقف عطف أم موقف تقزز . ويسلك فيا بعد على حسب الموقف الانفعالى الذى سلكه أبوه من قبل . ومع هذا قد يكون للإيحاء تأثير إيجابى أو تأثير سلبى . فالإيحاء بنار الجحيم لإشباع الطفل بالرهبة الدينية ربما ينتهى بالطفل إلى تحدى الدين ، أو ربما يبعث فى نفسه التحرج الدينى الذى يُظن فيا بعد أنه تدين فى حين أنه يكون ورعاً زائفا .

ونحن فى عهد الطفولة لا نكون قد أعددنا — بعدُ — لمواجهة الحياة ، ولا للاستجابة الملائمة لها . عندئذ يكون موت الأم خسارة لاتعوض وكارثة لا تحتمل بالنسبة للطفل . أما فيا بعد الطفولة فإنه يتعلم كيف يستجيب للقدر المحتوم ، ويستطيع أن يواجه هذه الأمور بجنان أكثر اطمئنانا ، وثقة بالنفس أشد .

ونحن فى عهد الطفولة نكوّن موقفنا العام تجاه الحياة . ففى الطفولة الأولى نكوّن صورا ذهنية عن الحياة ، كأن نشعر بأن الحياة ميسّرة ، أو أن الناس يميلون إلى الكراهية والاعتداء ، أو أن العمل الصالح يعود على الإنسان بالخير ، أو أنه لا دوام لنعيم . وبعد هذا العهد تمر بنا تجارب جديدة كثيرة ، ونقف على حشود من جديد الأفكار والآراء ، ولكن موقفنا العام من الحياة فى عهد الطفولة هو الذى يلوّن حياتنا كلها فيما بعد ذلك العهد . إن جو طفولتنا هو الذى يقرر ما سيكون عليه موقفنا من الحياة فى المستقبل ، من تشاؤم أو ثقة أو تساهل أو رُواقِيّة أو سيطرة أو حقد أو تخاذل أو تحذلق . ونجد أننا فى مثل هذه الأحوال ربما نقف من الحياة عندما يكتمل نمونا ، موقفاً ربما كان من المواقف الطبيعية المحتومة فى مجرى حوادث عهد الطفولة ، ولكنه لا يلائم بيئتنا فى عهد البلوغ . فالرجل الذى نشيع بالحسد والبغض فى صغره ، يسلك فى الكبر هذا المسلك مهما يكن الجو المحيط به مشبعا بالسماحة والإحسان ، ويظل متشككا بين خير الأصدقاء . وعندئذ نقول عنه إنه معوّجّ الخُلق .

ثم إننا فى عهد الطفولة نكوّن « **موقفنا تجاه أنفسنا** » ، ذلك الموقف الذى يفوق موقفنا تجاه الحياة من حيث الأهمية . ففى هذا العهد يظهر عندنا « **الشعور بالذات** » أولا . والصورة الذهنية التى نتصورها عندما نلمح أنفسنا لأول مرة تبقى ملازمة لنا فى أثناء الحياة ، وتلوّن الخلق بالسوىّ وغير السوى من الألوان . وهذا ما سنشير إليه عند ما نتحدث عن التوهم .

إن المؤثرات البيئية فى عهد الطفولة على درجة كبيرة من القلة والبساطة . وهى تصدر فى الغالب عن أعضاء الأسرة والمحيط المنزلى . وكثيرا ما يقال ،

فيما يتعلق بنظرية الوراثة ، إننا ننشىء أبناءنا أحيانا فى ظروف بيئية واحدة ، ومع ذلك فإن أخلاقهم تختلف . ويوضّح هذا بأن وضع الطفل فى الأسرة من حيث كونه أكبر الأبناء أو أصغرهم له أهمية كبرى كما سنرى . فإذا نُشّىء ثلاثة من الأطفال تحت ظروف بيئية واحدة ، واختلفوا فى الُخلق ، فليس معنى ذلك أن الاختلاف فى الخلق يرجع إلى فروق ذاتية داخلية ، ولكن معناه أن الاختلاف يرجع إلى الظروف البيئية الخارجية التى تبدو واحدة فى ظاهرها ، وهى مختلفة فى الحقيقة وواقع الأمر . والحق الذى لاشك فيه أن أحد هؤلاء الأطفال الثلاثة أكبر الأبناء فهو يلعب دور الأم ، وأن أحدهم أصغر الأبناء فهو يعامَل معاملة الوليد من قبل الآخرين ، ومعنى هذا أن المؤثرات البيئية التى أحاطت بنشأتهم متباينة تماما . ونستطيع أن نقول مثل هذا القول فيما يختص بالناحية الجنسية : إذ أنه لما كان الوالد أشد ميلا إلى البنت وكانت الأم أشد ميلا إلى الولد ، فإن البنت ينمو عندها تعلُّقها بأبيها ، والولد ينمو عنده تعلقه بأمه . وما عقدة « أديبوس » إلا نتيجة لأمثال هذه الظروف البيئية ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من العقد .

ولما كانت الظروف البيئية فى عهد الطفولة الأولى هى السبب فى كل ما يظهر على خلقنا من الشذوذ فى مستقبل الحياة ، فإن خير وسيلة لتفهم المشكلات المعقدة فى سيكولوجية البالغين ، هى أن نرتد بها إلى عهد الطفولة حيث يمكن الوقوف على طبيعتها .

الفصل الثامن

الاسس البيولوجية للسلوك ووظيفتها
في بناء تصور مادي لطبيعة الانسان

الانسان كائن بيولوجي نفسي :

عندما نتعمق في دراسة الانسان من الناحية البيولوجية انما نعمق من تصورنا النفسي له . فكما ذكرنا في الفصل السابق ،ان طبيعة سلوك الانسان المعقدة واتساع علم النفس تفرض على الدارس الدخول في مجال علم الاحياء ، ونزيد على ذلك هنا بأن علم النفس ذاته يعتبر من الناحية العلمية من فروع علم الاحياء. ذلك بأنه عندما انفصل عن الفلسفة واتخذ الطريقة العلمية التجريبية له منهجا ، "كفله "علم البيولوجيا باعتباره أحد علوم الحياة Sciences of Life . ويؤكد ذلك أن مؤسسي علم النفس بمفهومه التجريبي (الأمبيريقي) العلمي empirical كلهم من علماء البيولوجيا والعلوم الطبيعية من أمثال هلمهولتز Von Helmholz وفيبر Weber وفخنر Fechner وفوندت Wunt ومولر Muller .

ومنذ ذلك الحين والى يومنا هذا ، وعلم النفس العلمي Scientific Psychology ، كما سنرى فيما سيأتي ،أصبح له أرض مشتركة مع علم الاحياء . فابحاث فسيولوجية الجهاز العصبي والدماغ والحواس والجهاز الهورموني في علم الاحياء لا تكتمل صورتها الا بدراسة العوامل النفسية والسلوكية للانسان . وفي المقابل ،فان مفاهيم علم النفس في بعض الميادين مثل التعلم والدوافع وعلم نفس النمو لا تتم الا في اطار المكونات البيولوجية للسلوك والعوامل العضوية والوراثية لظاهرة النضج . هذا وكلما اتجه علم النفس نحو الجوانب الاجتماعية والحضارية بعد عن هذه المظله البيولوجية .

وسوف نتعمد التفصيل فى بسط الأسس البيولوجية للسلوك الانسانى لأهمية هذا الموضوع بالنسبة "لعلمية "علم النفس وفلسفته الحديثة وتصوره لطبيعة الانسان . فالجانب البيولوجى هو أهم الركائز التى يتخذها دعاة "العلمانية " فى بلادنا لاعطاء علم النفس الغربى صبغة العلم التجريبى البحت ، تماما كالفيزياء والكيمياء، ذلك حتى لا يخضع لتمحيص الفكر الاسلامى وتأثيره . بالاضافة الى ذلك ، فان الدلائل تشير الى أن هذا الجانب البيولوجى سيكون له تأثير متزايد فى مستقبل علم النفس .

ماهى طبيعة الانسان البيولوجية المادية وما قيمته اذا نظرت اليه فقط من هذه الزاوية المحدودة؟ لحم وشحم ودم وعصب ! ... لا يختلف كثيرا عن بقية الحيوانات الثديية . وتقل هذه القيمة اكثر فأكثر كلما ازددت تحليلا لجسمه الى مكوناته الأولية . ماء وكربون ومواد زلالية آزوتية وأملاح ونذر من المعادن . هو ابن الأرض حقا ، من عناصرها خلق وفيها يعود ومنها يبعث تارة أخرى ...

أذكر بهذه المناسبة محاضرة طريفة قدمها استاذ متخصص منذ حوالى ثلاثين عاما فى جامعة بيروت الاميركية ، تحدث فيها عن "ثمن" الانسان من الناحية المادية البحته . فكان يقول مثلا يحتوى جسم الانسان عددا محدودا من زجاجات الماء وكمية ضئيلة جدا من الأملاح المعدنية ، فيها قدر معين من الفسفور يكفى لعود كبريت واحد وكمية من الحديد قد تصنع مسمارا ، وقدر كذا من الكالسيوم الذى يصلح لدهن حائط بالجير وقليل من الكربون الذى يمكن استخدامه فى صنع حجارة البطاريات الصغيرة !

واستنتج المحاضر من كل ذلك أن ثمن الانسان لايزيد على ربع دولار! ولا شك أن ثمنه الآن قد زاد مع التضخم المالي المعاصر. فزجاجة المياه المعدنية الواحدة بمفردها يقرب سعرها من الدولار!

معجزة "تقنية" الجسم الانساني:

لكن هذه المواد العادية الرخيصة التي لايؤبه بها تكوّن احدى أعظم معجزات الله في خلقه . فجسم الانسان آية من آيات الله في كل جهاز من أجهزته أو نسيج من أنسجته أو عضو من أعضائه أو حتى خلية من خلاياه.

ومن العجيب ان الانسان ليبدي اعجابه الشديد بالمباني الضخمة والكباري المعلقة والطائرات التي تكسر حاجز الصوت والغواصات التي تجوب قاع البحار وكلها لا تساوي في دقتها النشاطات المعجزة التي تقوم بها خلية واحدة من خلاياه . بل ان الغالبية العظمى من الناس لا تلتفت بما يجري داخل اجسامهم الا اذا اصيبت بمرض او اضطراب ما . عندئذ تجد الاهتمام الشديد بضغط الدم ونسبة السكر فيه ، او بنشاط الكلى ونمو العظام وشفاء الجروح .

فمن الناحية التقنيه البحتة يعتبر الجسم آلة فريدة في دقة صنعها وتكاليف تشغيلها وكفاءتها . الجسم لايحتاج منا في اليوم والليلة غير لقيمات بسيطة وشربة ماء وسقف يقيه الحر والبرد ، ثم يعيش بعد ذلك السنوات الطوال دون حاجة الى خدمات أو قطع غيار ولا حتى الى ادنى مراقبة من صاحبه لأجهزته الداخلية الحيوية التي يحميها ذلك البرج المتين المسمى بالهيكل

العظمى . وكلما قمت بتشغيل "هذا الجسم وأجهاده باستخدام بعض عضلاته المتنائه [1] فى تحريك مايمكن تحريكه من هيكله العظمى المكون من ٢٠٦ [2] عظمه ، ازداد قوة ومناعه !

معجزة الهضم :

هذه اللقيمات التى تطعمها بدنك من ناحية شكلها أو لذة طعمها سواء كانت جامدة أو سائله أو بين هذا وذاك ، فان الجهاز الهضمى يقوم بتفاعلات كيمائية غاية فى التعقيد والدقة لتفتيتها كيمائيا ، وهى العمليات التى يطلق عليها اصطلاحا (الهضم) . وتتم هذه التفاعلات المعقده بمرور الطعام خلال ذلك الانبوب المعجز الذى يمتد مسافة عشرة امتار [3] من الفم الى الاست ، معظمه متعرج وملتوى حول نفسه . فرغم أن الطعام الذى نأكله يحتوى على انواع لا نهائية التنوع من الناحية الكيمائية فان الجهاز الهضمى يقوم فى النهاية بتحويلها الى مواد كيمائية بسيطة يحتاجها الجسم للطاقة والوقود أو لبناء خلايا جديدة للجسم . وتبقى بعد ذلك نفايات يتخلص منها الجسم بالطريقة المعروفة . ان تدبر خلق الله فيما آتانا من علم محدود عن عمل هذه القناة الهضمية وما تفرزه من عصارات وانزيمات هاضمه ، سواء تلك التى تخرج من غدد المعده والامعاء او تلك التى تفرزها الغدتان العظيمتان المعروفتان بالكبد والبنكرياس ، اللتان تصبان داخل هذه القناة لأمر يدعو للاعجاب والخشوع الحق . كما تدعونا للتأمل والخشوع عمليتا التصفية والامتصاص التى تتم خلال الزوائد المخملية للامعاء وما يتبعها من تفاعلات التمثيل الغذائى للاحماض الامينية البروتينية وتفاعلات الاحتراق الداخلى لسكر الجلوكوز وللدهون .

---

(1) عبد المنعم عبيد ، كتاب المعرفة "جسم الانسان" الطبعة الثانية ، ص ٢٩ .
(2) المصدر السابق ص ٣٨ .
(3) ألان نوس ، جسم الانسان ، مكتبة لايف العلمية ، ١٩٦٤ ، ص ١٠٠ .

ذلك بأن جميع انواع البروتينات التي نأكلها تتحول في النهاية الى احماض امينيه كما تتحول جميع السكريات والنشويات بعد هضمها الى سكر الجلوكوز.

ففي معجزة التمثيل الغذائي يخرج الله الحي من الميت . فالجسم في حاجة مستمره الى تجديد خلاياه او للنمو بالنسبة لصغار السن . وتتم عملية اعادة بناء الخلايا في بعض اجزاء الجسم بصورة مذهلة حقا . فالجهاز الهضمي ذاته تتجدد بطانته الداخلية من الخلايا مرة كل ثلاثة ايام (١) .

أما في آية الاحتراق الداخلي فيخرج الله الحرارة والطاقة اللازمة لنشاط الجسم وحيويته من سكر الجلوكوز والدهنيات عن طريق تفاعلهما مع الاكسجين .

تنتج عن عمليات الاحتراق الداخلي والتمثيل الغذائي مواد سامة في غاية الخطورة على الجسم أن بقيت فيه . فالاحتراق الداخلي يخرج ثاني اكسيد الكربون والتمثيل الغذائي يخرج مادة الامونيا (والنوشادر) السامة التي سرعان مايحولها الكبد الى مادة البولينا التي يجب على الجسم أن يتخلص منها أيضا .

---

(١) آلان نوس ، المصدر السابق ، صفحة ١٠٠ .

الدورة الدموية والتنفس والاخراج :

تبين لنا أن حاجة الجسم الى الاحتراق الداخلى والتمثيل الغذائى أمر حيوى ، بل هى الحياة بذاتها ، كما وأن عدم قدرته على التخلص من نفايات هذه العمليات فيه النهاية الحتمية لحياته ، بل هو الموت بعينه .

والآن نتساءل كيف يصل غاز الاكسجين الذى نتنفسه من الهواء منذ الولادة حتى الموت ـ وكيف تصل مواد الطاقة والوقود من سكر ودهنيات والمواد الزلالية اللازمة للبناء والانشاء لجميع خلايا الجسم المتفرقة . وكيف تجمع النفايات كثانى اكسيد الكربون والبولينا من الخلايا وكيف يتخلص الجسم بعد ذلك من سمومه ؟

تفكر ان شئت فى دورتك الدموية وفى القلب وفى الرئتين . ورغم أنه ليس لدينا متسع لتفصيل القول عن هذه العمليات المذهلة ، الا أننا نقول باختصار انه قد اصبح من الشائع المعلوم أن جسم الانسان البالغ يحتوى على مايقرب من ستة لترات من الدم . وهو يتكون من سائل باهت اللون فى لون القش يسمى بالبلازما تسبح فيه حوالى ٢٥ بليون [١] من خلايا او كرات الدم الحمراء وعدد اقل من ذلك بكثير من كرات الدم البيضاء بانواعها المختلفة . ويأتى لون الدم من الكرات الحمراء التى تحتوى على مركب حديدى يسمى بالهيموجلوبين له خاصية هامة . فهو يستطيع التقاط مايزيد عن نصف وزنه من الاكسجين ، وتتم هذه العملية ببساطة عند تعرض خلايا الدم الى غاز الاكسجين . كما يستطيع هذا المركب ان يفقد الاكسجين بنفس السهولة ويمتص ثانى اكسيد الكربون اذا مر الدم بالأنسجة والخلايا المحتاجه للاكسجين والمحتاجة كذلك للتخلص من ثانى

---

(١) عبد المنعم عبيد ، مصدر سابق ، ص ٦٤-٦٥
آلان نوس ، مصدر سابق ، ص ٩٢-٩٣ .

اكسيد الكربون . اما خلايا الدم البيضاء فمهمتها الاساسية هي محاربة البكتريا والجراثيم الضارة التي تدخل الجسم .

اذن فالدم يزود كل خلية في الجسم بالاكسجين والغذاء ويخلصها من ثاني اكسيد الكربون ومن مخلفات التمثيل الغذائي الضارة . فيحمل الهيموجلوبين ثاني اكسيد الكربون الى الرئتين حيث يحيط الدم بملايين الحويصلات الهوائية الرطبة بشعيراته الدموية الدقيقة فتحدث واحدة من اعظم عمليات التبادل الحيوية واكثرها مدعاة للتأمل في خلق الله . يتخلص الدم من ثاني اكسيد الكربون ويستلم الاكسجين .

يقول الدكتور خالص جلبي عن آية التنفس في الانسان مايلي :

"... بهذه الكيفية السحرية يتنفس الانسان يوميا (٢٣٠٠٠) مرة بمعدل ١٦ مرة في الدقيقة ولا يستطيع ان يبقى بدون هواء أكثر من دقيقتين وتنتفخ اسناخه (اى حويصلاته الهوائية في الرئتين) التي تبلغ ٧٥٠ مليون سنخا والتي تفترش سطحا يبلغ مساحته (٧٠) متر مربع في متوسط الحياة (٢٠٤) مليون مره ، مع العلم انها تنقى الدم بمعدل ٥ ليترات في كل دقيقة !! فتبارك اللهم واهب الحياه ..." (١)

أما نفايات البولينا وغيرها من الاملاح الضارة فيحملها الدم الى أكثر اعضاء الجسم تعقيدا بعد الدماغ (٢) . الى الكليتين . فالشخص الذي يعرف الاعجاز العبقري في خلق الكليتين والمهام الجسام التي تقومان بها في جسم الانسان ، رغم صغر حجمهما ، ثم لا يؤمن بالله ولا تهتز له فريصه ،

---

(١) الدكتور خالص جلبي ، الطب محراب للايمان ، الجزء الأول ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧١م ، صفحة ١٤١ .
(٢) ألان نوس ، مصدر سابق ص ١٢٤ .

انما هو شخص قد اضله الله على علم ! فكما يحدث فى الرئتين يتفرع الدم عند دخول الكلية الى شعيرات ، بل الى مجموعات من الشعيرات تحتوى كل مجموعة منها بدقة غشاء مزدوج يؤدى الى قناة أو انبوب دقيق . وتكوّن كل وحدة من الشعيرات الدموية (الكبيبه) والغشاء والقناة وحده عمل معقده غاية فى التعقيد تسمى الوحده الكلوية ، يوجد فى الكليتين منها زهاء المليونين ونصف المليون [1] . واذا وضعت جميع قنواتها فى أنبوب واحد منبسط لبلغ طوله حوالى خمسة وثمانين كيلو مترا ! [2] ويمر بالكليتين حوالى ٤٠٠ جالون من الدم فى اليوم الواحد [3] .

تنقى الكليتان عن الدم النفايات وتحتفظ فيه بالمواد المفيدة كالسكر والأملاح وباقى الماء ، وتحول البولينا وأملاح الكبريت والفوسفات الى بول يخرج عبر الحالبين الى المثانة .

ومن أراد من غير المختصين أن يرى ما تقوم به الكلية من عمل معجز شاق فليذهب الى احدى المستشفيات المتخصصة ليرى كيف تعمل الكلية الصناعية لتزيل هذه المواد السامه من جسم المريض الذى تعطلت كليتاه .

يعمل هذا الجهاز الضخم جدا بالمقارنة لحجم الكلية مدة ست ساعات متواصلة يدخل فيها دم المريض الى الجهاز ويخرج منه حوالى اربع عشرة مره . وعلى المريض ان يبقى فى المستشفى ليلتين او ثلاث ليال من كل اسبوع . تكلف هذه العملية آلاف الجنيهات فى العام الواحد . ففى مستشفى الملك عبد العزيز الجامعى فى الرياض مثلا يكلف تنظيف دم المريض Dialysis فى المرة الواحدة حوالى الالف ريال سعودى . أى انها تكلف ثلاثة آلاف ريالا فى الاسبوع الواحد و١٥٦ ألف ريالا فى العام . هذا فقط لتكاليف تشغيل الجهاز

---

(١) المصدر السابق
(٢) المصدر السابق
(٣) المصدر السابق

وللمواد المستهلكة ولا تدخل فيه تكاليف الخدمات الطبية والتمريض الباهظة .
كل ذلك كان من الممكن ان يقوم به جزء صغير من الكليه ان بقى للمريض فعالا . اذ كما هو معروف يمكن للانسان ان يعيش بحوالي ١٠٪ من طاقة كليته !

اذن فرغم ان الدم قد يبدو كنهر يجرى بفروعه فى الجسم الا أن الحقيقة هى ان الدم بحر يسبح فيه الجسم ! وكل خلية عبارة عن جزيرة صغيرة يحيط بها الدم وسائله اللمفاوى ليحمل لها الغذاء والاكسجين ويحمل عنها النفايات (١) .

لاشك ان المضخة التى تدفع الدم ليصل الى كل خلية ويندفع خلال كل شعيرة لمضخة تدعو للاعجاب حقا . ذلك بأن شبكة الشعيرات الدموية التى تصل الى كل ركن من أركان الجسم لو وصلت اطرافها فى انبوب دقيق واحد لالتف حول خط الاستواء اكثر من مرتين ! (٢) وقدر بعض العلماء هذه المسافة التى يقطعها الدم داخل اوردة الجسم وشرايينه وشعيراته بحوالى ٩٦,٠٠٠ كيلو مترا (٣) فسبحان الخلاق .

يبدأ القلب الانسانى ضخ الدم قبل شهور من ولادة صاحبه ويستمر فى انقباضه وانبساطه بضرباته المتوالية حتى تفارق الروح جسدها . تبلغ ضرباته حوالى ٦٠ الى ٨٠ ضربه فى الدقيقة الواحده . وينبض فى العام الواحد حوالى ٤٠ مليون مره . يقوم القلب بضخ ٢٢٠٠ جالون من الدم فى اليوم الواحد اى مايقرب من ٥٦ مليون جالون من الدم على مدى حياة الشخص متوسط العمر. كما تمر خلية الدم الواحدة فى الدورة الدموية مايزيد على

---

(١) المصدر السابق
(٢) ألان نوس ، المصدر السابق ، صفحة ٨٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٧٧ .

٣٠٠٠ مره فى اليوم ويعمل القلب فى اليوم الواحد بطاقة تكفى لرفع قاطـرة سكة حديد مسافة ثلاثة اقدام عن سطح الارض ، أو يرفع جسم صاحبه رأسيا الى أعلى مسافة كيلو متر ونصف !! [1]

أى مضخة هذه التى تقوم بمثل هذا العمل الشاق طوال هذه السنوات الطويلة دون كلل او ملل او شكوى ، دون ان تحتاج الى اصلاح أو صيانـة بل انها لتقوم بنفسها ، الى حد كبير، باصلاح مايعتريها من اجهاد أو تلف بسبب اصابة صاحبها بالأمراض المختلفة او الاضطراب الجسمى والنفسى .

لكننا مهما تحدثنا عن القلب من ناحيته الجسمية فسوف نجده لا يعـدو ان يكون مضخة متطورة بالمقارنة لاكثر اجهزة الجسم تعقيدا ودقة . ذلك هـو الجهاز العصبى ومعجزته الخالدة ... الدماغ الانسانى .

---

(1) هذه الاحصاءات عن القلب الانسانى مأخوذه من :
أ ـ الدكتور عبد المنعم عبيد ، المصدر السابق ص ٣٣ ، ٦٥
ب ـ الان نوس ، المصدر السابق ، ص ٧٧ و ٨٦ .

الدماغ : اعظم الآيات في جسم الانسان :

يعتبر الدماغ الانساني بحق اكثر شيء تعقيدا فيما نعرف في كون الله الواسع، فقد استطاع الانسان ان يحطم الذره ويعالج كثيرا من الأوبئة الخطيرة التي كانت تحصد الناس حصدا ، وأن ينجح في التعرف على بعض أهم اسرار كيمياء الوراثة ، وأن يطأ بأقدامه تراب القمر ، لكنه لم يستطع الى الآن ان يفك الا القليل النادر من طلاسم دماغه الذي يحمله في جمجمته والذي مكنه بفضل من الله من الوصول الى ما وصل اليه . فما زال العلماء حتى اليوم يعتبرون الدماغ وجهازه العصبي أكثر خلق الله غموضا وتعقيدا في الكون .

هذا الدماغ المعجز الذي حير العلماء وضن باسراره على الانسان الذي به صار انسانا ، لا يوحي منظره الخارجي بشيء في هذه المكانة العالية . فلا يزيد وزنه في العادة على الثلاثة أرطال ونصف الرطل من مواد معظمها عادي كالبروتينات الزلالية والدهنيات وقليل من الماء. لونه الخارجي رمادي لا يلفت الانظار وملمسه رخو في كثافة عصيدة الذرة .

شكله الخارجي بيضاوي مخدد السطح يتكون من نصفين متشابهين (نصفي كرة الدماغ الايمن والأيسر Cerebral Hemispheres) كأن احدهما صورة مرآة للآخر ، يربط بينهما تكوين عصبي داخلي لا يظهر من الخارج ، Corpus Callosum .

لكن الدماغ بالرغم من وزنه الضئيل هذا الذي لا يمثل اكثر من ٢ر٥ ٪ من وزن الشخص البالغ (1) الا أنه يستخدم ٢٥ ٪ من جميع كمية الاوكسجين الذي

---

(1) J.Hubbard, The biological basis of Mental activity Addison-Wesley, London, 1975, p. 22.

يتنفسه الانسان و ١٥٪ من طاقة دفع دمه (١) ذلك لأن فى المخ او القشرة الدماغية بمفردها حوالى مائة بليون خلية عصبية هى التى تعطى سطحه الخارجى المخدد لونه الرمادى الذى يغطى فى داخليه حوالى ٢٠٠ بليون خلية دهنية غروية glia بيضاء اللون (٢) .

هذه القشرة الدماغية ذات المائة بليون خليه ، رغم أنها تقبع فى جمجمة لا يزيد طولها فى المتوسط على ٢٠ سنتمترا وعرضها على ١٥ سنتمترا، لو بسطت اثناءاتها وأخاديدها لغطت مساحة الف سنتمتر مربع (٣) . انها تمثل أرقى مكونات الدماغ . فكثير من المؤلفين يشبهون الجهاز العصبى فى الانسان بالحكومة التى تخضع لها خلايا الجسم الاخرى خضوع الشعب المستسلم الواثق من اخلاص رؤسائه وادارتهم.ويمثل الدماغ فى هذه الحكومة الجهاز المركزى الذى يقوم فيه المخ أو القشرة الدماغية بمجلس الرئاسة الأعلى والسلطة المهيمنة التى لا تتم صغيره ولا كبيره فى الجسم الا باذن وتفويض منها .

فالعلم الحديث يخبرنا بأن الدماغ الانسانى يقوم بنشاطات معجزة هى آية من آيات الله فى الدقة والتعقيد ، نشاطات شعورية ولا شعورية ارادية ولا ارادية ، انفعالية وعقلانية ، احساسية وادراكية ، واقعية وخيالية منطقية وفنية ، . . . يتم عن طريقه التعلم وتخزين المعلومات فى الذاكره ثم تصنيفها واعادة تكوينها فى شكل مفاهيم ورموز . . . يعطى الانسان قدرته على التفكير المبدع . . . على الاستفادة من خبرات الماضى

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق .

(٣) ألان نورس ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

ومشاكل الحاضر لتحقيق آمال المستقبل ، يعطيه الأسس البيولوجية لشخصيته المتفرده . فالدماغ هو الذى صار به اينشتاين عبقرى زماننا وعمرو بن العاص داهية العرب وسقراط فيلسوف عصره . واذا ابتلى الله شخصا باصابة بالغة فى دماغه فان جسمه وشخصيته ربما تتغيران تغيرا واضحا ، قد يصبح الذكى بعدها متخلفا ضعيف العقل ، والسميع أصم ، والبصير أعمى ، والرياضى "البهلوان" مقعدا ، والخطيب المفوه عييا لا يكاد يبين .

ولكن كيف يتم كل هذا وأى جزء من الدماغ هو المسؤول عن اى من هذه النشاطات أو عن أى من النشاطات الواسعة الاخرى التى لم يهتد العلم اليها بعد والتى مازالت فرضيات فى ملفات الباحثين ؟

اين يتم الادراك الحسى وكيف ؟ . . . السمع ، البصر ، الشم ، الذوق التوازن ، الاحساس بالبرد والحر والضغط على الاجسام ؟ أين الانفعال فى الجهاز العصبى وماذا يحدث عندما يغضب المرء او يصاب بالرعب او الفرح الشديد أو التوتر والقلق ؟ اين التعلم وكيف ؟ واين الذاكرة وكيف ؟ ماهو السلوك الطبيعى للفرد وماهى الاسس البيولوجية لشخصيته المتفرده وكيف ينحرف بالجنون والمرض النفسى او الاجرام والجنوح ؟

ثم ماصلة هذا الدماغ المحسوس بالعقل غير المحسوس ؟ وماصلته الحقيقية بالشعور والوعى ؟ وماصلته بالهامات ماوراء الحواس كالتخاطر التيليباثى والرؤيا المنامية التى تتحقق كفلق الصبح ؟ واين موضع "النفس" بمفهومها الدينى فى هذا الكيان المعقد ؟

أسئلة لاحصر لها . بعضها قد كشف العلم لنا عن أهم اسرارها ومكنوناتها ، وان كان كل يوم يأتينا بالجديد العجيب من أمرها ، مما يضطرنا

لمراجعة مفاهيمنا السابقة وتعديلها .

وجزء ثان لم تزودنا الابحاث البيولوجية والنفسية عنها بعد الا باجابات مبهمة غامضة . كأن الدماغ ، كما يقول الكسيس كاريل فى وصف الانسان ،" مجموعة من الاشباح تسير فى وسطها حقيقة مجهولة"(1)

وصنف ثالث لم يستطع العلم بطرقه التجريبية المحدوده ان يساعدنا بشىء ، اللهم الا زيادة التعرف على عمق المشاكل المطروحة وتعدد جوانبها مما يستدعى اعادة صياغتها .

<u>الطرق الحديثة فى دراسة الدماغ والجهاز العصبى :</u>

قبل أن نخوض فى اطراف من هذه الجوانب الثلاث دعنا نتعرف أولا على بعض الاساليب الحديثة التى يستخدمها العلماء لمحاولة الاجابة على مايمكن الاجابة عليه من مثل هذه الاسئلة المطروحة . فالمعرفة العامه لهذه الاساليب سوف توضح لنا عمق المشاكل المطروحة وامكانيات العلم الحديث فى القاء الضوء على طبيعة الانسان ، والتعرف على الجوانب التى لا تخضع للدراسات المختبرية المحدودة .

مامن شك فى أن البحث العلمى فى الآونة الاخيرة قد قطع اشواطا بعيدة فى دراسة الدماغ وذلك بفضل تكاتف الاخصائيين فى شتى الميادين المهتمه بالجهاز العصبى وتكوينه ووظائفه كعلم الاعصاب وتشريحها والطب النفسى وعلم النفس الفسيولوجى وعلم الكهرفسيولوجيا Electropnysiology

---

(1) الكسيس كارل ، الانسان ذلك المجهول ، ترجمة عادل سنيق ، الهيئة العامه للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

وغيره من التخصصات الدقيقة المشابهة ، فقد استطاع هذا التعاون ان يطور طرق البحث الى درجة عالية من الدقة فى التحكم على المتغيرات ، كما نجح فى اختراع مجموعة من الأجهزة الالكترونية التى مكنته من مشاهدة نشاطات الخلايا العصبية وقياس استجاباتها المختلفة . وانطلاقا مما ذكرناه فى الفصل السابق ، فحرى بالدارس المؤمن أن يجعل من هذه الدراسات وهذه الأجهزة الالكترونية مصادر غنية للتفكر فى خلق الانسان .

<u>الدراسة المجهرية لخلايا الدماغ</u> :

هناك أولا الدراسات (الميكروسكوبية) ، (المجهرية) لخلايا الدماغ وملاحظة نشاطاتها المختلفة . وقد اتاح اختراع الميكروسكوب الالكترونى للباحثين فى هذا الميدان التعرف على دقائق الخلية العصبية ذات الشكل الاخطبوطى المتميز ، بمحورها الاسطوانى Axon وفروعه الدقيقة ، الذى يمتد من جانب من جسم الخلية ليوصل نبضاتها العصبية الكهربائية Nerve impulses الى خلايا عصبيه أخرى أو الى غدة أو عضلة معينة وكأنه جذع شجرة منتشر الاطراف. ومن نواحى أخرى من جسم الخلية تخرج الاستطالات الهيوليه أو الشجيرات Dendrites التى تشبه اغصان الشجرة الجافة التى سقطت اوراقها ، لتستقبل الاشارات العصبية المتشعبه من الخلايا العصبية الأخرى . ففى حين لايوجد فى الخلية غير محور اسطوانى واحد ، قد يزيد عدد استطالاتها الهيولية على الالف[1] ، كذلك بالرغم من أن كل الخلايا العصبية فى الجسم لها

---

(1) R. Smith, Psychology: The frontiers of behavior, Harper and Row, 1978, p. 72.

هذه المكونات ، الا انها تختلف اختلافا كبيرا في اشكالها وأحجامهـــا ووظائفها . فقد تجد جسم الخلية العصبية في النخاع الشوكي ويمتـــد محورها عدة اقدام ليصل الى عضلة في اصبع القدم ، وخلية اخرى لا يزيد طولها على جزء من الف جزء من البوصة [1] .

ومن الأبحاث المجهرية حقائلك التي يستخدم فيها المجهر الالكتروني لملاحظة التغيرات الميكروسكوبية الدقيقة التي قد تحدث للخلايا فـــي اثناء استجاباتها لعمليات نفسية بسيطة او معقدة كالادراك الحســي والتعلم .

الأبحاث التجريبية على الحيوانات :

أما الطائفة الثانية من الابحاث فتمثلها الدراسات المختبرية الـتي يجريها علماء الاحياء والبيولوجيا النفسية Psychobiology علـى الحيوانات لدراسة الصلة بين اجزاء معينة في الدماغ والجهاز العصبي وبين سلوك الحيوان واستجاباته الادراكية . يقوم الاخصائيون في مثل هـــذه التجارب باتلاف اجزاء محددة من الدماغ بالجراحة او الطرق الكيمياوية ثم دراسة التغيرات التي تطرأ تبعا لذلك في سلوك الحيوان . كما يدرسـون تأثير مختلف العقاقير والهورمونات والمواد الكيمياوية الاخرى على نشــاط دماغ الحيوان وما ينتج عن ذلك من آثار سلوكية وادراكية .

---

(1) المصدر السابق ص ٧٢ .

وفي المقابل ، يضعون الحيوان في ظروف انفعالية مختلفة ، بعضها قاسية جدا ، تصيبه بدرجة عاليه من التوتر والخوف والقلق الشديد . يستخدمون في ذلك الصدمات الكهربائية والاصوات المرعبة لنوع الحيوان المستخدم في التجربة دون السماح له بالهرب من قفصة الضيق أو حتى في بعض الاحيان ، يمنع حرية الحركة في المكان الذي يربط فيه [1] تشرّح بعد ذلك جثث هذه الحيوانات بعد موتها لمعرفة ما طرأ عليها من تحولات.

كذلك استطاع العلماء أن يستخدموا مقاييس طريفه للتعرف على بعض الخصائص العامه للحيوان والتي لها صلة بالدماغ والجهاز العصبي والوراثة مثل درجة "انفعالية الحيوان وميوله العصابيه Emotional Reactivity أو مستوى ذكائه سوف نتعرض لبعضها بالبحث عندما نطرق موضوع الأسس الوراثية للسلوك .

وضحت الأبحاث التي تجرى على الحيوانات ، كثيرا من خبايا الدماغ والجهاز العصبي والهورموني التي يتشابه فيها الخلق والوظائف مع الانسان نذكر منها على سبيل المثال وظيفة المخيخ Cerebellum وهو احد المكونات الهامه للدماغ ، شكله الخارجي مخطط ، كأنه كومة خيوط يزن حوالي ١٤٣ غراما [2] ويقع تحت مؤخرة المخ . وبالنسبة لحجمه يعتبر المخيخ اكبر مكوّنات الدماغ بعد القشرة الدماغية . وظيفته الاساسية حفظ التوازن والاشراف

---

(١) انظر مثلا سلسلة تجارب Walter Reed على القرود لدراسة الصلة بين التوتر ومرض القرحه J. Coleman, Abmormal psychology and modern Life, 5th ed., Scott, Foresman & Co., p. 280.

(٢) خالص جلبي ، مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

على التناسق الحركى . فرغم أن القيام بالحركات الحسية الارادية يبدأ فى قشرة الدماغ اى فى المخ ، ورغم ان جذع الدماغ Brain Stem لها أيضا وظيفة هامة فى النشاط الحركى ، الا أن المخيخ هو الذى يعطى هذه الحركات ، خصوصا تلك التى تتصف بالدقة او الآلية كالمشى والجلوس والجرى ، يعطيها التوازن والتآزر الذى بدونه تصبح مرتجة متشنجة . اتضح للعلماء ان المخيخ لدى الطيور يعمل على درجة عالية من الدقة ، ذلك لانها تحتاج فى طيرانها لقدرة تآزرية فائقه . لاحظ مثلا كيف ينزل طائر من الجو بجوار طائر آخر فى شجرة متشابكة الفروع . وكيف تخر الحدأة من السماء لتختطف فأرا بين الجحور والاحجار والاعشاب فى لمح البصر .

قام العلماء بتجارب أتلفوا فيها المخيخ لدى طيور فى المختبر ثم القى بها فى الهواء فسقطت كأنها حيوانات لا أجنحة لها . فرغم أنها ترى مايحدث لها وتحاول الطيران الا أنها لم تعد تستطيع تحريك اجنحتها بالتناسق الذى يبقيها سابحة فى الجو.

ورغم ان كتب علم النفس الفسيولوجى لا تذكر الا هذه الوظيفة للمخيخ الا أن ابحاثا اجريت مؤخرا (عام ١٩٧٤م) على القطط والفئران أظهرت بأن للمخيخ وظائف أخرى هامه فى تكوين السلوك الانفعالى وبعض الجوانب الحركية الأكثر تعقيدا مما سيغير مستقبلا من خريطة الدماغ (١) .

---

(1) W. Utal, Psychobiology of the mind, L.E.A.Assoc. Publishers, New Jersey, 1978. p.

دراسات تلف الدماغ وآثار العمليات الجراحية عند الانسان :

ان مثل هذه الأبحاث التي تستأصل فيها أجزاء من الدماغ عمدا لا يمكن تطبيقها على الانسان لكن الحوادث ، وعلى رأسها حوادث الحركة ، والامراض الجرثومية كالالتهاب السحائي تصيب أدمغة الكثيرين بشتى انواع الاصابات. ففي الولايات المتحدة وحدها تحدث حوالي ثلاثة ملايين اصابة للرأس في العام من جراء حوادث السيارات والحوادث الاخرى ، تتمخض عنها ٥٠٠ر٥٠٠ر١ اصابة جوهرية للدماغ (1) . هذه الحوادث رغم قسوتها تزود الاطباء والباحثين بثروة علمية غنية في هذا المجال . كذلك هناك المرضى الذين تجرى لهم عمليات جراحية لاستئصال الأورام الدماغية Brain tumors . وتجرى كذلك "جراحات نفسية Psychosurgery لعلاج بعض الامراض العصبية كالصرع Temporal lobe epilepsy او بعض الامراض النفسية المستعصية .

اذن هذا هو الميدان الثالث الذي يزود الباحثين بمعلومات هامة عن الدماغ الانساني . وبالنسبة لاجراء العمليات الجراحية يمكن لعلماء النفس والاحياء اغتنام هذه الفرص باجراء شتى القياسات النفسية والجسمية على المرضى قبل الجراحة وبعدها،ذلك ليتعرفوا على التغيرات السلوكية المعقدة التي تطرأ عليهم بسبب استئصال اجزاء محددة من ادمغتهم. وميزة الانسان الكبرى على الحيوان ، انه يستطيع ان يخضع نفسه لهذه القياسات والاختبارات وينقل للباحث صورة واضحة حتى عن أحاسيسه الداخلية الذاتية .

---

(1) S. Arieti, ed., American Handbook of Psychiatry, Sec. ed., Vol. 4, Basic Books Inc.,, New York., p. 165.

وتأكيدا لما ذكرناه آنفا عن وظيفة المخيخ عند الحيوانات ، فان الافراد الذين يصابون بخلل او تلف فيه تتعطل لديهم القدرة على حفظ التوازن ، ويصابون بالارتجاف وفقدان التحكم الدقيق على العضلات. وبحكم مكان الاصابة في المخيخ ، نوع الاضطراب الحركي الذي يصاب به الشخص. فقد يضطرب لديه المشي ويتطوح كالسكران . او قد تصاب العين بالرأرأة [1] فلا يستقر لها حال في اثناء تصويب النظر ، او ربما يبتلى بالرتة فتتقطع كلماته بشكل لا يفهم معها كلامه . ذلك لأن حركات العين تعتمد على ست عضلات دقيقة والكلام تتحكم فيه عضلات التصويت التي يوجد منها غير الحبال الصوتية عضلات في الشفتين والوجه و١٧ عضلة[2] في اللسان بمفرده . فأي اختلال في التناسق بين هذه العضلات يورث هذه الاضطرابات .

استخدام أجهزة التسجيل الكهربائي لنشاطات الدماغ :

أما الاسلوب الرابع الذي يستفيد منه العلماء في دراسة الدماغ والجهاز العصبي فهو تسجيل نشاطات الدماغ الكهربائية . فخلايا الدماغ ، كما هو معروف ترسل اشارات كهربائية منتظمة ، كأنها اشارات لاسلكية خاصة يمكن تضخيمها باجهزة خاصه . ويتم التسجيل اما بغرز أقطاب Electrodes في اماكن محدده من الدماغ أو عن طريق

---

(1) دكتور خالص جلبي ، المصدر السابق ص ١٣٥.
(2) المصدر السابق ص ١٣٦.

أجهزة رسم أو تخطيط الدماغ والتي توضع فيها الاقطاب المستقبلة علـــى جمجمة المفحوص من الخارج Electroencephalograph .

واستطاع العلماء بفضل الله أن يطوروا هذا الأسلوب بشكل يدعـــو حقا للخشوع والتفكر فيما كشف لنا من حقائق علمية عن الدماغ ولما سخر الله للانسان من اختراعات الكترونية . فمن الممكن الآن للاخصائيين أن يستخدموا أقطابا لا يزيد سمكها على واحد من الألف من المليمتر Microelectrodes . عـــــن طريقها يستطيع الباحث أن يشاهد النشاط الكهربائـــي حتى لخلية عصبية واحدة من خلايا الدماغ , وبالطبع فان وضع مثل هـــذه الاقطاب الدقيقة يحتاج الى استخدام المجهر المكبر Microscope

أما تخطيط الدماغ بوضع الاقطاب على الجمجمة من الخارج فانه يسجل النشاط الكهربي المشترك لمجموعات كبيرة من خلايا الدماغ وترسل هـــذه الاشارات الضعيفة الى الجهاز الالكتروني الخاص ليقوم بتكبيرها حوالـــي المليون مرة ثم ترسم بعد ذلك في ورقة متحركة في شكل موجات يستطيـــع المتخصص أن يفك طلاسمها .

فعن طريق هذه التسجيلات التي يستعمل معها أحيانا التصويـــر بالأشعة والحاسب الالكتروني ، يمكن اعطاء صورة متكاملة الى حد كبير عـــن الدماغ ، تظهر فيها الأماكن المصابة التي تسبب الأمراض العصبية العضوية كالصرع والتشنجات كما يمكن اكتشاف مكان الأورام الدماغية حتى الصغيرة منها ولو " حشرت " نفسها في عمق الدماغ . فاختراع اساليب التخطيط المسحـــي scanning تعطى صورا واضحة لقطاعات غاية في الرقة من الدماغ تكشف بجلاء عن الأماكن المصابة مهما صغر حجمها .

وهناك الآن دراسات مثيرة تحاول الكشف عن التخطيطات الدماغية الشاذة للمجرمين والمتخلفين عقليا ، بل هناك مجهودات لقياس ذكاء الافراد والتعرف على الابعاد العصبية العضوية لشخصياتهم وذلك بدراسة أنواع الاشارات التى ترسلها أدمغتهم. لكن هذه الابحاث مازالت فى مهدها وتكتنفها صعوبات جمه ، حيث وجد الآن ان مخططات الدماغ لكثير من الاشخاص العاديين فيها بعض هذه الموجات الدماغية الشاذة وفى المقابل اتضح ان كثيرا من الشواذ وبعض المتخلفين تكون تخطيطاتهم خالية نسبيا من الشذوذ المتوقع .

الاثارة الكهربائية والكيمائية لخلايا الدماغ :

أما الاسلوب الخامس والأخير ، المسمى بطريقة الاثارة Stimulation فيعتمد على تهييج خلايا وأمكنة محدده فى الدماغ ، اما بالكهرباء او بمواد كيمائية خاصة لها خاصية اثارة خلايا الدماغ. فكما ذكرنا فى حديثنا عن تخطيط الدماغ فان نشاط الخلايا العصبية يظهر فى شكل اشارات ونبضات عصبية كيموكهربائية . ذلك بأن الخلية العصبية حتى فى حالة الهدوء والاستقرار تنبض حوالى عشر نبضات فى الثانية الواحدة تحدثها التغيرات السالبة والموجبة لأيونات البوتاسيوم والصوديوم والكلورين وغيرها من المواد بطريقة دقيقة معجزة لا داعى لتفصيلها هنا .

فاذا تلقت هذه الخلية ، عند احدى فروع استطالاتها الهيولية شحنه كهربائية من محور خلية مستثارة ، وكانت هذه الشحنة الكيموكهربائية بالقوة الكافية لاستثارتها ، فانها عند ذلك تتفجر بنبضات سريعة قد تصل

الى ٣٠٠ نبضة فى الثانية الواحدة [1] .

يصاحب ذلك تحول كبير فى شحنة الخلية الكهربائية . فهى فى حالة "الاسترخاء" يكون جهدها الكهربائى الداخلى سالب مقداره حوالى ٧٠ من ١٠٠٠ جزء من الفولط (٧٠ مليفولط) . أما فى حالة الاستثارة فان جهدها الكهربائى يصبح موجبا ويصل الى ٤٠ مليفولط ، وينتقل التيار العصبى من خلية الى أخرى بسرعة مذهلة قد تصل الى مايعادل المائتى ميل فى الساعة [2] . هذا بالرغم من أن محاور الخلايا العصبية الناقلة للشحنات الكيموكهربائية لا تلتحم بشجيرات الخلايا المستقبلة لهذه الشحنات ، بل تفصل بينهما مسافة دقيقة تسمى بالموصل أو المشتبك Synapse . وينتقل السيال العصبى عبر هذا المشتبك عن طريق سلسلة من التفاعلات الكيميائية السريعة المعقده . وبعد نهاية النشاط الكيموكهربائى تأتى مواد كيميائية أخرى تزيل أثر تفاعلات هذا النشاط !

اذن فأسلوب الاستثارة هو عكس اسلوب التخطيط الدماغى . فى التخطيط نقوم بتسجيل اشارات خلايا الدماغ الكهربائية الطبيعية لنتعرف على نشاطاتها ، أما فى طريقة الاستثارة فنقوم بتسليط تيار كهربائى أو مواد كيميائية لتنبيه خلايا أو اجزاء محددة فى الدماغ بطريقة "اصطناعية" حتى ترسل نبضاتها السريعة عبر الخلايا العصبية الأخرى وينتهى ذلك بالنشاط الجسمى او النفسى الموكل بها . وعند ذلك يمكن للباحث ان يتعرف على ماهية هذه النشاطات عند ملاحظة التغيرات السلوكية التى تطرأ على الكائن الحى بعد الاستثارة .

---

(1) R. Smith, op.cit, p. 73.
(2) Smith, Ibid, p. 73.

وقد قطعت ابحاث الاستثارة هذه شوطا بعيدا بعد الابحاث التي اجريت على الحيوانات والانسان . فمن أطرف هذه الدراسات تلك التي أجراها أولدز Olds عام ١٩٥٢ على الفئران. وقد كان المفروض ان يضع الباحث قطبيه الكهربائيتين في منطقة معينة في دماغ ذلك الفأر "التاريخي" منطقة التكوين الشبكي Reticular Formation لكنه أخطأ ووضع احداها في مكان آخر من جهازه الطرفي Limbic system وكان من المتوقع ان تكون الاثارة الكهربائية مؤلمة للفأر، لكنه وعند مرور التيار الكهربائي ، بدلا من القفز من الالم ، بقي في مكانه بل أخذ يكرر النشاطات التي سبقت الاثارة مما يوضح على أنها جاءت على عكس ماتوقع الباحث، جاءت باللذة والارتياح . عند ذلك وصل الباحث التيار برافعة خاصة يمكن تشغيلها من قبل الفأر بالضغط عليها كالتي تستعمل في صناديق سكنر Skinner boxes وعندما اكتشف الفأر أنه بالامكان استثارة دماغة كهربائية بالضغط على تلك الرافعة ، ترك طعامه وشرابه ونشاطه الجنسي واستمر في هذه "اللعبة "اللذيذة دون كلل أو ملل . بل ان بعض الفئران لا تترك الرافعة حتى تسقط مغشيا عليها من الاعياء والجوع .

هذا اذن اكتشاف لاماكن اللذة في الدماغ . كذلك كشفت تجارب الاثارة عن اماكن اخرى في الدماغ يستجيب فيها الكائن الحي بالالم وأخرى بالغضب والعدوان . فالاثارة الكهربائية لمنطقة في أسفل دماغ قط أليف منطقة اللوزه Amygdala تحوله الى "نمر" كاسر. يقف شعر

فروته ويكشر عن انياب متوحشه ويهاجم من حوله انسانا كان او حيوانـــا او حتى اللعبوالدمى التى توضع فى قفصه (1)

وفى المقابل ، اذا استثيرت أمكنة أخرى فى الدماغ caudate nucleus هدأ الحيوان الهائج وذهب عنفه . ومن أشهر التجارب فـــى هذا المضمار تلك التى قام بها ديلجادو Delgado الذى وضع القطبين فى دماغ ثور من ثيران المصارعة الاسبانية المتوحشه ، وجعل مرور التيار يعتمد على جهاز ارسال لاسلكى فى حجم راديو الترانزستور الصغير اما جهاز الاستقبال الصغير Stimoceiver فكان فى رأس الثور موصولا بالقطبين . وكان جهاز الارسال الصغير هذا هو السلاح الوحيد الذى حمله ديلجادو الى حلبة المصارعة فى مواجهة الثور الهائج . وقف الباحث ينظر بهدوء الى الحيوان المرعب الذى صوب قرنيه الحادين وكأنهما خنجرين يمنيين ، وهجم عليه وحوافره السريعه تثير سحابة من الغبار والزبد يتقطع من فمه . فما ان وصل الى بعد خطوات منه حتى استثار الباحث تلك المنطقة فى دماغه فوقف الثور فجأة وانعطف يمينا وانقلب الى بقرة هادئة او هكذا فسر الباحث سلوك الثور (2) .

بعد هذه التجربة الرائدة قام كثير من العلماء بدراسات مشابهـــة على الحيوانات يطوى بعضها بين اسلوب الاثارة الكهربائية واستئصــال أجزاء محدده من ادمغتهم (3) . أظهرت مثل هذه التجارب قدرة الاخصائى

---

(1) Smith, Ibid., pp. 96-97

(2) Smith, op.cit, p.6.

(3) J.McConnell, Understanding, Human Behaviour, Holt Rinehart and Winston, N.York, Sec. ed., p. 98.

على التحكم في سلوك الحيوان . بستثير مكان معين في الدماغ فيأكل الحيوان بنهم ومناطق اخرى ، فيشرب " شرب الهيم " . وتستأصل اجزاء أخرى فيتضاعف لديه الدافع الجنسي . كذلك هناك ابحاث مماثلة مشابهة في التحكم على دافع الأمومة عند القرود يمكن للأخصائي فيها ان يجعل القردة الأم ترمي بصغيرها بقسوة أو ترجع اليه لتحمله وترضعه في فيض من الحنان .

وكما هو معلوم ، فان نجاح مثل هذه التجارب في دنيا الحيوان يعقبها عادة أبحاث مماثلة تطبق على الانسان . ففي مجال الاشارة الكهربائية لمناطق اللذة في الدماغ ، يدّعي اخصائيون من امثال روبرت هيث Robert Heath (1) أنهم تمكنوا من وضع أقطاب كهربائية في "اماكن اللذة" في أدمغة بعض مرضى الصرع . أتت هذه التجارب ، كما يدعون ، بنتائج ايجابية . حيث تبع عملية الاثارة الكهربائية احساس بالنشوة اللذيذة لدى المرضى !

ومن مثل هذه التجارب "المثيرة" المطبقة على الانسان تلك التي أنجزها جراح الاعصاب الكندي بنفيلد W. Penfield (2)

واكتشف فيها وجود أمكنة معينة في المخ اذا استثيرت كهربائيا استعاد الشخص خبرات بعيدة ظن أنها تلاشت في مقابر النسيان . وصل الباحث لهذا الاكتشاف ايضا عن طريق الصدفة ، حيث كان يقوم بعملية جراحية لمريضة مصابة بالصرع لاستئصال جزء معين من دماغها . فجراحو الاعصاب يستخدمون اسلوب الاثارة الكهربائية في مثل هذه الجراحات لتحديد

(1) Ibid., p. 97.
(2) U. Uttal, op.cit., p. 549.

المكان الذى يجب استئصاله بالتحديد الدقيق . ذلك لأن الدماغ هو من أثمن مايملك المرء وعلى الجراح استئصال أصغر جزء يأتي بالشفاء . لذلك فانهم يستعملون تخديرا جزئيا محليا لفتح الجمجمه أو لادخال الأقطاب ليكون المريض فى كامل وعيه فى اثناء العملية .

عند تمرير التيار الكهربائي الضعيف فى منطقة معينة من قشرة المريضه الدماغية تذكرت فجأة خبرات محددة عن طفولتها المنسية بكل انفعالاتها وتفاصيلها الدقيقة . وعند استثارة مكان آخر قريب منه استعادت تفاصيل احداث بعيده أخرى عن حياتها العملية . وبتكرار التجارب على مرضى آخرين عادت الى ذاكرتهم شتى الخبرات مثل تذكر الحان موسيقية لم يسمعوها منذ أكثر من ثلاثين عاما . ويبدو من هذه الابحاث ان خبرات الانسان ، مهما كانت تافهة لا تندثر أبدا وان ظهر للمرء فى وعيه أنه قد نسيها نسيانا تاما .

هذه اذن اهم الأساليب المستخدمة فى دراسة الجهاز العصبي والدماغ وبعض تطبيقاتها العملية . لكن دراسة الاسس البيولوجية للسلوك الانساني لا تكتمل دون الاشاره الى تأثير الوراثة وتأثير جهازين هامين آخرين : هما الجهاز الهورموني والجهاز العصبى المستقل . ويربط عادة بين هذين الجهازين لوظيفتهما المشتركة بالنسبة للنشاطات الجسمية اللاارادية وبالانفعالات وبالاضافة الى ذلك فان المركز الدماغي الذى يتحكم فى نشاطهما هو مركز واحد ، ألا وهو "المهاد التحتانى" المسمى بالهيبوثالاموس Hypothalamus الذى يقع أسفل الدماغ المتوسط

ويعتبر أحد مكونات الجهاز الطرفى Limbic System :

__نبذه عن الجهاز الهورمونى :__

الجهاز الهورمونى يتكوّن من عدة غدد صماء موزعه فى أماكن مختلفة من الجسم تفرز موادها الكيميائية فى الدورة الدموية مباشرة . وهو كالجهاز العصبى من حيث ان مهمته الأساسية هى نقل المعلومات ، ولكن فى شكل رسائل كيميائية تسمى الهورمونات. وبما أن الهورمونات تسير فى الجسم بسرعة اندفاع الدم ، فانها بطيئة بالمقارنة للتيار العصبى . فالتكامل فى التيار العصبى يأخذ من ربع الى نصف ثانية ، فى حين يصل افراز الغدد الصماء الى جميع انحاء الجسم فى حوالى ١٠ ثانية (1) .

لكن الرسائل الهورمونية الكيميائية تمتاز بأنها تصل الى ملايين الخلايا فى الجسم ، على عكس التيار العصبى الذى يتصل بمجموعة محدودة جدا من الخلايا ، كخلايا العضلات والغدد . كذلك فان بعض الهورمونات ذات تأثير طويل المدى . فالهورمونات الجنسية التى تفرزها الغدد الجنسية ، اى الخصيتان فى الذكور والمبايض لدى الاناث لها المسئولية الاساسية عن التغيرات الجسمية التدريجية التى تصاحب فترة المراهقة . كظهور الشعر فى الابطين والعانه وشعر الوجه عند الرجال وكبر الثديين لدى المرأة وغيرها من الخصائص الجنسية الثانوية التى تحدث فى اثناء فترة البلوغ . لذلك فان الدماغ ،صاحب السيطرة التامة على الجسم باذن الله يقرر ان كان الأمر يستدعى رسالة عصبية مستعجلة ، أو رسالة هورمونية

---

(1) د . أحمد عكاشه ، علم النفس الفسيولوجى ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٠ .

كيماوية بطيئة . أم رسالة مزدوجة ، فالعمل يتم بتآزر تام بين أجهزة الجسم المختلفة .

يتبع الباحثون في نشاطات الغدد الصماء بعض الاساليب المشابهة التي فصلناها من قبل . يقوم الباحث باستئصال احدى هذه الغدد لدى الحيوان ويراقب التغيرات الجسمية والسلوكية التي تطرأ عليه بعد ذلك وفي المقابل يحقن الحيوان بخلاصة الهورمون الذي كانت تفرزه الغدة المستأصلة ثم يلاحظ الباحث ان كان ذلك سيعيده الى سيرته الأولى . بالاضافة الى ذلك تعطى حيوانات سليمة هورمونات مختلفة لدراسة أثر هذه الزيادة على سلوكه .

فقد اتضح مثلا أن لهورمون البرولاكتين Prolactin الذي تفرزه الغدة النخامية أثرا واضحا في استثارة دافع الأمومة . فعندما تضع الفأرة ، تبني عشا وتقوم بقطع الحبل السري لمولودها وتأكل مشيمته وتحميه بعد ذلك من الاخطار . فاذا حقنت فأرة عذراء ، أو حتى فأر ذكر ، بهورمون البرولاكتين هذا فانهما يقومان ببناء العش ويظهران اهتماما واضحا بصغار الفئران !

كذلك أظهرت الدراسات التي اجريت على الفئران بان لهورمون الذكورة المعروف بالتستستيرون Testosterone أثر واضح في تكوين السلوك العدواني والعنف (1) . فقد اتضح مثلا أن حقن فأر مستسلم "ضعيف الشخصية" بالنسبة لمجموعة الفئران بخلاصة هذا الهورمون ربما

(1) I. Ramsey, Personality and Science, Ciba Foundation, 1971, p.15.

تحوله الى قائد" مستأسد". كذلك فان اتلاف الغدد الجنسية التى تفـرز التستستيرون لفأر مسيطر قوى بطبعه يقلبه الى حيوان مستكين ذليل ، ولكن يمكن ارجاعه الى طبيعته الأولى باعادة حقنة بالهورمون ، ويبدو أن هورمون التستستيرون يستثير كيمائيا نفس منطقة الجسم اللوزى Amygdala فـى الدماغ التى ذكرنا من قبل أنها تأتى بالسلوك العدوانى والعنف عنـد استثارتها كهربائيا (1) . ويفسر بعض العلماء سلوك العنف والعدوان لـدى المراهقين بالتدفق الفجائى لهذا الهورمون فى اجسامهم التى لم تتعـود أدمغتها بعد على هذه الاثارة الكيمائية . كذلك يفسر بعضهم هـدوء الشيوخ وحلمهم بقلة هذا الهورمون فى أجسامهم ، (1)

وكما ذكرنا من قبل بالنسبة لدراسات الجهاز العصبى والدماغ الانسانى فهنا كذلك نجد أن الحوادث والأورام التى تصيب الغدد الصماء تـزود الباحثين بكثير من المعلومات القيمة عن الجهاز الهورمونى . كما ان بعـض الأمراض التى يزيد فيها نشاط غدد صماء معينة أو تصاب فيها بالقصور فـى أداء وظيفتها تزودنا بمعلومات هامة فى هذا الصدد . فنحن نعرف الآن أن الاختلال الذى يصيب غدة صماء قد يؤثر فى الجسم والسلوك تأثيرا خطـيرا ، واذا لم يكتشف فى فترة مبكرة من حياة المريض ، فان هذه الآثار الخطيـرة تصبح دائمة . فزيادة هورمون النمو الذى تفرزه الغدة النخامية فى فـترة الطفولة والمراهقة يؤدى الى العملقة Gigantism حيث ربما يصل طـول الفرد الى مترين ونصف المتر ، أما النقص الشديد فى افرازه فيؤدى الـى القزم . كذلك يؤدى نقص افراز الغدة الدرقية الذى يبدأ منذ المرحلة الجنينية لدى المصاب الى الاضطراب الخطير المسمى بالقماءة او القصـاع Cretinism ومن اعراضه ان يكون المصاب قزما متخلف العقل .

(1) Ibid., p. 16.

بعد هذا الملخص عن عمل الجهاز الهورمونى لننتقل الى الجهاز العصبى المستقل .

<u>الجهاز العصبى المستقل</u> :

قد لفتنا الانظار من قبل الى دقيق صنع الله فى الاجهزة والعمليات الجسمية الداخلية كالجهاز الهضمى والدورة الدموية والتنفس والاخراج . ولكن كيف تعمل هذه الاجهزة بهذا التنسيق الذاتى الرائع دون تدخل شعورى او ارادى من الانسان الذى يفقد وعيه بالنوم او المخدر فى حين تعمل هذه الاجهزة بنفس الدقة دون كلل او ملل أو اشراف شعورى ؟ كيف يحتفظ الدم بنسبة لا تطغى على حد أعلى محدد أو تنقص عن قدر أدنى معلوم من السكر او الأكسجين أو ثانى اكسيد الكربون او الماء ؟ وما الذى يجعل القلب ينقص من ضرباته المتوالية عند النوم والاسترخاء ثم تتضاعف ضرباته عند الانفعال الشديد كالخوف والغضب او عند الاجهاد الجسمى ؟

من فضل الله تعالى على الانسان أن جعل فى دماغه أمكنة محددة للاشراف الدقيق على الغدد والعضلات الملساء اللاارادية التى تقوم على نشاطات الاعضاء والاجهزة الداخلية . ويتم اشراف الدماغ على هذه العمليات بمساعدة الجهاز العصبى المستقل بفرعية السمبتاوى والباراسمبتاوى بفضل هذا التنظيم الالهى لا نفكر فى نسبة السكر فى دمنا ان نحن اسرفنا فى أكل وجبة دسمة ، فما زاد عن حاجة الجسم يتحول الى مادة الجليكوجين الذى يخزن فى الكبد وفى العضلات لاستخدامه فى حالات الطوارئ . فاذا داهمنا أمر مفاجئ ، اعتبره المخ خطرا على صاحبه فانه يرسل اشارات

السريعة الى الجهاز العصبى المستقل فيقوم فرعه السمبتاوى بتغيرات سريعة درامية فى أجهزة الجسم. يستثير الغدتين الكظريتين لتفرز هورمون الادرينالين فى الدم فتزداد ضربات القلب وسرعة التنفس ويتحول الجليكوجين مرة أخرى الى سكر الجلوكوز وتتوقف عمليات الهضم ويندفع الدم الى الاطراف والى الدماغ . يتصبب العرق وتزداد قدرة الشخص على الابصار الدقيق والسمع المرهف وتتضاعف قوته العضلية ويصبح دمه أكثر قدرة على التجلط اذا تعرض للجروح . . . كل ذلك يتم فى ثوان معدوده ليهيئ الجسم للقتال أو للهرب استنادا على الجوانب الموضوعية أو المتصورة للتهديد الذى يقابلة الفرد ولنوع الانفعال الذى يستثيره الموقف .

فيستطيع الانسان تحت هذه الظروف الطارئة أن يقوم بأعمال لا تخطر له على بال ، يحارب كالليث الكاسر ويتسلق الجدران العالية فى خفة القط ويجرى كالغزال ! ومن الغريب أنه حتى بالنسبة لبعض الذين أفقدتهم الأمراض الجسمية والعصبية كمرض الشلل الرعاشى Parkinsonism القدرة على الحركة العادية فان أرجلهم التى لم تكن تقوى على المشى تندفع بسرعة هائلة اذا فاجأهم موقف مرعب كأن تندلع السنة النيران فى غرفتهم مثلا ! [1] .

وعندما تنقشع هذه الأحوال الانفعالية الطارئة فان الجهاز العصبى الباراسمبتاوى يقوم بارجاع الأمور الى حالتها الأولى من التوازن الجسمى والنفسى .

---

(1) R. Smith, op.cit.,

أما اذا استمرت حالة التوتر الانفعالي لمدة طويلة أو كانت على درجة عاليه من الحدة ، خصوصا اذا صاحب هذه الحالة من التوتر محاولة جادة من قبل الفرد لكظم انفعاله وعدم التعبير التلقائي عنه ، فانه ربما لاينجو أحد أجهزة جسمه من الاصابة باضطراب عضوي سيكوفيزيائي كالقرحه او ضغط الدم الجوهري الذي تسببه هذه التغييرات البيوكيميائية المصاحبه للانفعال الحاد أو المزمن . ولكننا سنؤجل الحديث عن هذه الجوانب النفسجسمية وعن التفاعل بين النواحي السيكولوجية والعضوية الى حين ريثما نلخص أهم الأسس البيولوجية للسلوك الانساني والتي تبقى لنا منها الأسس الوراثية للسلوك .

الأسس الوراثية للسلوك :

كما هو معروف فان جميع الكائنات الحية تشابه اسلافها بسبب عامل الوراثة هذا . واذا استثنينا الحيوانات والنباتات التي تتكاثر بواسطة الانشطار او الاساليب غير الجنسية فان الكائن الحي يتطور من بويضة الأم التي يلقحها حيمن الاب المنوي . ويتم تحديد جميع الصفات الوراثية لحظة هذا التلقيح الذي تتحد فيه نواة الحيمن المنوي بنواة خلية البويضة . هذه النواة الجديدة لأول خلية من خلايا الكائن الحي Zygote تحمل كل الخصائص الوراثية في اجسام خيطية تسمى بالكروموزومات او الصبغيات Chromosomes نصفها يأتي من البويضة ونصفها الآخر من الحيمن المنوي . لذلك فان الكروموزومات توجد في شكل أزواج . وتختلف الكائنات الحية من حيث عدد الكروموزومات في خلاياها . فللانسان ٢٣ زوجا اى ٤٦ كروموزوما وللفأر ٤٢ . وتعني ظاهرة الازدواج بين الكروموزومات هذه بأن لكل خاصية وراثية هناك على الاقل احتمالين اثنين أحدهما من الأب والآخر من الأم . وبالطبع يجب ان تحمل البويضة والحيمن المنوي نصف عدد الكروموزومات الموجودة في خلايا الجسم الأخرى ، والا لتضاعف عدد الكروموزومات في خلايا الكائنات الحية بعد كل جيل ! وتتم هذه العملية الدقيقة المعقدة المسماه بالانقسام الاختزالي Reduction Division في خصيتي الرجل ومبيضي المرأة ، تخرج بعدها الخلايا الجنسية وبها نصف عدد الكروموزومات .

ولكن ماهي تلك الكروموزومات التي يتم اختيارها لنواة الخلية الجنسية للأب او للأم ؟ وأيها سوف تطرح ؟ فالأب نفسه قد ورث نصف صبغياته

من امه ونصفها من أبيه وكذلك الام . فهل سيكون فى نواة الحيمن المنوى أو البويضة من هذه الثلاثة وعشرين كروموزوما خمسة من الأب وثمانية عشر من الأم أم ثلاثة من الأم وعشرون من الأب ام ماذا ؟ ماهى الاحتمالات الممكنة للتركيب الكروموزومى للخلية الجنسية بعد عملية الاختزال هذه ؟ يقول لنا علماء الاحصاء انه لو كان بالانسان فقط زوجين اثنين من الصبغيات فى خلاياه العادية لكان هناك أربعة احتمالات ممكنه للتركيب الكروموسومى لخلاياه الجنسية ، ولو كان عنده ثلاثة أزواج لا زدادت احتمالات تركيب خلاياه الجنسية الى ثمانية . أما والانسان ٢٣ زوجا فالاحتمالات الممكنة تصل بالتحديد الى ٨٤٠٢٦٠٨ لخلايا كل من الأب أو الأم [1] .

اذن فان بويضة المرأة قبل التلقيح تحوى ٢٣ كروموزوما كما ذكرنا منها ٢٢ كروموزوما عاديا autosomes ، أما الثالث والعشرون فهو كروموزوما جنسيا "أنثويا" من النوع المسمى x . كذلك فى الحيمن المنوى ٢٢ كروموزما عاديا ، لكن الثالث والعشرين فاننا نجد حوالى نصف الحيوانات المنوية للرجل العادى بها نفس الكروموزوم الجنسى الموجود فى البويضة أى الكروموزوم x ، أما النصف الآخر فانه يحمل كروموزما جنسيا أصغر كثيرا فى حجمه من x اصطلح بتسميته بالكروموزوم Y .

---

(1) M. Malpass, ed., Human Behaviour, Mc Graw-Hill 1965, p. 50.

وقد بات من المعروف الآن انه اذا لقح البويضة حيمن منوى يحمل الكروموزوم Y . فالمولود سيكون ذكرا باذن الله . أما ان كان يحمل الكروموزم x فستكون بنتا باذن الله .

يتضح من ذلك أن التكوين الكروموزومى للخلايا العادية غير الجنسية للرجل الطبيعى هو اثنان وعشرون زوجا من الصبغيات العادية والكروموزومات x و Y . أما المرأة فخلاياها بها أيضا اثنان وعشرون زوجا من الصبغيات بالاضافة الى كروموزومى xx.

عند الاتصال الجنسى بين الرجل وزوجته يقذف الرجل فى المرة الواحدة حوالى ٤٠٠ مليون حيوانا منويا فى حين تفرز المرأة من أحد مبيضيها بالتناوب بويضة واحدة كل شهر قمرى .

يزحف هذا الجيش او قل "الشعب" المنوى ذو الاربعمائة مليون نسمة فى سباق عنيف نحو البويضه . فالحيمن المنوى له رأس مدبب لاختراق جدار البويضه وذنب طويل يبلغ عشرة اضعاف طول الرأس ، ليستخدمه فى الحركة و"السباحة" اليها . ويصف الدكتور خالص جلبى هذه المعجزة المتكرره ، معجزة السباق بين الحيوانات المنوية لوصول واحد فقط منها لتلقيح البويضة ، بأنه سباق مخيف جبار . . . "بين ملايين النطف الزاحفة الى أعلى وهى تضرب بسياطها الطويلة مزمجرة فى الطريق تخبط المفرزات المخاطية وتصعد بسرعة جباره وكأن هذه الأذناب المحركات الهائلة لهذه

القذائف المحشوة بالسر الانساني ... بينما تكون البويضة في البوق تتهادى في مشيها كأنها الملكة ... تستعد لاستقبال الفائز الأول[1] (انتهى).

فاذا تمت معجزة اللقاح فقد وقع الحمل ،لكن بعض النسوة قد يفرزن بويضتين في وقت واحد (بويضة من كل مبيض) أو حتى ربما يفرزن اكثر من بويضتين في آن واحد . عند ذاك يتم اخصاب كل بويضة بحيمن منوي مختلف وتلد المرأة توأمين أو اكثر. على أن الشبه بين هذه التوائم يكون كالشبه بين الاشقاء العاديين . وربما يحمل احد الحيوانات المنوية كروموزوم x وآخر كروموزوم Y فتلد ولدا وبنتا . هذا النوع من التوائم يسمى بالتوائم المختلفة Fraternal twins

أما في حالة التوائم المتطابقة Identical twins فتنقسم البويضة بعد تلقيحها الى خليتين منفصلتين متطابقتين في صفاتهما وخصائصهما الوراثية وتتحول كل خلية لتكوّن انسانا منفصلا عن توأمه متطابقا معه في جنسه وصفاته الوراثية .

ولكن كيف تنتقل الخصائص الوراثية وأين تكمن ؟ في الحقيقة ليست الكروموزومات هي الوحدات الاولية للوراثة بل كل كروموزوم يحمل في تكوينه كثيرا من هذه الوحدات الدقيقة المسماه بالجينات أو المورّثات . فربما تحمل احدى الكروموزومات الف مورث في أمكنة محددة مختلفة من جسمها الخيطي .

---

(1) الدكتور خالص جلبي ، مصدر سابق ، ص٧١ .

ذلك بان عدد الجينات التقريبي لدى الانسان قد يصل الى عشرين الفا[1]

ورغم أن الكروموزومات يمكن رؤيتها من خلال المجهر ، الا أن وجـــود الجينات يبقى الى حد كبير فرضيه عليه . وتتكون الجينات من جزئيـــات الحامض النووى المعقد التركيب Deoxy ribonuleic acid وتختصر (D N A) ويشبه هذا الجزئ المعقد سلما حلزونيا طويلا ، عارضاه من السكر والفوسفات وقواطعه من أربعة مركبات عضويـــة أمينيه . ويحدد وضع هذه المركبات الشفيره أو اللغة الكيمائية ذات ال٤ الأربعة حروف" التي توجه بها الجينات تطور الخلايا المختلفة للجسم وتكوين الصفات الوراثية المتنوعة . وليس من المستغرب ان تتم آية نقل المعلومات الوراثيـــة على طريقة تركيب هذه المواد البروتينية الاربع . فان كل ماهو مكتوب مـــن وحى الهى ومعلومات وشعر وعلم وتاريخ وغيره من العلوم يعتمد فقط علـــى الأوضاع المختلفة للحروف الابجدية .

ويمكن للخاصية الوراثية البسيطة ان يمثلها زوج جيني واحد ، أى جين واحد من الاب وجين واحد من الام Single-Factor inheritance مثل لون العينين والصلع فى الرجال . أو تكون الخاصية الوراثية معقـــدة متدرجة مثل لون البشرة أو الطول ، وفى هذه الحالة تشترك جينات كثيرة فى اظهارها Polygenetic inheritance. كذلك يمكن للجينات أن تكون سائدة متغلبة Dominant أو متنحية Recessive

(1) M. Schwartz, Physiological Psychology, 2nd ed., Prentice-Hall, Inc., 1978, p. 70.

فاذا ورث الشخص جينا متغلبا لخاصية وراثية من الاب وجينا متغلبا مشابها آخر من الأم فستظهر عليه تلك الصفة الوراثية ولايكون من ناحيـــة تكوينه الوراثي Genotype حاملا لاى صفة اخرى . مثلا لون العيـون بين القبائل الزنجية الافريقية لا تحمل غير جينات اللون الاسود اوالبنـــى للعيون . فاذا تزوج أفريقى امرأة اوروبيـة زرقاء العينين فاطفالهما ستكون عيونهم سوداء اوبنية مثل ابيهم ، لأن مورثة اللون الازرق للعيون هى جين متنحية لا تظهر الا ان كانت كلا الجينين تحملان اللون الأزرق. فى حين أن جينات اللون الاسود أو البنى متغلبة .

لكن هؤلاء الاطفال سيحملون خاصية اللون الازرق للعيون وأن لـم تظهر عليهم . فاذا اكبروا وتزوجوا اشخاصا مثلهم تماما من ناحية التركيـب الجينى للون العيون Genotype فالنسبة المتوقعة للون الظاهر لعيون اطفالهم Phenotype هى ثلاثة اطفال بلون عيون بنية متغلب كأجدادهم الافارقة الى طفل واحد يكون لون عينيه ازرقا متنحيا كلـــون عيون اجدادهم الاوروبيين . وهذه النسبة ثلاثة الى واحد ، هى الـــتى توصل اليها مندل Gregor Mendel الرائد الاول لعلم الوراثة الحديث Genetics من ابحاثه التاريخية على نبات البسلة .

كذلك تعمل بعض الجينات على اساس متعادل اى جينات وسيطيـــة Intermediate genes ففـى هذه الحالة تكون الصفة الظاهرة بـــين الخاصيتين المختلفتين . ومن اوضح الامثلة على هذه الظاهرة ، انك لـــو

لقحت بين وردة حمراء واخرى بيضاء فسوف يكون لون الجيل الثانى من الزهور قرنفلى وردى بين الابيض والاحمر. نفس الظاهرة نجدها فى الأبقار حيث تلد البقره الحمراء التى لقح بويضتها ثور ابيض ، تلد عجلا لونه بين هذا وذاك . بل ان شعر فروته فى الحقيقة يحتوى على شعرات حمراء واخرى بيضاء مما يعطية هذا اللون اللطيف .

أساليب البحث فى الأسس الوراثية للسلوك :

يبحث علم النفس الوراثى Genetic psychology أو علم الوراثة السلوكى Behaviour Genetics من ناحية عامه فى التعرف على الخصائص السلوكية التى تنتقل من جيل لآخر. فاذا ثبت ذلك عن طريق البحوث المختبرية والميدانية ، قام الدارسون بمحاولة الوصول الى معرفة الكروموزومات او الجينات التى تقوم بنقل هذه الخصائص السلوكية ، مثلا البحث فى نوع هذه الجينات من ناحية كونها سائده أو متنحيه ، متعادلة او مركبه ، ثم دراسة الصلة بين الجوانب السلوكية الوراثية هذه والنشاطات الفسيولوجيه والبيوكيميائية الاخرى فى الجهاز العصبى وغيره من أجهزة الجسم الأخرى . نقدم فيما يلى بعض أساليب البحث فى هذا الميدان ونتائجها فى الانسان والحيوان .

دراسات التناسل الانتقائي في الحيوان :

يقوم الباحث في مثل هذه الدراسات باجراء اختبارات خاصة لقياس ظاهرة سلوكية معينة لدى الحيوان . يتلو ذلك عملية التناسل بين الحيوانات ذات الصفات السلوكية المشتركة التي تحددها نتائج الاختبارات بعد فرزها في مجموعات مختلفة ، ثم اعادة تطبيق نفس الاختبارات بالنسبة للاجيال المتعاقبة للتأكد ان كانت هناك فروقا دالة من الناحية الاحصائية بين أحفاد المجموعات الاساسية . واستخدام الحيوانات في مثل هذه التجارب له فوائد جمه . فيمكن للباحث ان يستخدم هذا التناسل الانتقائي والتزاوج بين الحيوانات دون استشارتها في اختيار "الزوجات" و"الأزواج " ! ومن ناحية ثانية هامه ، فان سرعة نمو بعض الحيوانات وتعاقب أجيالها في فترة لا تتعدى الشهور أو السنوات القليلة تمكن الدارسين من ملاحظة الآثار الوراثية السلوكية بوضوح . كذلك يستطيع الباحث ان "يذبح " هذه الحيوانات بعد دراسة سلوكها ليشرح اجسادها فيلاحظ ان كانت هناك فروقا تشريحيه تواكب الفروق السلوكية .

فقد اتضح مثلا من دراسة أجراها تريون Tryon على الفئران واستخدم فيها المتاهات للتعرف على " ذكائها " ، وقام فيها بفصل المجموعة الذكية عن المجموعة "الغبية " ثم عقب على ذلك بتربية نسل كل مجموعة على حده ، أنه بعد عدة أجيال ظهر أثر الوراثة الكبير في الذكاء . فقد كان من الواضح ان نسل الاذكياء كان اسرع في عبور المتاهات واخطاء أقل بكثير من نسل الاغبياء " ومن شابه أباه فما ظلم " . ومن المعلوم الآن أن الذكاء

يورث عن طريق الجينات او المورثات المتعددة المركبة Multiple Genes (1).

وفي تجربة مماثلة درس هول Calvin Hall[2] أثر الوراثة على قابلية الاصابة بالعصاب والاضطرابات الانفعالية لدى الفئران، حيث عرّض مجموعة كبيرة منها لموقف مخيف مرعب ارتعدت له فرائص الفئران المسكينة. وقسمها بعد ذلك، اعتمادا على شدة استجاباتها الانفعالية الى مجموعتين. مجموعة" هيابة " تتكون من الفئران التي استجابت برعب وخوف شديد، يمكن الاستدلال عليه من كثرة تبولها وعدد البعرات التي تخرجها، ومجموعة جريئة تتكون من اكثر الفئران ثباتا امام الخطر المحدق. اتبع بعد ذلك نفس اسلوب التناسل الانتقائي الذي شرحناه. فخرج بنتيجة مشابهة. ابناء الفريق الهياب واحفاده كثرت فيهم استجابات الذعر في حين كان نسل الفئران الثابتة كأجداده. وعندما شرحت اجسام فئران من الفريقين اتضح أن الغدد الصماء النخامية والكظرية والدرقية كانت أكبر في حجمها لدى اعضاء الفريق الهياب.

---

(1) M. Schwartz, op.cit., p. 52.

(٢) محمد عثمان نجاتي، علم النفس في حياتنا اليومية.

الفصل التاسع

- التعليم والثقافة وتشكيل الوعي الثقافي للطفل
- الاتصال كأحد عمليات الارشاد الاجتماعي

* التعليم والثقافة العامة وتشكيل الوعى الثقافة للطفل *

تمهيد

الأطفال هم المصدر الحقيقى لثروة المجتمع ، فهم الجيل الذى ترتكز عليه عمليات التنمية المتواصلة ، وبذلك يصبح الاهتمام برعاية الطفولة هدفا من أهم الأهداف التى تسعى إليها كافة المجتمعات منها المجتمع المصرى الذى يمثل فيه الأطفال دون سنه ١٥ عاماً نسبه ٤٠٪ من مجموع سكانه .[١]

وتعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل فى تكوين شخصية الإنسان وتوجيه سلوكه وتكوين عاداته ومعاييره واتجاهاته وقيمة ، كما تتحدد فيها الكثير من قدراته الذهنية والبدنية والنفسية .[٥]

ولقد أكد رئيس الجمهورية على أهمية الطفل بإعلان عقد الطفل المصرى الذى بدأ فى عام سنة ١٩٨٩ . نادى فيه بتلبية احتياجات الطفولة باعتبارها من الوسائل المثلى لتحقيق التنمية البشرية والقومية ، وأكد على أن يكون للأطفال مكان الصدارة فى الخطط القومية للتنمية ، وناشد كافة الأفراد والهيئات الرسمية والأهلية بالتركيز بجهودهم على رعاية الطفولة .

كما اهتمت الشريعة الإسلامية بالطفل فى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة من قبل بداية تكوينه فى بطن أمه حيث يرى الإسلام الولد زينة الحياة الدنيا المحببة إلى النفس والعقل ، وان الرغبة فيه غريزة كامنة فى الطبيعة البشرية ، ويبين القران الكريم موقف زكريا قبل أن يرزق الولد حيث سأل ربه قائلاً " فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله ربى رضيا "[*] ولعظم الولد اقسم الله تعالى به فقال " ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان فى كبد "[*]

والطفل فى اللغة هو المولود ويطلق لفظ طفل على كل جزء من شىء أو معنى والطفولة هى المرحلة من الميلاد إلى البلوغ (المعجم الوسيط ، ط٣ ، صـ ٥٩)

---

[*] سورة مريم آية ٥ ، ٦

[*] سورة البلد آية ٣

والطفولة وفقا للمادة الأولى من مشروع اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل هى كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سنه الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه والطفولة من منظور علم النفس [٧] هى مرحله لا يحتمل فيها الإنسان مسئوليات الحياة معتمدا على الأبوين وذوى القربى فى إشباع حاجاته البيولوجية والاجتماعية والنفسية وتمتد زمنياً من الميلاد وحتى قرب نهاية العقد الثانى من العمر وهى مرحله للضبط والسيطرة والتوجيه التربوى للأطفال .

أهمية الدراسة

إن مجتمع القرن الحادى والعشرين سوف يكون مجتمع المعلومات للدول التى سوف يكتب لها اجتياز المنافسة العالمية فى سوق الكوكبة الجديدة ، إن ثوره المعلومات سوف تحرر دول العالم من ضغوط الزمان والمكان ، وسوف تكون سمات القرن القادم هى المنافسة ، الابتكار ، المقدرة على إنتاج منتجات جديدة وتغليب بعض الثقافات على الثقافة المحلية ،وبدون رفع أولويات التعليم والثقافة ومحاولة دخول عصر تكنولوجيا المعلومات لن يحدث تناقص فى الوظائف غير المهاريه مما يستتبعه بطالة بين المتعلمين الذين قد يجدون أنفسهم فريسة التصادم بين الجديد والقديم مستخدمين سلاح التطرف ، إن العالم يعيش الآن ثورة المعلومات ، وان هذا المحيط من المعلومات لن يستوعبه ويسبح فيه إلا المثقفين وكل مادون ذلك سوف يقوم على خدمه الشاطئ دون مقدرة على التوغل إلى أدنى عمق .

دور التعليم :-

تشهد الآونة الحالية اهتماما شديد التركيز على ما يمكن أن نسميه قضيه التعليم فى مصر ، ولم يقتصر الاهتمام على إنشاء ابنيه جديدة حديثه للمدارس وتحسين حال عدد المدارس القديمة بل تناول نظام التعليم والمقومات الأساسية للسياسة التعليمية ومحتوى التعليم وأهدافه وكفاءة القائمين به إلى جانب أفق جديدة للعملية ودورها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والسياسى وعلاقة ذلك كله بحاضر الشعب المصرى ومستقبله وتحت مظلة الأمم المتحدة ووكالاتها التقى وزراء التعليم فى مقر اليونسكو بباريس سنة ١٩٩٣ لاستعراض السياسات التعليمية والاستراتيجيات والأهداف والوسائل والموارد

والبرامج الزمنية والدول المشتركة هى مصر ونيجيريا والصين وبنجلاديش وباكستان وإندونيسيا والبرازيل والمكسيك ويتجاوز مجموع سكانها نصف سكان العالم بأكمله ، وأكد

المدير العام لليونسكو بأن التعليم مفتاح المستقبل ، ولا ترجع أهمية هذه الدول أنها تضم اكثر من نصف سكان العالم فحسب ولكن لأنه يعيش فيها ٧٢ فى المائة من مجموع الأميين فى العالم [١١]

إن دخول الطفل المدرسة نوع من المواقف الجديدة التى يختبر فيها حياة الطفل وميل استعداده لاستقبال ما تواتيه به الحياة من جديد ، فمن الخير لو أننا أردنا أن نحسن توجيهه فى مختلف مراحل الدراسة فى حياته العامة كلها أن نبكر بتقييد ما يبرز منه منذ نعومه أظافره فى سجل تقوم بتحريره روضة الأطفال والمدرسة الابتدائية ٠

أهمية المناهج

إن المناهج الدراسية مسألة تهم كل بيت لأنها مسألة نعنى إدراكا لخطورة المسئولية الملقاة على أكتافنا ، فنحن نحمل مسئوليه إعداد جيل نأمل أن يكون قادراً على تشكيل مستقبل افضل من الحاضر ، ولذلك عندما تبدو الحاجة إلى تطه بر أى منهج فلابد وان يشمل كل عناصره أو مكوناته ، وهذا يعنى النظرة الكلية فى مقابل النظرة الجزئية ، وبداية تطوير المناهج هى تقويم القائم ، إن المناهج الدراسية ليست تاريخ انتهاء صلاحية ولكن الإبقاء عليها أو إخضاعها للتطوير يتوقف على مدى فاعليتها أى نوعيه الخبرات ونواتج التعليم ، وتنبع فلسفة المنهج من الفكر التربوى السائد الذى تتخذ من خلاله رؤية المجتمع لأبنائه فى المستقبل وتلك مسئولية قادة الفكر من علماء وفلاسفة ورجال صحافه وإعلام وليس الكتاب المدرسى هو المصدر الوحيد للتعلم[١١] ولكن البيئة بكل مقوماتها غنية بمصادر التعلم ومن هنا ينظر إليها باعتبارها كتابا مفتوحا يطل عليه الطفل من خلال حواسه ٠ المنهج ينبغى ألا يكون فى موضع التبعية ولكنه يجب أن يكون فى موضع القيادة حيث انه مطالب بتكون المفاهيم والمهارات والاتجاهات والقيم التى يحددها الفكر التربوى ٠

يشير حامد عمار [٨] (١٩٩٣) إلى ضرورة تقسيم المرحلة الابتدائية إلى فترتين من حيث ما يناسب كلا منهما فى مجالات التعليم والتعلم أولهما فى السنوات الأولى حيث يتم التركيز على اكتساب التلميذ القدرة على أن يتعلم ليقرأ متنقلا إلى الفترة الثانية فى السنوات الأخيرة التى تهدف إلى إكساب القدرة على أن يقرأ ليتعلم وهذا يعنى تعليمه فى الفترة الأولى مهارات القراءة والكتابة والحساب باعتبارها مفاتيح المعرفة ويرى الباحث أن المعرفة مهمة ولكن الخطأ هو الاكتفاء بحفظها واسترجاعها ومن ثم يجب اعتبارها وسيله لبناء الفكر والسلوك الرشيد والقيم ٠

إن عقل الطفل ووجدانه هو الهدف الاسمى الذى يجب أن تتجه المناهج إلى جعله واقعا متطورا من اجل تكوين مواطن على مستوى العصر .

التعليم والواقع والمستقبل

إن أزمة التعليم ذات طابع عالمى ولعل أوضح مثل على أن أقوى دولة فى هذا العصر وهى الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنت أن سبب تخلفها النسبى هو أن التعليم الأمريكى متخلف وقد ربطت هذا التخلف بأمنها القومى ولذلك أصدرت تقريرها الشهير أمه فى خطر (١٩٨٦) الذى توالت بعده تقارير عن تعليم المواطن الأمريكى من اجل المستقبل والإصلاح التربوى الأمريكى ، والإدارة السياسية الأمريكية تبنت قضية التعليم ووضعتها فى قمة أولويات الأجندة السياسية واعتبرتها مسألة حياة أو موت بالنسبة للمجتمع الأمريكى . كما يؤكد التقرير انه بعد أن كان الهدف من العملية التعليمية هو تعويد التلميذ على العمل المتكرر كوسيلة للاستيعاب مع تقسيم المعارف إلى جزيئات متفرقة يتلقاها التلميذ دون أن يطلب منه الربط بينها أصبح الآن الهدف منها هو جعل الإنسان يتمتع بالصفات الآتية :

أ- منفرد وغير نمطى :

فهو حريص على ذاتيته معتز برؤيته الخاصة ولا يرضى أن يكون صورة مكرره للآخرين

ب- ممارس للتفكير الناقد :

فهو بعيد النظر فيما أستقر عليه الرأى من قبل لأن حقائق الحياة تتغير بما يستجد من معلومات ومصارف .

جـ- قادر على التعليم الدائم والذاتى :-

فهو لا يكتفى بتحصيل معارفه عند عمر معين ، والحصول على شهادة إتمام الدراسة ثم يترك التحصيل إلى العمل وإنما يؤمن بأن الحياة عبارة عن سلسله متعاقبة من التعليم والتدريب والعمل

د- مبدع ومبتكر :-

فهو لا يستسلم وينخرط فى النظام المعد له بل يفكر ويتصور ويبتكر أشكالا وأهدافا جديدة لعمله وعلى قدر إمكانياته فى الإبداع والابتكار ستتحدد مكانته

هـ- معتز بفكره محترم لأفكار الآخرين :

فهو ليس مضطرا للخضوع للنمط الفكرى المفروض من أعلى ويؤمن بأن اختلافه عن الآخرين يضيف إلى رصيده،كما أنه مصدر ثراء معلوماتى له وللآخرين .

يتسم التعليم فى كل من اليابان وألمانيا بقدر كبير من الواقعية والعملية والانتماء والمنطق والسلوكيات وتكوين إنسان ذى توازن جسمى وصحى وسلوكى وقيادى واجتماعى ويتضح ذلك بجلاء بالنظر للقوة الإنتاجية والتصديرية لكل من البلدين،وهناك تشابها بين التجربة المصرية وكل من اليابان وألمانيا من حيث بداية عمر التنمية ونمط الشخصية المصرية وكل من الشخصية اليابانية والألمانية،ولكن أدى التركيز على الكم دون الكيف فى التعليم المصرى إلى تزايد عدد الخريجين دون الاهتمام بالمهارات والقدرات التحليلية والابتكارية .كما أن التركيز على المدخلات التعليمية دون الربط بين المخرجات وحاجات أسواق العمل أدى إلى تغيرات هيكلية فى منظور التعليم المصرى فهل يمكن مثلا الاستفادة من تجارب التنمية التعليمية فى كل من هذين البلدين بغرض فتح أفق تطويرية فى قاعدة التعليم المصرى .

يتضح مما سبق أهمية الإدارة السياسية فى تعظيم الدور الاستراتيجى للتعليم فى تحقيق التقدم والنهضة للشعوب ، ويوضح أهمية توافر رؤية مستقبلية تسبق التخطيط الاستراتيجى حتى لا يفقد قيمته والرؤية الاستراتيجية (٦) هى صورة واضحة بالمنجزات المراد تحقيقها وهى التى تنظم كل الخطوات المتخذة فى سبيل الوصول إلى الهدف ، ولا يمكن النظر لمستقبل التعليم منعزلا عن سياقاته المجتمعية والحضارية . إن من بين أهم العوامل التى أحدثت تغيرات عميقة فى عالمنا ومهدت لظهور نظام عالمى جديد ومجتمع كونى مغاير هو مجتمع ما بعد الصناعة Post industrial society،هو عامل الثورة الصناعية الثالث(٦)، هذا العامل تمتد إبداعاته فى مجالات عديدة منها المعلوماتيه والاتصالات عن بعد والهندسة الحيوية ، وإذا تدارسنا تأثير مجال واحد منها كالمعلوماتيه وحدناه يقوم أساسا على تعظيم مكانة المعرفة العلمية والتقنية حيث أصبحت المعرفة بديلا لرأس المال،وصارت هى المورد الاستراتيجى الرئيسى الذى يتصارع حوله البشر اليوم، بحكم أن المعلومات والمعرفة أصبحت سلعة غالية تمثل قوة سياسية وتكنولوجية ، كما أن تراكمها يمهد لتراكم أصول أى أن لها قوة اقتصادية ضخمة ، لذا أصبح من يسيطر عليها أو على التقنية العالمية يصبح مسيطر فى مجالات أخرى .

انه يجب التوجه نحو التنمية التعليمية حسب المعايير الجديدة للجودة الشاملة مع تقليل الفاقد والضياع فى العملية التعليمية ، وهناك دوراً مطلوبا من كل من القطاع الخاص المصرى والقطاع المشترك .

أثر الأسرة فى تربية الطفل :

الأسرة هى مصدر الرعاية الأولية لأبنائها وتجربة الحياة فيها تحول المولود إلى مخلوق إنسانى وكائن اجتماعى ، فهى التى تمنحه العطف والمكانة وتقوم بالتنشئة الاجتماعية والحماية ليعيش فى انسجام مع الآخرين . وفى الأسرة تنشأ الصلة والرابطة بين الابن وأبويه والتى تسهم بدورها فى إشباع احتياجاته المتنوعة المتجددة ، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الابن إذا تعذر عليه إقامة علاقات طيبة مع والديه فإنه يتعذر عليه إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين(٥) .

وعن أهمية الأسرة يقول باسورد (١٢) (١٩٨٧) إن هناك نوعا معينا من الإشباع تنفرد به الأسرة بتقديمه لأفرادها وقد لا تستطيع أى جماعة أخرى أن تعطيه للفرد هذا الإشباع هو ما يسمى بإشباع الحاجة إلى الحب والمودة والانتماء .

وفى دراسة عن البالغين(٤) اتضح من خلال نتائجها أن الطفولة الأولى أنشأت لديهم أثارا عميقة لازمتهم طوال الحياة ، ذلك لأن مركز الفرد فى الأسرة يترك طابعا بارزا على أسلوب الحياة كما تنشأ المصاعب التى تعوق النمو من شدة المنافسة وقلة التعاون فى ذلك المحيط .

ونظراً لأهمية دور الآباء فى حياة الأبناء اهتم رجال التربية وعلم النفس بدراسة هذا الدور من خلال ما أطلق عليه حديثا مفهوم التربية الأبوية (٥) والتى تهدف إلى توضيح دور الآباء ومستوى المعرفة الأساسية والمهارات المرتبطة بها لتمكينهم من التعامل مع الأبناء وإثراء الخبرة الأبوية وإغناؤها بالتجربة المنظمة وظهور هذا النمط من التربية كدراسة علمية يكشف عن أهمية دور الآباء فى حياة الأبناء لكونهم المصدر المباشر للمعتقدات والاتجاهات وأنماط السلوك الاجتماعى عن طريق ما يغرسونه منها فيهم .

التربية وأهميتها فى نفسية الطفل :

للتربية أهمية كبرى لأنها تعد وسيلة أساسية تدفع الطفل إلى انتفاء الموقف الذى يتخذه إزاء المشاكل التى يقابلها (١١) ، ولا يقدر بعض من الناس جدوى التربية حق قدرها بل إن بعض

المربين أنفسهم ممن لا يؤمنون بما لها من نفع وأثر ، فهم إن كانوا يسلمون أن طرائقها يمكن أن تصلح جانبا من النقائص والأخطاء التى يقال أنها فطرية فى الطفل إلا أنهم ينكرون أن التربية يمكن أن تقوم بدور كبير فى توجيه الصغار . ويرى البعض أن ذلك الشك فى جدوى التربية قد نشأ من خطأ كبير عن الموعد الذى يمكن اخذ الطفل فيه بالتهذيب أو عدم البدء فيه إلا إذا نضج إدراك الصغير مع انه ينبغى الشروع فى تربية الطفل منذ الأيام الأولى من حياته ، يوم يطلب الغذاء فننظم له تناوله أو يصرخ فنحسن التصرف إزاء هذا العويل ، ثم يرون إذا التربية هى أهم العوامل التى تكون نفسية الطفل وتقيم شخصيته .

مفهوم الثقافة :

من المقرر أن القناتين الأساسيتين لبناء الإنسان هما التعليم والثقافة ، حيث أن شخصية الطفل متكاملة نسبيا ومن ثم يتحتم ان تكون تربيتها متكاملة نسبيا فى نواحيها الخلقية والوجدانية والجسمية والعقلية ، ليست الثقافة والتربية بالمجالين المتوازيين ولكنهما متداخلان وعلاقتهما تبادليه كما بينهما من ترابط وثيق وعلى أساس هذا الترابط فإن تنمية أى منهما تنعكس بالضرورة على الأخرى وإذا كانت التربيه هى الوسيلة المثلى لنقل الثقافة القومية وتعزيز الذاتية الثقافية فإن الثقافة هى التى تغذى التربية وتشكل قوامها الفكرى والخلقى ، وهذا يعنى أن الثقافة هى هدف التربية وليس التعليم فحسب ، وان برامج التربية إنما تنجح بربطها بمفاهيم الثقافة وقيمها وأهدافها وهى لا تظهر بتكديس المعلومات ولكن تؤدى دورها المؤثر بالتفتح الفكرى على العلوم والآداب والفنون والتراث والقيم النبيلة ولا تكون ا لتنمية الثقافية فى نهاية المطاف كاملة نسبيا إلا حين تلتقى أهدافها فى تكامل الإنسان . يمكن أن يرد مفهوم الثقافة إلى ثلاثة مفاهيم ليس بينها تعارض وإنما هى مفاهيم تستخدم جميعا فى سياقات مختلفة .

أولهما : وهو اكثر شيوعا وألفة بين الناس : إن يلم المرء من كل علم وفن بطرف ومن ثم يطلق لفظ المثقف على ذلك الإنسان الموسوعة الذى يتحدث فى العلم والفن والأدب بإفاضة ، ويفتى فيها بطلاقه حين تطلب منه الفتيا والفرد هنا هو مناط الثقافة .

والمفهوم الثاني : نظرة هذا الفرد إلى الحياة والكون وتتكون هذه النظرة من جماع الخبرات التى يمر بها حتى تصبح له رؤيته الخاصة التى يقيس بها الأمور قبولا أو رفضاً ، فإن لكل إنسان ثقافته الخاصة حتى (الكناس فى الشارع ، أو السائل فى الطريق له ثقافة يتميز بها)

ويرى زكى نجيب محفوظ أن من ليس له وجهة نظر يلجأ إليها فى مواقف الحياة فهو ليس نبع ثقافة حتى ولو كان أعظم علماء عصره فى نوع من فروع العلم .

<u>أما المفهوم الثالث</u> : فهو أعم لأنه يشمل الجماعة ، والثقافة فى هذا المفهوم هى الجانب الفكرى والروحى من الحياة الذى يقوم على المعتقدات الدينية والتقاليد الأصلية واللغة وآدابها والعلم ومنجزاته كل ذلك بالتفاعل مع روح العصر . بما يتفق معها وتغذيتها ، فحينما تجتمع الجماعة على قدر مشترك من هذه المقومات يمكن القول بأن هذه هى ثقافتها التى تتميز بها بين الجماعات وهكذا يصبح مجال العمل الثقافى ومن ثم المعملية التعليمية هى السعى لإيجاد هذه الحالة الذهنية الوجدانية فى ضوء مقومات الإنسان المصرى .

<u>التغيير المستمر للثقافة :</u>

من صفات الثقافة أنها فى تغيير مستمر ويرجع هذا التغيير إلى موافقة الناس لعمليات الإضافة الثقافية ، على أن عملية التغيير لا تجد السبيل أمامها دائما سهلا وممهدا وأحيانا تقاوم الأنماط الثقافية الجديدة نتيجة الشك فى قيمتها أو بسبب خوف الناس من النتائج المترتبة على التغيير ذلك انه يسهل على الناس أن يسيروا على النهج الذى ورثوه عن أسلافهم لأنهم عرفوه وألفوه ، ولابد أى تغيير جديد يتطلب منهم جهداً أو تفكيرا فضلا عن احتمال وقوعهم فى خطأ يحرجهم ، على انه إذا كان فى إمكان الوقوف أمام تيار التغيير الجارف بالنسبة لبعض أنماط ثقافية فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لمعظم جوانب التراث الثقافى ، أما أولئك الذين ينصبون أنفسهم حراسا على نسيج التراث الثقافى رغبة منهم فى إصابته بالجمود أو الشكل حتى لا يتغير فإنما يحاولون عملا يائسا أو مستحيلا ، إن أقصى ما يستطيعونه هو الإبطاء بعملية التغيير الذى لا يمكن أن يقف ، ولا يمكن السيطرة عليها تماما عن طريق إقامة سد يوقف حركتها فى اتجاه التغيير .

ويرى الباحث أن الثقافة هى رقى الفكر وسمو الوجدان والسبيل إلى رقى الفكر هو التعليم وتنمية المعارف والتجربة وأن الطريق إلى سمو الوجدان هو الفن والأخلاق والوعى الدينى الصحيح وكل هذا من شأنه أن يرقى بالسلوك ويسمو بالعلاقات ويعمق الانتماء للوطن ويؤكد الإحساس بالاخوة بين المواطنين وما المثقف فى الواقع ألا هو رأى وموقف فالمثقف تتجاوز اهتماماته حدود همومه الشخصية وهو راغب دائما فى التغيير وهو قد لا يقبل من يقول نعم إلا إذا كان يريد أن يقول نعم ، ومن هنا كانت المسئولية الملقاة على كاهل المثقف مسئولية كبرى فهو مطالب بأشياء

عدة بعضها تفرضه ذاتيته هو نفسه ، وبعضها الآخر يفرضه القدر الذى أوجده فى مجتمع بعينه ، ذلك لأن مسئولية المثقف فى المجتمع النامى تختلف عن مسئولية المثقف فى المجتمع المتقدم بحكم نوعية المجتمع ذاته .

الثقافة الدينية :

يوضح السعدى [٩] (١٩٩٣) أن الثقافة الدينية هى مجموعة المعارف والخبرات التى تستند إلى نصوص الكتاب المقدس وشروحه أو قواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها وتوجيهات القادة الدينيين وممارستهم ومن أهم خصائص الثقافة الدينية يمكن إجمالها فيما يلى :-

الأصالة : تنبع من الاستناد إلى الدين دين الله والشريعة شريعته فكل ما جاء من عند الله هو موضع الإجلال .

الثبات : وهو صياغة النصوص الدينية بأسلوب الحسم والبت كلتهما عصمة للمتدين من شطحات النفس والعقل .

الاستمرار : هو أمر مشهود فى متواليات حركة التاريخ الاجتماعى .

الاستقلال : حيث لا تسمح لأى ثقافة أخرى بأن تقلقها أو تمسحها أو تزيحها .

المسئولية : تتشعب إلى مسئولية فردية هى أساس محاسبة النفس والنقد الذاتى .

الالتزام : ويعنى أن يستوفى المتدين ضميره الدينى وهو يناقش شئون الحياة .

الشمول : ذلك أن الإسلام ينظم شئون الدنيا والدين .

التوازن : حققت الثقافة الدينية قدرا متناسبا من الوسطية والاعتدال .

التعليم الثقافى :

إن الثقافة رسالة تربوية أساسية كما أن للتربية رسالتها الثقافية الأساسية والرسالتان وجهان لحقيقة واحدة غايتها كمال الإنسان النسبى [١٣] ، التعليم الثقافى منه ما هو مقصود وما هو غير مقصود وعلم النفس يوضح لنا القوى الأساسية التى تعمل فينا شعوريا أو لا شعوريا والنوع الأخير يسلك أحيانا طرقا ويتبع مسالك متعددة لها فاعليتها وأثرها ، وان كانت القوى اللاشعورية تخفى على كثير من الناس إلا أنها لا تغيب عن ذوى البصيرة النافذة وخاصة إذا ما كانوا من ذوى الخبرة والدراية بالنفس الإنسانية ، إننا إذا فكرنا مليا فى تصرفاتنا العديدة قد يتعذر علينا تغيير بعضها ، وقد يصعب علينا أيضا معرفة منشئها وأسباب تعلمها ، ولكن المسلّم به أننا

تعلمناها وإلا لما اتفقنا مع غيرنا من المواطنين فى أنواع شتى من السلوك المشترك ، مثل هذا السلوك الاجتماعى المشترك قد يكون ظاهراً كالتردد على المساجد أو تناول الطعام باليد وقد يكون خفيا مثل الشعور بكراهية العدو أو التفكير فى أمر من الأمور ، وبمرور الزمن قد يتأصل هذا السلوك إلى الأفراد والجماعات ويصبح نمطا أو أسلوب لحياتهم وسلوك الإنسان لا يتألف من وحدات سلوكية مستقلة بل إن هذه الوحدات مترابطة ومتداخلة وبعضها مؤثر فى الأخرى ومتأثر بها فى ذات الوقت فقلما نجد لدى أى فرد من أفراد المجتمع سلوكا مستقلا لا يتصل بأنواع أخرى من السلوك لديه ولدى الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه . إن الفرد الاجتماعى لا يعيش فى برج علجى انه يتعايش فى ثقافة لها نظمها وقواعدها وادياتها . إن هذا الفرد إذا أراد أن يعطى جهدا أو وقتا أو شيئا ما فلابد أن آخرين سيأخذون أو سيتأثرون بما سيعطيه أو يبذله وعلى هذا النحو يمكننا أن نلمس بسهولة أن أنواع السلوك العديدة لدى الناس يكمل بعضها بعضا فسلوك الأب مع أولاده والمدرس مع تلاميذه وغير ذلك من العلاقات الإنسانية المتبادلة كلها آطر سلوكية تعتمد على نماذج من السلوك الثقافى العام ولا يعنى هذا أن أساليب السلوك كلها أو أنها تتفق فى جميع الأوقات ولكن المقصود إن أنواع السلوك يكمل بعضها بعضا أو إنها على الأقل وثيقة الصلة بسلوك مناسب لدى الغير . عرفنا إذا آن سلوكنا ما هو إلا جانب من جوانب ثقافتنا وان هذا السلوك فى معظمه مكتسب ومن هذا يتبين أهمية التربية سواء منها الأسرية أو المدرسية .

وهكذا يكتسب أفراد المجتمع ثقافة مجتمعهم من اتصالهم ببعضهم البعض ويورثونها لأبنائهم وأحفادهم ويشير العلامة ابن خلدون إلى ظاهرة التمسك الثقافى [٢] على أنها دليل على حيوية المجتمع ويضيف إلى ذلك بأن العرب فى الأندلس حينما تخلوا عن كثير من عاداتهم وقلدوا الأسبان فى مهارتهم ولهجاتهم كان ذلك دليلا عى هزيمتهم الثقافية التى تعتبر نذير بهزيمتهم الحربية لأن التقليد الذى لا مبرر له اعترافا بعجز المقلدين بالنسبة إلى الذى يقلدونهم .

التغيرات الحضارية والاجتماعية وانعكاساتها على الثقافة :

تقوم ثقافات الشعوب عادة على مجموعين أو اكثر من عناصر الحضارة بمجموعة ذات مقومات وسمات ذاتية متوازنة أو شبه دائمة ، وتشكل شخصية الإنسان وتحدد الطابع القومى للشعب ، وتطبع كل ثقافة بطابع خاص من القيم الروحية والتقاليد الاجتماعية والممارسات السلوكية وربما من الحس الفنى أو الأدبى أيضا ، وهى غالبا ما تترتب فى بداية أمرها على بعض

إيحاءات بيئتها وظروف المعيشة فيها وحصيلة تاريخها ومستوى المعرفة والخبرة بين أهلها ، ولهذا قلما تتغير أساسياتها إلا تحت ضغوط شديدة ولفترات محدودة ، ولا ينفى مثل هذا التخصيص الثقافى احتمال وجود عناصر مشتركة فيها بين كل ثقافة وأخرى ، كما لا ينفى تنوع مدركات كل ثقافة بتنوع عهودها أو مستويات أهلها ، أما المجموعة الثانية من منجزات الثقافة فهى قد تكون فرعية أو عرضية طارئة ، وتتسم عادة بمزيد من القابلية للتلوث أو التغير والمرونة فى مواجهة تحديات الظروف ومستحدثات الأمور . وقد تتفاعل عناصر المجموعتين معا جزئيا أو كليا من حين لآخر ويتحدد مصيرها بالتالى إما بالتوازى فى نسيج ثقافى واحد ، أو يتمثل أحد فى الآخر ويصبغه بخصائصه وينتج عنها نتاج جديد أو يصارع أحدهم الآخر حتى يمحو أثره وكأنه لم يكن ويتحدد المصير فى كل حالة من هذه التحولات تبعا لمدى الاستمساك بالخصائص الأصلية ومدى قوة المتغيرات المحدثة ونوعية الاستجابة لها سواء نأت عن وعى أو بلا وعى ، وعن اختيار أو عن إجبار . ان الشعوب المتحضرة الأصلية كثيرا ما تقهر قاهريها ، قد يقهرونا بقوة السلاح ، وتقهرهم بقوة الحضارة والثقافة وعلى سبيل المثال مصر استمسكت بكيانها [illegible] استطاعت فى مواجهة غزاتها من الفرس والإغريق والرومان إبان عنفوان شبابهم ، فنأت عنهم بثقافاتها ولغتها وعاداتها ما فى وسعها ذلك رغم شيخوختها بالنسبة لهم ورغم عنف حكامها .

وفى النهاية نود ان نذكر كلمة العالم النفسى كورت ليفين" بناء دقيق من الاستدلال النظرى افضل بكثير من كل ما هو عملى ".

الاتصـــال Communication

يعتبر الاتصال المادة الماسكة لافراد المجتمع وجماعاته ، فبدون اتصال بين أفراد المجتمع يصبحون حشدا لا رابطة ولا علاقات اجتماعية بينهم ، فالاتصال هو شريان الحياة الاجتماعية ، والاتصال بالنسبة للحياة الاجتماعية شأن الدم بالنسبة لجسم الانسان لجسم الانسان مجموعة من الخلايا العضوية التى يبقى حياتها سريان الدم بين اجزاء الجسم وبعضه فاذا ما توقف سريان الدم فى جسم الانسان فقد الجسم حياته وتحللت وتفككت أجزاؤه . كذلك المجتمع اذا توقف الاتصال بين أفراده وجماعاته تفكك المجتمع وتحلل ، فالاتصال كما ذكرنا هو المادة الماسكة لافراد المجتمع وجماعاته .

والواقع أن أساس التفاعل الاجتماعى والثقافة والحياة الاجتماعية باسرها تستند الى الاتصال القائم بين أفراد المجتمع وجماعاته فجميع الظواهر الاجتماعية تدين للاتصال بوجـــودها .

وتعتمد عملية الارشاد الاجتماعى ـ شأن أى عملية اجتماعية أخرى ـ على الاتصال مع أفراد المجتمع فى شأن موضوع الارشاد فالارشاد ـ كما بينا فى الفصل الأول ـ يعنى بذل جهود اتصالية فعالة بالجماهير للتأثير على سلوكهم واتجاهاتهم وتوجيهها أو تغييرها وجهة أو تغييرا مرغوبا . وبناء على ذلك كان من اللازم أن نبدأ حديثنا عن عملية الارشاد الاجتماعى بتفهم الطريقة التى يتم بها الاتصال .

كيف يتم الاتصال

لفظة اتصـــال بالانجليزية Communication مشتقة من الكلمة اللاتينية Communis ومعناها العام المشترك) . فاذا ماقام شخص بالاتصال بآخر فانه يحـــاول

بذلك أن يقيم بينه وبين هذا الشخص عملية مشاركة أى أنه يحاول أن يشترك معــه فى الرأى أو فى معلومات أو فى فكرة أو اتجاه (١) .

ولكى يتم الاتصال يجب أن تتوفر على الأقل ثلاثة عناصر وهى :

١ : المصدر أو المرسل *Source*
٢ : الرسالة المطلوب توصيلها *Message*
٣ : المستقبل أو المرسل اليه *Destination*

والمصدر قد يكون شخصيا (يتكلم أو يكتب أو يرسم أو يأتى بحركات بدنية ذات معنى) أو قد يكون منظمة كدور الصحف أو النشر أو محطة تليفزيون أو اذاعــة أو أستوديو سينمائى . أما الرسالة فقد تكون فى شكل كتابة على الورق أو أمواج صوتية فى الهواء أو أى إشارة أخرى يمكن أن تفسر بمعنى معين . أما المرسل اليه أو المستقبل فقد يكون شخصــا يستمع أو يرقب أو يقرأ أو قد يكون عضوا فى جماعة المناقشة أو مستمعا لمحاضرة أو متفرجا على مباراة لكرة القدم أو حشد من الناس .

وعندما يحاول المصدر أن يحدث اتصالا ، فانه يبدأ فى أول الامر بصياغــة رسالة (أى تحويلها إلى رموز أو شفرة) بمعنى أنه يحول المعلومات أو الأحاسيس التى يرغب فى نقلها للغير بطريقة يمكن انتقالها . فالصور التى تخايلنا أو تجول فى أذهاننــا لا يمكن التعبير عنها أو نقلها إلا إذا تحولت الى رموز كلامية مثلا فى هذه الحالة يمكن نقلها بسهولة ولكنها لا تذهب بعيدا إلا إذا نقلت عن طريق الراديو ـ أما إذا صيغت الصور فى شكل كتابة فانه يمكن أرسالها الى مكان أبعد وبقائها لأزمنة أطول .

---

1 - Wilbur Schramm, The Process and Effect of Mass Communication Urbana, Univ. of Illinois Press, 1955, p3 .

وطريقة الإتصال الإنسانى تشبه تقريبا دائرة الاتصـال فى الراديو أو التليفـون ويمكن وصفها الشكل الآتى :

شـــكل رقم (١)

يبين خطوات الاتصال الانسانى

المرسل　　الرسالة　　التفسير　　المرسل اليه

المصدر ـــــ صياغة أو التحويل لرموز ـــــ الاشارة ـــــ حل الرموز ـــــ المستقبل

فاذا نظرنا الى الشكل السابق يمكن بسهولة معرفة كيف يتم الاتصال فالمصدر أو المرسل هو شخص لديه صورة محدودة لفكرة أو معلومات ويقوم بصياغتها عن طريق لغة مثلا واللغة رموز تترجم اليها هذه الصورة ثم يمكنه بعد ذلك نقل الرسالة المصاغة مستعملا فى ذلك الاشارة المناسبة كالكلام أو الكتابة أو الرسم أو الحركة البدنيه وحينما تصل الاشارة إلى الشخص المرسل اليه أو المستقبل يقوم بحل هذه الرموز وبذلك تعود الى ذهنه الصورة التى أرسلت وهكذا تكون قد تمت عملية الاتصال .

فمثلا اذا رأى شخصا كلبا يعض انسانا فان ما رآه هو حيوان نعرف جميعا شكله يقوم بحركة من فمه فى جسد انسان . هذه الصورة التى رآهـا الشخص بعينيه وانطبقت فى ذهنه . فاذا أراد توصيلها فانه بصفته المرسل أو المصدر يتولى تحويل الصورة التى فى ذهنه إلى رموز فالحيوان الذى رآه رمز له بكلمة (كلب) وقد يرمز غيره فى مجتمع آخر لنفس هذا الحيوان بكلمة (Dog) كما رمز للحركة التى قام بها هذا الحيوان بكلمة (عض) والكائن الذى عضه هذا الحيوان بكلمة (انسان) ـ وبذلك تكون الصورة التى رآها هذا الشخص الحقيقية قد تحولت الى شفرة أو رموز هى (كلب عض انسان) .

هذه هى الرسالة المصاغة للصورة التى لدى المصدر والتى يرغب فى توصيلها الى صديق له . والذى يحدث بعد ذلك هو أن المصدر يعطى الاشارة بهذه الرسالة المصاغة الى

المستقبل . وقد تكون الرسالة صوتية أو مكتوبة أو بحركات من اليدين والوجه أو بموجات لاسلكية أو أى إشارة أخرى مناسبة .

وحينما يتلقى المرسل اليه أو المستقبل هذه الرسالة المصاغة فان أول مايفعله هو أن يحاول حل رموزها فتتحول كلمة (كلب) مرة أخرى إلى صورة هـــذا الحيوان وكلمة (عض) الى الحركة التى أتى بها هذا الحيوان وكلمة (انسان) الى صورة الكائن الانسانى وبذلك تتحول هذه الرسالة الى صورة فى ذهن المستقبل أو المرسل اليه وتتم بذلك عملية الاتصال .

والملاحظ طبعا أنه لو كانت الصورة التى تكونت فى ذهن المستقبل أو المرسل اليه مطابقة للصورة التى كانت فى ذهن المصدر أو المرسل فان الاتصال يكون قد تم بنجاح . وعلى هذا فقد يتخيل المرسل اليه أو المستقبل أن الكلب المذكور كبير الحجم أسود اللون أشعث الشعر بينما كان الكلب فى الأصل صغيرا نحيلا أملس الا أن الرسالة حينما صيغت كانت ناقصة وغير معبرة تماما عن الصورة فى مخيلة المرسل أو المصدر مما أدى إلى هذا التباين بين الصورة الاصلية لدى المصدر والصورة النهائية التى تكونت لدى المستقبل أو المرسل اليه

ولا شك أن نجاح عملية الاتصال أو فشلها يتوقف على درجة صلاحية كل خطوة من الخطوات التى بيناها فى الشكل السابق بمعنى أن أى اهتزاز وعدم وضوح فى الصورة التى لدى المصدر أو أى خطأ وعدم دقة أو عدم اكتمال فى صياغة الرسالة المعبرة عن هذه الصورة أو أى خلل فى الاشارة التى تنقل بها الصورة أو أى خطأ فى حل رموز الرسالة كل هذا أو احداه سيؤدى إلى أن تكون الصورة فى مرحلتها النهائية لدى المستقبل أو المرسل اليه مخالفة للصورة التى لدى المصدر او المرسل .

مقومات الاتصال السليم

كما أوضحنا من قبل ، فان سلامة عملية الاتصال ونجاحها يتوقف على ســـلامة كل خطوة من خطوات عملية الاتصال . وسنتناول كل جزء من الأجزاء بالشرح حتى توضح الأساس الذى تقوم عليه سلامة كل خطوة :

أولا : وضوح الصورة لدى المصدر أو المرسل

بينا أن عملية الاتصال تبدأ بصورة فى ذهن أن مخيلة المصدر أو المرسل يرغب فى توصيلها إلى أفراد آخرين . ولا يمكن لعملية الاتصال أن تتم بوضوح أكثر من الوضوح الذى للصورة فى ذهن المصدر إلا إذا كان الاتصال سيثير نقاطا فى خبرات المرسل اليهم أو المستقبلين ليست فى خبرات المصدر . ولذلك فقد يتساءل البعض عن مغزى وضوح الصورة وكيف تكون الصورة واضحة أو غير واضحة ؟ .

ولنفهم الإجابة عن هذا السؤال ، تذكر للتمثيل الصورة الفوتوغرافية . فاذ ما نظرنا إلى صورة فوتوغرافية تحت عدسة مكبرة فاننا نرى أنها تتكون لا من طبقات من اللون تملأ الصورة كما قد يتبادر إلى الذهن ، وانما تتكون من مجموعة النقط المتجاورة لكل منها ظل معين أو تركيز معين من اللون . وتجاور هذه النقط مختلفة الظل هو الذى يعطى للشاهد الشعور بوضوح الصورة التى يراها . بل أن هذه النقط المكونة للصورة لا تختلف فى عددها عادة عن أى صورة أخرى على نفس الورق الحساس وانما الذى يختلف هو علاقة كل نقطة ذات تركيز لونى معين بالنقط الأخرى .

فالصورة الفوتوغرافية اذن إذا حللت إلى اجزائها وجدت أنها نقط معينة بظل معين فى ترتيب معين . وهو أشبه ما يكون بالصورة التى تنطبق فى ذهن انسان . فاذ كانت مكونات الصورة واضحة فى هذا الذهن فاننا نجد أن الصورة واضحة أى أن وضوح الصورة فى ذهن الانسان تتوقف على مدى وضوح أجزائها وفى ترتيبها وفى علاقة هذه الأجزاء ببعضها .

فمثلا إذا أردت أن تصف لشخص آخر طريقة وصوله إلى مكتب موظف معين بالمبنى المجمع فقد تكون الصورة مهزوزة تماما بمعنى أنك تعرف أن مكتب هذا الموظف فى المجمع . وقد تتحدد الصورة اكثر اذا عرفت أن المكتب المذكور فى المبنى المجمع

بالدور الرابع وقد تتحدد اكثر من قبل لو عرفت أن الغرفة تقع في المبنى المجمع في الدور الرابع في الجانب المطل على شارع القصر العيني ، وقد تكون الصورة في منتهى الوضوح لو أنك عرفت أن الغرفة تقع في المبنى المجمع في الدور الرابع وفي الجانب المطل على شارع القصر العيني وأن رقم الغرفة ٦٤ مثلا .

على أن الصورة التى تستعمل عادة فى الارشاد الاجتماعى غالبا ما تكون اكثر من هذا تعقيدا وتتطلب تحليلا أدق من المصدر حتى تتضح الصورة فى مخيلته ونعطى لذلك الأمثلة الآتية:

المثال الأول هو الرغبة فى ارشاد المزارعين فى الطريقة السليمة لزراعة القطن على خطوط مثلا فان الأمر يقتضى أن تستوضح الصورة اللازمة لهذه الطريقة من خطوات اعداد الأرض بالتفصيل إلى عمل الخطوط وعددها فى كل مسافة معينة ونوع المضرب المستعمل فى عمل الجور وعدد البذور التى توضع فى كل جورة ومكان عمل الجورة والمسافة بين كل جورة وأخرى ... الخ . وكلما اتضحت فى ذهنك تفصيلات العملية وترتيبها كلما كنت أقدر على الاتصال أى على نقل الصورة .

المثال الثانى هو الرغبة فى ارشاد المواطنين فى الريف مثلا فى ميدان النظافة ان كلمة نظافة تعبر عن مدلول واسع غير واضح الملامح والحدود . فقد يكون من السهل أن تشير الى سلوك أو شىء غير نظيف الا أنه من الصعب على الرجل العادى أن يوضح بتحديد ماذا يعنى بالنظافة وعليه فالخطوة الأولى لمثل هذه العملية الارشادية هى تحديد المعنى المقصود بالنظافة بالتفصيل والوضوح اللازمين . ويقسم رجال الصحة العامة النظافة إلى نظافة عامة ونظافة شخصية فاذا اخذنا النظافة العامة مثلا يمكن بالتالى تحديد جوانبها إلى نظافة البيئة أو الحى ونظافة المسكن . فلنفرض أننا أخذنا نظافة المسكن فما هو المقصود بذلك ... أو بمعنى آخر ماهى الاجراءات والسلوكيات والاتجاهات التى لو تمت لاصبح المسكن متصفا بالنظافة ؟

فقد يقول البعض مثلا أن نظافة المسكن تتكون من سلوكيات كالآتية :

١ : كنس أرض المنزل من القاذورات .

٢ : مسح أرض المسكن أو رشها بالماء ان كانت من التراب .

٣ : تنظيف الأتربة والاوساخ العالقة بالجدران .

٤ : تنظيف الاتربة والاوساخ العالقة بالسقف .

٥ : تنظيف الاتربة والاوساخ العالقة بالنوافذ والابواب .

٦ : تنظيف دورة المياه بالكنس والمسح .

٧ : نظافة أوانى المطبخ وغيرها من معدات المطبخ .

على أن أحدا بجانبك قد يذكرك بأن هناك نواح أخرى يجب اضافتها إلى ذلك مثل

٨ : نظافة الأثاث وأغطية الأرضية .

٩ : تهوية الحجرات وتعريضها للشمس والهواء .

ثم قد يتدخل ثالث فى الموضوع ويضيف الآتى :

١٠ : مصدر الماء وهل هو من مصدر نظيف أم من الترع والمصارف .

١١ : حالة الآنية التى يحتفظ بها بماء الشرب مثلا .

١٢ : فهم الأهالى لخطورة الميكروبات ودور النظافة فى مقاومتها .

وهكذا ترى أن تحليل الصورة قد اعتمد على خبرات كل من الثلاثة بحيث أخذ كل واحد منهم يضيف إلى الاجزاء المكونة لها من واقع خبراته السابقة فى دراسته فى المدارس أو فى اطلاعه وقراءاته أو فى حياته المنزلية الخاصة .

ـ لذلك فان النظر إلى المثالين الأول والثانى يوضح لنا أن أحسن مصدر لمعرفة أجزاء الصورة وتوضيح حدودها توضيحا سليما كاملا هو الرجوع إلى رجال العلم المتخصصين فى الميدان المتعلق بالصورة . فلو أننا رجعنا فى مثالنا الاول الى رجال علم الزراعة لكان فى تحديدهم للصورة أثر فى تكاملها ولو أننا رجعنا فى المثال الثانى الى رجال علم الصحة لاكملوا لنا الصورة وحللوها الى اجزائها .

على أن الرجوع إلى رجال العلم لا يفيد فى تحديد الصورة فحسب ، بل أنه اكثر من ذلك يعطى الصورة صفة موضوعية وليست صفة شخصية . فالمتتبع للمثال الثانى وللطريقة التى تم فيها تحليل الصورة يلاحظ أن الآراء الشخصية الثلاثة الذين اشتركوا فيها كانت هى السائدة فى تحديد معالم صورة نظافة المسكن ، اما بالرجوع فى الموضوع الى رجال العلم فاننا بذلك نضع حدودا لموضوع نظافة المسكن لا يختلف من عالم إلى آخر فنحن قد عدنا ورجعنا فى عملية التوضيح الى العلم ، والعلم كما نعلم يتصف بالموضوعية .

وأحيانا تكون الصورة اكثر تعقيدا مما سبق لأنها صورة مركبة كالحال فى عمل حملة ارشادية لمكافحة مرض البلهارسيا مثلا . ففى مثل هذه الحالة هناك ثلاث صور فرعية

١ : صورة خاصة بعلاج المرضى .

٢ : صورة خاصة بمقاومة القواقع الوسيطة فى المرض .

٣ : صورة خاصة للاصحاء بتوقى العدوى .

ومنا يجب أن نتبين أولا وضوح كل صورة فرعية من الصور الثلاثة ثم نتبع ذلك بأن نتبين العلاقة بين هذه الصور الفرعية الثلاث حتى نستكمل بوضوح الصورة المركبة الخاصة بمكافحة مرض البلهارسيا .

وهكذا يتضح لنا أن أول خطوة فى عملية الاتصال هو وضوح الصورة التى فى مخيلة المصدر أو المرسل ووضوح الصورة تتطلب بذل جهود من قبل المصدر

ليحصل على بيانات وافية عن أجزاء الصورة التي يعمل على نقلها ومصادر المرسل في ذلك عادة هي :

١ : الخبرة الشخصية .

٢ : رجال العلم والخبراء ،

٣ : الكتب والمراجع والنشرات المتعلقة بالموضوع .

٤ : أي مرجع آخر يعاونه على فهم الموضوع وقد يتطلب الأمر أن يقوم المصدر بنفسه باجراء بحث مبدئي يعاونه على استكمال وضوح الصورة في مخيلته قبل البدء في نشرها أو توصيلها لغيره .

والواقع أن عدم وضوح الصورة لدى بعض المصادر قد تكون عاملا أساسيا في فشل هذه المصادر في توصيل رسالتها الى المستقبلين . هذا ويلاحظ ما ذكرناه من أهمية أن يستند التوضيح والتحليل للصورة الى أساس موضوعي لا أساس شخصي قد يختلف من شخص إلى آخر .

ثانيا : سلامة الحلول المقترحة في الصورة

يتطلب الإتصال الفعال كما سنذكر فيما بعد أن يتضمن وسائل وحلول في حدود إمكانيات المستقبلين وطاقتهم . إلا أننا هنا نشير إلى ناحية إضافية وهي أن الحلول التي وصل اليها المصدر هي فعلا الحلول السليمة إما كحل واحد أمثل أو أكثر من حل صحيح .

فلنفترض مثلا أن المصدر قد راعه ازدحام الجمهور على المواصلات في ساعة معينة بشكل اثارة للدعوة إلى حل المشكلة . وقد يظن هذا المصدر أن الحل مثلا هو مجرد

زيادة عدد السيارات وقد يكون هذا هو الحل . إلا أن الأمر يتطلب تفكيرا أعمق من ذلك . فثلا يجب أن يتساءل المصدر ويبحث عن الموضوعات الآتية :

١ : فى أى الساعات يكون الازدحام ؟

٢ : هل الازدحام على مدار اليوم ؟

٣ : هل تعديل موعد دخول وخروج الموظفين مع خروج المدارس والمحال التجارية يؤدى الى علاج المشكلة بدون زيادة عدد السيارات .

٤ : هل تتحمل الطرق الحالية زيادة عدد السيارات ؟

وغير ذلك من الاسئلة التى تعينه على استكمال النواحى المتعلقة بالصورة الأصلية وبالتالى تعينه على تبين ان كان هناك حل أو أكثر لعلاج المشكلة ... وما مدى سلامة كل حل من هذه الحلول فى حدود الظروف الاقتصادية والاجتماعيه بل والمالية للأفراد والدولة ، ونحن نلاحظ بين مكاتبات القراء للجرائد مثلا اقتراحات لمشكلات تعبر بوضوح عن أن القارئ حينما أرسل اقتراحه عن مشكلة معينة لم يفكر فى أبعد من الحدود الضيقة لهذه المشكلة وقد أدى ذلك بطبيعه الحال الى أن حلوله المقترحه لم تكن سليمة لانها لم تراعى الظروف الأخرى المحيطة بالمشكلة .

ثالثا : صياغة الرسالة واعدادها للارسال

بعد أن تتضح الصوره المرغوب فى توصيلها توصيلا فعالا لابد للمصدر من المرور فى مرحلة تقدير الموقف حتى يمكنه صياغتها واعدادها الاعداد الصالح للارسال الفعـــال .

وتقدير الموقف يقتضى أن يتعرف المصدر على بعض النواحى سواء من ناحية مقدرة المصدر نفسه وامكانياته أم من ناحية جهور المستقبلين الذين سينشر بينهم ارشاداته

تقـــدير الموقف

١ : تقدير الموقف من ناحية مقـدرة المصـدر وامكانياته :

يتوقف شكل الرسالة وحجمها دون شك على مقدرة المصدر والامكانيات المتوفرة لديه ومن الخير المصدر ان كانت امكانياته ضئيلة أن يحد من حجم رسالته أو من حجم جمهور المستقبليين حتى يتمكن من استكمال توصيل رسالته بشكل فعال على صغر حجمها أو على صغر حجم جمهور المستقبلين فمن الخطأ الكبير أن يغرى المصدر الاتساع بالرسالة أو الاتساع بحجم المجتمع الذى يحاول الوصول اليه فيؤدى الأمر الى أن تصبح الرسالة مصاغة بطرق مهلهلة ضعيفة غير فعالة بحيث تصبح الجهود المبذولة فى شأنها جهوداً لاقيمة لها.

والارشاد الاجتماعى لا يقاس بحجم الرسالة أو بحجم الجمهور الذى تصل اليه الرسالة بقدر مايقاس بفاعلية الاتصال ونجاحه فى الوصول الى التأثير المطلوب عـلى جمهـــور المستقبلين . لذلك فعلى المصدر أن يقدر امكانياته وخصوصا فى النواحى الآتية :

(ا) الامكانيات المالية للمصدر ـ ففى حدود هذه الامكانيات المالية يمكن التفكير فى نوع الصياغة فى ضوء الاشارة التى تصلح لتوصيلها ـ فالمقـالات تنشر فى المطبوعات أو الصحافة ولذلك تكاليفه ، والأفلام السينمائية لها تكاليفها ـ والندوات والحفـــلات والاجتماعات العامة والمهرجانات لكل منها احتياجاتها المالية التى يجب مراعاتها فى تقدير الموقف .

(ب) الامكانيات الفنية المتوفرة لدى المصدر ، فهناك من المصادر ماقد يكون لديها من تحتاج اليهم من الفنيين سواء من الكتاب أو الرسامين أو الاذاعيين أو غيرهم من الفنيين ضمن قوة العاملين فى المصدر ، وهناك مصادر قد تحتاج الى الاستعـانة بهؤلاء أما بالأجر أو التطوع كذلك قد يكون المصـدر فى بيئة لايتوفر فيها أمثـال هؤلاء الفنيين ، وفى مثل هذه الحالة يتطلب الارشاد اتجاها مخالفـا لاتجاه المصادر التى يتوفر لها هؤلاء الفنيين لذلك فالامكانيات الفنية المتوفرة احـــدى نواحى تقدير الموقف .

(ﺟ) الامكانيات التنظيمية التى فى حدود اتصالات المصدر . تختلف المجتمعات فى عدد التنظيمات الحكومية وغير الحكومية المتوفرة بها . ففى انحاء الريف مثلا نجد المدارس منتشره فى جميع القرى بينما توجد مراكز اجتماعية أو وحدات مجمعة أو مجموعات صحيه فى بعض القرى دون الأخرى . وقد توجد جمعيات تعاونية أو أهلية فى بعض القرى دون الأخرى ولاشك أن المصدر الذى يمكنه أن يستفيد من هذه التنظيمات فى تنظيم حملته الارشادية يمكنه أن يتسع بحملته الى اجزاء كبيرة من المجتمع . أما المصدر الذى لا يمكنه بحكم تكوينه القانونى أو لأى سبب آخر من الاستفادة من هذه التنظيمات فعليه أن يصل بنفسه الى كافة الأجزاء المترامية عن طريق تنظيمه الخاص مما يزيد من اعبائه التنظيمية وتكلفتها .

وقد اتجه فريد ويلز رائد الاصلاح الريفى فى بور توريكو الى الاستفاده بكافة الامكانيات الموجوده فى انحاء الريف من الموظفين أو المؤسسات التى على صله بالجمهور من أى نوع من الاتصال . فاستفاد فريد ويلز برجال البوليس ورجال البريد ورجال المواصلات العامه كما استفاد من المدرسين والموظفين ورجال الدين فى كل بقعة من ريف بور توريكو فى برامجه الارشاديه وفى برامج النهوض بالمجتمع .

كذلك يتجه المسؤولون عن الارشاد الزراعى فى الولايات المتحدة الامريكيه الى الاستعانه بكليات الزراعة فى مختلف الولايات وبجميع المدارس فى المناطق الريفية فى نشر برامج الارشاد .

والواقع أن تعدد ميادين الارشاد الاجتماعى يجب ألا يستتبعه تعدد أدوات وأجهزة الارشاد . فاستقلال الارشاد الزراعى بأجهزة خاصه واستقلال الارشاد الصحى والارشاد القومى وبقيه نواحى الارشاد الاجتماعى كل منها بأجهزة خاصه انما هو تعدد لا ينتج عنه زيادة التكلفه الماليه فحسب بل وقد ينتج عنه عجـز الاعتمادات الماليه عن توفير الفنيين والادوات والاعتمادات لكل جهاز على حده بالشكل المرغوب ، كما قد يؤدى هـذا التكرار الى الصراع والتنافس بين هذه الأجهزة المتعدده . وتنسيق

التنفيذ فى أجهزة موحده لايعنى توحيد المصدر فالمصدر قد يكون للارشاد الزراعى أو الصحى أو غيره ، إلا أن برامج الارشاد الناتجة عن هذه المصدر يجب أن تبث وتنشر خلال أجهزة موحدة قوية منتشرة فى كل ناحيه من نواحى المجتمع وامام كل شخص من افراده فى غدواته وروحاته حتى يكون للارشاد فاعليته وقوته .

وعلى أى حال فالمقصود من النقطه الحالية هو أن المصدر فى تقديره للموقف لابد وان يعى تماما الامكانيات التنظيميه المتوفره فى البيئه والتى يستطيع المصدر أن يستعين بها استعانه حقيقيه مخلصه لامجرد استعانه شكليه مظهرية فى برامجه الارشاديه .

(د) الامكانيات الزمنية المتوفرة للمصدر . يختلف الزمن الذى يتطلبه برنامج أرشادى عن برنامج ارشادى آخر تبعا لطبيعة موضوع الارشاد فى كل برنامج . لذلك فموضوع برنامج الارشاد يحدد الى درجة كبيرة الزمن المطلوب للبرنامج الارشادى . فبعض الموضوعات مثل إرشاد الفلاح مثلا عن كيفية زراعة القطن على خطوط يتطلب وقتا أقصر من ارشاد الفلاحين الى ردم البرك وهذا بالتالى يتطلب وقتا أقصر من إرشاد الفلاحين فى موضوع النظافة العامة وهكذا . بل أن هناك أنواع من برامج الارشاد لا يحدها زمن محدد مثل ميادين الارشاد القومى .

وتقدير الوقت اللازم لاتمام الارشاد بنجاح لا يتوقف على موضوع العملية فحسب بل يتوقف كذلك على طبيعة المشتغلين وتوافر الاجهزة التى ستستخدم فى توصيل الرسالة اليهم . وعلى أى حال فان الوقت اللازم لعملية الارشاد جزء أساسى من عملية تقدير الموقف يجب أن يضعه المصدر موضع الاعتبار .

۲ : تقدير الموقف من ناحية المستقبلين :

كما يقدر المصدر موقفه من ناحية امكانياته وطاقاته وظروف تكوينه، فان من الواجب أيضا أن يشكل تدبر الموقف فيتفهم طبيعة الجمهور الذى سيوجه اليه جهوده الارشادية

فيجب أن يلم المصدر بفكرة واضحة عن الافراد والجماعات التى سيوجه اليهم جهوده الارشادية وحجمهم ومناطق سكنهم وثقافتهم وقيمهم السائدة وسنتناول كل ناحية من من هذه النواحى بالشرح المختصر :

(أ) من هم المستقبلون ؟

وفى ذلك يسعى المصدر الى التعرف على الحقائق والمعلومات الكافية عن مستقبلى جهوده الارشادية سواء كان هؤلاء المشتغلين أفراد أم جماعات . فالدراسة الخاصة بنوع جمهور المستقبلين هامة فى تحديد طبيعة صياغة الرسالة فالمستقبلين إن كانوا ذكور أم أناث - أم خليط لكل منهم لغة خاصة فى التخاطب وطريقة خاصة للتأثير . وأعمار المستقبلين لها تأثير كذلك على طريقة صياغة الرسالة . على أن من المعلومات الهامة فى هذا الشأن هو معرفة درجة انتشار التعليم بين المستقبلين ؛ فللجمهور المتعلم وسائل اتصال تخالف وسائل الاتصال التى تستخدم بين جمهور تنتشر بينه الأمية .

لذلك فان معرفة الاجابة عن السؤال المذكور (من هم المستقبلون ؟) له أثر كبير فى توجيه المصدر الى ملاءمة صياغة رسالته واختيار الوسائل الصالحة لتوصيلها حتى تكون عملية الاتصال عملية سليمة فعالة .

(ب) ما حجم جمهور المستقبلين :

تتأثر خطة البرنامج الارشادى تأثرا كبيرا بحجم جمهور المستقبلين الذين سيوجه اليهم البرنامج . والبرامج الموجهة لجمهور محدود الحجم تعتمد على وسائل اتصال أكثرا تصاقا بالاتصال المباشر المركز عن البرامج الى توجه الى جمهور كبير الحجم . لذلك فعلى المصدر أن يتبين فى تقديره للموقف حجم الجمهور الذى يسعى الى نشر برامجه الارشاديه بينه .

(ج) أين يتواجد جمهور المستقبلين؟

أن الدراية بامكنه تواجد جمهور المستقبلين تؤثر على خطة المصدر فى تنظيم جهوده الارشادية وتتضح هذه الأهمية فى الناحيتين الآتيتين :

١ : ان انتشار الجمهور فى رقعة واسعة متباعدة يحتم الحاجة إلى التوسع فى التنظيمات والوسائل اللازمة للوصول بالبرامج الارشادية إلى هذا الجمهور المنتشر مكانيا .

٢ : ان ظروف وطبيعة البيئة التى يتواجد فيها جمهور المستقبلين قد تحد أو تمنع استخدام بعض وسائل الاتصـــال أو تشير باستخدام بعضها فمثلا ظروف المجتمع الريفى لن تسمح باستخدام التليفزيون كوسيلة اتصال فى برامج الارشاد الزراعى لبعض الوقت نظرا لعدم وصول موجات البرامج التليفزيونية الى أبعد من المدن الكبرى التى ستقام بها هذه البرامج فى الآونة الحاضرة .

(د) بعض جوانب من ثقافة الجمهور :

هناك بعض جوانب من الثقافة السائدة بين جمهور المستقبلين التى لها أهمية كبرى فى تقدير المصدر للموقف وتعينه معرفتها على تحاشى فشل برامجه الارشادية أو على اعانتها على النجاح والفاعلية ويمكن اطلاق اسم الخصائص العامة لأفراد المجتمع على هذا الجانب الهام من الثقافة ونعنى به نواحى مثل القيم السائدة فى المجتمع ، طابع العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفراد المجتمع ، الحزازات العائلية أو الخلافات السياسية أو العنصرية أو الدينية ان كانت واضحة فى هذا المجتمع .

فاسلوب الاتصال ووسائله فى جماعة محافظة يختلف عن اسلوب الاتصال ووسائله فى مجتمع أكثر تحررا .

على أنه اذا كان معرفة هذه الجوانب من الثقافة هام بصفة عامة بالنسبة لأية برامج ارشادية ، فان هناك نوع خاص من البرامج الارشادية يستلزم حسن الدراية بهذه الجوانب ونعنى بذلك النوع تلك البرامج الارشادية التى تدعو الى اجراءات وجهود جماعية من جانب المستقبلين . فقد يقتنع أفراد مجتمع بالمضمون الارشادى للبرامج إلا أن نجاح البرنامج الارشادى لا يتحقق بسبب عدم قيام أفراد المجتمع من المستقبلين بجهود ايجابية لتعذر ذلك بسبب ضغائن عائلية أو سياسية أو عنصرية أو دينية تنتشر بين أفراد هذا المجتمع تحول دون امكان تعاون الأفراد فى هذه الجهود الايجابية والعمل المشترك .

• شروط أساسية تراعى عند صياغة الرسالة

حينما تناقش الشروط الواجب مراعاتها عند صياغة الرساله حتى تحدث تأثيرها المطلوب بعد توصيلها الى جمهور المستقبلين ، فيجب أن نتذكر دائما بان القاعدة الأولى العملية عند المشتغلين بالاتصال بالجماهير mass communication هى « إعرف مستمعيك » وهى التى سبق الإشارة اليها عند حديثنا عن تقدير الموقف . فقد تبين لنا أهمية معرفة المستمعين فهذه المعرفة على الأقل تحدد الوقت المناسب للرسالة ، ونوع اللغة التى يجب استعمالها لكى تكون مفهومة ، والاتجاهات والقيم التى يلجأ اليها لإحداث التأثير المطلوب ، ومستويات الجماعة التى ترغب منها القيام بالعمل المطلوب .

والواقع أن جميع الشروط التى سنشير اليها فيمايلى انما هى تعتمد وتستند فى تطبيقها فى أى حالة من الحالات على معرفة نوع الجمهور التى توجه اليهم البرامج .

١ : يجب أن تصاغ الرسالة بشكل واضح يمثل الصورة الأصلية بدقة مع الإستعانة بالرموز المناسبة لاظهار هذه الدقة :

سبق أن أوضحنا فى النقطة الأولى من مقومات الاتصال السليم أهمية وضوح الصورة التى فى ذهن المصدر أو المرسل ذلك الوضوح الذى لايتأتى إلا بتحليل أجزائها تحليلا موضوعيا ومعرفة العلاقة والإنتظام بين هذه الأجزاء وبعضها .

والصياغة يجب أن تراعى أن تعبر الرموز المستعملة عن ترجمة أجزاء الصورة وتفاصيلها وكذلك علاقاتها تعبيراً واضحا محدداً قدر الإمكان . والواقع أن فى خبراتنا الخاصة جميعاً أمثلة عديدة نقارن بها بين من يحسنون التعبير ومن لايحسنونه . فهناك من الأفراد من لديه معلومات غنية فى أحد الموضوعات ولكنه حين يترجمها إلى رموز أى يصوغها أى يعبر عنها باللغة مثلا فانه يعجز عن ذلك التعبير الواضح المتكامل للصورة المتكاملة التى فى ذهنه أو مخيلته بحيث تصل تعبيراته إلى المستمعين قاصرة ناقصة . هذا النقص

فى الإتصال ليس عن نقص فى الصورة الأصلية التى فى مخيلة المصدر وانما هى ناشئة كما هو واضح من عجزه عن الصياغة الدقيقة المتكاملة .

على أن تحسين الصياغة الرسالة يمكن لكل فرد أن يتدرب عـلى التقدم فيه بمعنى أن كل فرد يستطيع أن يحسن من قدرته على الصياغة عن طريق المحاولات المتعددة وعن طريق القراءة المستمرة للكتب الأدبية والكتب العلمية ، فالكتب الأدبية تمنحه الجمال فى الصياغة والسهولة فى التعبير بينما تمنحه الكتب العلمية التحديد الواضح فى اختيار الالفاظ محددة المعانى منظمة الترتيب .

ونجاح المصدر على الصياغة الواضحة تعتمد إلى درجة كبيرة على حسن اختيار المصدر لنوع الرموز أو الشفرة المستعملة فى الصياغة . فليست اللغة هى الرمـوز المناسبة للتعبير عن الصور المراد صياغتها دائما . هناك الرسوم الإيضاحية أو البيانية أو الكاريكاتورية أو الفوتوغرافية وهناك التعبير الصوتى فى الضغط على بعض الكلمات أو إظهار بعض عواطف الحماسة أو الاستخفاف أو الخشوع أو التهكم فى التعبير الصوتى وقد يصاحب التعبير الصوتى مؤثرات صـوتية فالموسيقى مثلا تزيد من التركيز على العناصر المطلوب التركيز عليها .

وعلى أى حال فان احتمال نجاح المصدر فى صياغة الرسالة بدقة يعتمد أكبر الإعتماد على درجة وضوح الصورة عند المصدر نفسه .

وتعتمد بعض المصادر على اجراء اختبارات تمهيدية على شكل صياغة الرسالة قبل استعمالها كما يحدث حينما تختبر فى الدراسـات الاجتماعية الاستمارة المستعملة أو الأسئلة الموجهة وهل هى تعبر تماما لدى المستقبلين على الغرض المقصود من توجيهها . وتعدل أشكال الصياغة عادة تبعا لهذه الاختبارات التمهيدية .

كذلك يقوم المركز الدولى للتربية الأساسية للعالم العربى بسرس الليان باجـراء اختبارات تمهيدية على الملصقات التى تعمل للارشاد الزراعى أو الصحى أو أى لون من

أو ان النشاط الاجتماعي . فحينما يعبر الفنان والمرشد عن الصورة المراد توصيلها للجمهور بلوحة توضح مثلا أهمية الاهتمام بعلاج العيون أو خطورة اهمال علاج أمراض العيون أو لوحة عن أهمية مكافحة دودة القطن وخطورة هذه الدودة على الانتاج والدخل فان مثل هذه اللوحات أو الملصقات ترسل مع عدد من الباحثين الى عدد من القرى التى تعمل الملصقات من أجلها حيث يعرضونها على عينة عشوائية أو عينة مختارة من ابناء هذه القرى للحصول على استجاباتهم لها أو تفسيرهم لرموزها . وتعدل اللوحة والتعبير أى الصياغة فيها عادة بناء على هذه الاختبارات التمهيدية .

فمثلا فى احدى اللوحات اراد الفنان أن يعبر عن وجهة نظر المرشد الزراعى بأن دودة القطن حينما تأكل ورقة القطن فانها كأنها أوراق البنكنوت الخاصة بالمزارع وبالغ الفنان فى عرضه فرسم دودة قطن قد أكلت معظم اجزاء ورقة قطن وبجانبها ورقة بنكنوت متأكلة بنفس الشكل التى تآكلت به ورقة القطن والصورة من الوجهة التعبيرية واضحة جلية فى غير حاجة الى شرح كتابى بحيث يفهم مضمونها المتعلمون والأميون . وحينما عرضت اللوحة للبحث التمهيدى تبين أن عددا كبيرا من المزارعين لم يستطيعوا أن يميزوا أن الورقة ورقة قطن نظرا لأن الفنان بالغ فى تآكلها بحيث فقدت شكلها المميز وقد وصفها البعض أحيانا بانها ورقة عنب أو ورقة نبات الخروع . وعليه فقد أعاد الفنان تعديل الصورة والتعبير بها حيث أبرز ملامح ورقة القطن بشكل لا يدعو الى هذا اللبس أو عدم الوضوح فى تفسيرها .

كذلك فان من وسائل تحسين النقص فى الصياغة هو تعريض اشكال الصياغة للنقد والتمحيص بين افراد جهاز المصدر وبعض الأفراد الآخرين قبل نشر هذه الصياغة بين المستقبلين . ففى جلسات المناقشة والنقد يستطيع عدد من الأفراد المحايدين ممن لا يعرفون شيئا عن مضمون البرنامج الارشادية أو يوضحوا ما أمكنهم فهمه من الرسالات المصاغة المعدة للنشر . وبذلك يمكن تعديل او اضافة اى اجزاء يتبين الحاجة اليها فى الوقت المناسب

٢ : يجب ان تصاغ الرسالة وتقدم بحيث تسترعى انتباه المستقبلين :

ليس هذا الأمر بالسهولة كما يبدو لأول وهله ، اذا لا بد بعد وجود الرسالة

من القائها بحيث تسمع او تسليمها بحيث تصل او احدا منها بحيث ترى. الا ان سماع المستقبلين للرسالة أو تلقيهم لها أو رؤيتها لا يعنى أنهم قد تفهموها أو قرؤوها أو ركزوا فكرهم عليها . فنحن نعلم من خبراتنا الخاصة بان هناك أنواعا كثيرة من الاتصالات تأتى الينا ولا يتسع وقتنا لقبولها أو تتفق رغبتنا لاستيعابها وفهمها كلها فاننا نلقى نظرة على الصحف مثلا نظر سطحية أحيانا ونقول أننا نتصفح عناوينها ، ونختار من بينها حسب الانطباعات التى تحدثها لدينا سواء كانت مما يثير اهتمامنا أو تخدم غرضا معينا أو تشبع حاجة لدينا واختيارنا لرسالة يكون عادة على أساس هذه الانطباعات سواء أكانت عنوانا أو اسما أو صورة أو لونا أو صوتا ـ فاذا لم تحرك فينا هذه الأمور ساكنا فلن نجد فى نفوسنا صدى لها .

وعليه فاثارة أنتباه المستقبل للرسالة يكون بعرضها بطريقة تجذب حاجته اليها أما بان تكون هذه الحاجة فى شكل موضوع الرسالة التى يستدر اهتمامه أو بعرضها بطريقة مغرية تجذب انتباهه لاشباع حب استطلاعه لموضوع أو اشباع أى دافع آخر .

فمثلا التمهيد الذى تتبعه بعض ألوان الاعلان عن بعض السلع بعرض جمل مبهمة مثل (أين حسن؟) أو (سؤال واجابته فى الصفحة الأخرى) أو (اقلب الصفحة من فضلك) انما هى محاولات لجذب انتباه المستقبل للاعلان . كذلك تلجأ بعض ألوان الاعلان الى استخدام الصور التى تثير دافعا جنسيا لتلفت نظر المستقبلين الى الاعلان.

ويتوقف النجاح فى اجتذاب انتباه المستقبل لذلك على طريقة عرض الرسالة ووقت عرضها ومكانها ففيما يختص بطريقة عرض الرسالة فان نوع الصوت المستخدم أو العناوين المكتوبة فى المطبوعات وحجم حروفها أو لونها .

أما من ناحية أثر وقت ومكان عرض الرسالة على اجتذاب انتباه المستقبل لها فاننا نعلم مثلا أنك اذا تحدثت مع زميل لك فى وقت راحته أو فى أمر يتوقعه فى لحظة تحدثك معه ، فلا شك فى أنك ستجد منه أذنا صاغية عما اذا كنت توجه اليه الحديث

أثناء ضوضاء عالية تطغى على ما تقول أو إذا كان فى شاغل عنك فى تلقى رسالة أخرى أو كان يغالبه النوم أو يفكر فى أمر آخر يشغل كل اهتمامه . وعلى هذا فان الوقت والمكان لهما أثر كبير على استعداد الفرد لتقبل رسالةما أو الاشاحة عنها والانشغال عنها.

لذلك فان اختياروقت اذاعة براج موجهة الى جمهور الريفيين مثلا يجب أن يكون فى وقت بعد عودة المزارعين من حقولهم وفى اعقاب صلاة العشاء. كما يجب ألا يتأخر وقت الاذاعة عن ذلك كثيرا فالفلاح قبل هذا الموعد فى مشغولياته كما وأن الوقت ان تأخر يكون الفلاح قد آوى الى فراشه حيث ينام غالبيتهم مبكرين بسبب ضعف الاضاءة الليلية فى القرى .

وفى حديثنا فى الفصل الرابع عن بعض الوسائل المتبعة فى ابلاغ الرسالة وصياغتها سنتحدث عن الكيفية التى يمكن معها استعمال هذه الوسائل بطريقة تجتذب اهتمام المستقبلين لها .

٣ : يجب أن تستخدم الرموز التى تدخل فى الخبرة المشتركة للمصدر والمستقبل :

إذا كان المصدر قد تمكن من اجتذاب انتباه المستقبل الى رسالته ، فمعنى ذلك بلغة علماء الإتصال أن موجة المصدر قد انفقت مع موجة المستقبل أو العكس ويمكن أن نضيف الى ذلك أنه كلما زادت خبرتنا بالمحيط الذى نعيش فيه ، كلما تحدثنا عن هذه الخبرات فى اطار صلتها بالخبرات الأخرى وأصبح من السهل علينا تقبل الاتصال بشأنها أما إذا كانت خبراتنا ناقصة فى موضوع معين فاننا نقاوم عادة الاتصال فى شأن مانجهله تماما ويختلف أو يتعارض مع مانعلمه فى محيط خبرتنا السابقة ... فى العهد الحزبى فى الاقليم الجنوبى فى الماضى مثلا ، كان الشخص الذى ينتمى إلى حزب من الأحزاب يشيح عن الاستماع الى مرشح لحزب آخر أو يقرأ جريدة يصدرها هذا الحزب الأخير .

وعلى هذا فالاتصال يجب أن يعتمد على خبرة مشتركة بين المصدر والمستقبل فاللغة مثلا تكون صالحة للاتصال إذا كان لرموزها نفس المعنى فى خبرة المصدر كما هى فى خبرة المستقبل .

لذلك فانه عند إعداد رسالة يجب أن يتأكد المرسل أنه يتكلم بنفس اللغة التى ينكلم بها المستقبل ، وأنه أيضا يعترض بنفس الطريقة التى يرى بها الأمور أو على الأقل لايتحدى مباشرة للراسخ والثابت من الخبرات . والقاعدة فى الاتصال هى ألا تشعر المستقبل بأنك تتحدى جهله ومبادؤه وقيمه ؛ وان كان الأمر يتضمن ذلك فان الواجب أن تصاغ الرسالة بحيث تبدأ وتسير دون أن تبرز هذا التحدى الذى يحول بين المستقبل وبين رغبته واستعداده لقبول موضوع الرسالة .

٤ : يجب أن ينبنى موضوع الاتصال على الإطار المرجعى والخبرة السابقة للمستقبلين :

لابد وان ينبنى الإتصال على الخبرة السابقة للوصل اليهم . فالحديث عن التفاعل الكيماوى للقنبلة الذرية أو الايدروجينية لايفهمه سوى أولئك الذين سبق لهم دراسة الكيمياء والطبيعة وتركيب الذرة . لذلك يجب أن يرتبط موضوع الاتصال على الخبرة السابقة للمستقبلين وأن يتدرج بهذه الخبرة إلى المستوى المطلوب توصيله اليهم . ونسوق لذلك مثلا فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر عن تأميم قناة السويس . (١)

حينما أراد الرئيس إعلان نبأ قرار تأميم قناة السويس ، لم يبدأ فورا باعلان قرار التأميم فلو أنه بدأ حديثه بذلك لما كان عدد من وصل اليهم النبأ من المستقبلين بوضوح ذلك العدد الكبير من أبناء الامة العربية.إنما الذى حدث هو أن تدرج الرئيس بخبرات المستمعين منذ اللحظة الاولى التى ناقش فيها فردينان ديليسبس سعيد بشأن قناة السويس الى أن وصل إلى دور الامة والشعب فى حفرها وما تكبدته الامة من تضحيات وجهود ثم شرح الرئيس بعد ذلك ماتبع انشاء القناة بأيدى أبناء الوطن من سوء استغلال الشركة القائمة على إدارتها لهذا المرفق دون أى اعتبار لصالح البلد الذى تعمل فيه وما أبدت من عدم ولاء لصالح البلاد . وانتهى الرئيس من ذلك الى اعلان قرار التأميم بعد أن قام ببناء الخبرة السابقة للستمعين (المستقبلين) بحيث أمكن توصيل قرار التأميم اليهم توصيلا فعالا .

---

(١) على فؤاد أحمد ، محاضرات فى الإجتماع الريفى ، دار الثقافة والعلوم ، القاهرة ١٩٥٩ ص ١٢ .

٥ : يجب أن تمس الرسالة الحاجات الشخصية للمستقبلين :

نعلم من دراساتنا فى علم النفس الاجتماعى بأن مايثير الإنسان لايخرج عن كونه أما محاولة تجنب ألم أو الطمع فى جزاء مكافىء . والاتصال الفعال هو الاتصال الذى يستثير المستقبلين للعمل أو التفكير فى الاتجاه المطلوب أو على الأقل فى موضوع الاتصال . ولما كان الانسان يقدم على العمل أو التفكير لاشباع حاجة أو تحقيق هدف فلا بد أن تراعى الرساله ذلك . وفى المواقف البسيطة يكون الفعل آليا كما يحدث أنا اقتربت يدك من النار وشعرت بالألم . ولكن فى المواقف الأكثر تعقيد يكون لنا عادة حرية الاختيار ويكون اختيارنا فى مثل هذه المواقف على أساس تقديرنا للعمل الذى نراه أقرب الى تحقيق أهدافنا ومقابلة حاجاتنا .

ويجب أن تتصف الرسالة بصلتها باحدى حاجاتنا الشخصية كالأمن واعتبار الذات والحب والتحرر من الخوف أو القلق أو ما أشبه حتى تكون هذه الرسالة فعالة . أى يجب أن تثير الرسالة فى نفس الوقت السيطرة على هذا الدافع للعمل، وذلك باقتراح ما يجب أن يتبع أو الايحاء به .

فالاعلان التجارى مثلا ، يحاول أن يستثيرك باهمية أشباع حاجة معينة وشراء سلعة معينة تشبع هذه الحاجة ثم يخبرك فى نفس الوقت بالمكان الذى تستطيع أن تجدها فيه .

والاجراء المقترح فى عملية الاتصال ليس هو دائما الذى يتبع أو يعمل به ، فمثلا اذا كان هناك شىء أسهل أو أقل تكلفة أو اجراء مقبول يؤدى الى نفس الغرض فمن الجائز أن يكون مثل هذا الاقتراح هو مايقع عليه اختيار المستقبل أو المرسل اليه . كما أن المستقبل نفسه قد لا يكون من الطراز الذى يمكن له أن يقوم بعمل شاق يتطلبه الموقف أو أن القيم الخاصة عند الشخص تمنعه من اتباع الاجراء المقترح - أو أن الهيئة أو الجماعة التى ينتمى اليها لا تبيح مايقوم به من عمل. والواقع أن موضوع أن تمس الرسالة الحاجات الشخصية للمستقبلين مرتبطة أشد الارتباط بنوع الاقتراح التى تتضمنها الرسالة الارشادية ، وهو ما سنوضحه أكثر فى النقطة التالية .

٦ : يجب أن تتضمن الرسالة الطرق لمقابلة هذه الحاجات :

تسعى الرسالة فى أى برنامج ارشادى بطبيعة الحال إلى اشعار الجماهير بمشكلة قائمة فى حياتهم بغرض احداث تغيير موجه فى اتجاه مرغوب ، سواء كان هذا التغيير فى سلوكياتهم أو فى اتجاهاتهم . والمتوقع بطبيعة الحال أن يؤدى هذا التغيير فى السلوكيات أو فى الاتجاهات إلى علاج المشكلة القائمة .

وعليه فان الرسالة لا تحتوى على مجرد استثارة للجماهير للشعور بالمشكلة القائمة وانما يجب أن تتضمن كذلك التوجيه والاقتراح والايحاء بالكيفية التى يمكن بها علاج المشكلة . ويحتاج الأمر أن تنعم النظر قليلا فى مقومات نجاح هذه الحلول ، فالواقع أن الرسالة الناجحة فى استثارة الجماهير للشعور بالمشكلة ، قد يشل تأثيرها أو يتوقف بسبب عدم سلامة الحلول المقترحة لها أو استحالة قبولها بين أفراد المستقبلين .

والنصيحة الأولى التى توجه فى هذا الشأن هو أن تكون الحلول المقترحة فى الرسالة مما يتفق مع موقف الجماعة فى الوقت الذى يستثار فيه الطرف المعنى للقيام بالاستجابة المرغوبة . ولعل الحكمة القديمة إذا أردت ان تطاع فمر بما يستطاع . هى التعبير السليم عن هذه النصيحة . فالانسان يعيش فى جماعات . أولاها الأسرة التى يحصل منها على تعليمه الأول . ونحن نتعلم القيم من الجماعات التى ننتمى اليها ، كما نتعلم منها الأدوار التى نقوم بها والتى تسهل حياتنا اليومية وتنظمها . ونحن كذلك نستجيب إلى الاتصالات الخارجية وفقا لانماط الجماعة ، فاذا كان الاتصال سيحدث تغييرا فى سلوكنا فان أول ما نفعل هو أن نلجأ إلى الجماعات التى ننتمى اليها لكى نحصل على موافقتها على هذا التغيير . وفى الواقع أننا لا نحس أن هذا يحدث بالرغم من اننا قد لا نكون واعين باهمية هذه الجماعات فى حياتنا ومدى تأثيرها فى سلوكنا ؛ ولا نشعر بقيمة الولاء لها الا إذا تهددت مكانتنا فيها أو شعرنا بما يهدد هذه الجماعات .

وإذا كانت الجماعات التى ننتمى اليها لا تقر ما نميل الى اتباعه نتيجة لاستجابتنا الشخصية لاتصال معين ، فاننا فى الغالب لا نجرؤ على السير فيه . وبالعكس إذا كانت

الجماعات تؤيد بقوة اتخاذ اجراء معين فاننا فى الغالب نتبع هذا الإجراء دون غيره. وأثر الجماعة قد يستمر مع الفرد حتى وهو بعيدا عنها فالطالب المسلم مثلا الذى يتلقى العلم فى أوربا قد لا تؤثر فيه اعلانات بيع لحم الخنزير بالرغم من بعده عن جماعته . فان صوت الجماعة ينعكس فى شخصيتنا فيما يعرف بالضمير .

وهناك اعتباران غاية فى الاهمية يتعلقان بعلاقة أثر الاتصال بسلامة طرق مقابلة الحاجة التى تتضمنها الرسالة وفاعلية هذا الاتصال . الامر الأول هو أن احتمال نجاح الرسالة يكون أكثر اذا كانت الرسالة تناسب انماط الفهم والاتجاهات والقيم والأهداف عند المستقبل ، أو اذا بدأت بهذا النمط المعين وأخذت تحاول فى تشكيله ، أى تمهيد السبيل أو ايجاد المسلك الذى يمكن أن تسير فيه الدوافع القائمة أو كما يعبر عنه رجال الخدمة الاجتماعية « ابدأ حيث العميل » وتفسير ذلك أن شخصياتنا وانماطنا السلوكية وعاداتنا ودوافعنا والقيم التى ندين بها ونراعيها تنمو فى بطء وثبات ، وهى أشبه ما تكون بنمو « أعمدة الاستلجايت » التى تنمو من النقط الكلسية التى تتساقط من سقف الكهف فى بعض المناطق فى أوربا فكل نقطة تترك أثرا لا يذكر من الكلسيوم . ولا يمكن أن نرى له أثرا فى تكوين العمود الجيرى الذى ينمو على مر السنين كما أن نقطة واحدة لا تحدث أثرا واضحا فى تشكيل هذا العمود الجيرى ، ولكن الذى يحدث أن هذا العمود ينمو فعلا من هذه النقط مجتمعة ومتوالية على مر الزمن مما يغير فى شكل العمود الجيرى وحجمه .

وبنفس الطريقة تتساقط الإتصالات والرسائل علينا كالنقط من البيئة التى نعيش فيها الواحدة تلو الأخرى وكل منها يترك أثرا غير ملحوظ حتى تتكون نمط الشخصية .

فاذا ما أسقطنا نقطة من الإتصال على شخص تساقط عليه من قبل ملايين النقط الأخرى التى تركت أثرها فيه ، فلا نتوقع أن تغير هذه النقطة من شكل هذه الشخصية تغييرا أساسيا . الا ان تركيز نقط الإتصال مع زيادة فاعليتها ومع محاولة انسجامها مع النقط الأخرى بمجرد ادخال تعديلات عليها يزيد من أثر نقط الاتصال الارشادية على

هذا الفرد . فالقاعدة بصفة عامة هى أن الأفضل أن نقيم بناءنا فوق الاساس القائم قدر الامكان . فاذا ما بدأنا بالانماط القائمة فى الدوافع والاتجاهات لتحصل على الاستجابة المطلوبة ، فاننا نأمل أن نحول الانماط شيئا فشيئا فى الاتجاه الذى نبتغيه .

والأمر الثانى مراعاة امكانية تنفيذ الحلول المقترحة فى الرسالة بالنسبة لجمهور المستقبلين . فما أسهل أن نقول للزارعين لا تحتفظوا فى شوارعكم ومنازلكم بأكوام السماد دون أن نجد الطريقة التى يمكن للفلاح فى حدود امكانيات ظروفه الاقتصادية ، وظروف الأمن فى مجتمعه، وظروف حيازة الأراضى الزراعية، أن يتبعها للاحتفاظ بالسماد البلدى .كذلك ما أسهل أن نقول للزارعين لا تقضوا حوائجكم بجوار الترع والمصارف دون أن يكون هناك امكانيات أخرى تتيح للفلاح قضاء هذه الحاجة بعيدا عن الترع والمصارف مع توفر المياه للاغتسال الذى تشير عليه به ثقافته .

وهكذا نعود الى ما بدأنا به فى نصيحتنا هذه الأولى بخصوص الطرق التى تتضمنها الرسالة وهى ، اذا أردت أن تطاع فمر بما يستطاع ، والأمر المستطاع يجب أن يتفق مع اتجاهات وقيم المجتمع ، ولا يتعرض لممنوعات الجماعة ، ولا يتعذر على امكانيات المستقبلين المالية والفنية .

٧ : يجب أن تكون الرسالة مرنة لتمشى مع المواقف الناتجة عن استجابة المستقبلين .

يحاول المصدر بطبيعة الحال أن يتمشى مع الأسس السليمة للاتصال الفعال الناجح قدر امكانه ودرايته . وتعد البرامج الارشادية بناء على جهود متواصلة لاعدادها بشكل يطمئن المصدر الى سلامته الى حد كبير . الا أن الاتصال بالجماهير من الاتساع والتعقيد بحيث لا يمكن للبرامج الإرشاديه ، مهما بلغ درجة اتقان اعدادها أن تراعى جميع الاحتمالات المعروفه التى قد تواجهها البرامج الارشاديه بعد بدء تنفيذها . فقد تنطلق اشاعة هدامه أو اطلقت القلة تؤثر على نجاح البرنامج الارشادى ولم تكن فى اعتبار المصدر عند اعداد برنامجه الارشادى .

إلا اننا هنا نريد أن نشير بأن البرامج الارشاديه التى نطالبها بان تراعى جميع الظروف والامكانيات فى اعدادها ، فإن طبعا مانطالب به هو تلك الظروف والامكانيات التى يمكن التعرف عليها عند اعداد البرامج الارشادى . اما تلك الظروف والعوامل التى قد تظهر فجأه بعد بدء البرنامج فأنها بطبيعة الحال ليست فى متناول يد المصدر وعليه فيجب أن يكون تخطيط البرنامج الارشادى سواء فى صياغة الرسالة أو فى وسائل نقلها الى الجماهير مرنه بحيث يمكن تعديلها و تكيفها للظروف المستجدة التى تتضح بعد بدء تنفيذ البرنامج .

واذا كان هذا ينطبق على البرامج الارشادية فى ضوء مايستجد من ظروف غير متوقعه ، فإنه ينطبق أيضاء على نتائج استجابات الجمهور المستقبلين ،للخطة الموضوعه.فاذا تبين عدم وضوح الصياغة مثلا نتيجة لضعف استجابة الجمهور ، لزم تعديل هذه الصياغة وإدا تبين فشل كفاءة وسائل نقل الرســـالة المصاغة وجب ادخال التعديلات الكفيلة بزيادة هذه الكفاءة .

فمرونة عملية الارشاد الاجتماعى لاتقتصر فقط على خطوه واحده من خطوات الاتصال كصياغة الرساله ، وانما تمتد الى جميع مراحل العملية بحيث يمكن دائما تعديل أى خطوه منها طبقا لما يتضح من استجابة الجماهير حتى يمكن لهذه البرامج الارشادية من أن تصل الى ما تصبو اليه من كفاءة وفاعلية .

بذلك تكون قد بينا فى هذا الفصل اجزاء عملية الاتصال ومراحلها ثم المقومات الاساسية فيما يختص بالخطوتين الأولتين من هذه العمليه أى مايتصل بوضوح وسلامة الصوره لدى المصدر ، ومايتصل بصياغه الرساله أى ترجمة الصوره الى الرموز الملائمة لامكان نقلها الى المستقبلين

الفصل العاشر

دراسات تطبيقية حول التنشئة الاجتماعية

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها "

صدق الله العظيم

(سورة السجدة الآية ١٣)

((التنشئة الوالدية وشعور الأبناء بالفقدان))

اعداد : دكتور جمال مختار حمزه

خبير صحة نفسية

بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

مقدمة :

ان الثروة البشرية هى أثمن ما فى الأمم من ثروات ، ولاتقاس ثروات الأمم بعدد سكانها بقدر ما تقاس بما يتوافر لها من مواطنين صالحين ومن أيد عاملة قادرة على العطاء والانتاج . والأبناء هم الذين سيتحملون عبء المستقبل ، فهم صورة الأمة فى المستقبل القريب وهم رجاؤها ومصدر قوتها [1] .

ويرى الكسيس كاريل [4] أن الانسان كائن عظيم حقا ولكن فى غاية التعقيد فهو يعلم قوته وادراكه وسعة أفقه ، كما يعلم ضعفه وذلته أمام مشكلات الحياة ومعضلات الانسان . والأصل فى الانسان الجمال والطيبة وعدم الغضب والصبر ولكن أعداءه يجتهدون لطمس وجهته ، فعليه محاربة هؤلاء الأعداء ، ولقد أحسن من قال :

انى ابتليت بأربع ما سلطوا	..	الا لشدة شقوتى وبلائى
ابليس والدنيا ونفسى والهوا	..	كيف الخلاص وكلهم أعدائى

ان ثمة حقيقة أثبتها الواقع العملى أننا لسنا فقراء لافى الموارد ولا فى البشر فى الطاقات الكامنة داخلنا كأفراد وجماعات ، بل اننا تحولنا فى مناسبات متعددة الى طاقة مشتعلة من النشاط والفاعلية والانجاز مما جعل العالم يقف مذهولا أمام انجازاتنا العظام . وحجر الزاوية هنا فى عملية التنشئة الوالدية السليمة للأبناء ، وتعد الصحة النفسية من المقومات الأساسية للصحة العامة فى أى مجتمع .

أهمية الدراسة :

تلعب الأسرة دورا أساسيا فى تحديد مواقف أبنائها من السلوكيات الايجابية ، وسلوك الانسان هو بكل بساطة محصلة أنواع رد الفعل على البيئة التى يقيم فيها وهو نتيجة الصراع الذى يقوم بين دوافعه الغريزية وبين الأوضاع والقيود التى تفرضها تلك البيئة عليه (١٦) . ومما لاشك فيه أن الأسرة تترك أثر بصمة على شخصية الابن التى ينظر اليها على أنها ذلك التنظيم الديناميكى لنفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية التى تحدد طريقته فى البيئة التى يعيش فيها . ويؤكد مختار حمزه (١) أن الأسرة هى ممثلة الثقافة ، أو هى مرآة تنعكس عليها الثقافة التى توجد فيها بما تحتويه من قيم وعادات واتجاهات ، ومن الأسرة يستقى الابن ما يرى من ثقافة ومن قيم وعادات واتجاهات اجتماعية ، ومنها يتعلم فكرة الصواب والخطأ . ومنها يتعرف على الأساليب السلوكية التى عليه أن يتخذها كأسلوب فى سلوكه ، فهو يتعلم من الأسرة ما عليه من واجبات وما له من حقوق وكيف يعامل غيره وكيف يستجيب لمعاملة الغير وجميع هذه الأنماط السلوكية والقيم يتعلمها الابن فى مراحل تكوينه الأولى وتحدد الى حد كبير أساليبه السلوكية فى المستقبل . ويديهى أن العلاقة الأسرية تؤثر تأثيرا كبيرا على النمو الاجتماعى للابن وتشكيل شخصيته . ومن هذه العلاقات :

العلاقة بين الوالدين ، العلاقة بين الأخوة والأخوات ، العلاقة بين الوالدين والابن وفى هذه الأخيرة كثيرا ما تحدث خلافات أو احتكاكات مما يؤدى الى سوء التكيف . ويستضيف السلوك الخاطئ للأبوين أمورا كثيرة نذكر منها :

نبذ الابن انفعاليا ، اهماله أو حرمانه ، السيطرة عليه ، الخضوع له مغيرة أحد الوالدين من الطفل ، تفضيل الابن عن اخوته ، وبطبيعة الحال لايمكن أن نتوقع من انسان تعود على التنشئة السلبية أن يكون عضوا نافعا فى المجتمع .

وعن أهمية دور الأسرة يقول كلوريا (١٦) ان هناك نوعا معينا من الاشباع تنفرد به الأسرة بتقديمه لأفرادها وقد لاتستطيع أى جماعة أخرى أن تعطيه للفرد ، هذا الاشباع هو ما يسمى باشباع الحاجة الى الحب والمودة والانتماء .

ويرى سيد عثمان أن المسئولية الاجتماعية تنمو عن طريق التربية والتطبيع الاجتماعي ، فالأسرة هي المؤسسة الأولى المسئولة عن تلك العملية . ويتطرق الى أذهاننا تساؤل : ماذا يعطى الآباء لأبنائهم ؟ ، الآباء يعطون لأبنائهم الكثير بل والكثير جدا ، ويمكن أن نذكر البعض فقط مما يعطونه : الشعور بالتقارب والالتصاق والمحبة وتهيئة الجو المناسب لتنمية مواهب الابن وقدراته ، اشباع الحاجة الى التقدير ، تعلم الدرس ، كيفية التعامل مع الآخرين ، تكوين الاتجاهات النفسية نحو الناس والأشياء والمبادئ ، كما تعلمه الأسرة اللغة والعادات التى تبقى معه مدى الحياة ، ولعل أهم ما تعطيه الأسرة للابن هو تحديد دوره فى ثقافته تبعا لجنسه أو عمره والمستوى الاجتماعي الاقتصادي وتحديد مركزه واعطائه فكرة عن نفسه . ولقد أوضحت الدراسات أن التفاعل الاجتماعي السليم والعلاقات الاجتماعية الناجحة تعزز الفكرة السليمة الجيدة عن الذات ، وأن مفهوم الذات الموجب يعزز نجاح التفاعل الاجتماعي ، ويزيد العلاقات الاجتماعية نجاحا ، وأن النجاح فى العلاقات الاجتماعية يؤدى الى زيادة نجاح التفاعل الاجتماعي .

ونظرا لأهمية دور الآباء فى حياة الأبناء ظهر حديثا ما يطلق عليه مفهوم التربية الأبوية (٥) Parent education يهدف الى توضيح دور الآباء ، مستوى المعرفة الأساسية ، المهارات المرتبطة لتمكينهم التعامل مع الأبناء واثراء الخبرة الانسانية .

ولنتأمل قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقوم على خدمة أهله ليدرك البشر مدى ما فى ذلك من معان عظيمة الهدف تهدف الى تثبيت دعائم الأسرة وخلق العواطف فى ربوعها ، والأبناء على هذا الطراز يشبون أصحاء أقوياء تمتلئ نفوسهم بالثقة .

تساؤل الدراسة :

هل تؤدى التنشئة الوالدية غير التربوية الى نمو شعور الأبناء بالفقدان ؟

مصطلحات الدراسة :

١ ـ **التنشئة الوالدية** : هى احدى وكالات التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى ونعنى بها كل سلوك يصدر عن الأب أو الأم أو كليهما ويؤثر فى الابن وعلى نمو شخصيته سواء قصد بهذا السلوك التوجيه أو التربية أو لا .

وقد حددت أساليب المعاملة الوالدية فى الدراسة بالأساليب الآتية :
الرفض / القسوة / أسلوب بث القلق والشعور بالذنب / الأساليب الصحيحة فى التنشئة .

٢ ـ **الأبناء** : نعنى بهم التلاميذ الذكور المنتظمين بالمدارس الثانوية العامة تتراوح أعمارهم الزمنية بين ١٥ ـ ١٧ سنة

٣ ـ **الشعور بالفقدان** : اظهار استجابات لاتتلاءم مع المتوقع من المفحوص . وعدم القدرة والكفاءة للقيام بما يفترض أنه يستطيع أن يقوم به . ويقلل من تقديره لذاته .

ويشمل الأبعاد التالية : الشعور بالفقدان / الشعور بالاغتراب / عدم التوافق الاجتماعى .

الدراسة الامبريقية :

اشتقاق العينة :

تكونت العينة المستخدمة فى هذه الدراسة الحالية من ١٠٠ تلميذ مقيدين ومنتظمين فى الصف الأول من المدارس الثانوية العامة لمحافظة الجيزة . وقسمت الى مجموعتين :

- مجموعة ضابطة : وتتكون من ٦٠ تلميذا بالصف الأول الثانوى لايعانون من أية مشاكل سلوكية .

- مجموعة تجريبية : وتتكون من ٤٠ تلميذا بالصف الأول الثانوى يعانون من مشاكل سلوكية .

جدول رقم (١)

اسم المدرسة	عدد التلاميذ	المجموع
مدرسة الجيزة الثانوية بنين	٥٠	
مدرسة السعيدية الثانوية بنين	٣٠	١٠٠
مدرسة الأورمان الثانوية بنين	٢٠	

وقد تم اختيار تلاميذ الصف الأول الثانوى لأنهم يقعون فى نطاق مرحلة المراهقة ويرى العلماء أن الحاجات الأنسانية المختلفة والمسئولية الاجتماعية والاتجاهات تنمو وتتضح فى هذه المرحلة . وقد استبعد تلاميذ الصفين الثانى والثالث لأن التخصص قد يؤثر فى متغيرات الدراسة وما قد يؤديه التشعيب من تأثير على متغيرات البحث ومن اضطرابات انفعالية تسببها السنوات النهائية .

وتم تثبيت أبعاد عينة البحث من حيث :

(أ) مستوى السن حيث تراوحت الأعمار الزمنية لأفراد العينة جميعها ما بين ١٥ — ١٧ سنة .

(ب) كما ينتمى جميع أفراد العينة الى مستويات اجتماعية اقتصادية ثقافية متقاربة وفى نطاق المستوى المتوسط كما يقاس باستمارة المستوى الاجتماعى الاقتصادى الثقافى اعداد سامية القطان د ت .

(جـ) واستبعد الباحث حالات العينة التى تقع فى مستويات الذكاء والتى تقل من ٩٠ أو تزيد عن ١١٠ لحصر أفراد العينة فى هذا المدى بحيث يمكن القول بأنهم جميعا فى مستوى ذكاء عادى باستخدام اختبار الذكاء المصور اعداد أحمد زكى صالح (١٩٧٢) .

(د) ومن أدوات الدراسة المستخدمة للمتغيرات التجريبية :

(١) مقياس الشعور بالفقدان اعداد الباحث .

(٢) مقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن اعداد الباحث .

ونظرا لعدم وجود مقياس لمعرفة الشعور بالفقدان لدى تلاميذ المرحلة الثانوية فكان لزاما على الباحث تصميم مقياس ينحو لتحقيق أهداف الدراسة من ناحية ويتمتع بالخصائص السيكومترية .

ومن خلال الاطار النظرى واستعراض الدراسات والبحوث السابقة أمكن للباحث تحديد الأبعاد الثلاثة لقياس الشعور بالفقدان وهى :

(أ) الشعور بالفقدان . (ب) الشعور بالاغتراب .

(جـ) عدم التوافق الاجتماعى .

وفيما يلى تعريف لجوانب المقياس .

أ ـ <u>الشعور بالفقدان</u> : اظهار استجابات لاتتلاءم مع المتوقع من المفحوص وعدم القدرة والكفاءة للقيام بما يفترض أنه يستطيع أن يقوم به ، ويقلل من تقديره لذاته .

ب ـ <u>الشعور بالاغتراب</u> : شعور الابن بالاستياء والتذمر والاحساس بالعزلة وفقدان المعايير الاجتماعية التى تضبط سلوكه ، ويشعر الابن بوجود فجوة كبيرة بينه وبين أفراد مجتمعه فيصبح بذلك مغتربا عنهم .

جـ ـ عدم التوافق الاجتماعي : العجز النسبي عن التلاؤم والاخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع ، ورفض المعايير السلوكية واللامبالاة والانعدام النسبي للشعور بمعنى الحياة .

ومن خلال الاطار النظرى أمكن للباحث صياغة مجموعة من العبارات روعى أن تكون واضحة وبسيطة ، وأن تغطى الجوانب المختلفة للمقياس ، ووضع صورة نهائية للمقياس وعرض على لجنة تحكيم من المتخصصين فى مجال علم النفس لابداء رأيهم وأخذ الباحث بأغلب التعديلات التى اتفق عليها المحكمون (*)

وفيما يلى نعرض لاجراء الصدق والثبات الذى قام به الباحث للتحقق من صلاحية المقياس :

الصدق : تعتبر عملية حساب الصدق أهم خاصية له ، واستخدم الباحث عدة طرق للتحقق من صدق المقياس وهو الصدق المنطقى ، صدق المضمون ، الصدق العاملى ، (١٣) حيث تم التحقق من صدق البناء النظرى للمقياس عن طريق اجراء تحليل عاملى لجميع بنوده المستخدمة ٣٠ بندا بمعنى التحقق من تشبع المقياس لأبعاده الأساسية واعتمادا على معاملات الارتباط بين البنود تم حساب التحليل العاملى بطريقة المكونات الأساسية لهوتيلنج ، كما تم تدوير العوامل الناتجة بطريقة الفاريمكس لقايزر التى تضمنت تحقيق خصائص البناء البسيط فى موقع المحاور المتباعدة للعوامل ، مما يتحقق

(*) تألفت لجنة التحكيم لمقياس الشعور بالفقدان من السادة الأساتذة التالية أسماؤهم وفقا للترتيب الأبجدى :

أ.د . حامد زهران — أ.د . طلعت منصور — أ.د . مختار حمزه

أ.د . سعد المغربى — أ.د . فاروق صادق — أ.د . ناهد رمزى

أ.د . صفوت فرج — أ.د . يوسف صبرى

بأسلوب رياضى موضوعى . واستخدمت طريقة المكونات الأساسية بصفة خاصة نظرا لميزتها فى أنها تحدد أقل عدد ممكن من العوامل المتعامدة ويفيد ذلك فى تبين الأبعاد الأساسية لمشكلة لكل بعد عاملى .

وقد أسفرت نتائج التحليل العاملى عن وجود ثلاثة عوامل : (١) الشعور بالفقدان ، (٢) الشعور بالاغتراب ، (٣) عدم التوافق الاجتماعى .

جدول رقم (٢)

التشبعات الجوهرية على العامل الأول

الشعور بالفقدان

رقم البند	مضمون البند (السؤال)	التشبع
١	أشعر أحيانا أنى أريد الصراخ	٧١٠ و
٢	أشعر أحيانا أنى أتمزق	٦٥٧ و
٣	أجد نفسى محتفظ بمستوى كفاءتى وقدراتى	٦١٩ و
٤	بشعر أنى زهقان ومش عاوز أشوف حد	٥٦٩ و
٥	ماعند يش حاجة لها قيمة	٥٣٢ و
٦	عادة لا أتهيب مواجهة الأزمات والشدائد	٥١٨ و
٧	أتغاضى عن المطالبة بالعديد من حقوقى	٤٩٥ و
٨	بعرف ان أصحابى لايعطونى حقى مع تبيتى الكويسة	٤٥٣ و
٩	أحيانا أجد نفسى قلقان من غير سبب	٤١٠ و
١٠	أشعر أننى استثمر امكاناتى الى حد كبير	٣٧٨ و

الشعور بالفقدان : يبدو من تأمل مضمون بنود هذا العامل أنه يتعلق بعدم القدرة والكفاءة والثقة فى الذات حيث النظرة السلبية لذاته ولذلك يقترح أن يسمى هذا العامل بالشعور بالفقدان .

جدول رقم (٣)

التشبعات الجوهرية على العامل الثانى

(الشعور بالاغتراب)

رقم البند	مضمون البند (السؤال)	التشبع
١	بشعر انى وحيد حتى ولو كنت مع الناس	٦١٥ و
٢	بحس أنى غريب على نفسى	٦٤٧ و
٣	أرى أنى أتصرف تصرفات غريبة الأطوار	٦٣٣ و
٤	أعتقد أننى لا أصلح لشئ بالمرة	٥٨٧ و
٥	أثق بنفسى تماما	٥٤٠ و
٦	أرى أن أحسن طريقة لحل المشاكل أنى لا أفكر فيها	٥٠٨ و
٧	بشوف نفسى أنى اجتماعى كثير الكلام	٤٨٨ و
٨	كثيرا ما أشعر أنى مش عارف أنا عاوز ايه	٤٦٣ و
٩	بشعر أن هناك شئ بحبسنى من المذاكرة	٣٨٩ و
١٠	أنا اللى بحدد أمورى بنفسى	٣٧٨ و

الشعور بالاغتراب :

يتبين من التأمل لهذا العامل أنه يوضح شعور الابن بالاستياء وفقدان المعايير وعدم البصيرة النسبى وفقدان الثقة بالنفس النسبى ولذلك يقترح أن يسمى هذا العامل الشعور بالاغتراب .

جدول رقم (٤)

التشبعات الجوهرية على العامل الثالث

(عدم التوافق الاجتماعي)

رقم البند	مضمون البند (السؤال)	التشبع
١	صعب على أن أتكلم مع ناس لا أعرفهم	٧٠٠ و
٢	أحب البقاء فى البيت عن الخروج	٦٤٧ و
٣	أشعر بالرغبة فى البكاء لأقل سبب	٦٣٩ و
٤	أحب أن أعيش مع عائلة غير عائلتى	٦١٣ و
٥	أتردد فى مساعدة زملائى بالمدرسة	٦٠١ و
٦	أشعر أن معاملاتى مع الناس تحتنى معنى للحياة	٥٦٢ و
٧	يحس ان الناس لا يحبوننى	٤٥٩ و
٨	قليلا ما أشعر انى مش عاوز أشوف حد	٤٣٨ و
٩	يعمل أشياء تبسط أصحابى من حولى	٤٢٩ و
١٠	يحدث لى انقباض عند ما أفكر فى مستقبلى	٣٩٧ و

عدم التوافق الاجتماعي :

من الواضح بالنظرة السريعة لهذا العامل أن بنوده تدور حول السلبية بالنسبة لاقامة علاقات اجتماعية ناجحة واللامبالاة ، وانعدام الشعور النسبى بلذة الحياة .

ثبات المقياس : استخدم الباحث طريقة اعادة الاختبار بفاصل زمنى ٢٣ يوما ، وقد استخدم فى هذا عينة مؤلفة من ١٠٠ تلميذ ، وبلغ معامل الارتباط بين التطبيقين الأول والثانى ٨٤ و باستخدام معامل ارتباط بيرسون (٣)

طريقة تصحيح المقياس : يتم تصحيح المقياس وفق الأوزان الموضوعة لتدرج الاجابة كالتالي :

موافق	غير متأكد	معترض
٣	٢	١

اذا كانت صياغة العبارة موجبة .

١	٢	٣

اذا كانت صياغة العبارة سالبة .

ومن ثم فان الدرجة للبعد تتراوح بين ١٠ ، ٣٠

وللمقياس تتراوح الدرجة الكلية بين ٣٠ ، ٩٠

ومن أداة مقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن فقد مر بنفس اجراءات المقياس السالف الذكر فيما عدا الصدق العاملي .

وتم تحديد جوانب مقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن بالأبعاد التالية من واقع الاطار النظرى للبحث :

١ ـ **أسلوب الرفض :** ادراك الابن من خلال معاملة والديه أنهما لا يتقبلانه وكثيرين الانتقاد له ولا يبديان مشاعر الود ، والحب نحوه ، ولا يحرصان على مشاعره ، ولا يقيمان وزنا لرغباته ويشعر الابن بالتباعد بينه وبين والديه .

٢ ـ **أسلوب القسوة :** ادراك الابن من خلال معاملة والديه أنهما عقابيان ، يلجآن دائما الى عقابه وبهدد ائماف الخطأ وعدم مناقشته فى أى شىء بل العقاب مباشرة ، يغلب على الوالد أسلوب الشدة والعنف .

٣ ـ **أسلوب بث القلق والشعور بالذنب :** شعور الابن باتباع الوالدين الأساليب المختلفة التى تثير ضيقه وألمه غير العقاب البدنى ، تثير لديه مشاعر النقص والدونية ، وتحط من قدره مثل أساليب التأنيب ، التوبيخ ، اللوم و التهديد .

٤ ـ <u>الأساليب الصحيحة فى التنشئة</u> : ادراك الابن أن والديه بمعاملته معاملة طيبة ، بمعطيانه الحرية النسبية ، يلبيان أكثر رغباته ، يشعر بالدفء فى الأسرة ، موقفهما يتميز بالثبات النسبى فى معاملاتهما له ، وتتسم المعاملة بالطيبة وحب العطاء ، حيث يتبعان الحقائق التربوية النفسية فى التربية .

تضمن المقياس فى صورته النهائية (٣٢) عبارة بواقع ثمانى عبارات لكل بعد من الأبعاد الأربعة المكونة له ، وراعى الباحث توزيع عبارات الأبعاد بطريقة دائرية .

جدول رقم (٥)

معاملات الارتباط الخاصة بالاتساق الداخلى

لمقياس التنشئة الوالدية من جانب الابن

رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
١	٧٩ و	٩	٧٣ و	١٧	٦٦ و	٢٥	٧٩ و
٢	٧٦ و	١٠	٦٥ و	١٨	٨٣ و	٢٦	٨٢ و
٣	٨٤ و	١١	٧٣ و	١٩	٦٤ و	٢٧	٧٧ و
٤	٨١ و	١٢	٨٣ و	٢٠	٧٩ و	٢٨	٨٠ و
٥	٦٩ و	١٣	٧٨ و	٢١	٧٥ و	٢٩	٧٦ و
٦	٧٧ و	١٤	٨٠ و	٢٢	٦٨ و	٣٠	٨٤ و
٧	٦٧ و	١٥	٧١ و	٢٣	٧٠ و	٣١	٦٨ و
٨	٨٠ و	١٦	٦٩ و	٢٤	٧٤ و	٣٢	٧٨ و

تراوحت معاملات الارتباط بمستوى دلالة ٦٥ و ٨٤ و مما يدل على التماسك الداخلى للمقياس .

ثبات المقياس : استخدم الباحث طريقة اعادة الاختبار بفاصل زمنى بين التطبيقين الأول والثانى ٢٣ يوما . وقد استخدم فى هذا الغرض عينة مؤلفة من ١٠٠ مفحوص وقد بلغت قيمة معامل الارتباط بين التطبيق الأول والثانى ٨٢و باستخدام معامل ارتباط بيرسون (٣) .

جدول رقم (٦)

يوضح معاملات الارتباط بين مقياس الشعور بالفقدان (اعداد الباحث) ومقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن (اعداد الباحث)

مقياس الشعور بالفقدان / اعداد الباحث	مقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن (اعداد الباحث)			
	الرفض	القسوة	أسلوب القلق والشعور بالذنب	الأساليب الصحيحة فى التربية
الشعور بالفقدان	٧٥و	٦٦و	٦٨ و	ـ ٣١ و
الشعور بالاغتراب	٦٤ و	٦٩ و	٦٢ و	ـ ٤٢ و
عدم التوافق الاجتماعى	٦٧ و	٧١ و	٦١ و	ـ ٢١ و

يتضح من الجدول وجود معاملات ارتباط عالية نسبيا بين أبعاد مقياس الشعور بالفقدان ومقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الأبناء .

نتائج الدراسة :

جدول رقم (٧)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" ودلالة الفروق بين المجموعة الضابطة والتجريبية (لمقياس الشعور بالفقدان)

البعد	المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة ت	الدلالة
	م	ع	م	ع		
الشعور بالفقدان	٦٨ر١٨	٥٣ر٥	٥٦ر٢٦	٠٦ر٣	١١ر٦	٠١ر

يتضح من الجدول وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠١ر لصالح المجموعة التجريبية .

جدول رقم (٨)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة ت ودلالة الفروق بين المجموعة الضابطة والتجريبية (لمقياس الشعور بالفقدان)

البعد	المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة ت	الدلالة
	م	ع	م	ع		
الشعور بالاغتراب	٣٢ر٢٠	٢٦ر٥	٨٨ر٢٧	٨٩ر٤	١٤ر٥	٠١ر

يتبين وجود فروق ذات دلالة عند مستوى ٠١ر لصالح المجموعة التجريبية أيضا وذلك يعني تميز هذه المجموعة بالشعور بالاغتراب .

جدول رقم (٩)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة ت ودلالة الفروق

بين المجموعة الضابطة والتجريبية (لمقياس الشعور بالفقدان)

البعد	المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة ت	الدلالة
	م	ع	م	ع		
عدم التوافق الاجتماعي	٢١،٠٨	٢،٥٩	٢٧،٣٦	٥،٧٢	٤،٩١	٠١ر

تثبت النتائج أيضا وجود فروق ويعنى ذلك عدم توافق المجموعة التجريبية مقارنة بالمجموعة الضابطة عند مستوى دلالة ٠١ر٠

درجة ثقة عند مستوى ٠٥ر ١،٩٩
" " " " ٠١ر ٢،٦٣

جدول رقم (١٠)

قيمة "ت" لدلالة الفروق بين المجموعة الضابطة والتجريبية

لمقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن

البعد	المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة ت	الدلالة
	م	ع	م	ع		
أسلوب الرفض	١٤،٦٤	٢،٥٤	٢٢،٥٢	٢،٢٥	٣،٣٦	٠١ر

يتبين من نتائج الجدول وجود فروق دالة احصائيا عند مستوى ٠١ر لصالح المجموعة التجريبية ٠

جدول رقم (١١)

قيمة ت لدلالة الفروق بين المجموعة الضابطة والتجريبية

لمقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن

البعد	المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة ت	الدلالة
	م	ع	م	ع		
أسلوب القسوة	٢ر١٥	٣٧ر٢	٩٦ر٢٠	٥٩ر٤	٠٩ر٤	٠١ر

يتضح من الجدول أن أعضاء المجموعة التجريبية يعانون من أسلوب القسوة

جدول رقم (١٢)

قيمة ت لدلالة الفروق بين المجموعة الضابطة والتجريبية

لمقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن

البعد	المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة ت	الدلالة
	م	ع	م	ع		
أسلوب بث القلق والشعور بالذنب	٥٢ر١٢	٢٥ر٢	١٢ر١٦	٥٩ر٢	١٤ر٥	٠١ر

نستنتج من نتائج الجدول شعور أعضاء المجموعة التجريبية بأسلوب بث القلق والشعور بالذنب.

جدول رقم (١٣)

قيمة ت لدلالة الفروق بين المجموعة الضابطة والتجريبية

لمقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن

البعد	المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة ت	الدلالة
	م	ع	م	ع		
الأساليب الصحيحة في التنشئة	٢٠ر٢٢	٢٢ر٧	٤٨ر١٤	١٥ر٦	ــ ١٥ر٥	٠١ر

يتضح من الجدول وجود فروق دالة عند مستوى ٠١ر لصالح المجموعة الضابطة •

تفسير النتائج :

يتضح من نتائج الدراسة أن التنشئة الوالدية السلبية عادة ما تفرز أنماطا سلوكية للأبناء غير ايجابية • حيث اتضح أن الأبناء الذين يعانون من الشعور بالفقدان هم نتاج التنشئة الوالدية التي لم تأخذ في اعتبارها الحقائق التربوية النفسية في التنشئة السليمة للأبناء •

ان الانسانية كأي حقل نباتي أو حيواني خاضع للتحسين والاستصلاح والتعهد والاخراج الصالح خصوصا في هذه المرحلة الزمنية التي كشف فيها العلم عن وسائل التربية النفسية والجسمية الايجابية الصادقة وابادة آفاتها بسرعة فائقة •

ويرى الباحث أن مستقبل الحياة في أمتنا لن يقف عند حاجته الى الانسان العادي أو السوي • بل سوف يتطلب انسانا مرتفعا على مستوى العادية متساميا على حد السواء انسانا فائقا يبدأ حركة ارتقائه وتزكيه بوجود نفس مثرى في باكورة تفتحه على الحياة • للعلم دور عليه أن يؤديه وهو البحث عن مدخل منطقي

على لمشكلات الأبناء وصولا الى مزيد من التقدم فى فهم هذا الموضوع الأساسى المحورى فى حياة كل مجتمع ، لأن الأبناء جزء من النسيج الاجتماعى ، ولذلك يجب أن يكون التخطيط لهم غير مطلق أو بمعزل عن واقع الحقائق الاجتماعية للمجتمع ، وينبغى أن نعمل على محو شعورهم نسبيا بالضغوط الواقعة عليهم ، ونعنى بالضغوط القوى المجتمعية وقوى العالم الخارجة عن الانسان التى تؤثر على سلوكه وتعوقه نحو تحقيق هدف معين .

ومن الحقائق العلمية فى الواقع أن العوامل التى تحكم نمو السلوك السوى هى نفس العوامل التى تحكم نمو السلوك غير السوى ، والفيصل بينهما هو الصورة التى تكون عليها هذه العوامل فان كانت على نحو مسرات ساعدت على أن يكون السلوك الانسانى سويا محققا للتكيف والتوافق الصحيح فى البيئة التى يعيش فيها ، أما اذا كانت على غير مسرات فتسهم بذلك فى ظهور السلوك الغير سوى .

ويشير أيزنك (١٩٧٥) (١٥) فى موسوعة علم النفس أن مصطلح عامل يدل على عنصر تكوينى أو سبب جزئى ، ومنذ ظهور التحليل العاملى عند سبيرمان يعتبر العامل متغيرا سيكولوجيا كان يتم تحديده من خلال الأسلوب الرياضى ، والعامل يحدد جانبا عن التغاير الكلى لخاصية مقاسه والخاصية يمكن أن تحدد بعامل أو أكثر ، ومن ثم فان العوامل هى شروط سيكولوجية تسبب التغاير وتحدد التمايز الفردى والخصائص للأفراد جميعا يمكن تحديدهم بواسطة العوامل .

غالبا ما أدى التغير فى طبيعة العلاقات الانسانية فى المجتمع الحديث وما أدى اليه التقدم العلمى التكنولوجى من حرمان الأبناء من عطف ورعاية الوالدين ، والخوف وكثرة الضغوط الواقعة عليهم ، وعدم القدرة على تكوين علاقات ودودة بين الآباء والأبناء ومواصلة الانخراط فى هذه العلاقات والوفاء بمتطلباتها والتزاماتها وبالتالى أصبحت التلقائية وتبادل المشاعر والأفكار ينأى عنها أفراد الأسرة الواحدة . وانتشرت أساليب التواصل الاجتماعى الشكلية والمادية بينهم وحلت النزعة التنافسية الاستقلالية بين جميع أفراد الأسرة محل النزعة التعاونية والتماسك بينهم .

ويعلق الأديب الساخر برنارد شو " أنه يولد الطفل عاجزا اجتماعيا في العصر الحديث فالعلاقات الاجتماعية انكمشت وهذا هو سمة العصر الحديث ، فالطفل يولد صحيحا فقد تطورت صناعة الدواء والمساكن وقلت نسبة الوفيات وتمتع الطفل بدرجة مناعة جسمية أكبر ولكن ظهرت أعراض المرض النفسي على الطفل نتيجة التنشئة الوالدية الغير تربوية ".

ويؤكد مونتي دكريستوفرد[7] ان البيئة السلبية التي يعيش فيها الطفل تؤدي الى توتره الانفعالي وتعرضه للصراعات الانفعالية في الرشد والاحساس بالوحدة النفسية ينشأ عنها افتقاد الابن لعلاقاته القوية الفعالة مع الوالدين ، وعدم انخراطه معهم في علاقات مبهمة مما يجعله دائما في محاولات لاجتياز أزمة الهوية والكينونة وتحفزه شوقا لتحقيقها الى درجة احساس الابن بالاغتراب في ذاته ، يشعر بالتباعد بين صورة الذات لديه كما يراها هو وبين الصورة التي يراها الآخرون ، وهذا الشعور ينشأ عندما يرى هذا الابن أن ـ ياـ ت وأشكال خبراته في التعامل مع الآخرين لاتكفل له ما ينشده من اشباع ، انها حالة عجز نتيجة احساس الابن من الحرمان العاطفي من الوالدين .

ويرى مختار حمزه[10] أن الأسرة المتصدعة المفككة لايوجد فيها تواصل انساني أو حبا ، وبالتالي يشعر الأبناء بجوع عاطفي ، مما يؤدي الى اضطرابات جوانب كثيرة في شخصية الأبناء ومن أهمها ما يتعلق بشيوع السمات والانفعالات الاكتئابية والسلوك المرضي الذي ينتج في اضطرابات الشخصية المريضة اجتماعيا والمتمثل في غياب مظاهر الشعور بالأثم وانخفاض اعتبار الذات الناتج عن الاضطراب الأسري ، وحرمانهم من الحب والعطف وخيبة الأمل النرجسية الناشئة عن الظروف والمناخ السلبي الذي يحيون فيه ، الظروف الأسرية السلبية ، انخفاض الروح المعنوية ، الشعور باليأس والعجز عن النظرة الى الحياة نظرة متفائلة ولا الى المستقبل وادراكهم للحياة بوصفها خطرا ، وانها معادية ، متحدية ، فهم دائما يتوقعون

الأسوأ ، ويشعرون بعدم الثقة بالآخرين ، كما أنهم يشعرون بالفردية / الأنانية ، انهم أسرى ظروف الوالدين ، يعجزون عن ادراك المعنى فى الحياة والعلاقات الانسانية ، نقص فى الاستجابة الانفعالية وعدم القدرة على اتباع انماط من السلوك تواضع عليها المجتمع ، فهم اساسا لم يطبعوا اجتماعيا وغير قادرين علـى الولاء الحقيقى للآخرين .

انهم حرموا من السند الانسانى ، التغذيات الرجعية المناسبة الناجمة من خبرات الوالدين لكى تصدق على ادراكاتهم الذاتية ، فهم فى حاجة الى التعرف على وحدتهم الداخلية التى تكونت لديهم من خلال ادراك الوالدين لهم ، كما كانوا بحاجة الى حب ورعاية وتوجيه الوالدين ما أصابهم بهزة كيانية لم يستطيعوا أن يتعرفوا خلالها على أنفسهم ، لم يمكنهم فهم ذواتهم ، وتقبلها ، عجزوا عن مواصلة الانخراط فى علاقات اجتماعية واتباع المعايير والتصرف وفقا لها والاندماج فى النسق الاجتماعى وبذلك فهم يميلون الى العزلة الاجتماعية نتيجة نقص فى عملية التوافق الاجتماعى هم لاهثون مقطعوا الأنفاس مضيعون حلو الحياة .

انهم يعانون من أزمة تمزق كيانهم وتركيبه ، انهم يعانون من اصابة تطورية سببها نقص العطف التلقائى والحرمان العاطفى من الوالدين الذى يتمخض عن غياب موضوعات الحب المانحة وشعورهم بانفصاليتهم عن الوجود الانسانى لدرجة أنهم أصبحوا مغتربين عن ذواتهم ، يشعرون باليأس النسبى ، فقدان الأمل فى المستقبل ، الاحساس بالحقارة المشحونة بالذنب ، كما يشعرون بالوحدة ، العزلة ، العجز ، الذل ، الهوان ، الاحباط ، الألم ، المرارة ، اليأس ، الخواء النفسى ، والفراغ الوجودى ما معناها هذه السمات انما ناتج عن عدم اشباع حاجاته وخاصة حاجة الحب والعطف والطمأنينة النفسية والانفعالية ، بذلك لم يشعر بقيمة ذاته فهو لا يستطيع من أن يعتمد على نفسه لفقدانه ثقته فى نفسه وغالبا ما يكون له استعداد للانحراف المدرسى وتثبيط همته بسرعة ، فان الاستجابات عبارة عن سجل من الأحزان والانقباض .

واخيرا اختتم دراستى بقول الله عز وجل فى كتابه المبين :

" ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظموا فيها ولا تضحى "

صدق الله العظيم

(سورة طه ١١٧ : ١١٨)

(ملحق الدراسة)

" مقياس التنشئة الوالدية من وجهة نظر الابن "

١ - عندي شعور أنني لم انجح في حياتي بسبب كلام والدي .
٢ - بشعر بالرهبة والخوف من أهلي .
٣ - يذكرني والدي أنهم يعطوني ما لا استحق .
٤ - عودني والدي أن أتكلم معاه بحرية وتلقائية .
٥ - نادرا ما يهتم والدي بمظهري .
٦ - بشوف ان عقاب أهلي أكثر من الذنب اللي عملته .
٧ - بحس ان أهلي فاكرين انى ناكر الجميل .
٨ - غالبا ما يتسامح أهلي معي عندما أخطأ .
٩ - يذكرني والدي انني عضو ضار بالمجتمع .
١٠ - بحس ان أهلي بحاسبوني على أشياء بسيطة .
١١ - تهددني والدتي بأنها ستشكو لوالدي مني .
١٢ - بشعر ان أهلي بفرحوا بنجاحي .
١٣ - أشعر بالتباعد بيني وبين أهلي .
١٤ - يتسم والدي بالعنف .
١٥ - بشعر ان أهلي بحبوا يحرجوني أمام الناس .
١٦ - بشعر ان أهلي يعاملوني معاملة طيبة .
١٧ - أشعر ان أهلي يحرصوا على تقدير مشاعري .
١٨ - بشوف ان أسهل شيء عند والدي الضرب .
١٩ - أشعر ان أهلي تحملوا من أجلي الكثير .
٢٠ - يشجعني والدي على الاشتراك في ممارسة الانشطة المختلفة .
٢١ - أرى ان أهلي نادرا ما يلبوا حاجاتي .

٢٢ ـ يذكرنى والدى بالأشياء اللى تضايقنى •
٢٣ ـ أشعر من أهلى أن المستقبل بخير •
٢٤ ـ أشعر أن أهلى يحبونى جدا •
٢٥ ـ نادرا ما يهتم والدى بمظهرى •
٢٦ ـ يرفض والدى باستقبال أصحابى بالمنزل •
٢٧ ـ أشعر أننى عب • على الأسرة •
٢٨ ـ كثيرا ما يوجهنى والدى الى أخطائى بلطف •
٢٩ ـ كثيرا ما خرجت مع أهلى للنزهة •
٣٠ ـ نادرا ما يسمح لى والدى بالاختلاط مع أبناء الجيران •
٣١ ـ نادرا ما يكافئنى والدى على التصرف الحسن •
٣٢ ـ أشعر بالمساواة فى المعاملة بينى وبين أخوتى •

"بسم الله الرحمن الرحيم"

التعليم باللغات الأجنبية وانتماء التلاميذ

(رؤية نفسية)

اعداد :

دكتور جمال مختار حمزه

مقدمة :

يتسم المجتمع المصرى بأنه مجتمع الجدارة ، والجدارة هى الأهلية والاستحقاق أى حصول كل انسان على فرص التعليم والعمل على أساس الكفاءة العلمية والخلقية ، وتأتى أهمية الجدارة كقيمة وسلوك فى أنها أحد الأركان التى تحقق التوازن داخل المجتمع فى ظل بعض المتغيرات والأبعاد السلبية التى يعانى منها المجتمع .

فانه بالعلم وبالأخلاق تتقدم الأمم وترتقى المجتمعات وتتطور الأفراد ، ومن الجدير أن ندرس ونستفيد من خبرات التاريخ ، وربما كانت اليابان أهم عبرة لنا ، فقد تحطمت مدن كثيرة فيها وتحولت بيوتها الى حرائق ولكنها وعت الدرس القاسى الذى تلقته بعد القاء القنبلتين الذريتين عليها ! . ولقد أدرك العقلاء والحكماء فى اليابان أنهم قد هزموا أساسا فى المعمل ، لأن السلاح الجديد الذى ضربهم وقتل مئات الآلاف منهم فى ثوان هو سلاح خرج من المعمل ، وأساس المعمل هو المدرسة ، وبالتالى بدأت حقبة جديدة فى تطوير المعمل اليابانى والمدرسة وخصصت ميزانية قوية للتعليم تفى بجميع احتياجاته ومتطلباته ، وكان من ثمار ذلك أن أصبحت اليابان تنافس النظام الاقتصادى الأمريكى ، وهكذا بدأت المواقف وتحولت وكانت ارادة الشعب دافعا لمزيد من التقدم والازدهار .

(*) أهمية الدراسة :

ان الموارد البشرية لها أهميتها وخاصة فى الدول النامية ، وهذا يحتاج الى الاهتمام بالتربية الأساسية للانسان بما يساعده على تغيير ممارساته وسلوكياته نحو الأفضل

ان التعليم بكل مستوياته ونوعياته يعتبر مؤسسة اجتماعية شاملة تخضع الى هذا المنظور الاجتماعي الشامل وهو في الحقيقة المسئول عن عقل المجتمع ، أي من نوع ومستوى المعرفة السائدة فيه ، ومن نوع الفكر المسيطر ومستواه أي انه مسئولا عن الثقافة ، ومن المستقبل الفعلي الذي ينتظره المجتمع كله

ويوضح مختار حمزه ان مفهوم الثقافة هو مجموع ما يتعلم وينقل من نشاط حركي وعادات وتقاليد وقيم واتجاهات ومعتقدات تنظم العلاقات بين الأفراد ، وأفكار وتكنولوجيا وما ينشأ عنها من سلوك يشترك فيه أفراد المجتمع ، فهي كل ما يصنعه الانسان ، الا الانسان نفسه . ان النظرة الموضوعية للتعليم تحتاج منا للمصارحة الحقيقية الفعلية وهي أننا بمثابة مواجهة أزمة سلبية في التعليم ، وتشترك في وجود هذه الأزمة عدة عوامل متعددة منها نتاج عوامل حضارية ، وأخرى مجتمعية . ان أقوى أمة في هذا العصر هي الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنت وبدون أدنى حساسية أو حرج أن سبب تخلفها النسبي هو ان التعليم الامريكي متخلف ، وقد ربطت هذا التخلف بأمنها القومي . ولذلك أصدرت تقريرها الشهير " أمة في خطر " الذي توالت بعده صدور عدة تقارير عن تعليم المواطن الأمريكي من أجل المستقبل والاصلاح التربوي الأمريكي ومعلمو الغد ، واعتبرت الادارة الأمريكية هذه القضية قضية رئيسية وجذرية ، توضع على قمة أولويات الاهتمام من جانب الرئاسة الامريكية .

ان ثمة عوامل عالمية متنوعة أحدثت تغييرات عميقة وجوهرية في العالم من حولنا ، ومهدت لظهور نظام عالمي جديد ومجتمع كوني مغاير هو مجتمع ما بعد الصناعة Post industrial society وتمتد ابداعاته في مجالات مختلفة متنوعة ومتعددة منها المعلوماتية والاتصالات عن بعد والهندسة الحيوية . ونظرا لتلك الأهمية البالغة بالنسبة للطفل اختص البند السابع من اعلان حقوق الطفل الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٩ بموضوع التعليم حيث يقرر أنه من حق الطفل أن يتلقى تعليما مجانيا واجباريا على الأقل في المراحل الأولى . ويجب أن يلقى تعليما يرقى بثقافته العامة ، ويساعده على أساس من الفرص المتكافئة أن ينمي قدراته ومداركه واحساسه بالمسئولية الأدبية والاجتماعية ويصبح عضوا نافعا في المجتمع .

مشكلة الدراسة :

من أخطر القضايا التى تواجهنا على مشارف القرن الحادى والعشرين قضية الانتماء والتعليم باللغات الأجنبية ، فالهدف هو المهمة التى علينا أن نؤديها على الفور وهى الاطمئنان الى أن أبناء العربية يعرفون العربية ، أى الى معرفة القوم للغتهم القومية حتى ولو كانت مقصورة على اللهجة المحلية والتى يعتبرها علماء اللغويات لغة بالمعنى العلمى لأنها تعيش فى الأفواه والأسماع ، والتراث العربى أطول تراث مكتوب لأى لغة على وجه الأرض ، ونتواصل بها مع أبناء جلدتنا فى الشرق والغرب ، وهى لغة تطورت وتجددت بل ما فتئت تتطور وتتجدد فى اللفظ المفرد والعبارة وفى المعانى والدلالات بحيث أصبحت تقبل أعمق الحقائق العلمية وأشدها تعقيدا بل وحيث أصبحنا قادرين على استخدامها وحدها (دون اصطلاحات أجنبية) فى بعض العلوم المهمة مثل العلوم الزراعية وما أكثرها وأرشد تنوعها .

وتكمن مشكلة الدراسة الحالية فى أهمية الجانب الذى تتصدى لدراسته حيث أنها تسعى لدراسة فهم علاقة التعليم باللغة الأجنبية والشعور بالانتماء لدى الأطفال حيث تزايد الوعى بأهمية الحاجة للانتماء فى السنوات الأخيرة تمخض عن كثرة الدراسات الناجمة عن عدم اشباع الحاجة للانتماء فى مشكلات كالاغتراب Alienation ، العزلة Isolation ، الوحدة النفسية Loneliness والتى تمثل مشكلة مهمة فى حياة انسان عالم اليوم . ويؤكد مختار حمزه أن هذه المشكلة بمثابة نقطة البداية بالنسبة للكثير من المشكلات التى يعانيها ويشكو منها الفرد ، وكثيرا ما يترتب على احساس الفرد بالوحدة النفسية مشكلات عديدة كالقلق ، الضيق ، الحرمان ، التوتر النفسى ، وكثيرا ما يدعم هذا الاحساس مشكلات أخرى .

ويرى طلعت منصور أن تعليم اللغات الأجنبية حتى يبدأ تعلمها من الموضوعات المثارة فى المجتمع والتى كثر الجدل حولها وتحتاج الى مزيد من الايضاح والاستيضاح لأن تعلم المواد باللغة الأجنبية فى مجتمع لغته العربية يعد موضوعا من موضوعات الساعة ، وذلك بهدف بيان دلالة التغير فى موقع تعليمى معين فى الحركة الاجتماعية والسياسية والثقافية فى المجتمع الكبير وحتى يستطيع الآباء توجيه أبناءهم للحصول على أفضل الأساليب الممكنة للتربية والتعليم .

مصطلحات الدراسة :

(١) **الحاجة للانتماء** : يقصد بها حاجة التلميذ لأن يكون عضوا فى جماعة متوحدا معها ، مقبولا ، ومستحسنا بينها وأن يحس بالفخر بها والأمان فيها لما يعمل من أجل خيرها ونصرتها ويعتز بولائه لها ، وتقاس بمقياس الحاجة للانتماء من خلال انتماء التلميذ للجماعات الآتية : (أ) العائلة (ب) الجيران (جـ) المجتمع .

(٢) **التلاميذ** : المقصود بهم تلاميذ مرحلة التعليم الأساسى الملتحقين بالمدارس الحكومية ومدارس اللغات الخاصة وتتراوح أعمارهم بين ٨ ــ ١١ سنة .

ويشير انجلش وانجلش الى أن الانتماء اتجاه يستشعر من خلاله الفرد توحده بالجماعة وبكونه جزءا مقبولا منها ويستحوذ على مكانة متميزة ووضع آمن فى الجماعة . ويتضح من هذا المفهوم أن الانتماء له طبيعة الاتجاهات ولذا فهناك انتماء سلبى وآخر ايجابى ، وثالث محايد . كما أن الانتماء لابد وأن يحقق الأمن للفرد المنتمى داخل جماعته .

ويقابل مصطلح الانتماء فى اللغة الأجنبية مصطلح Belonging وهو مشتق من الفعل Belog to ينتمى الى أو يتمتع بالصفات الاجتماعية الضرورية للاندماج فى الجماعة .

(٣) **الرؤية النفسية** : يقصد بها التراث النظرى المقروء بما يتضمنه من مفاهيم وأفكار ومعارف وتصورات ازاء الأبعاد المختلفة فى موضوع التعليم الأجنبى والشعور بالانتماء لدى تلاميذ مرحلة التعليم الأساسى .

البعد النفسى فى الدراسة :

ان قضية اللغة جزء لا يتجزأ من طبيعة الانسان ، فالانسان كائن حى رمزى يتعلم بالرمز وينمو بالرمز وينفعل ويستجيب بالرمز ، وهذه الرموز تمثل وسائط أو أدوات يستخدمها الانسان أثناء تعامله مع الظاهرات المختلفة ، وكل ما يعيش فيه من علم وتكنولوجيا هى كلها وسائط جرت صياغتها من خلال الرموز المختلفة هى رموز العلم وتطبيقاته والثقافة واستخداماتها ولنا فى ذلك أن نتبصر بما جاء فى القرآن الكريم " وعلم آدم الأسماء كلها " (٣١) البقرة ، وما جاء فى الانجيل المقدس " فى البدء كانت الحكمة " .

ويتطرق الى أذهاننا تساؤل : متى تكون هذه الرموز وهذه الوسائط وهى تؤدى دورها ووظيفتها بالنسبة لعمليات التعليم اللغوى ؟

فى المراحل الأولى للنمو الانسانى وهى مراحل ما قبل اللغة يتفاعل الطفل مع المثيرات المحيطة به تفاعلا حسيا حركيا من خلال أعضاء الحس ، ولكن مع تعلم اللغة تتدخل اللغة والرموز كثورة حقيقية تحدث تغييرات سريعة ومتلاحقة فى نمو الانسان ، واللغة هنا ترتبط بالوسط الثقافى الذى يعيش فيه ، اى هى اللغة القومية فى المحل الأول .

وقد ركزت بعض البحوث النفسية على ان تكون اللغة بالفعل وسيطا فعالا لترجمة العصر والواقع والتراث وترجمة حركة الزمن بما فيه من ماض وحاضر ومستقبل وفى تفاعلها مع الثقافات الأخرى ، وتلك مهمة اللغة القومية .

وركزت أيضا بعض هذه البحوث على الحرمان الثقافى فى بعض المجتمعات وارتباطه الوثيق ببعض الوسائط اللفظية فى عمليات تقديم واستيعاب وتعليم الخبرات التعليمية وبما يمكن أن تفيد به هذه الوسائط فى ترجمة العصر والعلم والتكنولوجيا ، وفى تقديمها الى الناشئ فى سياق عمليات تعلمهم ونموهم ، وتلك علاقة عضوية وثيقة بين التربية وبين الوسائط اللغوية فى عمليات التعليم والتعلم .

ولابد ونحن نعتبر ونتحدث عن حتمية وضرورة لغتنا القومية كوسيط للثقافة وللاثراء الثقافى وكوسيط للتعليم والتعلم أن نحملها بكل امكانات العصر وما يزخر به من قوة وحركة ومن آفاق للتقدم واستمراره ، وهذا ما يؤكده زكى نجيب محمود بقوله : " أن نسكب العصر فى وعاء اللغة العربية ، لأننا فى هذا نترجم ثقافة الماضى بلغة العصر ونستوعب العصر بلغتنا العربية ، ونجعل هذا العصر يتكلم بلغتنا العربية وعندئذ تكون المواجهة الحقة لقضية التعلم والتعليم باللغات الأجنبية فى مجتمعنا .

وثمة وظيفتان أساسيتان للغة ، فاللغة وسيط للاتصال والتفاعل ، التفاعل بين الفرد والآخرين بل والاتصال والتفاعل بين الفرد ونفسه ، أى أن اللغة وسيط للتواصل الاجتماعى والثقافى ، ثم أن اللغة وسيط عقلى معرفى ، فكل ما هو لنا من مثيرات وخبرات

تترجم الى رموز لغوية ، ويكون فهمنا للظاهرات والأحداث حولنا للمشكلات على أساس من الخرائط المعرفية والخطط العقلية التى تعتمد على المضمون الرمزى لكل عملياتنا العقلية من احساس وادراك وذاكرة وتفكير وتخيل وتصور ، وكذلك المضمون الرمزى لانفعالاتنا وعواطفنا وسلوكنا وأدائنا الفعليين .

ولكى يتسق واقعنا النفسى والعقلى والثقافى والحضارى لابد وأن يكون هناك اتساق فى هذه الوسائط ، فاللغة اذن هى ثقافة وليست مجرد وسيط ، وعن ثقافة اللغة وعربية اللغة العربية وانجليزية اللغة الانجليزية وفرنسية اللغة الفرنسية وعملية تعلم اللغة أؤكد أنها تتأثر بما يسمى بالضغط الثقافى من جانب الكبار على الصغار ، وأيضا بما قد يوجد من ضغوط اجتماعية ثقافية فى المجتمع .

يجب أن نسعى الى تعليم وتعلم ونمو من خلال وسائط لغتنا القومية على نحو فيه تفاعل واستيعاب بلا تناقض وأن نس ، ل الامكانات المتاحة الى أن نجعل لغتنا العربية فى تعليمنا — وهى لغة قادرة ومبدعة — تستوعب كل منجزات هذا العصر حتى لا يتكلم العالم بلغة العلم والتكنولوجيا ولا نستطيع أن نتواصل معه حضاريا ، فنحن نحتاج الى ثقافة لغوية فيها الاستيعابية والتعبيرية وفيها التذوق والمرونة وفيها القدرة على استيعاب ثقافات اللغات الأخرى .

ونحن نتناول قضية التعلم اللغوى والتعلم باللغة الأجنبية أحب أن أؤكد أن الطفل فى المرحلة الأولى من حياته يتعامل بالمفاهيم الحسية التلقائية ، أى يلتقط حصيلته اللغوية من المنزل والشارع ، أو من أى وسيط آخر تلقائيا ، فيتعلم لغة غير مقصودة ، وغير موجهة ، ثم يجىء دور المدرسة فتأخذ هذه المادة الخام وتحولها الى مصطلحات وتعبيرات ومفاهيم معينة وقوانين علمية ، ويجب أن يكون هناك عملية توظيف لهذه المفاهيم التلقائية فى عمليات التعليم والتعلم فى المدرسة فى المراحل الأولى .

وهنا تكون البداية الأولى فى التعلم اللغوى وما لها من انعكاسات على مدى حياة الفرد فى مراحل تعلمه المختلفة .

يطرأ الى ذهنى تساؤل : متى يكون هناك تعلم باللغة الأجنبية ؟ وهل هو تعلم للغة أجنبية أم تعليم بلغة أجنبية ؟

يرى " طلعت منصور " أنه قد نجد أبحاثا تؤكد أن التعلم والنمو السليم للطفل فى المرحلة العمرية الزمنية ٦ : ٩ سنوات يعتمد على الخبرة الحسية من البنية من واقعه الاجتماعى الثقافى ، وفى حالة أن الطفل تنقصه مثيرات حسية وخبرات حسية من البيئة المباشرة يمكن تعويضها من خلال تكنولوجيا التعليم السمعية والبصرية ولا يمكن هنا أن ندخل مفاهيم ولغات أخرى فى هذه السن حيث أنه بالرجوع الى قوانين التعلم الانسانى المعروفة بقوانين " الكف الرجعى " فان تقديم لغة أجنبية بمفاهيم ثقافية أجنبية للأطفال فى هذه السن المبكرة كثيرا ما يتعارض مع خبرات تعلمهم بلغتهم القومية ، وما قد يترتب على ذلك من تعطيل او تقليل لفاعليات تعلمهم ونموهم ككل .

وانه يمكن أن يكون هناك تعلم للغة الأجنبية وليس تعليم لغة أجنبية الا بعد مرور الطفل بمرحلة استكشاف لثقافة البيئة الطبيعية للطفل لانه بعد هذه المرحلة يبدأ الاعتماد على المفاهيم العلمية المجردة ، وما تقوم به من تجريد للعلاقات والرموز ، ومع هذه الانتقالة النمائية فى تطور نمو الطفل أى بنهاية مرحلة الطفولة يمكن أن نقدم له اللغة الأجنبية .

وتؤكد "نهولا البيلاوى " أنه ينبغى أن يتقن الطفل اللغة الأم أولا لأنها هى التى يفكر بها حتى يستطيع أن ينقل المفاهيم التى تعلمها فيما بعد الى اللغة الأخرى، فلابد من النهوض بتعلم اللغة العربية حتى نستطيع أن نواكب العالم .

ويرى " حلمى الوكيل " أن اللغة لها أربعة مهارات أو فنون أساسية :

(أ) التحدث باللغة : أى أن أعرف أتكلم باللغة لأنها لغة الاتصال .

(ب) الاستماع : أى أن أجيد الاستماع لأنى أثناء كلامى معك يجب أن أستمع اليك جيدا وأتابع حديثك جيدا .

(جـ) اجادة القراءة والكتابة : وعندما أقرأ يجب أن أفهم ما أقرأه وتكون لدى القدرة على اصدار الحكم على ما أقرأه .

(د) الكتابة : وهى أن أتمكن من الكتابة السليمة للغة وتتمثل ذلك فى كتابة أفكارى ومشاعرى أو كتابة ما يملى على .

وارغب أن أؤكد أن اللغة وسيلة للثقافة ، وسيلة كلما كانت سريعة التداخل بين عصر وعصر أو بين فكر وفكر ، أصبحت لغة سليمة ، لأن اللغة التى تنتهى بالشعوب هى اللغة التى لا تعلو على مستوى الجماهير العامة ، وانما يستطيع أن يفهمها أى انسان يعبر عنها لا حيث أن العصر له ثقافته ، وله تحدياته ، وله وجود أو عدم ، فالقضية هى وسائط حياتنا الفكرية العقلية النفسية الحضارية ، وهى لغتنا القومية ، وهى نسادرة ومبدعة وعبقرية فى استيعاب ذلك ، والقضية هى كيف نقدم لغتنا القومية فى مقابل اللغات الأجنبية وما تشير اليه تلك اللغات من متضمنات ثقافية وعصرية مختلفة حتى يمكننا الحفاظ على الذات ، وتنمية الذات الثقافية ، أى تنمية شخصيتنا القومية بتحقيق ذاتى فى كافة المجالات .

ان جهود تطوير التعليم لا بد وأن تنطلق من فهم متكامل بالواقع الحر لجسم النظام التعليمى بتضاريسه ونتوءاته وديناميته كما هو معاش فعلا ، حيث أن دراكتنا للواقع التعليمى ولمواقع مفرداته فى سياقه الكلى مفتقرا الى معطيات واقعية .

ويؤكد " حامد عمار " أنه لابد لدراسة واقع الجسم التعليمى أن تكون لجنة رئاسية يصدر بتشكيلها قرار جمهورى ، ومن بين مهامها الرئيسية :

أ ـ استقصاء معطيات واقع النظام التعليمى بصورة متكاملة أفقيا ورأسيا فى جوانبها الفنية وتوزيعاتها الجغرافية ، وفى أبعادها الاجتماعية الاقتصادية ، وفى حركة علاقاتها وتاثيراتها المتبادلة ، ومن خلال منهجية تفسر الظاهر وتكشف الخفى .

ب ـ حصر وغربلة مختلف الآراء والمقترحات والتصورات التى طرحت من مختلف المؤسسات التشريعية وفى اجهزة الرأى وأهل التخصص وأجهزة الادارة المحلية فضلا عن الشخصيات المعنية .

جـ ـ تحديد معالم وتوجهات رئيسية لمسيرة التطور وأولوياته ومستلزماته وازالة المعوقات وحركة مستقبل التعليم من أجل تعليم المستقبل .

وسوف تعتمد هذه اللجنة فيما تجمعه من وقائع وحقائق عن مختلف الأساليب والمصادر ومن أهمها المقابلات للأفراد والهيئات وما يقدم لها من مذكرات وتعليقات ومقترحات للوصول الى الصورة الكلية الحية المتكاملة لأبعاد التعليم وأغواره وديناميات ..

وتلكم هذه المادة التي ينبغي في نهاية المطاف أن ينطلق فيها التفكير الشديد لتوجهات التغيير وأولوياته ومستلزماته . ومن الضروري في تشكيل هذه اللجنة أن تضم الى جانب المتخصصين في المجال التربوي شخصيات من تخصصات أخرى ذات علاقة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والقانونية للنظام التعليمي . وسوف يكون تقرير اللجنة أو تقاريرها مادة خصبة وحية للنقاش والحوار في الأجهزة التشريعية والتنفيذية الى جانب المعنيين بقضايا التعليم . كذلك ستكون منطلقا حقيقيا لاتخاذ ما يمكن اتخاذه من سياسات أو استراتيجيات طويلة أو متوسطة المدى وما تقتضيه من خطط وتشريعات وموارد مادية وبشرية على أفق زمني ممتد .

ان مثل هذا الاقتراح بتكوين لجنة قومية عليا لدراسة أوضاع التعليم وتوجيه مساراته عن طريق الاستقصاء الميداني وتقويم الخبرات السابقة : انما هو أسلوب تلجأ اليه كثير من الدول عن طريق تشكيل ما يعرف في انجلترا باسم اللجان الملكية Royal Commission ومن طريق اللجان الرئاسية في الولايات المتحدة الأمريكية Presidential Commite مثل اللجنة التي انتهت الى تقريرها المفصل وملخصه الذي رفعته الى الرئيس الأمريكي " رونالد ريجان " والمعروف بعنوان " أمة في خطر " .

الدراسة الامبريقيـــة :

أولا : اشتقاق العينـة :

يهدف البحث الحالى الى دراسة العلاقة بين التعليم باللغات الأجنبية وانتماء التلاميذ من مرحلة التعليم الأساسى ، لذا تضمنت عينة الدراسة المجموعتين التاليتين :

عينة ضابطـة : وتتكون من التلاميذ الملتحقين بالمدارس الحكومية (فى مرحلـــــة التعليم الأساسى) من سن ٨ : ١١ سنة وعينة مماثلة لهـــا من مدارس اللغات الخاصة (عينة تجريبية) .

جدول رقم (١)

المدارس وعدد التلاميـــذ

اسم المدرسة	التلاميـذ	المجموع الكلى
مدرسة الأورمان الابتدائيـــة	٥٠	
مدرسة نارمـر	٢٥	١٠٠
مدرسة مانر هاوس	٢٥	

وتنقسم أدوات الدراسة الحالية الى قسمين :

(١) أدوات ضبط العينة من حيث متغير الذكاء باستخدام اختبار عين شمس للذكـــاء الابتدائـــى اعداد عبد العزيز القوصى وآخرون ، ١٩٧٤) ، وكذلك استخدام استمارة المستوى الاجتماعى الاقتصادى الثقافـى اعداد سامية القطـان (د .ت) وذلك لحساب اختبار "ت" .

(٢) أدوات قياس المتغيرات التجريبية : من خلال مقياس انتماء التلاميذ : اعـداد الباحث . فبالنسبة لاختبار الذكاء اختير من حصل على نسبة تتراوح بين ٩٠ ، ١١٠ واستبعد من هم دون أو أعلى من ذلك .

جدول رقم (٢)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" ودلالة الفروق بين مجموعتى الدراسة من حيث متغير السن ن = ١٠٠

المجموعة الضابطة			المجموعة التجريبية			قيمة ت	الدلالة
ن ١	م ١	ع ١	ن ٢	م ٢	ع ٢		
٥٠	٩ر٠٠	١ر٠٤٠٨	٥٠	٨ر٧٥٠	٠ر٨٧٨٠	٨٨٠ر	غير دالة

يتضح من جدول رقم (٢) عدم وجود فروق بين عينتى الدراسة من التلاميذ حيث بلغت قيمة ت ٨٨٠ر وغير دالة احصائيا ويعنى ذلك تجانس أفراد العينة من المجموعتين من حيث متغير السن .

جدول رقم (٣)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة ت ودلالتها الاحصائية للفرق بين متوسطات درجات أفراد العينة الضابطة والتجريبية من حيث المستوى الاجتماعى الاقتصادى الثقافى ن = ١٠٠

المجموعة الضابطة			المجموعة التجريبية			قيمة ت	الدلالة
ن ١	م ١	ع ١	ن ٢	م ٢	ع ٢		
٥٠	٦٩ر٩٤	٧٢ر	٥٠	٩٥ر٨٩	٠ر١٠	١ر٧٢	غير دالة

يتضح من جدول رقم (٣) عدم وجود فروق دالة بين مجموعتى الدراسة حيث بلغت قيمة "ت" ١ر٧٢ وهى غير دالة احصائيا بمعنى تجانس العينتين من حيث ذلك المستوى .

(٢) أدوات مقياس المتغيرات التجريبية : وتشمل مقياس الحاجة للانتماء : اعداد الباحث نظرا لعدم وجود مقياس الحاجة للانتماء لدى تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي فكان لزاما على الباحث تصميم مقياس ينحو لتحقيق أهداف الدراسة من ناحية ويلائم مستوى عينة الدراسة من ناحية أخرى وبالاضافة الى تمتع هذا المقياس بالخصائص السيكومترية .

ومن خلال الاطار النظرى للدراسة واستعراض البحوث والدراسات السابقة أمكن للباحث تحديد الأبعاد الثلاثة للمقياس وهى : الإنتماء للعائلة ، الانتماء للجيران ، الانتماء للوطن .

وفيما يلى تعريف جوانب الحاجة للأنتماء :

١ ـ الانتماء للعائلة : هو حاجة التلميذ لأن يكون عضوا فى العائلة متوحدا معها ككل أو كأفراد بذواتهم وأن يعمل من أجل خيرها ونصرتها ويكون مستحسنا منها وله وضع آمن فيها ومعتزا بها .

٢ ـ الانتماء للجيران : ويقصد به حاجة التلميذ لأن يكون عضوا له وضعه الآمن وكيانه المعترف به ، والمرغوب فيه بين سكان الحى أو المنطقة التى يقطنها وأن يكون منسجما معهم يحس بالقبول والاستحسان منهم وأن يشعر بالفخر والأمان تجاههم ، يحبهم ويحبونه ، يتفهمهم ويتفهمونه يرضى عنهم ويرضون عنه .

٣ ـ الانتماء للمجتمع : ويقصد به حاجة التلميذ لأن يكون عضوا فى المجتمع يحس بكيانه فيه ويشعر بالخير وأنه مقبول فى هذا المجتمع وأن يشعر بالولاء لشعبه وحكومته وأرضه وأن يعمل لخير الجميع .

ومن خلال الدراسات السابقة وفى ضوء الاطار النظرى أمكن للباحث صياغة مجموعة من العبارات روعى فيها أن تكون بسيطة وواضحة ولاتحتمل أى لبس وأن تغطى

الجوانب المختلفة للمقياس ، وقام الباحث بمراجعة العبارات فى جوانبها المختلفة ثم تم حذف وتعديل بعض العبارات ووضع صورة نهائية للمقياس بجوانبها المختلفة مرفقا بها تعريف اجرائى للمفاهيم وصفحة التعليمات وعرض على لجنة تحكيم من المتخصصين فى مجال علم النفس لابداء رأيهم فى مدى صلاحية المقياس وما يندرج فيه من عبارات ، وأخذ الباحث بأغلب التعديلات التى اشار اليها المحكمون .

وفيما يلى نعرض لاجراء الصدق والثبات التى قام بها الباحث للتحقق من صلاحية المقياس :

أ ـ <u>الصدق</u> : تعتبر عملية حساب صدق الاختبار أهم خاصية له حيث أنه لا يمكن أن يكون للدرجات الناتجة عن تطبيق الاختبار معنى أو يمكن تفسيرها بدون معرفة ما يقيسه الاختبار بالفعل . ولـذا فقد مر مقياس الحاجة للانتماء لحساب معامل صدقه بعدة أساليب منها :

(أ) <u>الصدق المنطقى</u> : باعتبار أن عبارات المقياس اشتقت فى معظمها من نتائج كبيرة من الدراسات السابقة التى تناولت الانتماء والظواهر الناجمة عن عدم اشباع هذه الحاجة .

(ب) <u>الصدق الظاهرى</u> : تم عرض المقياس على عدد من المحكمين المتخصصين فى علم النفس وتم التعديل فى ضوء توجيهاتهم .

وقام الباحث بعد ذلك بدراسة الاتساق الداخلى وذلك عن طريق ايجاد معامل الارتباط بين الدرجات التى حصل عليها المفحوص فى كل عبارة من عبارات المقياس والدرجات الكلية التى حصلوا عليها فى المقياس . وقد تم تطبيق المقياس على عينة بلغت ١٠٠ تلميذ وتراوحت معاملات الارتباط بين ٦٧ و ٨٢ مما يدل على الاتساق الداخلى للمقياس وقد استخدم الباحث لهذا الغرض معامل الارتباط الثنائى ذا الشعبتين[(١٠)] .

جدول رقم (٤)

معاملات الارتباط الخاصة بالاتساق الداخلى لمقياس الشعور بالانتماء
لدى تلاميذ المرحلة الأساسية من التعليم الأساسى

رقم العبارة	التماسك	رقم العبارة	التماسك
١	٨١ر	١٦	٧١ر
٢	٧٩ر	١٧	٦٧ر
٣	٧٨ر	١٨	٨٠ر
٤	٦٩ر	١٩	٧٨ر
٥	٨٠ر	٢٠	٧٤ر
٦	٧٦ر	٢١	٧١ر
٧	٧٤ر	٢٢	٦٩ر
٨	٧٦ر	٢٣	٧١ر
٩	٨٢ر	٢٤	٧٦ر
١٠	٦٧ر	٢٥	٦٨ر
١١	٧٦ر	٢٦	٧١ر
١٢	٧٨ر	٢٧	٦٩ر
١٣	٧٠ر	٢٨	٧٠ر
١٤	٧١ر	٢٩	٧٧ر
١٥	٧٦ر	٣٠	٦٩ر

معاملات الارتباط بمستوى دلالة ٦٧ و ٨٢ مما يدل على التماسك الداخلى للمقياس.

الصدق الداخلي : يستخدم هذا النوع من الصدق لبيان أى مدى يقيس الاختبار السمة أو الظاهرة المراد قياسها وذلك بحساب درجة تشبع الاختبار بهذه السمة ٠ والهدف منه تجميع المتغيرات العديدة فى مجموعات لكل مجموعة خصائص ، والمسميات التى نطلقها على تلك التجمعات المختلفة هى سمات وصفية تطلق على مجموعة من البنود ذات الارتباطات العالية والتى يفترض أنها تعكس خصائص مشتركة ٠ واستخدمت طريقة الهوتيلنج فى تحليل المصفوفة عامليا ٠ وقد اعتمد الباحث فى اجراء الصدق العاملى على البيانات المستخدمة من التلاميذ وعددهم ١٠٠ تلميذ وقد أسفرت نتائج التحليل العاملى عن وجود ثلاثة عوامل : (١) الانتماء للأسرة (٢) الانتماء للجيران (٣) الانتماء للمجتمع ٠

جدول رقم (٥)

التشبعات الجوهرية على العامل الأول

١ ـ الانتماء للأسرة

رقم القيد	مضمون البند (السؤال)	التشبع
١	أنا بشعر ان أسرتى بتحبنى	٧١٠ر
٢	مش بحب أتعاون معهم فى البيت	٦٥٧ر
٣	بحب أسمع كلام بابا وأطيعه	٦١٩ر
٤	بشعر بالاهمال لى فى البيت	ـ ٥٦٩ر
٥	بفرح لما أساعد فى حاجة فى البيت	٥٢٩ر
٦	تقول على ماما انى غير لطيف	٥١٤ر
٧	ما بحبش أحكى لحد فى الأسرة عن مشاكلى	٤٧٥ر
٨	ما بحبش أتكلم مع حد فى الأسرة مدة طويلة	ـ ٣٨٤ر
٩	بشعر أن الأقارب كالعقارب	٣٦١ر
١٠	بشوف ان بابا بيسمع الكلام اللى بقوله	٣٥٩ر

١ ـ الانتماء للأسرة : يبدو من مضمون بنود هذا العامل أنه يتعلق بمدى رغبة التلميذ لأن يكون عضوا فى العائلة يعمل من أجل خيرها ونصرتها ويكون منتميا فيها وله وضع آمن ويعتز بها ولذلك يقترح أن يسمى هذا العامل الانتماء للأسرة ٠

جدول رقم (٦)

التشبعات الجوهرية على العامل الثانـــــــى

٢ ـ الانتماء للجيران

رقم البند	مضمون البند (السؤال)	التشبع
١	بحب من هم فى سنى من جيرانـــى	٧٠١ر
٢	بشوف ان الحى اللى عايش فيه لايناسبنى	٦٦٥ر
٣	بفرح لما بزورنى أحد من ، جيران	٦٤٥ر
٤	بشعر ان جيرانى لايحبونى	٦٠٢ر
٥	ما حدش من الجيران يستاهل خدمة	ـ ٥٤٤ر
٦	بشعر بالوحدة وأنا مع جيرانـــى	٤٢٨ر
٧	بشوف جيرانى فى شكل وحـــش	٤٢١ر
٨	أفرح لما أروح زيارة للجيران	٣٩٨ر
٩	بشوف ان معظم الناس طيبـــين	٣٧٦ر
١٠	بفرح لما أشارك جيرانى فى مناسباتهم الحلـــوة والمرة	٣٥٠ر

يعبر هذا العامل عن رغبة التلميذ فى أن يكون كيانه المعترف به والمرغوب فيه بين سكان الحى الذى يعيش فيه ، ويشعر بالحب نحوهم ويحبهم له والرضا بالوضـــع الفعلى الواقعى ، ولذا اقترح أن يسمى هذا العامل " الانتماء للجيران " ٠

جدول رقم (٧)

التشبعات الجوهرية على العامل الثالث

٣ـ الانتماء للمجتمع

رقم القيد	مضمون البند (السؤال)	التشبع
١	يفرح لما أسمع عن اكتشاف بئر بترول جديد	٨١٠ر
٢	ما يهمنيش أعرف تاريخ بلدى	٧٢٨ر
٣	ما يهمنيش أسمع عن مشروعات جديدة	٧١٦ر
٤	ما حبش اشتغل فى البلد لما أكبر	٧٠٠ر
٥	أفرح لو مت فى سبيل وطنى	٦٧٢ر
٦	يحب أسمع نشرة الأخبـــار	٦٥٦ر
٧	بشوف ان كل انسان ممكن يساعد فى حل مشاكل بلده	٥٧١ر
٨	يشعر ان المجتمع لا يستاهل أى خدمة منى .	٥٥٦ر
٩	يجب أن أحافظ على ممتلكات الدولة	٥٠٠ر
١٠	بشعر أنى غريب فى بلدى	٤٠٨ر

٣ ـ الانتماء للمجتمع : ان نظرة سريعة الى هذا العامل تعطى انطباعا واضحا عن طبيعته فكل بنوده تدور حول اتجاهات التلميذ نحو المجتمع وأن يشعر بالولاء لشعبه وحكومته وأرضه وأن لديه الرغبة الحقيقية فى دفع عجلة التنمية فى وطنه ، يبذل أقصى ما فـــى وسعه لتحقيق التقدم للبلد " ولذلك يقترح أن يسمى هذا العامل الانتماء للمجتمع " .

ثبات المقياس :

تم استخدام طريقة التجزئة النصفية بالنسبة لكل مقياس فرعى للانتماء فكانـــت كما هى موضحة بالجدول رقم (٨) .

جدول رقم (٨)

معاملات الثبات بطريقة التجزئة النصفية

المقياس	الثبات النصفي	
	قبل التصحيح	بعد التصحيح سبيرمان براون
الانتماء للأسرة	٦١ر	٧٦ر
الانتماء للجيران	٥٥ر	٧١ر
الانتماء للمجتمع	٤٧ر	٦٤ر

يتضح تمتع المقاييس الفرعية للانتماء بدرجات طيبة من الثبات النصفي بعد التصحيح بمعادلة سبيان براون فقد تراوحت معاملات الثبات النصفية بعد التصحيح للأبعاد ما بين ٦٤ر ٧٦ر وهي ذات دلالة عند مستوى ٠١ر جميعها ٠

<u>طريقة تصحيح المقياس :</u>

يتم تصحيح المقياس وفق الأوزان الموضوعة لتدرج الاجابة كالتالي :

موافق	غير متأكد	غير موافق
٣	٢	١

اذا كانت صياغة العبارة موجبة ٠

موافق	غير متأكد	غير موافق
١	٢	٣

اذا كانت صياغة العبارة سالبة ٠

ومن ثم فإن الدرجة الكلية للبعد تتراوح ما بين ١٠ الى ٣٠

وللمقياس تتراوح الدرجة الكلية بين ٣٠ الى ٩٠

- نتائج الدراسة :

القياس ضرورى ولكن ضرورته فى امتداد قوته وزيادة دقته والاحصاء هام ولكن أهميته فيما يكشف عنه . الأعداد لاتتكلم الا مع فكر الباحث الذى يرى ما وراءها الأعداد لاتكشف عن مغزاها الا مع من لا يفتنه سحرها الظاهر ويتفكر بعيدا فى عمق سرها الكامن .

جدول رقم (٩)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" ودلالة الفروق بين مجموعتى الدراسة

ن = ١٠٠

البعد	المجموعة الأولى تلاميذ مدارس حكومية		المجموعة الثانية تلاميذ مدارس لغات		قيمة ت
	م	ع	م	ع	
الانتماء للأسرة	٣٩ر٨٩	٦ر٢٣٤	٣٩ر٣٩٤	٥ر٨٤٦	ر٦٦٩

يتضح من الجدول : عدم وجود فروق ذات دلالة بين عينتى الدراسة فيما يتعلق بالانتماء للأسرة وان كانت هناك فروق ضئيلة للغاية فى الدرجات الخام لصالح العينة الضابطة .

جدول رقم (١٠)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة ت ودلالة الفروق بين مجموعتى الدراسة

ن = ١٠٠

البعد	المجموعة الأولى تلاميذ مدارس حكومية		المجموعة الثانية تلاميذ لغات خاصة		قيمة ت
	م	ع	م	ع	
الانتماء للجيران	٣٦ر٥١	١٢ر٢٤٦	٤٩ر٤٦٤	١٣ر١٦٥	١ر٧٩٩

يتبين من الجدول عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية وإن كانت الفروق في الدرجات الخام لصالح العينة الضابطة ٠

جدول رقم (٤١)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة ت ودلالة الفروق بين مجموعتي الدراسة

ن = ١٠٠

البعد	المجموعة الأولى تلاميذ مدارس حكومية		المجموعة الثانية تلاميذ لغات خاصة		قيمة ت
	م	ع	م	ع	
الانتماء للمجتمع	٣١٫٣١١	٦٫٩٣٥	٢٩٫٤٩٣	٧٫١٩٩	٢٫٩٠٥

يتضح من الجدول وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠١ر لصالح العينة الضابطة في البعد الخاص بانتماء التلاميذ للمجتمع ٠

تفسير النتائج :

العلم قوة حياة متجددة في الانسان فزيادة الوعي اتصال بالحياة، وارتفاع الولع زيادة ارتباط بها وتحقيق الشوق زيادة اقبال عليها ، منابع ثلاثة لقوة الحياة في الانسان قوة الحياة في الفكر اتصالا ، قوة الحياة في الارادة ارتباطا ، قوة الحياة في الذوق اقبالا ، لذلك كان لزاما على الانسان البحث والتنقيب وراء المعرفة ، ولكي يصل إلى المعرفة عليه أن يبحث عن الحقائق حتى يصل الى النتائج ٠ ويؤكد سيد عثمان (١٩٨٦) أن الاتجاه الصحيح في النمو والتعلم هو الاتجاه الذي

درجة ثقة عند مستوى ٠٥ر = ١٫٩٩

درجة ثقة عند مستوى ٠١ر = ٢٫٦٣

يتفق مع حركة الحياة ودفعها فى كل مجال هو اتجاه الى تقلص الاعتماد على الخارج يقابله اتساع فى الاعتماد الذاتى ، تراجع الدفع من الخارج يقابله تقدم فى الدفع الذاتى ، انحسار التوجيه الخارجى ، يقابله نهوض فى التوجيه الذاتى ، انخفاض التقييم الأخرى وتقابله هيمنة للتقييم الذاتى ، وهذا لايعنى تعالى الذاتية عن الاجتماعية وانما يعنى التوازن بين محور البيئة ومحور الفرد ، وبؤرة الوسط وبؤرة الذات ، بين الخارج والداخل ، صحة من تزكى الانسان ، تكمن فى سلامة الاتجاه نحو تحقيق الذاتية الناضجة التى تنتمى الى بيئتها انتماءا واعيا ، انتماءا مسئولا ، انتماءا أخلاقيا ، انتماءا واعيا بالوسط وبالذات وبامكانات الوسط وامكانات الذات ، وبدور الذات فى الوسط وبحدود الوسط فى تاثير الذات الانتماء الواعى هو الانتماء المدرك ، المقدر ، المقوم فى اتساع وعمق ودقة ، والانتماء المسئول هو الانتماء المهتم ، الحريص ، الفاهم ، البصير ، المشارك ، المتفاعل ، الانتماء المسئول اجتماعيا ، والانتماء الأخلاقى ، وهو أرقى الانتماءات الذاتية الناضجة وأعلاها فهو الذى يقوم على الحساسية الأخلاقية أى دقة ادراك القيم العليا فى الجماعة ، والانفعال الأخلاقى أى الانجذاب الى هذه القيم والاستمساك بها والحرص على دوامها واعلائها ، يعتمد الانتماء الأخلاقى على الاختبار القائم على الادراك السليم ، والترجيح الرزين ، ثم الصبر على الاختيار والاستعداد لتحمل نواتجه وتبعاته .

وكما يتضح من نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة بين المجموعتين من حيث الشعور بالانتماء نحو الأسرة وان كانت هناك فروق بسيطة فى الدرجات الخام لصالح المهنة الضابطة ، وقد يرجع ذلك الى أن الأسرة هى مصدر الرعاية الأولية لأبنائها فهى أقدم النظم الاجتماعية الانسانية ، وهى الوحدة الأساسية للمجتمع يقوى بقوتها ويضعف بضعفها ، وهى بمثابة الذاكرة التى تتجمع من خلال خبرات الانسان ، عاداته وأعرافه ، وتقاليده ، ومهاراته ، ومبادئه ، وأساليبه فى تنمية وتبنية لثقافته التراكمية النامية ، وتكسبه الخبرات التى تعده للاستجابة بطريقة ايجابية أو سلبية للخبرات التى تواجهه فى واقعه المعيشى ، فهى تلعب دورا رئيسيا فى مجال التنشئة الاجتماعية

لأبنائها وفي ارساء القيم الايجابية المنتجة في نفوس أطفالها ، وهذا هدف يسعى الى تحقيق كافة النظم الاجتماعية .

ويرى سيد عثمان (١٩٧١) أن المسئولية الاجتماعية تنمو عن طريق التربية والتعلم الاجتماعي والأسرة هي المؤسسة الأولى المسئولة عن تلك العملية .

ونظرا لأهمية دور الآباء في حياة الأبناء اهتم رجال التربية وعلم النفس بدراسة هذا الدور من خلال ما أطلق عليه حديثا مفهوم التربية الأبوية والتي تهدف الى اكساب الآباء مستوى المعرفة الأساسية والمهارات لاثراء الخبرة الأبوية في تعاملهم مع الأبناء . ويوضح بارسونز ١٩٥٧ ، أن هناك نوعا معينا من الاشباع تنفرد به الأسرة بتقديمه لأفرادها وقد لاتستطيع أي جماعة أخرى أن تعطيه للانسان هذا الاشباع هو ما يمس باشباع الحاجة الى الحب والمودة والانتماء .

ويشير ولتر ١٩٧٦ الى الدراسات التي تمت على الأحداث الجانحين على أن علاقة الطفل بوالديه تؤثر على مدى احساسه بالانتماء ، فالأسرة التي تتيح لأطفالها الاسهام في شئون البيت وبعض المسئوليات في حدود تزيد من احساس الأطفال بالانتماء الى أسرتهم وولائهم لها . ويشير شيمن [٩] الى أن الانسان السوي يكون لديه شعورا بالمسئولية الاجتماعية يتمثل في كونه محبا للخير ويود أن يكون موضع ثقة واعتماد وتكون جميع تصرفاته وسلوكياته نابعة من اهتمامه الحقيقي بصالح الآخرين ، ومن ثم يكون مصدر قوة للمجتمع بدلا من أن يكون عبئا عليه . وفي هذه المرحلة العمرية غالبا ما يكون الأطفال أكثر التصاقا بالأسرة حيث يمثل الأب لهم النموذج الذكري ، الموجه الاجتماعي ، والمعيار الأخلاقي ويشعرهم بالأمن والطمأنينة في وجوده معهم . وللأسرة دور فعال في هذا المجال حيث اتضح أن أكثر الأمراض الخلقية وعدم الشعور بالانتماء والمسئولية تنشأ جرثومتها في المنزل . ويوضح سيد عثمان ١٩٧١ [٤] ، أن شعور التلميذ بعدم امكانه الانفصال عن أسرته حيث لايمكن أن يتداعى ايمانه بأسرته لأنه لا يستطيع أن يواصل نموه النفسي بدونه حتى ولو تلقى مساعدات من جهات أخرى من المجتمع .

ومن جماعة الجيرة والمجتمع فقد أثبتت الدراسات أن جماعة الصحبة تترك أثر بصمة على شخصية الانسان • والطفل بصفة عامة يميل الى الصحبة والانضمام الى جماعة الأقران والجيرة مما تتطلبه من انجذاب الطفولة للأقران والجيرة لأن من أهم خصائص النمو فى هذه المرحلة لديهم الانتماء لعالم الأقران والجيرة • وشعور الانسان بالاستحسان والتقبل من جانب الجماعة يدفعه للمحافظة عليها والعمل على نصرتها مما يدفعه الى مشاركتها واشباع حاجاته المختلفة •

ويوضح ولتر ١٩٧٦ الى أن الأطفال يكتسبون الشعور بالانتماء عن طريق أوجه النشاط الاجتماعى التى تتم فى المدرسة ويتمثل تعبير أحد الطلبة الدارس عن ذلك بقوله " انه لأمر فظيع أن تلاحظ الجماعة دون أن تشترك معها فى نشاطها • اننا نحن التلاميذ جميعا نحتاج الى أن نعطى الفرصة لأن نكون مع الجماعة •

ان درجة انتماء التلميذ تتأثر سلبيا بنوع التعليم حيث أن التعليم باللغات يعرقل بصفة عامة من درجة الانتماء للجيران • والمجتمع • نظرا لعدم توافر المناخ المناسب لاشباع حاجاته فغالبا ما يكون ميل التلميذ شديدا فى هذه المرحلة العمرية للانتماء الى أقرانه وجيرته حتى يشعر بالأمن وتحقيق ذاته داخل الجماعة • يشاركهم الأنشطة والأفكار • وبالتالى هو يقوم بمجهود مضاعف لمحاولته التوافق والتكيف مع جماعات الأقران والجيرة التى لم تلق التعليم الأجنبى مما يعرضه الى الانغلاق وجانب من الاضطرابات النسبية • وانتصار الحل الفردى لمشاكله على دافع الحل القومى لمشاكل وطنه ضعف خاصة وهم بعيدون عن اللغة الام فى هذه المرحلة العمرية الزمنية • يشعرون بالامتصاص النسبى لقوة الضغوط الواقعة عليهم من الظروف فى البيئة والمناخ الذى يحيون فيه • التأثير على ايجابية الشعور بالانتماء بصفة عامة • عدم قدرة التلميذ على مجاراة اقرانه بسبب اضطرابات فى العلاقات • ومن ثم تتكون لديهم اتجاهات سالبة نحو الجيرة • وغالبا ما يجد التلميذ بطريقة او باخرى عدم جدوى عائد التعليم وقد صرح بعض التلاميذ للباحث أنهم لا يرون مستقبلهم الا بالهجرة والعمل فى الخارج وليس فى مجتمعهم • ان احساس التلميذ بعدم الانتماء قد يصل به على مر السنين الى حد العزلة • أى انفصاله عن ذاته • وفقدانه معنى للحياة •

وانعدام الروابط بين كل الأشياء والأفراد والشعور بالعداء نحوها ومعاملة غيره من الناس كأشياء مستقلة عن ذاته دون النظر الى نوعية العلاقات التي تربطه بهم واحساس التلميذ يفقد المعايير الاجتماعية بل ويصبح خطرا على نفسه وعلى مجتمعه .

وتشير دراسة سيرمان وسميث ١٩٧٣ الى أن الانسان من كل الأعمار ينسب عزلته الى نقص الفرصة الى التحدث عن الأشياء الشخصية والخصوصيات الهامة مع الآخرين ويسعى للانتماء الى الجماعة اذا كانت مصدر طمأنينة له ويتجنبها اذا كانت مصدر أذى أو امتهان .

ويؤكد ولستر (١٩٨٠) الى أن الأفراد يحبون الآخرين الذين يماثلونهم في الاتجاهات والمعتقدات أو السمات لأنهم يتوقعون أن هؤلاء الأشخاص سوف يحبونهم ويرون أن الآخرين الذين لا يشبهونه سوف لا يحبونهم .

وأخيرا وليس آخرا يؤكد الباحث أن بذرة الفرد الحر لا ينمو الا في جماعة تربوية موجهة توجيها حسنا سليما ، ففيها يتعلم كيف يختار ، ويواجه ضغط الجماعة وكيف يوجه مسارها أو يغير ، كما يتعلم متى يساير أو يقاوم أو يستقل أو يعتزل ، وفي خلال هذا كله يتعلم درسا أخلاقيا أسمى وهو احتفاظه بذاته نامية ، ومستقلة ، ومتماسكة ولا يكتمل الا بالعمل والكفاح مع آخرين في سبيل هدف مشترك نبيل يختاره بالفهم المتزن والارادة الحرة .

ويؤكد الباحث أن البحث العلمي قد جعل من فعل الخير علما ، ومن الاحسان منهجا ، ومن المشاكل المتنوعة حصيلة التفكير العلمي .

التوصيات :

١ ـ أن تعمل الادارة المدرسية على توفير الجو النفسي والاجتماعي السليم المناسب لنمو روح الديمقراطية والعدالة واشباع الحاجة للانتماء وتنمية المسئولية الاجتماعية .

٢ ـ أن تقوم الادارة على أن تكون العلاقات السائدة في المدرسة مساعدا على اشباع الحاجة للانتماء وتنمية المسئولية الاجتماعية مما يساعد في تكوين الاتجاهات والقيم الايجابية البناءة .

٣ ـ ضرورة انشاء مكتبات تربوية متخصصة في المدارس تضم كتيبات تعالج مشكلات النمو وتنمى الشعور بالانتماء والمسئولية الاجتماعية وتنمية اتجاهات الأبناء .

٤ ـ ضرورة التركيز على اختيار نوع المعلومة واستثارتها لاهتمام التلاميذ بما يعود عليهم بالنفع .

٥ ـ يجب أن يتحول نظامنا التعليمي من التركيز على المعلومات الى تشغيل المعلومات ومن الاقتصار على الجوانب المعرفية الى الاهتمام بالتنمية المتكاملة معرفيا ومهاريا ووجدانيا وسلوكيا ، والى التركيز والاهتمام ببناء الشخصية القادرة على مواجهة المستقبل .

٦ ـ ضرورة ممارسة الأساليب الديمقراطية داخل المدرسة من خلال مناخ تربوى سليم وادارة تربوية ناجحة مقتنعة بالهدف وعلى ادراك تام وكامل بالوسيلة .

دراسة العدد (الاجتماعيـــة)

قسم الابحاث / مكتب القاهـــرة

ظاهرة (اطفال الشوارع) في البلاد
الاسلاميـــة

(الابعاد والدلالات النفسية ـ الاجتماعيـــة
لتربية الطفل في العالـــم الاسلامـــى)

- ترتبط مشكلة (اطفال الشوارع)بعدم التد ـس الاجتماعي ، وتعد عمـــلا سلبيا يخلقه الوضع الاجتماعي المتد هـــور .
- الاطفال احوج ما يكونوا لمعرفة انفسهم ، ومن ثم معرفة الله عز وجـــل ، وتلك بداية للتطور المجتمعي الخـــلاق .
- ان جهاد النفس هو من اهم اسس الصحة النفسية التى تعالج (اطفـــال الشوارع) كظاهرة خلل نفسى ومجتمعـــى .
- ان اهمال الطفل وسوء تربيته الاسرية وفقدانه للدور الانسانى والمجتمعى يدفعه الى " الشارع " ...... ويدمر منظومة قيمه كليـــة !!

- / د . جمال مختار حمـــزة

ان مشكلة اطفال الشوارع مشكلة حديثة طرات على المجتمعات الاسلامية وبخاصة الفقيرة منها ، وهى مشكلة مجتمعية ، وهى مشكلة معقدة وذات اوجه مختلفة واسباب خفية ونتائج بعيدة؛ فهى ذات علاقة بمشاكل عيوب الشخصية والمنازل التعسة وحياة العصابات وعدم التناسق الاجتماعى . كما انها ليست مشكلة مستقلة عن غيرها من المشاكل ولكنها مرتبطة وذات علاقة بالتغيرات الاجتماعية التى نمت فى الماضى فى المجتمعات الاسلامية الفقيرة . وترتبط تلك المشكلة ارتباطا وثيقا بعدم الانتظام الاجتماعى . اوعدم التناسق الاجتماعى وهناك بعض الافعال تصدر عن افراد معينين ضد المجتمع وتعتبر حالات بسيطة خاصة ، ولكن حالات الاعمال السلبية التى يقوم بها اطفال الشوارع فانها تعزى اساسيا الى العوامل المختلفة التى تؤثر فى الوضع الاجتماعى الذى يوجد ونه فيه وعلى ذلك فان هذه المشكلة، مشكلة اجتماعية تظهر فيها الاوجه المختلفة المتعددة التى ترتبط عادة بأية مشكلة معقدة .

انه يجب علينا ان نتعلم كيف نجد وقتا للتفكير والتأمل وهذا الامر هو أكثر أهمية من السعى المتناهى وراء المادة ، فاذا ما كرسنا وقتا للتفكير فنجد ان معظم همومنا ومشاكلنا ستحل تلقائيا ودون عناء كذلك علينا ان نتذكر دائما ان المال ليس فى الدرجة الاولى تعبيرا عن مدى ومقدار تملكنا للاشياء، بقدر ما هو رمز لمنجزاتنا ، واننا فى حاجة الى شعاع الحب والحق

وفى ضوء ذلك تصبح المشاكل السلبية اوهاما ، وتصبح مشاعر الاطفال اكثر نضوجا وفعالية وايجابية . وفى هذه الدراسة نعالج قضية اطفال الشوارع من زاوية (الاسباب) وليس (المظاهر) وحيث تتجه الى دراسة الاسباب بصفة عامة

التفاوت فى الانحراف

وفى المجتمعات البسيطة والمجتمعات الريفية تكون المؤثرات المحيطة بالناس جامدة وغير متغيرة وعلى نسق واحد ، ولذا نجد ان عدد الاولاد الذين يقومون باعمال سلبية ضارة بالمجتمع والذين يعملون ضده قليلون .

ويلاحظ أن أفراد المجتمع يجدون كفاية وأمنا فى التعاون مع بعضهم لصالح الجماعة وفى التلاؤم مع مستويات ونظم الجماعة ، فهذا التلاؤم ينتج عنه آثار مريحة وينال إستحسانا وموافقة من افراد الجماعة وهنا يصبح المجتمع متلما سليما . حيث تلعب حياة القرى دورا مهما فى تطوير الضمير الاجتماعى الذى بدونه لا يوجد تطور حقيقى ، وتختفى من ثم ظاهرة "أطفال الشوارع"

أما الخارجين على القانون والنظم الاجتماعية والذين لا يتلاءمون مع المجتمع فانهم عادة ما ينالون جزاءهم بشدة ،وهم فى العادة ينالون عقابهم فالسلوك المضاد للمجتمع هو سلوك يقاومه هذا المجتمع ليحافظ على كيانه ، ونلاحظ انه فى المجتمعات البسيطة كمجتمع القرية وجود مؤثرات وضوابط تحافظ على كيان المجتمع ونظامه ومشكلة ،أما فى زمننا هذا وخصوصا فى المجتمعات الكبيرة كمجتمع المدينة اصبحنا لا نجد وحدة الشكل أو النظام هذه ،كما أن الافراد وخصوصا "الاولاد الخارجين عن القانون يقابلون عدة قوانين وضوابط ضد رغباتهم احيانا ولا تتفق مع ميولهم ونجد ذلك حتى فى المنزل ، حيث نجد ان الاباء لا يقتنعون غالبا بالقواعد والنظم الصحيحة التى يجب ان يسيروا عليها فى تربية صغارهم بل لهم معتقداتهم وآرائهم الخاصة ، واحيانا يكون الاباء غير موفقين فى رعايتهم ومراقبتهم لسلوك اولادهم ، وحالات الاخلال بنظام المجتمع اصبحت ظاهرة بوضوح ، وانتشرت انتشارا كبيرا فى المجتمعات الكبيرة ، فنلاحظ ان عناصر المجتمع فى تغير مستمر وعمليات التقدم والتنافس بين الافراد والتقدم فى العلم والحضارة والثقافة فى تقدم زائد ، وكان من نتيجة زيادة الاتصال بين الافراد وانتشار فكر الفرد واعطائه لحقوقه فى الجماعة ، كل ذلك اوجد ميلا لدى بعض الافراد لتحطيم القوانين الخلقية المتعارف عليها ونشا عن ذلك حدوث السلوك المعادى لدى الافراد ، ولقد كان السلوك متحكما فيه عن طريق الشعور الشخصى من النفس رأسا ، وكان للقواعد الخلقية الموضوعة المتعارفة اثرا كبيرا لدى الافراد ولكن بعد ذلك ونتيجة لحدوث التغيرات السابقة اصبح من الصعب التحكم فى سلوك الافراد ، واصبحت مشكلة ضبط هذا السلوك مشكلة معقدة ،

وصار القانون كطريقة للضبط فى مساحة واحدة ضعيفا اذا ما قورن بتأثير الدافع الشخصى . أن التحكم المتعقل بالذات لهو ادعى لحياة أفضل، من الاسترسال وراء النزوات والرغبات بلا حـــدود .

ويمكن القول أن انحرافات الاولاد تختلف عن انحرافات البالغين الكبـــار فى الدرجة اكثر من اختلافها فى النوع ومع ذلك فهناك أعمال خاصة بهـــــــم وحدهم وتميزهم عن غيرهم كالهروب من المدرسة الى غير ذلك من الاعمال الضارة الكثيرة الخاصة بالصغار ، وعلى ذلك فاخطائهم تحوى اكثر من تلك الاعتداءات المباشرة على القانون التى تنسب الى الكبار البالغين . واذا نظرنا الى تلـــك الاعمال الخطيرة التى يقومون بها فيجب علينا ان ننظر الى عامل السن ، كمـــا يهمنا ايضا ملاحظة وجود النية الاجرامية ، او القصد الاجرامى لمخالفة القانون او القضاء على الأنظمة وقواعد حددها هذا القانون والقواعد المنظمة لـه .

ويهتم علم النفس بحياة الجماعة وقال وفقا لما قاله عالم النفس الغربـــــى شووكاى ان السلوك السلبى يرتبط بالوضع الاجتماعى وان دراسة تأثير الجماعة يعادل فى اهميته دراسة الفرد ذاته ، ومن خلال دراسـة السلوك البشرى .

يتضح ان عادات الطفل وعواطفه تتكون عن طريق خبراته، وعن طريق التفاعل بين الطفل والعوامل المؤثرة الموجودة فى بيئته التى يعيش فيها، ولذلك فـــلا يمكننا ان ننظر الى الفرد ككائن منعزل عن المجتمع ، فكل انسان ينشا فى أسرة وفى مجتمع صغير يتفاعل معه ، كما أن نمو الذات ونمو الشعور هو نتيجة لتفاعل الفرد مع البيئة المحيطة به بوجه عام ومع من يتفاعل معهم من اناس بوجه خـاص وعلى ذلك فنمو الخلق لا يمكن ان يتم الا بتفاعل الفرد مع المجتمع ، فليس مـــن الممكن دراسة الطفل دراسة مستوفاة الا فى ضوء علاقته مع ولديه واخوته ورفاقـــه وغيرهم فى مراحل نموه المختلفة .

والاطفال فى حياتهم يرتبطون بأشخاص آخرين وهم يعيشون أعضاء فـــى

الجماعة ويؤثرون فى أوجه نشاطها الاجتماعى . لذا فيكون من الخطأ أن نفصل بينهم وبين الجماعات التى ينتمون اليها والتى يعيشون بينها ، حيث أن لكل ذلك تأثير فى تكوين عواطفه وعاداته وطبيعته الاجتماعية ، ويؤكد علم النفس ان الجماعة تترك أثر بصمتها على شخصية الطفل .

ونود التأكيد على أن " ثمة حقيقة " وهى أن الطفل اذا فصل عن مجتمعه الصغير فى الاسرة وبدأت علاقاته خارج البيت من خلال واجبات التعلم والتربية كانت حقوق الطفل هنا جزءا من الحقوق العامة التى يقررها الواجب على المجتمع الذى يعيش فيه الطفل .

الدعامة الاسلاميـــــة

ومن الضرورى تمهيد عقلية الطفل للتعايش تدريجيا مع معطيات عصر وثقافة زمانه . وعلم النفس الاجتماعى هو أحد الدعائم الاربع التى تقوم عليها الصحـــة بصفة عامة :-

- دعامة الصحة الجسميـــة .
- دعامة الصحة الاجتماعيـــة .
- ودعامة الصحة الدينية الاسلامية .

وتكتمل هذه الدعائم بالصحة النفسيـــة .

والصحة النفسية هى الطاقة اذا تحلت بها الاسرة صلح حالها وانجبت للوطن مواطنين يتمتعون بسمات الاستقرار والطمانينة والحب والانطلاق الهادف والتعبير الصحيح ، ينضجون يوما بعد يوم الى درجات ودرجات عن المعرفـــة وبعد النظر والانتاج الجيد الوفير والاطفال احوج ما يكونوا الى معرفة انفسهم، هذه المعرفة التى تبصرهم بنعم عظمى بين جناحيهم وباجهزة دقيقة عصبيـــة تخدم وجود هم وتعينهم على قدرة الابصار وحسن الاستماع والتوافق مع ما يحيط بهم فى بيئتهم الخارجية ، واستيعابهم للمعلومات التى تدخل الى مركزهـــم

العصبية، وكل ذلك يدفعهم الى معرفة الله عز وجل ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .

ان جهاد النفس هو أسمى أنواع الجهاد وهو لا يتأتى الا من نفس واثقة قادرة صامدة، وأيضا نفس واعية بطريق النور حريصة على البعد عن طريق الظلام والشرور ، وهذه الثقة والقدرة الغالية للنفس المجاهدة يكون مصدرها الارادة القوية والعزيمة الصلبة ، وذلك هو احدى مقومات الشخصية المتماسكة الناضجة من خلال البعد النفسي .

ويقول أبو الحسن الشاذلي " رأس النفس إرادتها ، ويداها عملها ، وعقلها ورجلاها تدبيرها واختبارها . فاذا اردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركة . فهو يعتبر ان الارادة هي رأس النفس وذلك يفسر اهميتها .

واذا كان جهاد النفس بتحريك الارادة هو من أسس الصحة النفسية فان ذلك يفسر الوقاية من عوامل القلق والخوف ويجنب اسباب الحزن والاكتئاب بما تحققه للانسان من الرضا والقناعة والطمأنينة الداخلية ، وما يشعر به الانسان من البهجة والسعادة والسماحة والسرور بعد أن أصبح مالكا لارادته متحكما في غرائزه ومسيطرا عليها

ان اساءة استعمال الطفل واستغلاله تعتبر من الظواهر الغير الحضارية والتي تدل على المستوى المتدني لاى مجتمع من الناحية النفسية والاجتماعية ، وقد تقاس درجة التقدم للشعور بمدى احترام قيمة الطفل وتعزيز مكانته الاجتماعية في إسرته ومدرسته وايضا مدى توفير مناخ سوى من الرعاية الصحية على كافة المستويات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية .

والطفل هو المحور الاساسي لبناء المجتمع السليم ، وهو أحد الدعائم الرئيسية التي تقوم على أساسها نهضة هذا المجتمع ورفاهيته وتقدمه .

لذلك فان اشباع حاجات الطفل الاساسية من حيث العاطفة والحب

والحنان ، وتوفير جو من الشعور بالامان والطمانينة من الخوف والتوتر والقلق النفسى ، وتجنب مصادر التلوث وانتشار الامراض . كل هذه الاحتياجات البيولوجية والاجتماعية النفسية، تساعد الطفل على تنميته من كافة الجوانب الايجابية ، وتساعد على تكوين انسان صادق صالح يتمتع بخصائص الصحة النفسية الإيجابية وتؤكد لديه ما يسمى بالثقة الاساسية والاولية في نفسه وفى الاخرين ، وهذه الثقة هى التى يبنى عليها الطفل فى حالة من السواء والسلامة الجسدية والنفسية .

الاسرة المريضة

ومن المفاهيم التى ذاعت اخيرا فى مجال علم النفس الاكلينيكى ومجال الطب النفسى مفهوم الاسرة المريضة ، ومؤدى هذا المفهوم ان الاسرة تمرض قبل الفرد ، فالاسرة المهياة للمرض هى التى تنجب الطفل المريض . وهذا يعنى ان هناك أسراً تمثل ارضا خصبة لنشاة المرض بنوع العلاقات السائدة فيها ولظروفها الاجتماعية والاقتصادية النفسية المختلفة وبطبيعة تركيبها وما المريض فى هذه الاسرة الا اضعف حلقاتها او اضعف افرادها ، واكثرهم استعدادا للمرض ، وهو الذى تفصح عن طريقة الاسرة عن [illegible]ـها واضطرابها .

والطفل الصغير يسعده ان يستمتع بالحياة التى يستمتع بها غيره من الاطفال الصغار فالجو الطفلى بما فيه من لعب وبعد عن الانشغال بمتاعب الحياة والسعادة الطفلية البريئة التى ينشدها كل طفل فى عالمه الصغير من الرفاق والصحاب والاحساس بمشاعر الطفولة اللذيذة بما تحمله من معانى حماية الكبار له ، ووجود من يقوم برعايته - كل هذا ينبغى توفره للطفل الصغير حتى ينمو نموا سويا دون اضطراب او شذوذ ، والاباء الذين يغفلون مطالبه الطفولة فيرون فى طفولتهم شخصا كبيرا قبل الاوان او يلقون عليه من المسئوليات ما لا يتفق مع سنه ، مثل هؤلاء الاباء يسيئون قطعا الى نفس الصغير ، ويحرمونه

من سعادة الطفولة ، ومن فرص النمو التدريجي والانتقال من مرحلة الى اخرى انتقالا سليما سويا

والنفس البشرية قوة ليس من السهل التحكم فيها ، بل هى التى تحكم سائر تصرفاتنا واتجاهاتنا وانفعالاتنا - والاباء قبل كل شيء بشر تسيرهم هذه النفس البشرية الحاكمة وتشكل اسلوب تعاملهم مع الجميع ومع ابنائهم ايضا ، وليس غريبا ان نجد الاباء لا يقدرون على ضبط انفسهم واهوائهم وان لا تتساوى المعاملة التى يلقاها ابناؤهم منهم ، ولا يتكافا مقدار الحب والعطف الذى يناله ابن من الابناء فى الاسرة مع ذلك المقدار الذى يناله اخوه . . ولكن الابناء باعتبارهم مستقبلين لهذه المعاملة وهذا الحب او ذلك الكره ، يكونوا متيقظين للقدر الذى يناله كل منهم ، وتتفاعل مشاعرهم وفقا لما يحسونه من ظلم او عدل ، ثم يستجيبون بعد ذلك وفقا لهذه الاحساسات استجابات تتفق والموقف القائم : قد تكون فى صورة تمرد وعصبيات او استكانة وخفوع او تدليل وافساده او رضا وسعادة ، مع قيام مشاعر الحقد والغيرة فيما بين الابناء بعضهم وبعض. والموقف كله لا يتطلب من الوالدين سوى محاولتهما توزيع حبهما وعطفهما ورعايتهما على سائر الابناء بالعدل القسطاس مهما كانت ظروف كل منهم .

والأسرة اول مدرسة تعليمية كبرى فى تكوين السلوك الحسن او السلوك السيء لدى الطفل ، وهى الوسط الاجتماعى التى يتلقى فيه الطفل المبادىء الاجتماعية التى تجعل من مواطن صالح فيما بعد او تجعله يعمل ضد المجتمع.

وتتطلب تربية الطفل مبادىء خلقية واجتماعية لا يمكنه ان يتعلمها جيدا الا فى محيط الاسرة وان نجاح هذه التربيةيتوقف على الصفات الموجودة لدى الوالدين وقدرتهما على ذلك كما يتوقف على مدى الرابطة الاجتماعية الموجودة بين افراده والجو الذى يعيش فيه ، والاهداف الخلقية التى تسير عليها الاسرة ما هى الا مجتمع صغير جزء من المجتمع الكبير الذى يعيش فيه الطفل فيما بعد فالعائلة هى التى تعود الطفل فيما بعد على المجتمع الكبير كعضو فيه .

وان ما يجرى فى محيط الاسرة ومدى قدرة الاسرة على توفير حاجات الطفل لهى اهم العوامل المؤثرة التى توجه الطفل الوجهة التى سيتجه اليها فـــــى مستقبل حياته فالعائلة [illegible] الى الانحراف من هذه الناحية بطرق مختلفة منها :-

١ - التاثيرات المباشرة للمنازل التعســـة .

٢ - اضطراب عاطفى مبكـــــر .

٣ - الفشل فى توفير حياة منزلية لطيفة منظمة .

٤ - عدم توفير حاجة الطفل الى الامان والحماية والعطف .

٥ - الفشل فى تربية الطفل تربية اجتماعية .

٦ - عدم القدرة على ايجاد علاقة ثقة بين افراد المنزل .

المنازل التعســـة

وبالاضافة الى ذلك فتوجد اسباب اخرى تنتج عنها المنازل التعسة

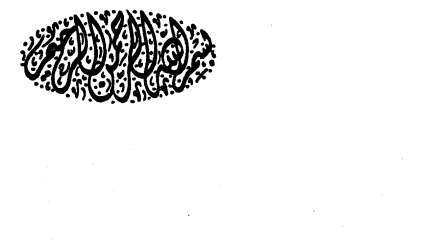
وما يتبع ذلك من آثار سلبية على ابنائها مثل الحوادث العاطفيـــــــة المفاجئة التى تحدث فى المنزل كالموت ، فان موت عائل الاسرة مثلا يعتبر صدمة عائلية تزعزع الكيان العائلى وتوجد افرادا جدد يتحملون ادارة المنزل وقـــــد يختلفون فى اهدافهم الخلقية والاجتماعية ومستويات تفكيرهم عن العائلـــــــين السابقين .

ومهما يكن فاسباب وجود المنازل التعسة هى اسباب كثيرة متعــــــددة ومتنوعة ذات آثار نفسية واجتماعية خطيرة وسلبية على الابناء .

وثمة حقيقة احب ان أؤكدها ان عللنا التى نعانيها قابلة للشفاء والطبيعة[1] التى يسرتنا للخير منذ مولدنا قمينة ان تعيننا على الشفاء متى نشدناه . . .

كما احب التاكيد على ضرورة توافر ثلاث قيم هى فاعلة وجوهرية فى مجـــال حياتنا جميعا فى التعليم والاعلام والتربية وهـى :-

الاسلوب
التكاملى فى البحوث





الاسلوب التكاملي في البحوث

الدكتور مختار حمزة — استاذ علم النفس — بكلية التربية بمكة المكرمة

أنواع البحوث :

هناك بحوث يقوم بها الطالب للحصول على درجة علمية كالماجستير أو أو الدكتوراه في الرياضة أو الفيزياء أو الكيمياء أو التاريخ أو الجغرافيا أو التربية أو علم النفس أو غير ذلك. وهناك بحوث أخرى يقوم بها أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة في إحدى هذه المواد أو في غيرها من المواد . وهذان هما النوعان المعروفان جيدا .

ولكن هناك نوع آخر من البحوث وهي تلك التي يقوم بها فريق من العلماء المتخصصين في مجموعة من المجالات التي يكمل بعضها البعض الآخر والحقيقة ان أي بحث لايمكن أن يعد بحثا إلا إذا أجرى بهدف الحصول على حل لاحدى المشكلات بعد دراستها دراسة وافية .

وفى ضوء خبراتي المتواضعة فى كثير من المجالات ، استطيع أو اؤكد انه لا توجد اليوم مشكلة يمكن ان تعتمد فى حلها اعتمادا كليا على جانب واحد فقط من جوانب المعرفة ، بل ان المشكلة قد تبدو انها مشكلة اجتماعية تحتاج لعالم فى علم الاجتماع لدراستها وحلها ، ثم يتضح لمن يتعمق فى المشكلة ويتمعن فيها ، ولمن يرغب فى مواجهة الحقائق فى صراحة وموضوعية ، انها فى مسيس الحاجة إلى دراسات فى علوم أخرى كالتربية وعلم النفس والطب والديموجرافيا والاحصاء والاقتصاد والتخطيط وغيرها . وعلى ذلك ، فلو أردنا دراسة المشكلة دراسة وافية وبحثها من جميع الجوانب ، فلابد من تكوين فريق من الباحثين فى مختلف هذه الجوانب وغيرها مما يكمل بعضها البعض الآخر .

وهذا هو نوع البحوث الذى نتحدث عنه الآن ، وأرى انه ضرورة حتمية لدراسة المشكلات التي تبحث على المستوى القومي أو المستوى الدولى

تكوين الفريق (Team) :

يتضح من ذلك اذن أن البحث الشامل على المستوى القومي لايمكن أن يقوم به إنسان فرد ، ولكن يقوم به مجموعة من المتخصصين كل فى مجاله . ومن هذه المجموعة يتكون فريق Team. والفريق يمثل وحدة كل عضو منها له مسئولية خاصة به ومسئولية تجاه الفريق ، مثلنا فى ذلك مثل فريق كرة القدم الذى يتكون من ١١ لاعبا ، كل له موقعه فى الملعب وله اختصاصاته ومسئولياته فهذا فى خط الدفاع الأول وهذا فى خط الدفاع الثاني وهذا حارس المرمى الخ ... وعلى كل عضو ان يتعاون مع باقي أعضاء الفريق فى جميع المراحل ابتداء من مرحلة وضع خطة اللعب مع الفريق المقابل إلى أن يتم إصابة الهدف . وكذلك فريق البحث يتكون كما ذكرنا من متخصصين فى العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية والطبية (أوالصحية) والاقتصادية والاحصائية والديموجرافيا وغيرها ، ويمثل كل جانب من هذه الجوانب واحدا أو أكثر ويكون من مسئوليات كل منهم ان يشترك فى وضع خطة البحث ، وأن يقوم بتنفيذ الجزء الخاص به ، وان يبلغ باقي أعضاء الفريق من الزملاء بكافة المراحل وجميع النتائج أولا بأول .

وأود ان اؤكد مرة أخرى ان الفريق ليس حصيلة جميع افراده، وانما هو وحدة متكاملة يتفاعل اعضاؤها بعضهم مع البعض الآخر تفاعلا مستمرا ، بحيث يستفيد كل جانب من باقي الجوانب الأخرى ويفيدها . وإدارة مثل هذا الفريق فى هذا المجال الذى نتحدث عنه فن رفيع للغاية يحتاج إلى تناول خاص من نوع معين ، وسنبين الآن بعض جوانبه .

اجتماعات الفريق :

ويتطلب ذلك تنظيما معينا يتضمن أولا تحديد المشرف على البحث ، وهذا له

دور قيادى ويحتاج إلى شخصية لها مواصفات خاصة من ناحية الاستعدادات العقلية والقدرات الإجتماعية والخبرات المتعددة والكفاءات العلمية ، وان يتميز بعقلية تخطيطية وان يكون بعيد النظر **far - sighted** وقادراً على إجتذاب الآخرين حوله بكياسته وعلمه وخلقه بحيث يكسب احترامهم الحقيقي . ونستطيع ان نلخص كل هذا في أن يكون لديه القدرة على قيادة مجموعة من الزملاء من مختلف التخصصات وتكوين علاقات ناجحة مع الجميع .

كما قد يتطلب الأمر تشكيل لجان صغيرة **Sub - committees** يتكون كل منها من ٢ إلى ٥ أشخاص حسب طبيعة المشكلة وحسب حجم العمل ، منها لجنة تربوية وأخرى نفسية وثالثة طبية أو صحية ورابعة إقتصادية وخامسة اجتماعية الخ .. ويكون لكل لجنة فرعية مقرر .

وتتكون اللجنة التنفيذية للبحث **Steering Committee** (واحيانا يطلق عليها اللجنة المحركة) من المشرف ومقررى اللجان ، ولابد لها ان تجتمع بمعدل مرة كل أسبوعين ، مالم يكن مرة كل أسبوع ، لمتابعة الجهود والتأكد من سير البحث طبقاً للخطة الموضوعة .

ومن مسئوليات مقرر كل لجنة فرعية ان يختار الأشخاص الذين سيتعاونون معه فى ناحية تخصصه وذلك بالاتفاق مع المشرف على البحث **Adviser** ويجتمع الفريق بالكامل أى المشرف والمقررين وأعضاء اللجان الفرعية بمعدل مرة كل شهر على الأقل للوقوف على كل ماتم وتبادل الآراء فى الموقف وتقييمه ورسم خطة المستقبل للمرحلة التالية من البحث .

تخطيط البحث :

قبل تخطيط البحث ينبغي ان تكون المشكلة واضحة تماما فى أذهان جميع الأطراف المعنية . وتلك عملية تستحق وقفة وتستغرق بعض الوقت . ويعتمد طول هذه الفترة على عدة عوامل نذكر من بينها : —

اختيار موضوع البحث : فهل هو طلب من جهة أخرى هى التي حددت الموضوع ؟ ومعنى ذلك ان هنالك إحتمال أن يكون الموضوع مفهوما لدى هذه الجهة بكيفية ما وقد تفهمه هيئة البحث بكيفية أخرى . وهل اللغة واضحة تماما أم أنها تتضمن بعض الألفاظ الغامضة نوعا ؟ وهل المفاهيم **Concepts** واضحة تماما وبطريقة موضوعية أم أنها قابلة لعدة تفسيرات متباينة بتباين الأشخاص . ؟

هذه أمور كلها تحتاج إلى وقفة جادة وان تستغرق الوقت المناسب وان تناقش فى أوسع دائرة مناقشات تفصيلية دقيقة والا يتخذ القرار إلا بعد التريث التام والاقتناع الحقيقي من الجميع ، ففي هذه المرحلة يتم وضع أساس البناء بأكمله .

وكثيرا ما تبدو الأمور – بالنظرة السريعة – انها واضحة للجميع . ولكن كلما تعمق الشخص ، كلما أدرك ان العملية تحتاج إلى التمهل لمزيد من البحث الأوسع والأعمق حتى يصبح مفهوم كل عبارة بل وكل لفظ واضحا وشاملا ودقيقاً مما يساعد كثيرا على إعادة صياغة مشكلة البحث **Reformulation** إذا تطلب الأمر ذلك ، كما يساعد على إعادة تحديد أهداف البحث **Objectives** بكل وضوح .

وهذا من شأنه أن يساعد على وضع التساؤلات أو الفروض **Assumptions** في أحسن صورة ممكنة . ويتطلب التخطيط الدقيق رسم الطريق إبتداء من وضع الفروض أو الاسئلة التي سيحاول البحث الإجابة عليها إلى مرحلة الوصول إلى الاجابات أو التحقق من الفروض ، نقول ان هذا التخطيط يتطلب رسما دقيقاً لكافة المراحل الأساسية للبحث والتي تتضمن ما يلي :

التوثيـــق **Documentation** :

مرحلة التوثيق هى أولى مراحل البحث وهي من أهم المراحل ، إذ يتم فيها اختيار لجنة للتوفيق تجمع كل ما يمكن ان تصل اليه مما سبق كتابته مرتبطا بموضوع البحث ويشمل ذلك بحوثا سابقة ، كتب ، أبواب أو فصول من كتب ، مقالات ،

مجلات علمية ، دوريات ، ابحاث جامعية ، احصاءات رسمية ، مستندات ، خرائط ، احصاءات ، وثائق ، وكل ما يمكن ان يكون مرتبطا بموضوع البحث من قريب أو بعيد .

وتسجل بطاقة أو أكثر لكل مرجع من هذه المراجع ثم تجمع البطاقات وتبوب وتصنف بالطرق الحديثة للتصنيف والتوثيق بحيث تعطى البطاقة صورة واضحة وصريحة عن المرجع ومحتوياته وأهم ماوصل اليه من نتائج .

ويتبع ذلك مرحلة وضع كل هذا في مجلد للتوثيق ، وإخراج هذا المجلد يحتاج إلى مهارة خاصة فى هذا المجال . وهذا العمل له قيمة كبيرة فى حد ذاته بحيث يمكن النظر إلى هذه المرحلة على أنها بحث مستقل له كل التقدير .

ومن مسئوليات لجنة التوثيق ان تعرض كل ما وصلت اليه على أعضاء هيئة أو فريق البحث كي تضعهم جميعا فى الصورة الشاملة ولكي يكون أمامهم الفرصة للدراسة وتحديد موقفهم بدقة أكثر فيعملون علي ملء الثغرات Filling the gaps ، وتكملة ما يكون قد بدأه الغير ، والاستغناء عن بعض النقاط التي يوضح التوفيق انه قد تم استيفاؤها فى بحوث سابقة . وبذلك يؤدى التوثيق وظائف جليلة ويؤدى إلى الربط بين القديم والجديد .

وقد يتراءى لفريق البحث بعد إتمام هذه المرحلة ضرورة إعادة النظر في خطة البجث بحيث تتواءم مع ما قد يستجد من معلومات كشفها التوثيق .

البحث الاستطلاعي Pilot Study :

وهذه المرحلة تعتبر تجريبية أى تجري فيها « بروفة » أو تجربة صغيرة على مدى محدود قبل الدخول فى البحث الأصلي بأكمله ، فتؤخذ عينة صغيرة ويحدد حجمها ومصدرها ، وتحدد الادوات والمقاييس المستخدمة والاستفتاءات أن كان إن هناك استفتاءات وتطبق على العينة المختارة وتحدد طريقة أو طرق تصحيح الإستمارات أو الإستفتاءات وطريقة تناولها ، وطريقة أو طرق تحليل النتائج الخ .. وفى ضوء الخبرات المكتسبة من البحث الاستطلاعي تتم التعديلات اللازمة فى

كافة النواحي . وقد تحدث مراجعة للافتراضـــات وتعديـــلات فى خطة المقاييس والأدوات علاوة على التعديل الداخلي فى كل منها على حدة ، كما تلقى اضواء على حجم العينة المناسب للبحث الميداني وطرق اختيارها والمشكلات العملية فى التطبيق وبعض هذه لايمكن التنبؤ به على الإطلاق . كما تلقى اضواء أخرى على تسجيل النتائج وإخراجها وتحليلها الخ ...

وهنا يوضع في الحسبان دائما ان ما قد يصلح للعينة الصغيرة قد لايسهل تطبيقه فيما بعد على عينة البحث الأصلي . ومن أمثلة ذلك ان الإستمارات أو الاستفتاءات قد تصحح في هذه المرحلة يدويا وتعالج النتائج الإحصائية يدويا ، بينما في العينة الكبيرة قد يتطلب الأمر إستخدام الطرق الآلية ، والتي قد تصل إلى مستوى الحاسب الالكتروني **Electronic Computer** وهذا يتطلب إعدادا خاصا في الاستمارات وترميزها **Coding** وبحيث يسهـــل نقل محتوياتها إلى البطاقـــة الإحصائية الصغيرة مثل **I. B. M. Cards** أو **I. C. L. Cards** أو أى بطاقات أخرى .

هذه الأمور التي قد تبدو انها هينة هى التي تتكاثف مع بعضها البعض لتسهم في إنجاح البحث من عدمه . وهناك بعض الملاحظات التي لها أهمية خاصة سنتحدث عن البعض منها الآن بإختصار شديد .

العوامل التي تسهم فى نجاح البحث

اختيار عينة البحث :

وهنا نود أن نذكر أمرين أولهما هو حجم العينة ، ففي بعض الاحيان يتم البحث على عينة صغيرة لاتسمح بتعميم نتائجها . وان العينة التي تصلح لبحث فردى للحصول على درجة جامعية بالقطع لاتكفي للتعميم على المستوى القومي مثلا . وتفاديا لذلك قد يتجه البعض للطرف الآخر فيغالون فى حجم العينة بحيث يصبح العدد أكبر من اللازم بكثير وفى ذلك مضيعة للوقت والجهد والمال . فالمعروف أننا نصل إلى الحجم الأمثل حينما تصبح كل زيادة بعد ذلك عديمة الجدوى أو تكاد

بمعنى أنها لاتضيف إلى درجة الدقة شيئا يذكر اذا قيس بالنسبة إلى الجهود والمصاريف والوقت الذى يبذل .

والأمر الثاني هو أن تكون العينة ممثلة فعـــلا للمجتمع الأصلي بأكلـــه Representstive ، وقد تكون العينة كبيرة ولكنها لاتمثل المجتمع بأكله بل تمثل جانبا منه فقط ، كأن تمثل سكان العواصم أو المدن بنسبة كبيرة بينما لايمثل سكان القرى الا بنسبة ضئيلة . أو ان تكون نسبة القرى القريبة من الطرق الرئيسية ومن المواصلات كبيرة بينما القرى النائية لاتكون ممثلة بالقدر الكافى . وهذه من الأخطاء الشائعة والتي تقلل من قيمة الكثير من البحوث .

والحقيقة انه من المبادىء الأساسية التي تبدأ عادة بتعليمها لطلبة الدراسات العليا هو أن يكون حجم العينة مناسبا وان تكون ممثلة للمجتمع الأصلي . وطبيعي انه لن يختلف إثنان على أهمية هذه النقاط من الناحية النظرية . ولكني أقولها من واقع التطبيق العملي ان ما يحدث فى كثير من الأحيان غير ذلك . وهذا هو مادعاني لذكرها هنا ، حيث اتحدث من واقع الخبرات الواقعية الحية التي عشتها لسنوات طويلة .

وفى أحد البحوث التي اشرفت عليها وكان خاصا بمشكلة العمالة والبطالة بين المتعلمين » (١) ، دعوت لجنة خاصة من ثمانية من المتخصصين (٢) فى الإحصاء بصفة عامة وفى اختيار العينات بصفة خاصة لكي يتبادلوا الرأى مع بعضهم البعض قبل اتخاذ قرار بشأن حجم العينة ومصادرها . وقد استمرت اجتماعاتهم ستة أسابيع . وشتان مابين العينة التي اقترحت فى أول جلسة لهم والعينة التي اتفقنا عليها في الجلسة الأخيرة مما أدى إلى توفير فى ميزانية البحث تقدر بما

---

١ ـ بحث العمالة والبطالة بين المتعلمين اجرى بناء على طلب منظمه العمـــل الدولية بجنيف عام ١٩٦٤ وكان بحثا مقارنا فى ٣ دول نامية ٠(اشراف الدكتور مختار حمزة)

٢ ـ ضمنت هذه اللجنة معظم اساتذة الاحصاء فى الجامعات المصرية فى ذلك الحين وكبار المسئولين فى الاجهزة الحكومية والمنظمات الدولية ٠

يقرب من ٥٠،٠٠٠ ريال سعودي علاوة على توفير الوقت والجهود الكثيرة .

الأدوات والمقاييس :

وهنا نجد أمامنا بعض المقاييس الجاهزة كاختبارات للذكاء واختبارات للقدرات الخاصة وبعضها لفظى والبعض الآخر غير لفظي ويتكون من رموز أو صور أو ما إليها. وبعض هذه المقاييس يكون قد تم بناؤه أساسا فى مجتمعات مخالفة تماما، ومع ذلك يستخدمها بعض الباحثين ويفسرون نتائجها فى ضوء المعايير التي وضعت للمجتمعات المخالفة مما لا يؤدى إلى نتائج يمكن الإعتماد عليها .

وهناك موقف آخر وهو ان الباحث يستخدم أحيانا أدوات ومقاييس تم انشاؤها فى نفس البيئة الإجتماعية ، ولكنها لم تكن قد قننت بعد وليس لها معايير . وواضح أن هذه أيضاً عديمة الجدوى مالم يتم تقنينها وإلا فإنه يتعذر تفسير النتائج .

والموقف الثالث هو ان الباحث ينشيء أدواته ومقاييسه، وهذه عملية كبيرة وتحتاج إلى مهارات متعددة . والواقع ان بناء أي مقياس علمي صحيح يكون كافيا وحده لمنح الباحث درجة علمية ، وهذا يشير إلى أن هذا الجهد يتضمن عملا علميا كبيرا فى حد ذاته . فانشاء المقياس يتطلب جمع مواده بحيث يكون شامــــــــلا **Comprehensive** وثابتا **Consistent** كما يتطلب اختبار مدى كفاءة أسئلته أو عبارته وكلماته كلمة كلمة ، وعبارة عبارة ، سؤالا سؤالا وبحث مدى صلاحية كل سؤال فى المقياس . ويتطلب كل هذا وضع المقياس موضع التجريب الميداني ثم اجراء التعديلات فى ضوء التجربة ثم إعادة التجربة مرة ثانية وبعدها يجري التعديل مرة أخرى ثم ثالثة ورابعة إلى أن نصل إلى مستوى عال من الصلاحية لكل سؤال وللمقياس بأكله **Validity** ومستوى عال من الثبات **Reliobility** .

وينبغي فى أى بحث علمي ان يحدد الباحث بكل وضوح وبكل دقة عامل الصلاحية (أو معامل الصحة أو معامل الصدق) **Validity Coefficient**

ومعامل الثبات (١) **Reliability Coefficient** إلى جانب معاملات أخرى هامة مرتبطة بها . ولكن الاكتفاء بمعامل منخفض قد نقبله فى أبحاث للحصول على درجة جامعية ولكنا نرفضه رفضا باتا بالنسبة للبحوث على المستويات القوميـــة أو الدوليـــة .

المعالجة الاحصائية :

الواقع ان المعالجة الاحصائية ايضاً تحتاج إلى خطة فرعية خاصة بها وان أنسب الأوقات لوضع هذه الخطة الفرعية هو نفس الوقت الذى توضع فيه الخطة العامة للبحث . فهذه الخطة الفرعية تدمج مع باقي الخطط الفرعية (خطة العينة ، خطة الأدوات والمقاييس الخ ...) ، أما ارجاؤها إلى مابعد تطبيق الاختبارات أو الإستفتاءات وتصحيحها حيث يجد الباحث نفسه وسط زحام شديد من الاعداد والأرقام التي تتجاذبه هنا وهناك ، فإنه ليس من صالحه فى شيء ، بلقد يؤدى ذلك إلى ارتباكه إلى حد كبير . وليكن واضحا له من البداية أنه يريد مثلا الحصول على معامل الارتباط **Correlation Coefficient** بين كذا وكذا . وما دام الأمر كذلك فهو إذن مضطر للحصول على المتوسطات والانحرافات المعيارية **Standard Deviations** وهكذا . أو انه يريد بعد الحصول على معاملات الارتباط أن يقوم بعملية تحليل عاملي **Foctorial Analysis** فهذه تحتاج إلى تخطيط آخر لعدة عمليات إحصائية فرعية ينبغي أن تؤخذ فى الحسبان .

تحليل وتفسير النتائج :

من الأخطاء الشائعة ان الأرقام أحيانا تجتذب بعض الهواة فيجمعون الكثير منها ويتركونها فى صورة خام **Raw** يملأون بها الصفحات . والحقيقة ان الشيء

---

١ فى ابحاث طلبة الدراسات العليا بلجامعات قد نقبل معاملات قريبة من ٨٠ر٠ ولكن بالنسبة للابحاث من المستوى الذى نتحدث عنه هنا ، يجوز ان يقل معامل الصلاحيـــه اومعامل الثبات عن ٩٠ر٠ بحال من الاحوال . ويفضل طبعا ان يقترب او يزيد عن ٩٥ر٠

الذى يستحق وقفة جادة هو طريقة إخراج هذه الأرقام وتبويبها أو جدولتها وتمثيلها بالرسوم البيانية أو ما إليها ، مما يبرز أشياء كثيرة له ولمن يرغبون فى الإستفادة من نتائج البحوث . ولواقع انالباحث صاحب العقلية الاحصائية **Statistically - minded** يستطيع أن يلخص البيانات التي تذكر فى أكثر من مائة صفحة فى ٤ أو ٥ جداول تنطق بالحقائق ، فى حين ان غيره يترك المائة صفحة كما هي دون أن يستفيد أو يستفيد غيره مما جاء بها . والشيء الذى نود أن نؤكده هو انه ما لم يكن المرء متأكدا تماما من أهمية الأرقام التي يسعى اليها لتحقيق الهدف الذى حدده لنفسه فلا داعي لها إطلاقا .

نأتي بعد ذلك لمرحلة التفسير ، وهنا نجد أحيانا ان الباحث يبرز بعض النواحي التي تمثل وجهة نظره قبل إجراء البحث . والباحث الناجح هو الذى يستطيع ان يخلص نفسه من الآراء والاتجاهات المسبقة وهو الذى يستطيع أن يضع امامه جميع الحقائق التي وصل اليها البحث وان يضعها فى صورة متكاملة ثم يبدأ فى التفسير موضوعيا فى ضوء نتائج بحثه ونتائج البحوث السابقة ـ. هذا الشمول وحده هو الذى يمكن أن يؤدى إلى حقائق وتوصيات ومقترحات بناءة حقاً .

مدة البحث وتعديل الخطة :

فى ضوء الخبرة العملية إتضح ان البحوث القومية من النوع الذى أشرت اليه يستغرق عادة فترة تتراوح مابين عامين على أقل تقدير وأربعة أو خمسة أعوام . وطبيعي ان الخطة التي توضع فى بدء هذه الفترة يستجد عليها اثناء سير البحث أمور تتطلب احيانا إجراء بعض التعديلات ، ولا نرى مانعاً من ذلك ، فالخطة يجب أن تتصف بالمرونة .

كلمة ختامية

اعتقد فى ضوء خبرتي بالعمل فى هذا المستوى من البحوث فترة تقرب من خمسة عشر عاما بصفة مستمرة ان أهم ميزة تميز الباحث ان يدخل على المشكلة

بعقل متفتح تماما وان يعمل على أن يتخلص من أي أفكار أو آراء مسبقة لا تستند إلى دليل علمي قوي كما يتخلص من أي مشاعر أو إتجاهات معينة إزاء أي مشكلة من المشكلات الإنسانية حتى لاتعوق بحثه . واني أكرر ذكر هذه النقطة عامدا فى ضوء مالاحظته من سهولة تقبلها منطقيا وصعوبة تنفيذها عند الكثيرين واقعيـــا .

وان البحوث التي تتم بالاسلوب التكاملي فى فريق واحد يكمل بعضه بعضا لها مناخ علمي خاص بها ، وان المناخ الصحى الملائم يعطى دفعات مستمرة للسير قدما فى البحث والعمل على إنجاحه . وان مسئولية توفير المناخ العلمي والمناخ الاجتماعي المناسب يعتبر أساسا من مسئوليات المشرف على البحث . وهذا يتوقف إلى حد كبير على طبيعة شخصيته كماأوضحنا. وان كل عضو فى البحث يعتبر مسئولا عن تغذية هذا المناخ الصحى وتدعيمه . وينبغي أن يشعر الجميع انهم على قدم المساواة بالانتماء إلى هذا الفريق ، وان تسود روح الفريق حتى يمكن إنجاز الكثير فى أشمل واعلى مستوى ممكن مما لا يتيسر لإنسان فرد أن يقوم به بمفرده تحت أية ظروف ، ومن أجل هذا كانت دعوتي للاسلوب التكاملي . والله ولي التوفيق .

فهرس

المحتويات

رقم الصفحة